العلامة المحقق الشيخ محمد تقي التستري

بهج الصباغة

في

شرح نهج البلاغة

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

بنیاد

Tustari

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري
دام ظله

بهج الصباغة

في

شرح نهج البلاغة

الجزء الأول

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

● اسم الكتاب: بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة

● المؤلّف: العلاّمة المحقّق الحاج الشّيخ محمّد تقي التّستري

● المحقّق: أحمد پاكتچي

● الطّباعة: طهران ـ مطبعة رستمخاني

● الكمّية: ٣٠٠٠ نسخة

● الطّبعة الثّانية: ١٣٦٨ (هـ،ش) ـ ١٤٠٩ (هـ،ق)

فهرس المطالب

العنوان — رقم الصحيفة

العنوان رقم الصفحة

شـــكر وتقـــدير:

يعتزّ ويبتهج (معهد دراسات نهج البلاغة) بتسديد الله تعالى له وتوفيقه في إخراج هذا الأثر الوحيد القيم الموسوم بـ «بهج الصّباغة» في الشّرح الموضوعي لنهج البلاغة، وهو والحق تأليف فخم نفيس لم يعمل إلى الآن مثله.

ويباهي ويفتخر ببذل وسعه وغاية جهده في سبيل طبع الكتاب وتصحيحه ومقابلته وتعليقه، ثم نشره بهذه الصورة القشيبة البهيّة الحسنة، اهداء للعتبة العالية العلويّة المباركة الّتي تنتهي إليها حلقات مجدنا المؤثّل، ورجاء للفت نظر الملاء الدّيني الثقافي اليه وتوجه المعاهد العلميّة وعكوفهم لديه.

فمن الواجب علينا ان نثني على جميل مساعي الهيئة العلميّة، والكتلة الفنيّة المتعهدة لترصيفهم الكتاب وسعيهم وراء تصحيحه وتعليقه وتنظيمه وتحسين روائه وابرازه على أجود وجه مستطاع، فللّه درّهم وعلينا شكرهم.

هذا، ولاننسى ما تكرم به اللّوذعي المفضال ــ الدّكتور محمد علي شيخ ــ ابن المؤلف مدّظلّه، حيث تفضّل باعطاء النسخة المصحّحة الّتي صحّحها والده المعظّم بيده وقلمه، وبأرسال مقدمة موجزة في حياة أبيه المؤلّف لاضحى ظلّه وعبقريته أدام الله بركاته، فله ولغيره الّذين وازرونا في عمل هذا المشروع شكر متواصل غير مقطوع.

مؤسّسة نهج البلاغة

ايران ــ طهران ــ ربيع الثاني ١٤٠٩

بسم الله الرّحمن الرّحيم

طريقنا فى التّحقيق:

موسوعة بهج الصّباغة تعدّ أهمّ شرح موضوعى علىٰ نهج البلاغة، وله مكانة خاصّة بين شروح النّهج قديمها وحديثها، قد كفانا الشّارح المعظّم من الاطناب فى وصف اسلوبه، ومحاسن شرحه، ومزاياه على سلفه بمقدّمته التّفصيلية على الكتاب، فلذلك ولأن المعرِّف لابدّ أن يكون أجلى من المعرَّف تركنا البحث حول تعريف الكتاب وشرعنا فى بيان العمل فيه.

منذ شهر ربيع الأوّل من سنة ١٤٠٦ هـ ، ق الّذى فوّض الىّ مؤسسة نهج البلاغة تحقيق هذه الموسوعة بدأت فيه بالعمل فى هذه الموسوعة من تصحيح المتن، ومقابلة منقولاته مع مصادرها، وتخريج المنقولات وبعض التّعليقات تمّت حتّى الآن عمل سبعة مجلّدات، ونرجو التوفيق على إتمام العمل.

أمّا نسختنا الوحيدة الّتى عليها مدار التّحقيق هى الطّبعة الأولى من الكتاب الّتى طبعت فى مطبعة الحيدرى بطهران ومطبعتى مهر وخيام بقم خلال السّنين ١٣٩٠ــ ١٤٠٠ هـ ق، وعندنا فى بضع مجلّدات من الكتاب تعليقات من الشّارح المعظّم بخطّه الشريف كتبه ليزاد فى متن الكتاب فى الطّبعة الجديدة.

ثمّ إنّى بذلت جهدى فى تصحيح المتن ومقابلة منقولاتها من الآيات القرآنية والأخبار والأحاديث وغيرها مع المصادر الأصلية، وحيث كان الشّارح لخّص المطلب فى النقل أو تصرّف فى عباراته تصرّفاً كثيراً، أو نقله بالمعنىٰ، أشرت إلى ذلك فى الذّيل.

ثمّ لتتميم الفائدة وتسهيل المراجعة خرجت منقولات الكتاب من آية قرآنية، أو حديث وخبر، أو شاهد شعرى، أو غيرها من المصادر الّتى ذكرها الشارح حيناً، ولم يتعرّض إلى ذكرها حيناً، كلّ ذلك مع التّصريح برقم المجلد والصّحيفة وبعضاً رقم الحديث والسّطر ونحوه، وغالباً لم إكتفِ بذكر مصدر واحد، بل مهما أمكن ذكرت للأخبار والأحاديث عدة مصادر مع رعاية مقتضى المقام، وكان همّى فى تخريج الأخبار والأحاديث أن يكون الإرجاع الى المصدر الأصلى بلا واسطة، لكن قد نقلت عن مصدر بواسطة مصدر آخر لفقدان نسخة الأوّل نحو كتاب الرّسائل للكلينى، أو لعسرة حصلت فى مراجعة المصدر الأصلى، وفى كلا الموردين صرحّت بأن النقل يكون بالواسطة، وذكرت الواسطة مع رقم المجلّد والصّحيفة، ثم كان مقصدى فى طبعات الكتب الّتى قد طبعت كراراً أن يكون الإرجاع إلى الطبعة الّتى تكون فى زماننا أسهل وصولاً وأنقح طبعاً، لكن هذه القاعدة قد نقضت فى موارد نادرة لعلل واعذار لا فائدة فى ذكر جزئيّاتها، وعلقت فى آخر المجلّد الأوّل وصف طبعات المصادر الّتى أستفدت منها فى تحقيق المجلّد الأول ويأتى فى آخر سائر المجلّدات زيادات على مصادر المجلّد الأول، ومضافاً الى التّصحيح والتّخريج مهما رأيت لزوم التنبيه فى بعض الموارد علىٰ شىء حول كلام الشارح، فذكرته تعليقاً فى الذيل مع رعاية الإختصار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

طهران ــ ٢٢ الرّبيع الثّانى سنة ١٤٠٩

احمد پاکتچی

بسم الله الرّحمن الرّحيم

كلمة فى حـياة المؤلّف:

فى بلدة تستر فقيه عالم ومحقق بارع، منقطع عن علائق الدنيا وزخارفها متوجهاً الى الله تعالى، لقد أمضى حياته الشريفة فى سبيل إرشاد الناس، وبثّ المعارف الاسلامية وهو والدى المعظّم الحاج الشّيخ محمّدتقى الشّيخ التّسترى (الشّوشترى). ولد فى النّجف الأشرف عام ١٣٢٠هـ ق وعاش فى تلك البلدة المباركة حتى السّنة السابعة من عمره، فلمّا أتم والده العلامة آية الله الحاج الشّيخ محمد كاظم التّسترى دراساته العلمية الإسلامية عند اساطين العلم ونال درجة الاجتهاد، عاد الى تستر والتحق بعد قليل والدى بأبيه المحترم مع والدته وخاله فى تستر واشتغل بتعلّم القراءة والكتابة والقرآن الكريم ثمّ واصل دراسته بكلّ جدّ فأقبل بدرس العلوم الإسلامية عند اساتذة تلك البلدة مثل السيّد حسين النورى والسيّد محمدعلى الإمام والسيّد على اصغر الحكيم، ثمّ أتمّ دراساته العالية فى العلوم الاسلامية عند كبار العلماء مثل السيّد محمدتقى شيخ الإسلام، والسيّد مهدى آل طيّب ووالده المعظم فنال درجة الإجتهاد.

وفى السنة ١٣١٤ هـ ش غادر مولده تستر مع عائلته مناهضاً لرفع حجاب النساء الّذى فرضه رضاشاه البهلوى على ايران وأقام فى بلدة كربلاء المباركة وواصل دراساته العلمية الإسلامية في العتبات العاليات وهناك التحق بالعالم النّحرير الجليل المرحوم الحاج الشيخ آغابزرك الطهرانى ونال منه اجازة نقل الحديث، وبعد ما عزل رضاشاه عن منصبه عاد الى تستر فى السنة ١٣٢١ هـ ش وأقام فى تلك البلدة واشتغل بالتّدريس والتّحقيق والإرشاد والتّأليف. لقد جاء بترجمة أحواله ونشاطاته العلمية العلاّمة النّحرير الشيخ آغابزرك الطّهرانى فى كتابه طبقات اعلام الشّيعة وج ١ ص ٢٦٥ ما هذا نصّه:

هو الشّيخ محمدتقى بن كاظم بن الشّيخ محمدعلى بن الشّيخ جعفر التّسترى الشّهير، عالم بارع ولد فى النجف (١٣٢٠ هـ ق) ونشأبها على حب العلم والفضيلة اللّذين ورثها عن آبائه وعن جدّه الأعلى الشّيخ جعفر الغنى عن الوصف، فاشتغل على الأعلام الأفاضل مجدّاً مجتهداً حتّى برع وصنّف فله:

١. تحقيق المسائل (شرح على الرّوضة البهيّة)[١]
٢. رسالة سهو النّبى (ص)[٢]
٣. الرّسالة المبصرة فى أحوال أبى بصير.[٣]
٤. شرح تنقيح المقال[٤]
٥. قضاء اميرالمؤمنين على بن ابيطالب (ع)[٥]
٦. الأربعينيات الثلاث. ج (٦)
٧. جوامع احوال الائمّة عليهم السّلام وانتهى، وتلواً يذكر بعض ما لم يقف عليها العلاّمة الطّهرانى.[٧]
٨. بهج الصّباغة فى شرح نهج البلاغة، وهو هذا الكتاب الّذى بيدك.[٨]
٩. الأوائل.[٩]
١٠. البدائع.[١٠]
١١. آيات بيّنات فى حقيقة بعض المنامات.[١١]
١٢. الأخبار الدّخيلة.[١٢]

وفى الختام أهدى اطيب تحيّاتى إلى مؤسسة نهج البلاغة التى عنيت بتجديد طبع هذا الكتاب، بهج الصّباغة فى شرح نهج البلاغة، وارجو من الله تعالى التّوفيق لهذه المؤسسة فى سبيل نشر المعارف الإسلامية، والسّلام علينا ورحمته وبركاته.

محمد على شيخ

ابن المؤلّف

٦٧/٩/١٠

١. هذا الكتاب شرح للمعة الدّمشقية فى مجلّدات كثيرة خرج إلى الآن منها ستّ مجلّدات.

٢ و ٣. طبعت هاتان الرّسالتان فى ملحق قاموس الرّجال ج ١١.

٤. طبع هذا الكتاب باسم قاموس الرّجال فى أربعة عشر مجلّداً.

٥. طبع هذا الكتاب مرّات عديدة فى النّجف وبيروت وقم وترجمته باللّغة الفارسية وسمّيته (قضاوت‌هاى على عليه‌السّلام) وطبعت هذه الترجمة أيضاً عدّة مرّات.

٦. طبع هذا الكتاب باسم الأربعين حديثاً.

٧. طبعت هذه الرسالة فى ملحق قاموس الرّجال ج ١١.

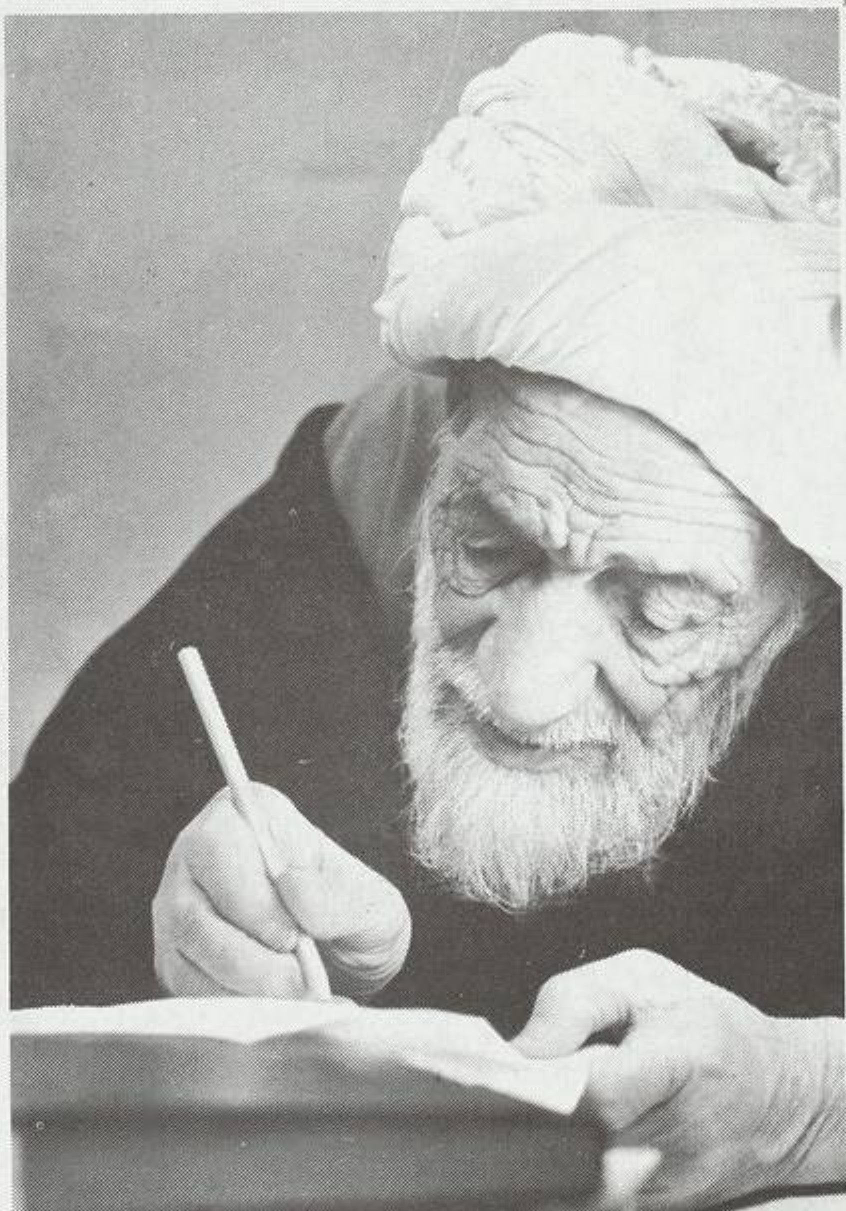
٨. طبع فى اربعة عشر مجلّداً.

٩. طبع فى مطبعة جامعة طهران فى مجلّد واحد.

١٠. عنيت بطبعه ونشره مكتبة الصّدوق.

١١. عنيت بطبعه ونشره مكتبة الصّدوق.

١٢. خرج من الكتاب الى الآن اربع مجلّدات، عنيت بنشرها مكتبة الصّدوق.



مقدمة المؤلّف

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلٰوة على محمّد وآله الطّاهرين.

وبعد فإنّ علماء الإسلام الخاصّ منهم والعامّ، وإن صنّفوا من الصّدر الأوّل في كلّ فنّ إلّا أنّه لم يؤلّف أحد مثل كتاب الشريف الرضيّ هذا. فإنّ أهميّة كلّ كتاب بمقدار فائدته وقيمته بقدر عائدته، ولم يبلغ بكتابه هذا بعد كتاب الله تعالى كتاب. فإنّه تاليه في الفصاحة والبلاغة، وفى الإشتمال على كلّ نصح وحكمة، ولقد أجاد من قال فيه:

كتاب كأنّ الله رصّع لفظه — بجوهر آيات الكتاب المنزّل

حوى حكماً كالدرّ ينطق صادقاً — فلا فرق إلّا أنّه غير منزل[1]

و يأتي في عنوان ٢٣ من الفصل الأوّل خبر أنّ ذعلباً لمّا أجابه أميرالمؤمنين عليه السّلام سؤاله «هل رأيت ربّك» خرّ مغشياً عليه ثمّ قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب.[2] ويأتي في خطبة المتّقين أنّ همّاماً لمّا سمع كلامه عليه السّلام في وصف أهل التّقوى صعق صعقة كانت نفسه فيها.[3]

---

١. نقل البيتين الخوئي فى ديباجة شرحه ج ١ ص ٨٠.

٢. بهج الصّباغة فصل ١ عنوان ٢٣.

٣. بهج الصّباغة فصل ٤٠ عنوان ١٣.

و يأتي في عنوان ١١ من الفصل الثلاثين أنّ قوله عليه السّلام: «**إنّ الحقّ لايعرف بالرّجال**» وقوله عليه السّلام: «**انظر إلى ما قال، ولاتنظر إلى من قال**» بلاقيمة.[١]

و قال الجاحظ: أجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمة أقلّ حرفاً، ولا أكثر ريعاً، ولاأعمّ نفعاً، ولاأحثّ على تبيين، ولاأهجى لمن ترك التفهم وقصر في الافهام من قول عليّ عليه السّلام: «**قيمة كلّ امرء ما يحسنه**».[٢]

وقال الخليل: أحثّ كلمة على طلب علم قول عليّ بن ابي طالب عليه السّلام: «**قدر كلّ امرئ ما يحسن**».[٣]

وقال الرضيّ في خصائصه: قوله عليه السّلام: «**كلمة حقّ يراد بها باطل**» في ردّ قول الخوارج «**لاحكم إلّا لله**» أبلغ عبارة عن أمر الخوارج لما جمعوا من حسن الاعتراء والشّعار، وقبح الإبطان والإضمار.[٤]

وقال أيضاً فيه في قوله عليه السّلام «**لم يذهب مالك ما وعظك**»: سبحان الله ما أقصر هذه الكلمة من كلمة، وأطول شأو بدرها في مضمار الحكمة.[٥]

وقال في نهج البلاغة في قوله عليه السّلام «**فلئن أمر الباطل لقديماً فعل**»: انّ في هذا الكلام الادنى من مواقع الإحسان ما لاتبلغه مواقع الاستحسان، وإنّ حظّ العَجب منه أكثر من حظ العُجب به، وفيه مع الحال الّتي وصفنا زوائد من الفصاحة لايقوم بها لسان ولايطّلع فجّها إنسان ولايعرف ما أقول إلّا من ضرب في هذه الصناعة بحقّ وجرى فيها على عرق وما يعقلها إلّا العالمون.[٦]

وقال في قوله عليه السّلام: «**فإنّ الغاية أمامكم إلخ**»: انّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسوله صلى الله عليه وآله بكلّ كلام لمال به راجحاً، وبرّز عليه سابقاً. فأمّا قوله عليه السّلام «**تخفّفوا تلحقوا**» فما سمع كلام

---

١. بهج الصّباغة فصل ٣٠ عنوان ١١.

٢. صرّح الشّارح فی عنوان ١٦ من الفصل الثّامن عشر أن نقله من كتاب البيان والتّبيين للجاحظ و أورد الجاحظ الحديث فی ج ٢ ص ٨٠ بلا كلام حوله.

٣. نقله أبو عليّ الطّوسيّ فی أماليه ج ٢ ص١٠٨/ جزء ١٧ باسناد عن خليل.

٤ و ٥. خصائص الأئمّة للشّريف الرّضيّ ص٨٨.

٦. نهج البلاغة ج ١ ص ٤٨/ خطبة ١٦.

أقلّ منه مسموعاً ولاأكثر محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة وأنقع نطفتها من حكمة.[١]

وقال في خطبة ٢٨: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزّهد في الدنيا ويضطرّ إلىٰ عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الإتّعاظ، والإزدجار.[٢]

وقال في خطبة ٨٠: إذا تأمّل المتأمّل قوله عليه‌السّلام «من أبصر بها بصّرته» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لاتبلغ غايته، ولايدرك غوره، ولاسيّما إذا قرن إليه قوله عليه‌السّلام: «ومن أبصر إليها أعمته» فانّه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر اليها واضحاً نيّراً وعجيباً باهراً.[٣]

وقال في قوله عليه‌السّلام: «لاتكن ممّن يرجو الآخرة بغير عمل ـ إلخ»: لولم يكن في هذا الكتاب إلّا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكّر.[٤]

إلى غير ذلك من كلماتهم في كلامه عليه‌السّلام ممّا لو استقصيت لصارت كتاباً فللّه درّه في جمعه هذا الكتاب فكم اهتدى به من يوم تأليفه إلى يومنا هذا، وكم يهتدى به إلى الأبد مع أنّه أتقن به لغة العرب، وأمتن به قواعد الأدب، فشكرالله سعيه وأعطاه خير جزاء.

لكنّه ـ عفا الله عنه ـ لمّا كان متها لكاً على نقل كلّ كلام فصيح منسوب إليه عليه‌السّلام لم يتفطّن أنّ الخصم قد يحتال ويزوّر على لسانه عليه‌السّلامُ بتزويق كلامه كما ترى ذلك فى خطبة ٩٠ و ١٦٦ و ٢٦٦ و فى نقله خطبة ٦ لمّا أُشير عليه بأن لايتّبع طلحة والزبير وقد تكلمنا حول كلّها فى

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ٥٨/ خطبة ٢١.
قال الشّريف فى خصائص الأئمّة ص٨٧ بعد نقل قوله عليه‌السّلام: «تخفّفوا تلحقوا» ما أقلّ هذه الكلمة واكثر نفعها وأعظم قدرها وأبعد غورها وأسطع نورها.

٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٧٢.

٣. نهج البلاغة ج ١ ص ١٣١.

٤. نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٨/ حكمة ١٥٠.

موضعها.[١]

كما أنّه ــ عفا الله عنه ــ لمّا كان نظره في اختياره من كلامه عليه السّلام على الكلمة الفصيحة قد يقتصر من نقل كلامه عليه السّلام على مثل الاقتصار على قوله تعالى «ولا تقربوا الصّلوة» بدون «وأنتم سكارى»[٢] كما تراه فى حكمة ٤٦٧ وقد بحثنا حولها فى موضعها.[٣]

كما أنّه ــ عفا الله عنه ــ لكون مراجعته إلى كتب العامّة ورواياتهم فقط غالباً قد ينقل ما تكذّبه روايات الخاصّة كما تراه في خطبة ٥٧ وقد شرحناه في محلّه.[٤]

كما أنّه ــ عفا الله عنه ــ قد ينسب إليه عليه السّلام ما لغيره كما تراه في حكمة ٢٨٩ فاتّفقت الروايات على أنّه لابنه الحسن عليه السّلام.[٥] وما تراه في حكمة ٢٢٧ فاتّفقت الرّوايات على أنّه عليه السّلام نقله عن النّبيّ صلى اللّه عليه وآله، وقد أوضحناهما في محلّهما.[٦]

كما أنّه قد ينسب إليه عليه السّلام ما روى عنه عليه السّلام في المنام كما تراه في حكمة ٤٠٦ وقد بحثنا حولها في محلّه.[٧]

كما أنّه قد ينسب الشيء إلى غير محلّه. فقال في كتاب ٦٢: ومن كتاب له عليه السّلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر. مع أنّه روى الثّقفي في غاراته، وابن قتيبة في خلفائه، والكلينيّ في رسائله، وابن جرير الطّبريّ في مسترشده أنّه

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ١٨١/ خطبة ٩٠ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٣٠ عنوان ٨.
نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٠/ خطبة ١٦٦ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٢٩ عنوان ٢٤.
نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٢٢/ خطبة ٢٢٦ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٢٩ عنوان ٢٦.
نهج البلاغة ج ١ ص ٤١/ خطبة ٦ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٣١ عنوان ٣.
٢. الآية بتمامها: يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلوة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون النّساء ــ ٤٣.
٣. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٧/ حكمة ٤٦٧ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٢٩ عنوان ٢٧.
٤. نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٥/ خطبة ٥٧ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٩ عنوان ١٥.
٥. نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٩/ حكمة ٢٨٩ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٤٠ عنوان ١٥.
٦. نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٠/ حكمة ٢٢٧ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٤٠ عنوان ٥.
٧. نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٥/ حكمة ٤٠٦ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٦ عنوان ٢٥.

كانت خطبة له عليه السّلام في التّحريض على الجهاد لـمّا فتحت مصر وقتل محمّدبن أبي بكر.[١]

كما أنّه قد يحرّف لعدم تدبّره أو لسقم نسخة مستنده. فنقل في كتاب ٥٧ «خرجت من حيي هذا» فإنه محرّف «خرجت مخرجي هذا» كما شرحناه في محلّه.[٢]

ونقل: في حكمة ٣٧١ «والشرّ جامع لمساوي العيوب» فإنّه محرّف «والبخل جامع لمساوي العيوب» كما نقله نفسه في حكمة ٣٧٨[٣] ونقل في خطبة ٦٣ «ولا وقف به عجز عمّا خلق» فإنّ الظّاهر أنّه محرّف «ولا وقف به عجز عمّا لم يخلق» وقد شرحنا الكل في موضعه.[٤] ونقل في خطبة ٤٩ «فلاعين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره» فإنّه محرّف «فلا قلب من لم يره ينكره، ولاعين من أثبته تبصره»[٥] وقد نقله بعضهم من رواية.[٦]

وقد صنّف قبل المصنّف جمع في خطبه عليه السّلام ذكرهم فهرست الشّيخ وفهرست النّجاشيّ ومنهم إبراهيم بن الحكم الفزاريّ[٧] واسماعيل بن مهران[٨] وزيدبن وهب[٩] وعبدالعظيم الحسنيّ[١٠] ومسعدة بن صدقة[١١] والمدائنيّ[١٢] وعبدالعزيز

---

١. نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٨/ كتاب ٦٢ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٨ عنوان ١٥.
والغارات للثّقفى ج ١ ص ٣٠٢.
و تاريخ الخلفاء وهو كتاب الإمامة والسّياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٥٤.
و كشف المحجّة لابن طاووس ص ١٧٣ نقلاً عن رسائل الكلينى والمسترشد للطبرى ص ٩٥.

٢. نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٤ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٣ عنوان ٧.

٣. نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٧/ حكمة ٣٧١ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٦٠ عنوان ٨٣.
نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٠/ حكمة ٣٧٨ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ٤٤ عنوان ٦.

٤. نهج البلاغة ج ١ ص ١١٢/ خطبة ٦٣ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ١ عنوان ٥.

٥. نهج البلاغة ج ١ ص ٩٨/ خطبة ٤٩ شرحه فى بهج الصّباغة فصل ١ عنوان ٤.

٦. نقله ابن ابى الحديد فى شرحه ج ١ ص ٢٩٢.

٧. الفهرست للطوسيّ ص ٤.

٨. الفهرست للنّجاشى ص ١٩ والفهرست للطوسيّ ص ١١.

٩. الفهرست للطوسيّ ص ٧٢ والمعالم لابن شهر آشوب ص ٥١. نقله الأردبيليّ عن الأستر آباديّ عن النّجاشيّ أيضاً لكن لم أجده فى فهرست النّجاشى جامع الرّواة ج ١ ص ٣٤٤.

١٠. الفهرست للنّجاشيّ ص ١٧٣.

الجلوديّ [١] إلّا أنّ كتبهم لم تصل إلينا.

وأظنّ أنّ أوّل من صنّف فيها الحارث الأعور الّذي كان من خواصّه عليه السّلام وقال عليه السّلام له: «أما إنّه لايموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يحبّ، ولايموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يكره» كما رواه الكشّي [٢] وقال عليه السّلام له: أبشّرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصّراط وعند الحوض وعند المقاسمة. قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة. أقول: هذا وليّي فاتركيه وهذا عدوّي فخذيه ــ الحديث كما رواه أمالي الشّيخين [٣] وقد نظم الحميريّ في قوله: يا حار همدان ــ الأبيات المعروفة ــ مضمون الخبرين. [٤]

فروي الكليني والصّدوق بأسنادهما عن أبي إسحاق السبيعيّ عن الحارث أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام خطب خطبة بعد العصر فعجب النّاس من حسن صفته وما ذكره من تعظيم الله تعالى. قال ابوإسحاق: فقلت للحارث: أو ما حفظتها؟ قال: كتبتها (قال السبيعيّ) فأملأها علينا الحارث من كتابه ــ إلخ؛ ثمّ زيد بن وهب الّذي كان من أصحابه عليه السّلام أيضاً. [٥]

---

١١. الفهرست للنّجاشيّ ص ٢٩٥.

١٢. قال ابن النّديم فى الفهرست انّ له كتاب خطب عليّ عليه السّلام فهرست ابن النّديم ص ١١٤ وامّا فهرست الطّوسيّ ففى بعض نسخه كتاب «الخونة» لأميرالمؤمنين وبعض نسخه «الحوز» فهرست الطّوسيّ ص ٩٥ وفى موضع آخر «الحروب» فهرست الطّوسيّ ص ١٩٢ وامّا المعالم لابن شهر آشوب ففى بعض نسخة «الخولة» وبعض آخر «الولاء» لأميرالمؤمنين المعالم ص ١٣٦.

١. الفهرست للنّجاشيّ ص ١٦٧.

٢. أخرجه الكّشيّ اختيار معرفة الرّجال ص٨٨ وابن شهر آشوب في المناقب ج ٣ ص ٢٢٣ عن الحارث واخرجه الكلينيّ في الكافيّ ج ٢ ص ١٣٢ ج ٥ وأحمدبن محمّدبن عيسى فى نوادره عنه البحار ج ٦ ص ١٩٩ ج ٥٢ عن عباية الاسدى.

٣. أخرجه المفيد فى أماليه ص ٣ ح ٣/ مجلس ١ وأبوجعفر الطّوسيّ فى أماليه ج ٢ ص ٢٣٨/ مجلس ١٢ والطّبرى فى بشارة المصطفى ص ٤ والاربلى فى كشف الغمّة ج ٢ ص ٣٨ والدّيلميّ فى إرشاد القلوب ص ٢٩٧.

٤. نقل الأبيات ذيل الحديث فى المصادر المذكورة والبيت بتمامه:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلاً

٥. الكافيّ ج ١ ص ١٤١ حديث ٧ والتّوحيد للصّدوق ص ٣١ حديث ١.

وقد شرح الكتاب جمع كثير من أراد الوقوف عليها فليراجع الذريعة[١] ولكن أبسطها وأمتنها شرح ابن أبي‌الحديد ثمّ شرح ابن ميثم ثمّ شرح الخوئي ولكن لم يكن أحد منها جامعاً مع أنّ الأخير غير تامّ فإنّه إلى خطبة ٢٢٨. وأمّا شرح الراونديّ المسمّى منهاج البراعة كما يفهم من طرائف ابن طاووس[٢] فلم يوجد منه إلّا نسخ في بعض المكتبات ومنها نسخة في المكتبة الرّضوية كشرح أبي‌الحسن الكيذريّ الّذي ينقل عنه كثيراً ابن ميثم، ومنها في الشّقشقيّة في كتاب رجل من أهل السواد[٣] فلم يوجد إلّا في بعض المكتبات ومنها نسخة في المكتبة الأميريّة، وهو جمع بين شرح الراونديّ وشرح البيهقيّ كما نقل.[٤]

وشرح ابن أبي‌الحديد وإن ادّعى أنّه تاريخيّ أدبيّ إلّا أنّ فيه معائب، ففي بعض الموارد يفرط في نقل التاريخ حتّى يمكن أن يجعل ما نقل تاريخاً مستقلاً وكان عليه أن يقتصر على المقدار المناسب للعنوان وفي بعض الموارد لاينقل شيئاً أصلاً، كما أنّه في الأدب كذلك قد يفرط وقد يفرّط بل ينقل كثيراً ما لاربط له أصلاً، كما ترى عند شرحه لقوله عليه‌السّلام في الإخبار عن الخوارج «**كلاّ واللّه انّهم نطف في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء**»[٥] وقد يغفل عن شيء في محلّه ويذكره في غيره كما تراه في أوّل فصل الجمل في قوله عليه‌السّلام «**ربّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لاينفعه**».[٦]

وله أوهام كثيرة فنسب خطبة ٣٩ إلى كونه في غارة النّعمان مع أنّه كان في قتل محمّدبن أبي‌بكر[٧]، ونسب خطبة ٢٩ إلى كونه في غارة الضحّاك مع أنّه

١. الذّريعة لآغا بزرگ الطّهرانيّ ج ١٤ ص ١١٣ الى ١٦٠.
٢. الطّرائف لابن طاووس ج ٢ ص ٤٨٣.
٣. شرح ابن ميثم ج ١ ص ٢٦٩.
٤. قال الكيذرى نفسه فى مقدّمة شرحه ج ١ ص ٨٧ انّه استفاد من هذين الشّرحين.
٥. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٢٨ الى ٤٤٧/ شرح خطبة ٥٩.
٦. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٨٧ و ٢٨٨/ شرح حكمة ١٠٧.
و بهج الصّباغة فصل ٣١ عنوان ١.
٧. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٣.
و بهج الصّباغة فصل ٣٤ عنوان ٦.

كان بعد النّهر في الشّخوص إلى معاوية[١]، ونسب كتاب ٣٦ إلى كونه في غارة بسر مع أنّه كان في غارة الضحّاك[٢] كما أوضحنا ذلك في فصل الغارات، ونسب قوله عليه‌السّلام في الثاني من فصل غريب النهج «هذا الخطيب الشحشح» إلى أنّه قاله في صعصعة مع أنّه قاله في رجل من أهل الجمل من أصحاب عائشة كما بيّنّاه في الفصل السّنين.[٣] وله تفسيرات باطلة كما ستقف عليها في المطاوي كراراً.

وهو وإن نقل في شرحه أشياء حسنة وذكر فيه أموراً مهمّة إلّا أنّه لم يراع المناسبة في الغالب.

وأمّا ابن ميثم فمذاقه مذاق الفلاسفة يرتكب كثيراً تأويلات غير صحيحة ويعلّل بعلل عليلة كما في شرحه لقوله عليه‌السّلام: «وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً»[٤] ويخبط كثيراً في فهم المراد كما في شرحه لقوله عليه‌السّلام في خطبة ١٠٤ «وايم الله لوفرّقوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم»[٥].

مع قلّة اطّلاعه على التاريخ فيخبط فيه كما ترى ذلك عند شرحه لقوله عليه‌السّلام مشيراً إلى الكوفة في خطبة ٤٧ «ما أراد بك جبّار سوءاً». [٦]

وعند شرحه لقوله عليه‌السّلام في خطبة ٢١٧ «أدركت وترى من بني عبد

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٣.
و بهج الصّباغة فصل ٣٤ عنوان ٥.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦.
و بهج الصّباغة فصل ٣٤ عنوان ١٢.
٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٥٥.
و بهج الصّباغة فصل ٦٠ عنوان ٦٤.
٤. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٨٥/ شرح خطبة ٩٠.
و بهج الصّباغة فصل ٣٠ عنوان ٨.
٥. شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٦.
و بهج الصّباغة فصل ٩ عنوان ٢٨.
٦. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٢٤.
و بهج الصّباغة فصل ٩ عنوان ١٤.

منـاف وأفـلتني أعيان بني جمح». [١] وعنـد شـرحـه لقولـه عـليـه السَّلام في خطبة القاصعة: «وإنّ فيكم من يطرح في القليب ــ إلخ». [٢]

وأغـرب في شرح قولـه عـليـه السَّلام في كتاب ٢٨ «منّـا النبـيّ ومنكـم المكذّب» [٣] وشرح قولـه عليه السَّلامُ في كـتاب ٥٨ «فمن تمّ على ذلـك» [٤] وشرح قوله عليه السَّلام «مـن أعمام وأخوال» في كتاب ٦٤ [٥] وشرح قوله عليه السَّلام في كتاب ٦٢ «الّـذي قد شرب فيـكم الحرام وجلّد حدّاً في الإسلام» [٦] وقـد ذكـرنا الكلّ في مواضعه.

و من العجب أنّـه مع عدّه نفسه مـن الفلاسفة يـأتي باللّجاج ففي كثير من تلـك الموارد ترى أنّ ابن أبي الحـديد قال: إنّ الراونديّ خـبط فيها وانّه استهزأ بـه لعدم اطّلاعه على التاريخ ومع ذلـك أصرّ على متابعة الراونديّ، فلو كان الراونديّ وقف على ما خطئ فيـه لرجع كما أنّه تبع الكيذريّ في أوهامه.

وشرح الخوئي لـيس فيه سوى الإكـثار من الأخبار الضّعيـفة مع اقـتصاره على ما ورد من طريقنا الّـذي لايكون حجّة على غيرنا مع قـلّة اطّلاعه على التاريخ فتبع ابن ميثم في كثير من خبطاته المتقدّمة.

فرأيـت أن أكتب بعون الله تـعالى شـرحاً جامعاً فـيه من التاريخ والأدب

---

١. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٥١.
و بهج الصّباغة فصل ٣١ عنوان ١١.
٢. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٣١٩.
و بهج الصّباغة فصل ٦ عنوان ٤٢.
٣. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٤٤٠.
و بهج الصّباغة فصل ٧ عنوان ١١.
٤. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ١٩٦.
و بهج الصّباغة فصل ٢٩ عنوان ٢٥.
٥. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢١١.
و بهج الصّباغة فصل ٨ عنوان ٨.
٦. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٠٣.
و بهج الصّباغة فصل ٢٩ عنوان ٢٩.

والأخبار القويّة والآثار الّتي تكون حجّة بقدر الحاجة، وفي محلّ يكون فيه مناسبة مع ذكر مدارك عناوين الكتاب بقدر الوسع.

وأمّا الشرّاح المتقدّمون فلم يقفوا في كثير منها على مداركها أصلاً وفي يسير منها لم يقفوا غالباً إلّا على بعضها.

واقتصرت في شرح الفقرات من الإعراب واللّغة والتّفسير على المشكلات الّتي تحتاج إلى ذلك لا في كلّ فقرة كما فعله بعضهم لكونه لغواً، كما أنّه ذكرت اللغة عند كلّ فقرة وكلمة ولم أجمعها بعد العنوان كما فعل الشرّاح لئلاّ يكون الفهم في محلّ الحاجة صعباً.

وذكر ابن ميثم في أوّل كتابه مقداراً من مباحث علم البيان وتبعه الخوئي وهو لغو فتجنّبته لأنّه صنّف في ذاك الفنّ كتب فكان عليهما حيث ذكرا مباحث البيان أن يذكرا مباحث الصّرف والنّحو واللّغة.

وليس دأبي دأب أكثر الشرّاح يذكر اللاّحق ما قاله السّابق في صورة الإنشاء منه فإنّه نوع سرقة فما كان من غيري أنسبه إليه وما فيه بلانسبة فهو منّي. وحيث إنّ ترتيب المصنّف للكتاب بالخطب والكتب والكلمات القصار ترتيب لفظيّ أحببت ترتيبه بالمعنى فجمعت ما يكون راجعاً إلى التوحيد مثلاً في موضع وما يكون راجعاً إلى النّبوّة في موضع وإلى الإمامة في موضع وهكذا كلّ موضوع وهاك تفصيل فصولها:

الأوّل: في التّوحيد، وفيه (٥٣) عنواناً.

الثّاني: في خلق السّماء والأرض والشّمس والقمر والنّجوم والعرش والكرسيّ وفيه (٦) عناوين.

الثّالث: في خلق الملائكة، وفيه (٣) عناوين.

الرّابع: في خلق آدم عليه السّلام، وفيه (٤) عناوين.

الخامس: في النبوّة العامّة، وفيه (٩) عناوين.

السّادس: في النبوّة الخاصّة، وفيه (٤٧) عنواناً.

السّابع: في الإمامة العامّة وفيه (٣٤) عنواناً.

الثّامن: في الإمامة الخاصّة وفيه (٣٣) عنواناً وفي أواخرها كلامه عليه السّلام في

الشقشقيّة[١] وفي دفن سيّدة النّساء[٢] وفي فدك .[٣]

التّاسع: في إخباره عليه السّلام بالملاحم وما يقع في المستقبل وفيه (٣٧) عنواناً.

العاشر: في علمه عليه السّلام وصفحه ومكارم أخلاقه وفيه (٦) عناوين.

الحاديعشر: في تفسيراته عليه السّلام للآيات وغيرها وفيه (٧) عناوين.

الثّاني عشر: في قضاياه عليه السّلام وفيه عنوانان.

الثّالث عشر: في أجوبته التّمثيليّة وأدب السّؤال والجواب وفيه (١٠) عناوين.

الرّابع عشر: في زهده وإعراضه عن الدنيا و عدله وتواضعه وذكر الحقوق وفيه (١٥) عنواناً.

الخامس عشر: في التزامه عليه السّلام بالحقّ والعدل وحثّه عليها قولاً وعملاً وفيه (٨) عناوين.

السّادس عشر: في أدعيته عليه السّلام وفيه (٩) عناوين.

السّابع عشر: في عجائب خلقه تعالى وفيه (٣) عناوين.

الثّامن عشر: في العلوم مذمومها وممدوحها وفيه (٢٥) عنواناً.

التّاسع عشر: في إرشاد الثانى (عمر) في مصالح الاسلام وفيه عنوانان.

العشرون: في حبّه وبغضه وفيه عنوانان.

الحادي والعشرون: في شجاعته عليه السّلام ومهابته ومناعته وفيه (٤) عناوين.

الثّاني والعشرون: في أوليائه وأعدائه وفيه (١٢) عنواناً.

الثّالث والعشرون: في عتاباته لعمّاله وغيرهم وفيه (١١) عنواناً.

الرّابع والعشرون: في حلفه وتقيّته وفيه (٣) عناوين.

الخامس والعشرون: في شكايته من أهل عصره وفيه (٦) عناوين.

السّادس والعشرون: في نقص الناس واختلافهم وعجائب قلوبهم وصفات أراذ لهم وفيه (٩) عناوين ومنها قوله عليه السّلام لمن سأله أن يعظه.[٤]

السّابع والعشرون: في القضاء والقدر وفيه عنوانان.

---

١. عنوان ٣٠ من الفصل الثّامن.

٢. عنوان ٣١ من الفصل الثّامن.

٣. عنوان ٣٢ من الفصل الثّامن.

٤. عنوان ٨ من الفصل السّادس و العشرين.

الثّامن والعشرون: في الجامع لأمر الدين والدنيا وفيه (٨) عناوين، ومنها وصيّته عليه السّلام لابنه الحسن عليه السّلام[١] وعهده للأشتر لمّا ولّاه مصر.[٢]

التّاسع والعشرون: في ما يتعلّق بعمر وعثمان وفيه (٢٧) عنواناً.

الثّلاثون: في بيعته عليه السّلام وفيه (١٥) عنواناً.

الحادي والثّلاثون: في وقعة الجمل وفيه (١٥) عنواناً.

الثّاني والثّلاثون: في وقعة صفّين وفيه (١٢) عنواناً.

الثّالث والثّلاثون: في وقعة النّهروان وفيه (١٠) عناوين.

الرّابع والثّلاثون: في الغارات وفيه (١٢) عنواناً.

الخامس والثّلاثون: في مقتله ووصاياه عليه السلام وفيه (٨) عناوين.

السّادس والثّلاثون: في الموت وفيه (٣٤) عنواناً وفي آخرها **«سبحانك خالقاً ومعبوداً»**.[٣]

السّابع والثّلاثون: في ذمّ الدنيا وفنائها وفيه (٤٣) عنواناً.

الثّامن والثّلاثون: في القيامة والجنّة والنّار وفيه (٢٢) عنواناً.

التّاسع والثّلاثون: في ما يجب على العبد لربّه وفيه (١٨) عنواناً.

الأربعون: في الاسلام والإيمان والتّقوى والكفر والنّفاق وفيه (٣٠) عنواناً.

الحادي والأربعون: في القرآن وفيه (١٣) عنواناً.

الثّاني والأربعون: في العبادات والمعاملات والخير والشرّ وفيه (٣١) عنواناً.

الثّالث والأربعون: في مكارم الأخلاق وفيه (٢٧) عنواناً.

الرابع والأربعون: في ذمائم الصفات ومحامدها وفيه (٣٣) عنواناً.

الخامس والأربعون: في آداب المعاشرة وفيه (١٠) عناوين.

السّادس والأربعون: في الأصدقاء وفيه (١٤) عنواناً.

السّابع والأربعون: في التّعازي والتّهانيّ وفيه (٦) عناوين.

الثّامن والأربعون: في آداب الحرب وفيه (١٦) عنواناً.

التّاسع والأربعون: في ذمّ الشام ومدح الكوفة وفيه عنوانان.

الخمسون: في الأنصار وطوائف قريش وتميم والشعراء وفيه (٤) عناوين.

---

١. عنوان ٢ من الفصل الثّامن والعشرين.

٢. عنوان ٣ من الفصل الثّامن والعشرين.

٣. عنوان ٣٤ من الفصل السّادس والثّلاثين.

الحادي والخمسون: في الاستسقاء والاضحيّة وفيه (٤) عناوين.
الثاني والخمسون: في الإقبال والإدبار وفيه (٥) عناوين.
الثالث والخمسون: في الفتن والشبه والبدع وفيه (٧) عناوين.
الرابع والخمسون: في العقل وفيه (٨) عناوين.
الخامس والخمسون: في القلوب وفيه (٥) عناوين.
السادس والخمسون: في الحقائق وفيه (١٤) عنواناً.
السابع والخمسون: في الفقر وفيه (٤) عناوين.
الثامن والخمسون: في النساء وفيه (٧) عناوين.
التاسع والخمسون: في إبليس وفيه (٣) عناوين.
الستون: في موضوعات مختلفة وفيه (١٠٤) عنوان.

ثمّ إنّ النسخ المطبوعة من النهج أحسنها نشر مطبعة الاستقامة المشتملة على الأرقام في أبوابه الثلاثة، ومع ذلك فهي مشحونة من التصحيف في العناوين والمتون والمواضع كما يظهر من تطبيقها على نقل (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وعلى النسخ الخطيّة المصحّحة ومنها عندي نسخة مورّخة بسنة ١٠٧٥ وإن كان ناشرها قال: تمتاز هذه من المطبوعات السابقة بتمام العناية بضبطها وتصحيحها فقد سقط منها قول المصنّف بعد خطبة ١٩: يريد عليه السّلام أنّه أسر في الكفر مرّة وفي الإسلام مرّة وأمّا قوله عليه السّلام: «دلّ على قومه السّيف»: فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غرّ فيه قومه، ومكربهم حتّى أوقع بهم خالد، وكان قومه بعد ذلك يسمّونه عرف النار، وهو اسم للغادر عندهم.[١]

وبعد خطبة ٤٦ وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد قفّاه أمير المؤمنين عليه السّلام بأبلغ كلام وتمّمه بأحسن تمام من قوله: «ولا يجمعهما غيرك» إلى آخر الفصل.[٢] وبعد قوله: ومن كلام له عليه السّلام في خطبة ١٣٣ وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن

١. في شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٩٧ كلّه وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٣٢٢ بعضه.
٢. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٧٦ ولكن شرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٢١ خال منه.

الأخنس لعثمان أنا أكفيكه. فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام للمغيرة.[١]

وسقط منها قوله في خطبة ٨٩ روى مسعدة بن صدقة إلخ[٢] «وخلطت الحواشي بالمتن. ففيها في آخر خطبة ١٣ وفي رواية أُخرى «بلادكم أنتن بلاد الله تربة أقربها من الماء، وأبعدها من السّماء، وبها تسعة أعشار الشرّ المحتبس فيها بذنبه والخارج بعفوالله كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء حتّى ما يرى منها إلّا شرف المسجد كأنّه جؤجؤطير في لجّة بحر».[٣]

فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) أثر منه وإنّما أخذه بعض المحشّين من نقل (ابن ميثم) رواية طويلة أخذ المصنّف منها كلامه فيها ذاك الكلام.[٤]

وفيها في حكمة ٤٨٠ وهي آخر الحكم: قال الرضيّ: يقال حشمه وأحشمه إذا أغضبه وقيل أخجله واحتشمه طلب ذلك له وهو مظنّة مفارقته.[٥]

وبعد حكمة ٤٧٩ قال الرضيّ: لأنّ التكليف مستلزم للمشقّة وهو شرّ لازم عن الأخ المتكلّف له فهو شرّ الإخوان.[٦]

وليس واحد منها كلام الرضيّ بل من حواش مختلطة لخلو (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) عن الكلامين ولأنّ الرضيّ ـ رضوان الله عليه ـ أجلّ من أن يتكلّم بمثل ذاك الكلام الساقط المذكور فيها، ولأنّه لايفسّر إلّا المشكل لامثله.

وأيضاً زادت في ما نقل كلاماً للمصنّف من الأوّل إلى الآخر جلة «قال الرضيّ» مع أنّه ليس كلام المصنّف حتّى يجعل جزء النّهج، وإنّما هو إنشاء

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧١ و شرح ابن ميثم ج ٣ ص ١٦٣.

٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٣٨ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٢.

٣. الزّيادة فى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٨٣ كلّها وفى شرح ابن ميثم ج ١ ص ٢٩٠ بعضها.

٤. الزّيادة فى شرح ابن ميثم عقيب الخطبة، وليس فى الرّواية الطويلة أثر منها.

٥. لا يوجد فى شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٢٩ وامّا شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٦٧ فقال فيه بعد أصل الحكمة:

«حشمه أحشمه بمعنى أغضبه وقيل أخجله» ولم ينسبه إلى الرّضيّ.

٦. لا يوجد فى شرح ابن أبى الحديد ج ٤ ص ٥٢٩ و شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٦٧.

الشرّاح (ابن أبي الحديد وابـن ميثم) وغيرهما، فالخطيّة خالية منها و(ابن ميثم) غالباً يقول: قال السيّد و(ابن أبي الحديد) يعبّر مختلفاً.[١]

و خـلطت في عهده عـليه السّلام للأشتر لـمّا ولّاه على مصر في كتاب ٥٣ حواشـي مأخوذة من رواية تحـف العقول للعهـد بـالمتن منها «وليس يخرج الوالي من حقيـقة ما ألزمه الله من ذلـك إلّا بالإهتمام والإستعانة بالله، وتوطين نفسـه على لزوم الحقّ والصّبر عـليـه في ما خـفّ عـليـه أو ثـقـل» خلطه بين «ولكـلّ على الوالى حقّ بقدر ما يصلحه» و «فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك».[٢]

ومنها «وإنّ أفضل قـرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودّة الرعيّة وأنّه لاتظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم» خلطه بين «فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك» و «ولاتصحّ نصيحتهم إلّا بحيطة على ولاة أمورهم».[٣]

ومنهـا «رياضة منك لـنفسـك ورفقاً برعيّتك» خلطه بين «فإنّ في ذلـك» و «أعذاراً تبلغ به حاجتك».[٤]

فـإنّ النهج كان خالياً مـن الفقرات الثّلاث بدلـيل خلوّ (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية) عنها وإن فرض كونها من كلامه عليه السّلام وجزء العهد.[٥]

وقـدّمت وأخرّت وحـرّفت العـنـاوين عن مـواضعهـا فـي (ابـن أبي الحديد وابن ميثم) عنوان «ومـن كلام له عليـه السّلام قاله لعبدالله بن العبّاس وقد جاءه برسالة مـن عثمان وهو محصور_ إلـخ» قبل عنوان «ومـن كلام له عليـه السّلام اقتصّ فـيـه ذكر ما كان مـنه عليه السّلام بعـد هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله_

١. ذكر اسم مصنّف الكتاب من قبل النسّاخ والرّاوين أمر شائع فى الكتب القديمة.

٢. شرح ابن ميثم خال من هذه القطعة ج ٥ ص ١٥٠ لكن توجد فى شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ١٢٧ وكذلك في تحف العقول ص ١٣٢.

٣. شرح ابـن أبي الحديد ج ٤ ص ١٢٨ وشرح ابن مـيثم ج ٥ ص ١٥١ وكـذلك فى تحف العقول ص ١٣٣.

٤. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٤٥ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ١٧٤ بفرق يسير فى تحف العقول ص ١٤٥.

٥. مع ما ذكرت لايبق وجه لنسبة هذه الألفاظ إلى الأخذ من تحف العقول.

إلخ»[١] وإن كان الراوندي قال في شرحه وتاريخ فراغه منه ٥٥٦: ذاك العنوان زيادة من نسخة كتبت على عهد المصنف،[٢] وفي المصريّة العنوان الأوّل تحت رقم ٢٣٥ والثّاني تحت رقم ٢٣١.

وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم) عنوان «إنّ هذه القلوب تملّ» بعد عنوان «أوضع العلم ما وقف على اللسان»[٣] وفي المصريّة بالعكس الأوّل حكمة ٩١ والثاني حكمة ٩٢.

كما أنّها قد تجعل جزء عنوان عنواناً مستقلاً ففي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطيّة) حكمة ٩٥ من رقم المصريّة جزء حكمة ٩٤ منه[٤] وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم) حكمة ١٢٣ من رقم المصريّة جزء حكمة ١٢٢ منه[٥] وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة) «طوبى لمن ذكر المعاد» حكمة ٤٤ من المصريّة جزء «يرحم الله خباب بن الارت» حكمة ٤٣،[٦] ولم تكتف المصريّة بالخلط بل زادت فقرتين من الثاني في الأوّل أيضاً.

كما أنّها قد تفعل بالعكس فتجعل المستقلّ جزءًا ففي المصريّة «إنّ الدنيا والآخرة عدّ وان متفاوتان» جزء حكمة ١٠٣ «ورئي عليه عليه السّلام إزار خلق مرقوع» وفي (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة) مستقلّ ليس جزءه.[٧]

كما أنّها نقلت أشياء تفرّد بنقلها من النهج (ابن أبي الحديد) ونبّهت على ذلك بجعلها تحت قوسين لكنّها وهمت في محلّ نقلها منها «الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس» في (ابن أبي الحديد) هو بعد حكمة ٣٣٣ والمصريّة جعلته بعد حكمة ٣٤١.[٨]

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٨٦ و ٢٨٨ و شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٣٢٢ و ٣٢٤ وهما خطبتا ٢٣٨ و ٢٣٤.

٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٨٢ و شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٨٦ وهما حكمتا ٩١ و ٩٢.

٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٨٣ و شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٨٧.

٤. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٠١ و شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٣٠٦.

٥. في شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٦٥ جمعها وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٦٣ شرحهما معاً فقط لكن فصل بينهما بقوله «وقال عليه السّلام».

٦. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ و شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٩٢.

٧. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٩٤.

ومنها «المسئول حرّ حتّى يعد» فإنّه في (ابن أبي الحديد) قبل حكمة ٣٣٤ والمصريّة جعلته حكمة ٣٣٦.[1]

ومنها قوله عليه السّلام «نعم الطيب المسك» وقوله «ضع فخرك» جعلتها المصريّة حكمة ٣٩٧ و ٣٩٨ مع أنّهما في (ابن أبي الحديد) قبل ٣٩٣.[2]

و ما جعلته المصريّة ٣٨٩ هو في (ابن أبي الحديد) قبل، ٣٨٦[3] وما جعلته ٣٣٩ و ٤٠٠ هما في (ابن أبي الحديد) بعد ٣٩٦[4] إلى غيرذلك من تحريفاتها.

ولو أردنا استقصاء ما فيها من التّصحيف والتّحريف والتّغيير والتّبديل والزّيادة والنّقصان لطال الكلام حيث إنّه قلّ عنوان منها من أوّلها إلى آخرها لم يكن بمحرّف، ومنها كلام المصنّف في آخر الكتاب فلم يكن بعد حكمة ٤٨٠ كما في المصريّة بل بعد ٤٦٢[5] كما ستقف عليه في ذكر اختلاف نسخ النّهج.[6]

ثم «إنّ» نسخ النّهج كانت مختلفة من الصّدر الأوّل. قال (ابن ميثم) بعد خطبة همّام المذكورة تحت رقم ١٨٨ من المصريّة: من هيهنا اختلفت نسخ النّهج فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أوّل المجلّد الثاني منه بعد الخطبة المسمّاة بالقاصعة، ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائى قوله عليه السّلام «الحمد لله الّذي لاتدركه الشّواهد ولاتحويه المشاهد» وكثير من النّسخ تكون هذه الخطبة فيها متّصلة بكلامه عليه السّلام للبرج بن مسهر وتتأخّر تلك الخطبة فتكون بعد قوله عليه السّلام : «ومن كلام له عليه السّلام وهو يلي غسل رسول الله صلّى الله عليه وآله ويتصّل ذلك إلى تمام الخطبة المسمّاة بالقاصعة، ثمّ يليه قوله «باب المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله» وعليه جماعة الشّارحين كالإمام قطب الدين أبي الحسن الكيذري، والفاضل عبدالحميد بن أبي الحديد، ووافقتهم هذا الترتيب لغلبة الظنّ باعتمادهم على النسخ الصّحيحة.[7,8,9]

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٩٥.

٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤٢١ و ٤٢٤.

٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤١٩.

٤. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤٢٧، ٤٢٨ و ٤٣٠.

٥. كما فى شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٠٦ و شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٦٠.

٦. يأتي فى الصّفحات الآتية من المقدمة.

٧. شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٤١٣.

←

قلت: والمفهوم منه أنّ نسخته لم تكن كنسخة (ابن أبي الحديد) ونسخة الكيذري فتبعهما لما قاله من غلبة ظنّه باعتمادهما على النّسخ الصّحيحة لكن ذلك منه عجيب فصرّح في مواضع من كتابه بأنّ نسخته من النّهج بخطّ مصنّفه ومنها في القاصعة فقال في قوله عليه السّلام «ولا لزمت الأسماء معانيها»: وفي نسخة الرّضي» برفع الاسماء.[١]

وقال أيضاً في قوله: «لايدري أمن سني الدنيا» ففى نسخة الرّضيّ «يدرى» بالبناء للفاعل.[٢]

ومنها في خطبة ١٨٨ في فقرة «وكان ليلهم في دنياهم نهاراً» وفي نسخة الرّضيّ بخطه «كأنّ» والتّرجيح إنّما يعقل بين نسخ غير المصنّف وأمّا المصنّف فلا يعقل التّرجيح بينه وبين غيره.[٣]

وفي شرح الرّاونديّ خطبة همّام قبل خطبة ١٨١ «الحمدلله المعروف من غير رؤية الخالق من غيرمنصبة»[٤] وفي نسختنا خطبة همّام بعد القاصعة كما قاله (ابن ميثم) أوّلاً.[٥]

وكيف كان فوجه الإختلاف ظاهراً أنّ المصنّف كتب النّهج في نسخ متعدّدة، وزاد ونقص وقدّم وأخّر في النّسخ الأخيرة حسب شأن المصنّفين في ما لو كتبوا نسخاً من كتاب فلو فرض أنّ مصنّفاً كتب كتابه مأة مرّة لغيّر في كلّ من المأة بحسب ما يراه أحسن، ويشهد لما قلنا أنّ (ابن أبي الحديد) قال في عنوان

٨. خطبة همّام رقها ١٩١ والقاصعة رقها ١٩٠ وقوله للبرج رقه ١٨٢ وقوله «الحمد لله الّذى» رقه ١٨٣ وكلامه عند غسل الرّسول (ص) رقه ٢٣٣ بأرقامنا. وما قاله ابن ميثم هذه الخطبة أراد به خطبة همّام و تلك الخطبة يعنى بها خطبة «الحمدلله الّذى».

٩. فى شرحى الكيذريّ وابن أبي الحديد و بالتّبع شرح ابن ميثم جاء كلامه عليه السّلام للبرج بلافاصل قبل خطبة همّام ثم بفاصل كلامه عند غسل الرسول (ص) ثمّ بعده بلافاصل خطبة «الحمدلله الّذى».

ثمّ بعده بفاصل خطبة القاصعة ثمّ بعده بفاصل باب الكتب.

١. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٢٧٥.

٢. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٢٤٧.

٣. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٢٠٩.

٤. شرح الرّاونديّ كما فى سائر النّسخ.

٥. سبق آنفاً.

وقـال عليه السَّلام وقـد جاءه نعي الأشتر» حكمة ٤٤٣: يقال إنّ الرضيّ ختم كتاب نهج البـلاغة بهذا الفصل وكـتبت به نسخ متعددة ثمّ زاد عليه إلى أنّ وفى الزيادات التى نذكرها فيا بعد.[1]

وقـال في عنـوان «ربّ مفتـون بحسن القول فيـه» حكمة ٤٦٢: واعلم أنّ الرضـى قطع كـتاب نهج البـلاغـة على هذا الـفصل وهكـذا وجدت النسخة بخطّه وقال: «وهذا حين انتهاء الغاية بنا» إلى «ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النّصير».[2]

وقال (ابن ميثم) في حكمة ٤٦٢: قـال السّيّد: وهذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب صلوات الله عليه حامدين لله سبحانه على ما منّ به مـن توفيقنا لضـمّ ما انتشر من أطرافه وتـقريب ما بعد من أقطـاره وتقرر العزم كما شرطنـا أوّلاً على تفضيـل أوراق من البـياض في آخر كلّ باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ويقع إلـينا بعد الشذوذ وما توفيقنا إلّا بالله عـليه توكّلـنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أقول: إنّه ــ رضوان الله عليه ــ بلغ في اختيار كلامه عليه السّلام إلى هذه الغاية وقطعه عليها ثمّ كتبت على عهده زيادة من محاسن الكلمات إمّا باختياره هو أو بعض من كان يحضره من أهل العلم وتلـك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن وتارة مـوضوعة فـيه مـلحقـة بمنقطع اختـياره وروى أنّها قرئـت عليه وأمر بـالحاقها بالمتن وأوّلها: «وقال عليه السّلام: الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»[3].

وقـال الرّاونديّ بـعد كلامـه عليه السّـلام في الإستغـفار حكمة ٤١٧: قال السّـيّد: وهـذا حين انتهاء الـغايـة بـنا ــ إلى أن قـال ــ وذلـك مـن رجـب سنة أربعـمأة والحمدلله وصلا تـه على رسوله محمّد وآله وسلامـه. ثمّ قال الـرّاونديّ: زيـادة من نسخة كتبـت على عـهد المصنّف ــ رحمه الله ــ قال عـليه السّـلام «الدّنيا خلقت لـغيرها ولم تخلق لـنفسها» ثمّ ذكـر العناوين إلى «إذا احـتشم المؤمن أخاه فـقد

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤٧٨.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٠٦.
٣. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٦١.

فارقه».[١]

وقال أيضاً في كلامه عليه السّلام الّذى قاله لعبدالله بن عبّاس: برقم ٢٣٨: زيادة في نسخة كتبت على عهد المصنّف.[٢]

وقال في خطبة ٢٣٧: وكان في نسخة بغداديّة زيادة وهي «ومن خطبة له عليه السّلام يذكر فيها آل محمّد عليهم السّلام إلى ورعاته قليل» ثمّ قال: وقد مضى مثل ذلك في ما تقدّم وزاد الرّاونديّ في بيان المصنّف في الشّقشقيّة كما يأتي فيها.[٣]

وفي (ابن ميثم) في آخر الباب الأوّل: هذا آخر الخطب والأوامر، ويتلوه المختار من الكتب والرسائل إن شاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته.[٤]

وفي (الخطيّة) «والحمدلله كثيراً» وليس في (ابن أبي الحديد) شيء أصلاً[٥] كما أنّ في المصريّة «وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبيّ الأميّ وعلى آله مصابيح الدّجى والعروة الوثق وسلّم تسليماً كثيراً» كما أنّ بين (ابن أبي الحديد وابن ميثم) اختلافات فممّا تفرّد به (ابن أبي الحديد) نقله ضمن عنوان خطبة ٥٢ عن الرضيّ: وقد تقدّم مختارها برواية ونذكر ما يذكره هيهنا برواية أخرى لتغاير الروايتين.[٦]

وممّا تفرّد به أيضاً نقل الخطبة الأخيرة برقم ٢٣٩ «والله مستأديكم شكره إلخ» بعد خطبة ٢١٨ «قد أحيى عقله».[٧]

١. قال الرّاونديّ في شرح حكمة ٤٨٠ في شرحه ج ٣ ص ٤٣٥ وليس فيه قوله «زيادة من نسخة كتبت» الخ.

٢. ليس هذا من كلام الرّاونديّ بل نقله في هامش الشرح ج ٢ ص ٣٥٢ عن هامش نسخة خطيّة من نهج البلاغة.

٣. لا توجد هذه الخطبة في شرح الرّاونديّ أصلاً.

٤. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ٣٣٧.

٥. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٣.

٦. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٣١.

٧. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٧ و ٤٢.

وتفرّد في جعل «ونعم القرين الرضا» أوّل حكمة ٤ آخر حكمة ٣[١] وجعل «ومن رضى عن نفسه كثر الساخط عليه» آخر حكمة ٥ أوّل ٦[٢] وجعل حكمة ١٧ بعد ١١[٣] وجعل حكمة ٩٢ قبل ٩١[٤] وجعل جزء حكمة ١٢٧ «ولا حاجة لله في من ليس لله في ماله ونفسه نصيب» مستقلاً[٥] وجعل حكمة ١٥٤ بعد ١٥١[٦] وجعل ١٥٥ و١٥٦ بعد ١٨٨[٧]، وجعل ١٥٧ بعد ١٨٤[٨]، وجعل كلّ من «ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً» و «والدهر يومان» وهما جزء حكمة ٣٩٦ «المنية ولا الدّنية» مستقلاً.[٩]

وتفرّد أيضاً بنقل عناوين في أواخر الباب الثالث مرّ بعضها ويأتي باقيها في آخر الكتاب[١٠] ويأتي في عنوان ١٢ من الفصل الاربعين تصريح (ابن ميثم) بتفرّد (ابن أبي الحديد) بنقل فقرة «ومنه ما يكون عوارى في القلوب»[١١] وتفرّد أيضاً بنقل قطعة «والله ما تنقم منا قريش ـ الخ» في خطبة ٣٣ ويأتي بحثها في موضعه[١٢]

وممّا تفرّد به (ابن ميثم) عدم نقل كلام المصنّف في آخر الشقشقيّة وعدم نقل ما في خطبة ٥ من «لما» إلى «بالخلافة» وعدم نقل كلام المصنّف في خطبة

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٤٠ وجعل ابن ابي الحديد صدر الحكمة الثالثة وذيل الثالثة مع صدر الرابعة رابعة وذيلها الخامسة.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٤٣.
٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٤٦ و ٢٤٧.
٤. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٨٢.
٥. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٠٣.
٦. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣١٦.
٧. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣١٨ و ٣١٩.
٨. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣١٩.
٩. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤٢٧ و ٤٢٨.
١٠. بهج الصّباغة خاتمة الكتاب.
١١. بهج الصّباغة فصل ٤٠ عنوان ١٢.
و شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٩٤.
اقول مازاد ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢١٥ هذه الفقرة في أصل الخطبة لكن شرحها عند الشّرح ج ٣ ص ٢١٦.
١٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٦.
و بهج الصّباغة فصل ٨ عنوان ٢.

٣٩ و ٤٢ و ٦٨ و ١٦٣ و حكمة ٨١.[١]

وتفرّد في خطبة ٨٩ في زيادة في العنوان كما يأتي في محله[٢] و تفرّد في جعل (ومنها) الثانية في خطبة ٢٦ مستقلاً فقال بدل «ومنها»: ومن خطبة له عليه السّلام يذكر فيها عمروبن العاص.[٣]

وتفرّد بعدم ذكر كتاب ٤٠ «**أمّا بعد فقد بلغني عنك أمر إلخ**» رأساً.[٤]

وجعل (ابن ميثم و الخطيّة) من حكمة ٢ إلى ٦ تحت عنوان واحد[٥] وجعلا حكمة ٤٤ جزء ٤٣.[٦]

وجعلا حكمة ٣٤٣ بعد حكمة ٣٤١[٧] وجعلا حكمة ١٤٢ و ١٤٣ جزء ١٤١ بزيادة حرف عطف في أوّلها[٨] إلى غير ذلك ممّا تفرّد به كل من (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) لوأريد استقصاؤه لطال الكلام.

ثمّ لو اتّفقا في شيء على خلاف نسخنا يكون ما في نسخنا تصحيفاً قطعاً لصحّة نسخهما دون نسخنا وأمّا لو تفرّد كلّ واحد منهما فيشكل التّرجيح ولا يبعد ترجيح نقل (ابن ميثم) لما عرفت من كون نسخته بخطّ المصنّف وإن كان هو رجّح عند خطبة همّام ترتيب نسخة (ابن أبي الحديد)[٩] ولأنّ كثيراً ممّا تفرّد بزيادته يبعد اختيار الرضيّ له لعدم كونه بتلك البلاغة.

والإشكال إنّما هو في ما لو وافقت نسخنا أحدهما وأمّا لو خالفتهما كما في حكمة ٢ إلى ٦ على ما عرفت فلا اعتبار بها لكونها على خلاف ما من قبيل الأجماع

---

١. شرح ابن ميثم ج ١ ص ٢٥١ و ٢٧٦ ـ ج ٢ ص ٩٩ و ١٠٧ ـ ج ٣ ص ٣١٣ ـ ج ٥ ص ٢٨١ وكلام الرّضى فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٩١.

٢. شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٢٢ و بهج الصّباغة، فصل ١ عنوان ٨.

٣. فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٧ أيضاً «ومنها».

٤. موضعه فى شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٨٧ وليس فيه.

٥. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٣٨.

٦. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٦٥.

٧. جعل ابن ميثم الحكمتين ٣٤٣ و ٣٤٤ حكمة واحدة أوردها بعد حكمة ٣٤١ شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٠٩ و ٤١٠.

٨. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٣١٩.

٩. شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٤١٣.

المركّب.

هذا ولكون شرحي على صوغ بهج على ما منّ الله تعالى، سمّيته ببهج الصباغة في شرح نهج البلاغة. قال ابن دريد: يقال: أبهجني هذا الأمر وبهجني، إذا سرّك.[١]

١. جهرة اللّغة لابن دريد ج ١ ص ٢١٥.

شرح خطبة الرّضيّ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال المصنّف قدّس سرّه

روى العيون عن الرضا عليه السّلام أنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.[1]

وروى العياشى عن الصادق عليه السّلام ما أنزل الله من السماء كتاباً إلّا وفاتحته بسم الله الرّحمن الرّحيم وإنّما كان يعرف انقضاء السورة بنزول بسم الله الرّحمن الرّحيم ابتداء للأُخرى.[2]

---

١. رواه عن الرّضا (ع) الصّدوق فى العيون ج ٢ ص ٥ ح ١١ والعيّاشيّ فى تفسيره ج ١ ص ٢١ ح ١٣ وابن طاووس فى مهج الدّعوات ص ٣١٦ وأيضاً رواه ابن ابى حاتم فى تفسيره والحاكم فى المستدرك والبيهق فى الشّعب وأبوذرّ الهرويّ فى فضائله والخطيب فى التّاريخ عنهم الدّر المنثور ج ١ ص ٨ وابن النجار في التّاريخ عنه منتخب كنز العمّال ج ١ ص ٣٧١ وابن طاووس فى مهج الدّعوات ص ٣١٩ عن ابن عبّاس عن النبيّ (ص) و رواه عاصم بن حميد فى أصله ص ٢٨ عن على عليه السلام والطّوسى فى التّهذيب عن الباقر (ع) ج ٢ ص ٢٨٩ ح ١٥ وابن شعبة فى تحف العقول ص ٤٨٧ والإربلى فى كشف الغمّة ج ٣ ص ٢١٠ وابن طاووس فى مهج الدّعوات ص ٣١٧ والمسعوديّ فى اثبات الوصيّة ص ٢١٢ عن العسكريّ (ع).

٢. أخرجه العيّاشيّ فى تفسيره ج ١ ص ١٩ ح ٥ والسيّارى فى التّنزيل والتّحريف عنه المستدرك ج ١ ص ٢٧٥ ح ٩ عن الصّادق (ع) وأخرج معناه البرقيّ فى المحاسن ص ٤٠ ح ٤٩ والسّيّارى فى التّنزيل والتّحريف عنه المستدرك ج ١ ص ٢٧٦ ح ١٠ عن الصّادق (ع) والكلينيّ فى الكافي ج ٣ ص ٣١٣ ح ٣ عن الباقر (ع).

أمّا بَعْدُ.

في تاريخ الطبري عن الهيثم بن عديّ: أوّل من قال «أمّا بعد» قسّ بن ساعدة الايادى.[١]

وعن أبي موسى الأشعري: أوّل من قال «أمّا بعد» داود النبيّ عليه‌السّلام وهي فصل الخطاب الّذي ذكره‌الله تعالى عنه في ما آتاه.[٢]

وروى الصولي في أدب الكاتب أنّ أوّل من قاله كعب بن لُؤيّ.[٣]

حَمْدِ اللهِ.

أتي بلفظ الإضافة تنبيهاً على كمال اختصاص الحمد به تعالى وإلّا فالمناسب لقوله بعد «والصّلاة على رسوله» الحمدلله.

الّذى جَعَلَ الْحَمْدَ ثَمَناً لِنَعْمائِهِ.

روى الصّدوق عن الصّادق عليه‌السّلام: من قال في كلّ يوم سبع مرّات «الحمدلله على كلّ نعمة كانت أوهي كائنة» فقد أدّى شكر ما مضى وشكر ما بقي.[٤]

وعنه عليه‌السّلام: من قال أربع مرّات إذا أصبح «الحمدلله ربّ العالمين» فقد أدّى شكر يومه ومن قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته.[٥] وعنه عليه‌السّلام: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: «الحمدلله» إلّا أدّى شكرها.[٦]

وَمَعاذاً مِنْ بَلائِهِ.

---

١. رواه الطّبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٤/ سنة ٧٢ والكراجكيّ فى كنز الفوائد ص ٢٥٤.

٢. أخرجه الطّبريّ فى تاريخه ج ٥ ص ٢٤/ سنة ٧٢ وابن أبي‌حاتم فى تفسيره والدّيلميّ عنها الدرالمنثور ج ٥ ص ٣٠٠ وأخرج معناه الثّعلبى فى العرائس ص ٢٧٧ وسعيدبن منصور فى السنن وابن ابى‌شيبة فى مسنده وابن‌سعد وعبدبن حيد فى مسنده وابن المنذر عنهم الدرالمنثورج ٥ ص ٣٠٠ عن زياد.

٣. رواه الصّوليّ فى أدب الكاتب ص ٣٦.

٤. أخرجه الصّدوق فى ثواب الأعمال ص ٢٤ ح ١.

٥. اخرجه الكلينيّ فى الكافيّ ج ٢ ص ٥٠٣ ح ٥ والصّدوق فى ثواب الأعمال ص ٢٨ ورواه ابن فهد فى عدّة الدّاعيّ عنه البحارج ٩٣ ص ٢١٦ ح ٢١ عن الصّادق عليه‌السّلام.

٦. اخرجه الكلينيّ فى الكافى ج ٢ ص ٩٦ ح ١٤ عن الصّادق عليه‌السّلام.

المستتبع لترك حمده وشكره. قال تعالى: «..ولئن كفرتم إنّ عذابى لشديد». [١]

وَسَبِيلاً.

هكذا في المصريّة، والصواب «ووسيلاً» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)،[٢] والوسيل مفرد كالواسل ولغة في الوسيلة كما نقله المصباح[٣] لاجمع وسيلة كما توهّمه الصحاح[٤] وتبعه (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئى)[٥] ولو كان جمعاً لصار المعنى جعل الحمد وسائل إلى جنانه ولامعنى له، والمصنّف أيضاً جعله مفرداً كما يشهد له قوله قبل «ثمناً ومعاذاً» وبعد «سبباً».

إِلىٰ جِنانِهِ.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا أُسرى بي إلى السّماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قيعاناً يقتاً من مسك، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وربّما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم ولأيّ شيء تبنون مرّة وتمسكون أخرى؟ قالوا: حتّى تأتينا النّفقة. قلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإذا قالهنّ بنينا وإذا سكت أمسكنا.[٦]

وفي خبر آخر: إذا أصبحت وأمسيت فقل «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» فإنّ لك بذلك إن قلته بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة

---

١. إبراهيم ــ ٧.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٤ و شرح ابن ميثم ج ١ ص ٨٩.
٣. فى المصباح المنير للفيّوميّ ج ٢ ص ٣٨٠: «الوسيل قيل جمع وسيلة وقيل لغة فيها».
٤. صحاح اللّغة للجوهريّ ج ٥ ص ١٨٤١/ مادّة «وسل».
٥. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٤ و شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٢ وشرح الخوئى ج ١ ص ٨٣.
٦. أخرجه أبوعلي الطوسيّ فى أماليه ج ٢ ص ٨٨/ جزء ١٧ وعليّ بن ابراهيم فى تفسيره بطريقين ج ١ ص ٢١ و ج ٢ ص ٥٣ والنعمانيّ وابن قولويه في التفسير المنسوب إلى كليهما ص ٨٣ وروى معناه علي بن إبراهيم فى تفسيره ج ١ ص ٢١ والصّدوق فى أماليه ص ٣٦٤ ح ٢/ مجلس ٦٩ والنعمانى وابن قولويه فى التفسير المنسوب إلى كليهما ص ٨٢ والرّاونديّ في الدّعوات عنه البحارج ٩٣ ص ١٧٤ ح ٢١ والترمذى فى السّنن ج ٥ ص ٥١٠ ح ٣٤٦٢ و ابن مردويه بثلاث روايات والطّبرانيّ عنها الدّرالمنثور ج ٤ ص ١٥٣ كلّهم عن النبيّ صلّى الله عليه وآله.

من أنواع الفاكهة وهنّ من الباقيات الصّالحات.[١]

وَ سَبَبًا لِزِيادَةِ اِحْسانِه.

قال الله تعالى: «.. لئن شكرتم لأزيدنكم..».[٢]

وَ الصَّلاةُ عَلىٰ رَسُولِهِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ.

قال تعالى: «وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين».[٣]

وَ إمامِ الأئِمَّةِ وَ سِراجِ الأُمَّةِ.

قال تعالى: «يا أيها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً؛ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً».[٤]

اَلْمُنْتَجَبِ مِنْ طينَةِ الْكَرَمِ وَ سُلالَةِ الْمَجْدِ الأقْدَمِ وَ مَغْرَسِ الْفِخارِ الْمُعْرِقِ وَ فَرْعِ الْعَلاءِ الْمُثْمِرِ الْمُورِقِ.

الفقرات الأربع مأخوذة من زيادة جامعة مرويّة عن الهادى عليه السّلام[٥] والسلالة ما يستخرج من الشيء باللّطف والخفاء. قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين»[٦] وقال الشّاعر:

و ما هند إلّا مهرة عربيّة * سليلة أفراس تجلّلها بغل[٧]

و منه قوله تعالى «..يتسلّلون منكم لواذاً..»[٨] ولذا يقال للسرقة الخفيّة السلّة. قال (ابن أبي الحديد): سلالة المجد فرعه[٩] وهو كما ترى. والفخار بالفتح اسم مصدر من فخر كما قاله المصباح[١٠] لا مصدره كما قال (ابن أبي الحديد)[١١] لعدم صحّة

---

١. اخرجه الصّدوق فى أماليه ص ١٦٩ ح ١٦/ مجلس ٣٦ والبرقيّ في المحاسن ص ٣٧ ح ٣٨ والكلينيّ في الكافي ج ٢ ص ٥٠٦ ح ٤ عن الباقر(ع) عن النبيّ(ص).

٢. ابراهيم ــ ٧ ٣. الانبياء ــ ١٠٧.

٤. الاحزاب ــ ٤٥ و ٤٦.

٥. اخرج الزيارة الجامعة الصّدوق فى العيون ج ٢ ص ٢٧٧ والفقيه ج ٢ ص ٣٧٠ ح ٢ والطوسيّ في التهذيب ج ٦ ص ٩٥ ح ١ كلّهم مسنداً ورواه الكفعميّ فى البلد الامين ص ٢٩٧ مجرّداً عن الهاديّ(ع) وصاحب الكتاب العتيق فيه عنه البحار ج ١٠٢ ص ١٤٦ ح ٥ بلا عزو، وما أدرى لم ذهب ظنّ الشّارح إلى أنّ الفقرات الأربع أُخذت من هذه الزّيارة.

٦. المؤمنون ــ ١٢.

٧. نقل البيت لسان العرب ج ١١ ص ٣٣٩/ مادة «سلل» والشّاعرة هند بنت النعمان.

٨. النور ــ ٦٣.

٩. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٤. ١٠. المصباح المنير للفيّوميّ ج ٢ ص ١٣٦.

معنى المصدر هنا، ولأنّ قبله وبعده أسماء لامصادر كالطّينة والسّلالة والعلاء، وما قاله (ابن أبي الحديد): من أنّ الفعل إذا كان عينه أو لامه حرف حلق يكون مصدره فَعالا بالفتح نحو ذهب وسمح[١] لايوجب أن يكون كلّ فَعال بالفتح مصدراً لأعميّته، مع أنّه ليس لأصله كليّة فإنّ «سأل» ليس مصدره بالفتح.[٢]

وَعَلىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ مَصابيحِ الظُّلَمْ، وَعِصَمِ الأُمَمِ، وَمَنارِ الدّيْنِ.

قال (ابن أبي الحديد): المنار الأعلام واحدها منارة[٣] وقال (الخوئي): لم يصرّح أحد من اللّغويين بكون المنار جمعاً لها (اي للمنارة) فهذا القاموس والمصباح قالا: جمع المنارة المناور والمنائر.[٤] قلت: لم لم يراجع النّهاية فإنّه قال في الحديث «لعن الله من غيّر منار الأرض»[٥]: المنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدّين ومنار الحرم أعلامه الّتي ضربها الخليل عليه السّلام على أقطاره ونواحيه والميم زائدة ومنه حديث أبي هريرة «إنّ للإسلام ضوى ومناراً»[٦] أي علامات وشرائع يعرف بها[٧]، ولم لم يراجع الأساس فقال: واهتدوا بمنار الأرض، أي بأعلامها، وهدم فلان منار المساجد منار جمع مناره[٨]، ولم لم يراجع تهذيب الأزهريّ، فقال كما في اللسان: المنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدّين، ومنار الحرم أعلامه الّتي ضربها إبراهيم الخليل عليه السّلام على أقطار الحرم ونواحيه، وبها تعرف

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢.
٢. لم يدّع ابن أبي الحديد كليّته فإنّه قال: «فقد جاء المصدر الثّلاثيّ إذا كان عينه، أو لامه حرف حلق على فعال بالفتح نحو سمع سماعاً وذهب ذهاباً».
٣. شرح ابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٤.
٤. شرح الخوئي: ج ١ ص ٨٣.
والقاموس المحيط: ج ٢ ص ١٤٩/ مادة نور و المصباح المنير: ج ٢ ص ٣٤٢/ مادة «نور».
٥. أخرجه مسلم فى صحيحه ج ٣ ص ١٥٦٧ ح ٤٣ والنّسائى فى سننه ج ٧ ص ٢٣٢ في ذيل حديث عن علي(ع) عن النّبيّ(ص) وروى الحديث بألفاظ أخرى.
٦. أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبي هريرة وله شاهد أخرجه الطّبراني فى معجمه الكبير عن أبي الدّرداء عنها الجامع الصّغير ج ١ ص ٩٥.
٧. النّهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٢٧/ مادة «نور».
٨. أساس البلاغة: ص ٤٧٦/ مادة «نور».

حدود الحرم من حدود الحلّ[1] ولم خصّ اعتراضه بـ(ابن أبي الحديد) والأصل فيه المصنّف حيث جعله وصفاً لأهل بيته كمصابيح وعصم قبلها ومثاقيل بعدها.

اَلْوَاضِحَةِ.

صفة المنار وهو أيضاً شاهد لكون المنار جمعاً، ويشهد لقول المصنّف قول الشاعر:

لعكَ في مناسمها منار ٭ إلى عدنان واضحة السّبيل[2]

وَمَثَاقِيلِ.

الأصل في مثقال الشيء لغة وزانه من مثله وهو من الأسماء اللاّزمة الاضافة بحسب المعنى قال تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره؛ ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره»[3] وقال تعالى: «..وإن كان مثقال حبّة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين»[4] ثمّ نقل بالعرف العام إلى وزن الدينار فيقال: هذا مثقال أى مثقال دينار. فيقطع عن الاضافة وينوي المضاف إليه المعهود وإذا ذكر المضاف إليه كما هو أصله وكما استعمله المصنّف ينسب إلى كلّ شيء.

اَلْفَضْلِ الرَاجِحَةِ.

على فضل العالمين.

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ صَلَاةً تَكُونُ ازاءً.

أي وفاقاً.

لِفَضْلِهِمْ.

أي فضائلهم النفسانيّة.

وَمُكَافَاةً.

أي جزاء.

لِعَمَلِهِم.

أي أعمالهم الصالحة.

---

١. لسان العرب ج ٥ ص ٢٤١/ مادّة «نور».

٢. نقله لسان العرب: ج ٥ ص ٢٤١/ مادّة «نور».

٣. الزلزلة ـ ٧ و ٨.

٤. الأنبياء ـ ٤٧.

وَ كِفاءً.

أي كفوءاً ونظيراً. قال حسّان: وروح القدس ليس له كفاء.[١]

لِطيبِ فَرْعِهِمْ وَ أَصْلِهِمْ.

روى الكافي عن معاوية بن وهب عن الباقر عليه السّلام في علائم الإمام طهارة الولادة وحسن المنشأ ولا يلهو ولا يلعب[٢] وفي خبر آخر: إنّ الإمام لا يستطيع أحد أن يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فرج.[٣]

ما أنارَ فَجْرٌ ساطِعٌ.

أي مرتفع.

وَ خَوىٰ نَجْمٌ طالِعٌ.

أي سقط و غرب.

فَإنّي.

جواب أمّا.

كُنْتُ فى عُنْفُوانِ السِّنِّ.

أي أوّله.

وَ غَضاضَةِ الْغُصْنِ.

أي طراوته، و غضاضة الغصن كناية عن أيّام الشباب كما أن نعومة الأظفار كناية عن أيّام الطفوليّة.

اِبْتَدَأْتُ بِتأليفِ كِتابٍ فى خَصائِصِ الْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ.

إنّ المصنّف مع أنّه لم يصل إلى حدّ الشيخوخة لأنّ تولده كما قال الثعالبى[٤] كان في سنة ٣٩٥ وتوفى سادس المحرم سنة ٤٠٦ كما قال هو والخطيب والنجاشى والجزرى[٥] وقول (ابن أبى الحديد) مات سنة ٤٠٤[٦] فيكون توفى

---

١. نقله لسان العرب: ج ١ ص ١٣٩/ مادة كفأ.

٢. اخرجه الكلينيّ في الكافيّ ج ١ ص ٢٨٤ ح ٤.

٣. أخرجه الكلينيّ في الكافيّ ج ١ ص ٢٨٤ ح ٣ في ذيل حديث.

٤. يتيمة الدّهر للثعالبى ج ٣ ص ١٣١.

٥. قاله الخطيب فى تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٧ والنّجاشيّ فى الفهرست ص ٢٨٣ وابن الأثير في الكامل ج ٩ ص ٢٦١/ سنة ٤٠٦ وكذا قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٩ والعلاّمة الحلّيّ ←

عن سبع وأربعين سنة ولذا قال أخوه المرتضى في رثاه:

لله عمرك من قصير طاهر ✽ ولربّ عمر طال بالأرجاس[1]

كانت له كتب نفيسه غير الخصائص الّذي أشار إليه وغير نهجه هذا، ومنها: كتاب حقائق التنزيل الّذي قال في حقّه شيخه ابن جني[2] وأحمد بن عمر بن روح[3]: يتعذّر وجود مثله، وكتاب مجاز القرآن، وكتاب مجازات الآثار النبويّة، وقد وصل إلينا جزء من الأوّل، وتمام الأخيرين[4] ومنها يظهر مقام أدبيّته كما يظهر من بياناته في النهج، وكتاب تعليق خلاف الفقهاء وكتاب تعليقه على إيضاح أبي عليّ الفارسى، وكتاب الجيد من شعر ابن الحجّاج[5]، وكتاب مختار شعر أبي إسحاق الصابي، وكتاب ما دار بينه وبين الصابى من الرسائل[6]، ولم تصل هذه إلينا، وكتاب ديوان شعره، وقد وصل إلينا.[7] ومنه يظهر صدق ما قيل: إنّ

← في الخلاصة ص ١٦٤ وابن ميثم في شرحه ج ١ ص ٨٩ والسيّد الحسنى فى عمدة الطالب ص ٢١٠ لكن الثّعالبى كان معاصراً للرّضيّ ولم يتعرّض إلى تاريخ وفاته في يتيمة الدّهر ج ٣ ص ١٣١.

٦. قاله ابن أبي الحديد فى شرحه ج ١ ص ١٣ ونقله أيضاً الطّريحيّ فى مجمع البحرين ج ١ ص ١٨٩/ مادة «رضا» نقلاً عن جامع الأصول ونقله الخوانساريّ فى الرّوضات ج ٦ ص ١٩٧ عن مجمع البحرين، والمحدث النورى فى المستدرك ج ٣ ص ٥١٠ عن الرّوضات والظّاهر أنّه من سهو الطّريحيّ لان ابن الأثير فى جامع الأصول ج ١٢ ص ٢٢٢ ذكر الرّضيّ لكن لم يتعرّض بتاريخ وفاته.

١. في ديوان الشّريف المرتضى ج ٢ ص ١٣٣: وامّا لعمرك من قصير طاهر ـ ولربّ عمر طال بالأرجاس.

٢. نقله عن ابن الجنى في بعض مجاميعه ابن خلّكان فى وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٦.

٣. نقله عن ابن روح الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦.

٤. الأوّل طبع باسم حقائق التّأويل فى متشابه التّنزيل بتحقيق آل كاشف الغطاء، وامّا الثّانى فقط طبع باسم تلخيص البيان فى مجازات القرآن بطهران فالقاهرة ثمّ بغداد، وامّا الثّالث فقط طبع باسم المجازات النّبويّة ببغداد ثمّ القاهرة.

٥. سمّى نفسه هذا الكتاب الحسن من شعر الحسين كما ذكر السّيّد الحسنى فى عمدة الطالب ص ٢٠٨ والشّيخ الحرّ فى أمل الآمل ج ٢ ص ٢٦٣ لأنّ اسم ابن الحجّاج الحسين. قال محمّد عبدالغنى حسن فى مقدمة تلخيص البيان ص ١٠٠ قد ذكر ذلك فى ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٣٠٧ ونقله المستشرق «متز» فى كتابه الحضارة الإسلامية فى القرن الرّابع الهجريّ ج ١ ص ٤٤٩.

٦. اقال عبدالحسين الحلّيّ في مقدّمة حقائق التّأويل ص ٩١ يعني بذلك الرّسائل الشّعرية الموجود كثير منها في ديوانه لارسائل النّثر وقال أيضاً فى هذه المقدّمة ص ٩١ كتاب رسائله (النّثريّة) ثلاثة مجلّدات ذكر فى الدّرجات الرّفيعة بعضها ونشرت مجلة العرفان شيئاً منها.

٧. طبع ديوان شعره مكرّراً.

الرضيّ أشعر الطالبيين بل أشعر قريش أجمعين[١]. فقالوا: ليس في قريش مُجيد مكثر سوى الرضيّ رضوان الله عليه.[٢]

يَشْتَمِلُ عَلىٰ مَحاسِنِ أَخْبارِهِمْ وَ جَواهِرِ كَلامِهِمْ.

يعني جعل ذلك موضوع كتابه.

حَدانى.

أي بعثني.

عَلَيْهِ.

أي على تأليف ذاك الكتاب.

غَرَضٌ.

أي مقصد والأصل في معنى الغرض الهدف.

ذَكَرْتُهُ.

أي ذكرت ذاك الغرض.

فى صَدْرِ الْكِتابِ.

ذاك.

وَجَعَلْتُهُ أَمامَ الْكَلامِ.

في المقاصد، وغرضه الّذي ذكره ثمه دفاعه عن رمى مخالفيه له بالواقفيّة وهذا نصّه ثمة: سألتني أن أُصنّف لك كتاباً يشتمل على خصائص أخبار الأئمّة الإثنى عشر على ترتيب أيّامهم وتدريج طبقاتهم[٣] ــ إلى أن قال ــ فعاقنى عن إجابتك الّتى ملتمسك ما لايزال يعوق من نوائب الزمان ومعارضات الأيّام إلى أن أنهضني إلى ذلك اتّفاق اتّفق لى فاستثار حميّتي، وقوّى نيّتي، واستخرج نشاطى، وقدح زنادي، وذلك أنّ بعض الرؤساء ممّن غرضه القدح في صفاتى، والغمز لقناتي، والتّعظية على مناقبي، والدلالة على مثلبة إن كانت لي لقيني وأنا

---

١. أوّل من قال ذلك الثّعالبى المعاصر للرّضىّ فى يتيمة الدّهر ج ٣ ص ١٣١ قال: هو أشعر الطّالبيّين ثمّ قال: ولو قلت انّه أشعر قريش لم أبعد عن الصّدق.

٢. نقله الخطيب فى تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ عن ابن محفوظ وعنه ابن خلّكان فى وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٩.

٣. خصائص الأئمّة ص ١.

متوجّه عشيّة عرفة من سنة ثلاث و ثمانين (وثلاثمأة) هجرية إلى مشهد مولانا أبي الحسَن موسى بن جعفر وأبي جعفر محمّدبن علىّ بن موسى عليهما السّلام للتعريف هناك . فسألني عن متوجّهى فذكرت له إلى أين قصدي فقال لى: متى كان ذلك. يعنى أنّ جمهور الموسويين جارون على منهاج واحد في القول بالوقف والبراءة ممّن قال بالقطع وهو عارف بأنّ الإمامة مذهبي وعليها عقدى ومعتقدى، وإنّما أراد التبكيت لى والطعن على دينى. فأجبته في الحال بما اقتضاه كلامه واستدعاه خطابه، وعدت وقد قوّى عزمى على عمل هذا الكتاب إعلاناً لمذهبي، وكشفاً عن مغيّبي، وردّاً على العدوّ الّذي يتطلّب عيبي، ويروم ذمي وقصبي الخ.[1]

وَ فَرَغْتُ.

في ذاك الكتاب.

مِنَ الْخَصائِصِ الّتى تَخُصُّ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلامُ.

في فواتح الميبدي سمّاه أبوه عليّاً وقال:

سميّته بعليّ كى يدوم له * عزّ العلوّ وخير العزّ أدومه

وفيه روى أبوحمراء عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: رأيت ليلة المعراج مكتوباً على العرش لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته بعلىّ وقال:

اسم على العرش مكتوب كمانقلوا * من يستطيع له محواً وترقينا

وقال الميبدى بالفارسيّة:

ازمهرعلى كسيكه يابدعرفان * نامش همه دم نقش كند بردل وجان

اين نكته طرفه بين كه ارباب كمال * يابند زبيّنات نامش ايمان[2]

---

١. خصائص الأئمة: ص ٣.

٢. الحديث مشهور رواه ابن عساكر وابن الجوزى فى الواهيات والطّبرانىّ في معجمه الكبير عنهم منتخب كنزالعمّال ج ٥ ص ٣٥ والحسكانيّ فى شواهد التّنزيل ج ١ ص ٢٢٧ والصّدوق فى أماليه ص ١٧٩ ح ٥ مجلس ٣٨ والخوارزميّ في المناقب ص ٢٢٩ والمحب الطّبريّ في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودّة ص ٢٠٧ والحسن بن سليمان فى المحتضر عنه البحار ج ٢٧ ص ١١ ح ٢٦ ورواه أيضاً غير هؤلاء بطرق متعدّده عنه وعن على(ع) وأبى ذرّ وجابربن عبداللّه وابن عبّاس وأنس وأبى هريرة ورواه أيضاً عن ابي الحمراء ابن قانع والطّبرانيّ وابن مردويه إلى محمّد رسول اللّه (ص) عنهم الدرّ المنثور ج ٤ ص ١٥٣ والى كتاب الفواتح فلم اظفر على نسخته.

وَعاقَتْ.

أي حبست.

عَنْ اِتْمامِ بَقِيَّةِ الْكِتابِ.

في خصائص باقي الأئمة عليهم السّلام.

مُحاجِزاتُ.

أي ممانعات.

اَلزَّمانِ.

هكذا في المصريّة، والصواب الأيّام كما في (ابن أبي‌الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[1]

وَمُماطَلاتُ.

أي مدافعات.

الأَيّامِ.

هكذا في المصريّة، والصّواب الزّمان كما في (ابن أبي‌الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[2]

وَكُنْتُ قَدْبَوَّبْتُ ما خَرَجَ مِنْ ذٰلِكَ.

في خصائص أميرالمؤمنين عليه السّلام.

أَبْواباً، وَفَصَّلْتُهُ فُصُولاً فَجاءَ فِى آخِرِها.

أي آخر الفصول.

فَصْلٌ يَتَضَمَّنُ مَحاسِنَ ما نُقِلَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ الْكَلامِ الْقَصيرِ فِى الْحِكَمِ.

هكذا في المصريّة، والصّواب في المواعظ والحِكَم كما في (ابن أبي‌الحديد، وابن ميثم والخطّيّة).[3]

---

١ و ٢. شرح ابن أبي‌الحديد ج ١ ص ١٤ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٨٩.

٣. شرح ابن أبي‌الحديد ج ١ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٨٩.

وَالْأَمْثَالِ وَالْأَدَبِ.

وما في ذاك الفصل هو الّذي جعله في النّهج الباب الثّالث منه.

دُونَ الْخُطَبِ الطَّوِيلَةِ، وَالْكُتُبِ الْمَبْسُوطَةِ.

كما هو موضوع البابين الأوّلين من النّهج.

فَاسْتَحْسَنَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ.

له.

وَالْإِخْوَانِ.

هكذا في المصريّة، والصواب زيادة الكلمة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم الخطّية).[١]

مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْفَصْلُ الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ.

المتضمّن ما نقل عنه عليه السّلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والأدب.

مُعْجَبِينَ بِبَدَائِعِهِ وَمُتَعَجِّبِينَ.

الفرق بين الإعجاب والتعجّب أنّ الإعجاب بشيء الاستحسان له، والتعجّب من شيء استغرابه سواء كان من حسن أو قبح، والاسم من الأوّل العُجب بالضم فالسكون ومن الثاني العَجَب بفتحتين. قال الشاعر:

«وآل ما كان من عُجب إلى عَجَب[٢]» أي انقلب عجبه بشبابه بتعجّبه من شيبته.

مِنْ نَوَاصِعِهِ.

أي سواطعه. قال: «ولم يأتك الحقّ الّذي هو ناصع».[٣]

وَسَأَلُونِي عِنْدَ ذَلِكَ.

أي استحسانهم لذاك الفصل من كتاب الخصائص.

أَنْ أَبْتَدِئَ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَحْتَوِي عَلَى مُخْتَارِ كَلَامِ.

لا كلّ كلام نقل عنه عليه السّلام.

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٨٩.

٢. أورده ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ ونسبه إلى أبي تمام وصدره «أبدت أسى اذ رأتني مخلس القصب».

٣. أورده أساس البلاغة ص ٤٥٩/ مادة «نصع» والشّاعر النّابغة.

مَوْلانا.

هكذا في المصريّة، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[١]

أميرِ الْمُؤْمنينَ عَلَيْهِ السّلام في جَميعِ فنُونهِ وَمُتَشَعَّباتِ غُصُونه.

ولا يختصّ بشيء دون شيء.

مِنْ خُطَبٍ.

خطب بها النّاس.

وَكُتُبٍ.

كتبها إلى أوليائه وأعدائه وعمّاله.

وَمَواعِظَ.

الوعظ التّذكير بالعواقب.

وَآدابٍ.

هكذا في المصريّة، والصواب «وأدب» كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[٢]

عِلْماً.

مفعول له لقوله قبل «وسألوني».

أنَّ ذلِكَ.

أي كتاب من كلامه عليه السّلام في كلّ فنّ.

يَتَضَمَّنُ مِنْ عَجائِبِ الْبَلاغَةِ، وَغَرائِبِ الْفَصاحَةِ.

والأصل في الفصاحة انطلاق اللسان خالصاً عن اللكنة كما أنّ الاصل في البلاغة بلوغ المراد في بيانه، ثمّ نقلا عند أهل البيان بما اشتهر.

وَجَواهِرِ الْعَرَبِيّةِ، وَثَواقِبِ الْكَلِمِ الدّينيّةِ.

أي متلألآتها من قولهم: كوكب ثاقب أي شديد التلألؤ، ويقال درّ مثقّب، وبرقع مثقّب، وسمّى شاعر مثقّباً بقوله:

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٨٩.

٢. في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١١ لكن في شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠ «آداب».

أريـن محـاسـنـاً وكنّ أُخـرى ❊ و ثقّبن الوصاوص لـلـعيـون [١]

وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

هكذا في المصريّة، والصّواب «والدنياويّة» كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة)[٢] وإن كان الأوّل أيضاً صحيحاً. قال الجوهري: النسبة إلى الدنيا دنياوي. ويقال دنيوي ودنيي.[٣]

ما لا يُوجَدُ مُجْتَمِعاً في كَلام، وَلا مَجْمُوعَ الأَطْرافِ في كِتاب.

فإنّ الكلام إنّما يحسن بحسن لفظه أو معناه، فكيف إذا كان جامعاً بين الحسنين ككلامه عليه السّلام فليقل في ألفاظ كلامه عليه السّلام، وفي معاني كلماته ما قيل:

ألـفـاظ كـغـمـزات الالحـاظ ❊ و مـعـان كـأنّـهـا فكّ عـان

ألـفـاظ كما نـوّرت الأشـجـار ❊ و مـعـان كما تنـفّست الأسحار

ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب بين الأحباب، ومعان استلانت كتشكى العشّاق يوم الفراق، ألفاظ كالبشرى مسموعة أو أزاهير الرياض مجموعة، ومعان كأنفاس الرياح تعبق بالريحان والراح، ألفاظ هي خدع الدهر، ومعان هي عُقد السّحر، ألفاظ تأنّق الخاطر في تذهيبها، ومعان عنى الفهم بتهذيبها، ألفاظ حسبتها من رقتها منسوخة في صحيفة الصبى، ومعان ظننتها من سلاستها مكتوبة في نحر الهوى. ألفاظ أنوار، ومعان ثمار وكيف لايكون كلامه عليه السّلام كذلك وكلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وكلامه من ملوك الكلام، وقال أبو أحمد العسكرى في زواجره بعد نقل وصيّته عليه السّلام لابنه: لو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه.[٤]

إِذْ كانَ أَميرُ الْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلام مَشْرَعَ.

الأصل في المشرع شِرع الماء، وبه سميّت الشرائع، وقالوا: الشّرائع نعم الشّرائع من وردها رَوى، وإلّا دَوى.

---

١. أورده أساس البلاغة ص ٤٥/ مادة «ثقب».

٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١١ لكن في شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠ «الدّنيويّة».

٣. صحاح اللّغة للجوهري ج ٦ ص ٢٣٤١/ مادة «دنو».

٤. رواه عن المواعظ للعسكريّ ابن طاووس في كشف المحجّة ص ١٥٧.

اَلْفَصاحَةِ.

في أمالي الشيخ سئل أميرالمؤمنين عليه السّلام من أفصح الناس؟ قال: المجيب المسكت عند بديهة السؤال.[١]

وَ مَوْرِدَها.

الأصل في المورد ورود الماء كالمصدر الصدور عنه.

وَ مَنْشَأُ الْبَلاغَةِ وَ مَوْلِدَها.

في خلفاء ابن قتيبة: فرّ محفن منه عليه السّلام إلى معاوية، فقال له معاوية: من أين جئت؟ قال: من عند أعيا الناس. فقال له معاوية: ويحك ما سنّ الفصاحة لقريش غير عليّ[٢]. وفي الخصال عن الشعبي قال تكلّم أميرالمؤمنين (على) عليه السّلام بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ، ثلاث منها في المناجات، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب فأمّا اللاتى فى المناجاة فقال: «اللّهمّ كفى لى عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى بى فخراً أن تكون لي ربّاً. أنت كما أحبّ فاجعلنى كما تحبّ» وأمّا الّلاتى في الحكمة فقال: «قيمة كلّ امرء ما يحسنه، وما هلك امرء عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه» وأمّا اللاتى في الأدب فقال: «امنن على من شئت تكن أميره، واحتج الى من شئت تكن اسيره واستغن عمّن شئت تكن نظيره»[٣] وقال (ابن أبي الحديد) عند قوله عليه السّلام «سلكوا في بطون البرزخ» ــ إلخ: لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلى عليهم هذا الكلام ينبغي أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عديّ بن الرقاع «قلم أصاب من الدواة مدادها» فلمّا قيل لهم في ذلك. قالوا: إنّا نعرف مواضع

---

١. أخرجه أبوجعفر الطوسى فى أماليه ج ٢ ص ٣١٤/ مجلس ٢٢.

٢. فى تاريخ الخلفاء وهو الإمامة والسّياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١١٤ ما لفظه: «وذكروا أنّ عبدالله بن أبى محجن الثّقفى قدم على معاوية فقال: يا أميرالمؤمنين، انّى أتيتك من عند الغبيّ الجبان البخيل ابن أبي‌طالب. فقال معاوية: لله أنت! أتدرى ما قلت؟ أمّا قولك الغبيّ فوالله لو أنّ ألسن الناس جمعت لساناً واحداً لكفاها لسان عليّ» لكن ذكر لفظ الكتاب ابن أبى‌الحديد ج ١ ص ٨ وغيره عن محفن بن أبي محفن ومعاوية.

٣. أخرجه الصّدوق فى الخصال ص ٤٢٠ ح ١٤.

السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن.[١]

هذا، و في الأغاني: كان إبراهيم بن المهديّ شديد الإنحراف عن عليّ عليه السّلام. فقال يوماً للمأمون: إنّى رأيت علياً في النوم. فقلت له: من أنت؟ فقال: عليّ. فمشينا حتّى جئنا قنطرة. فذهب يتقدّمنى لعبورها فأمسكته، وقلت له: إنّما أنت رجل تدّعى هذا الأمر بامرته، ونحن أحقّ به منك. فما رأيت له فى الجواب بلاغة كما يوصف عنه. فقال له المأمون: وأى شيء قال لك؟ فقال: ما زادنى على أن قال سلاماً سلاماً. فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب قال: وكيف؟ قال: عرّفك أنّك جاهل لا يجاوب مثلك قال تعالى: «.. وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»[٢] فخجل إبراهيم وقال للمأمون: ليتنى لم أحدّثك بهذا الحديث.[٣]

وَمِنْهُ عَلَيْهِ السَّلامِ ظَهَرَ مَكْنُونُها.

أي مستورها.

وَعَنْهُ أُخِذَتْ قَوانِينُها.

مرّ أن معاوية قال: «ما سنّ الفصاحة لقريش غير عليّ».[٤]

وَعَلىٰ أَمْثِلَتِهِ.

أمثلة جمع المثال.

حَذا.

من حذوت النعل بالنعل إذا قطعتها مماثله.

كُلُّ قائِلٍ خَطيبٍ.

في مروج المسعودى: والّذى حفظ الناس عنه [عليّ] عليه السّلام من خطبه في سائر مقاماته أربعماة خطبة ونيّف وثمانون خطبة يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً.[٥]

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٥١/ شرح خطبة ٢١٩.
٢. الفرقان ــ ٦٣.
٣. الأغانى ج ١ ص ١٢٦.
٤. مرّ فى شرح فقرة «ومنشأ البلاغة» نقلاً عن ابن قتيبة.
٥. مروج الذّهب للمسعوديّ ج ٢ ص ٤١٩.

وَبِكَلامِهِ اسْتَعانَ كُلُّ واعِظٍ بَليغٍ.

قال ابن نباته الواعظ المعروف وهو أُستاذ المصنّف: حفظت من الخطابة كنزاً لايزيده الانفاق إلّا سعة وكثرة. حفظت مأة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام.[١] وكذا استعان بكلامه عليه السَّلام كلّ كاتب مجيد. قال عبدالحميد الكاتب كاتب مروان بن محمّد وهو الّذي قيل فيه: إنّ الكتابة فتحت به: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثمّ فاضت.[٢]

وفي صناعة أبي هلال العسكري: أخذ إبراهيم بن العبّاس الصولي قوله «إذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه، وللمسيء من العقاب ما يقمعه ازداد المحسن في الإحسان رغبة، وانقاد المسيء للحقّ رهبة» من قول عليّ بن أبيطالب عليه السَّلام «**يجب على الوالي أن يتعهّد أموره، ويتفقّد أعوانه حتّى لايخفى عليه إحسان محسن، ولا إساءَة مسيء**».[٣]

وقال الجاحظ: كان جعفر بن يحيى البرمكيّ من أبلغ الناس وأفصحهم للقول والكتابة يضّم اللّفظة إلى أختها، وسمعته يقول: ناهيك حسناً بقول عليّ بن أبيطالب عليه السَّلام «**هل من مناص أوخلاص أومعاذ أوملاذ أوقرار أو مجاز**» وكان يتعجّب من قول عليّ عليه السَّلام «**أين من جدّ واجتهد، وجمع واحتشد و بنى وشيّد، او فرش فمهّد، اوزخرف فنجّد**». قال: ألا ترى أنّ كلّ لفظة منها أُخذت بعنق قرينتها، جاذبة إيّاها إلى نفسها، دالّة عليها بذاتها.[٤] وقال محمّد بن يعقوب الكلينيّ في كافيه بعد ذكر خطبة له عليه السَّلام في باب جوامع التوحيد: هذه الخطبة هى كافيه لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها، وفهم مافيها. فلو اجتمع ألسنة الجنّ والإنس ليس فيها لسان نبيّ على أن يبيّنوا التّوحيد بمثل ما أتى عليه السَّلام به بأبى وامّى ما قدروا عليه، ولو لا إبانته عليه السَّلام ما علم الناس كيف يسلكون سبل التّوحيد.[٥]

---

١ و ٢. نقل هذا عن ابن نباتة وعبدالحميد ابن أبي‌الحديد فى شرحه ج ١ ص٨ بهذا اللّفظ ويأتي قول عبدالحميد بلفظ آخر عن الجهشياريّ في الوزراء ص ٨٢ عن قريب وأمّا قراءة الرضى على ابن نباتة ذكره السيّد عليخان فى الدّرجات الرّفيعه ص ٤٥٩ فقط. ٣. الصناعتين للعسكريّ ص ٢١٤.

٤. جاء ذكر جعفر بن يحيى البرمكيّ فى البيان والتّبيين ج ١ ص ١٢٨ بغير هذه الألفاظ.

٥. قاله الكلينيّ في الكافيّ ج ١ ص ١٣٦.

قلت: هو عليه السّلام مصداق ما قيل: إذا نهضت فأنت نجم ثاقب، وإذا جلستَ فأنت ليث رابض، فبك التمثل حين ينعت فاضل، وإليك يرجع حين يشكل غامض.

وممّن استعان بكلامه عليه السّلام عبدالملك بن صالح العبّاسي، وكان من خطبائهم في وصاياه لابنه ــ ونقلها الجاحظ في بيانه[١] ــ أخذها من وصاياه عليه السّلام لابنه، وكذلك طاهربن الحسين ذواليمينين الّذي كتب وصيّة طويلة لابنه عبدالله بن طاهر، فأمر المأمون بحفظها وكتابتها[٢] أخذها من وصيّته عليه السّلام تلك الجامعة. بل كان بعض الخطباء يخطب بعين خطبه عليه السّلام كخطبة يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبدالملك على الكوفة: اتّقوا الله عباد الله فكم من مؤمّل أملا لايبلغه، وجامع مالاً لا يأكله، ومانع ماسوف يتركه، ولعلّه من باطل جمعه، ومن حقّ منعه ــ الخ.[٣] وكخطبة قطري بن فجاءة أحد أمراء الخوارج: «**أمّا بعد فإنّي أحذّركم الدنيا فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشّهوات، وراقت بالقليل، وتحبّبت بالعاجلة، وحليت بالآمال، وتزيّنت بالغرور. لاتدوم حبرتها، ولاتؤمن فجعتها ــ الخ**».[٤] ذكر خطبتيها الجاحظ في بيانه.

وكخطبة المأمون يوم الجمعة ذكرها ابن قتيبة في عيونه[٥]، وأخذ فضيل بن عياض المعروف بالزهد كلامه عليه السّلام لشريح القاضي لمّا اشترى داراً، فقاله بعينه لفيض بن إسحاق لمّا اشترى داراً كما نقله الحلية[٦]، وأخذ تفسيره عليه السّلام لقوله تعالى: «..إنّا لله وإنّا إليه راجعون»[٧] أبويزيد البسطامى كما نقله

---

١. نقل الجاحظ فى البيان والتّبيين ج ٢ ص ١٢٢ و ج ٣ ص ٤٠٨ وصاياه لابنه لكن المقايسة ليس من الجاحظ.

٢. نقل وصيّة طاهر الطبري في التّاريخ ج ٧ ص ١٦٠/ سنة ٢٠٦ ونقل أمر المأمون أيضاً الطبريّ في التّاريخ ج ٧ ص ١٦٨/ سنة ٢٠٦.

٣. نقلها الجاحظ في البيان والتّبين ج ٢ ص ١٦٣.

٤. نقلها الجاحظ في البيان والتّبين ج ٢ ص ١٤٤ ونفى ابن أبي الحديد فى شرحه ج ٢ ص ٢٤٢/ شرح خطبة ١٠٩ كون الخطبة لقطرى.

٥. رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٥٣.

٦. رواه أبونعيم فى حلية الأولياء ج ٨ ص ١٠١.

٧. البقرة ــ ١٥٦.

أيضاً.[١]

وفي وزراء الجهشياري قيل لعبد الحميدبن يحيى: ما الّذي مكنّك من البلاغة و خرّجك؟ فقال: حفظ كلام الأصلع. يعني أميرالمؤمنين عليه السّلام.[٢]

وقال (ابن أبي الحديد) في شرح قوله عليه السّلام **«ألا وإنّ اللّسان بضعة من الإنسان»**: قد أخذ هذه الألفاظ بعينها أبومسلم الخراساني، فخطب بها في خطبة مشهورة من خطبه.[٣]

وَمَعَ ذلِكَ فَقَدْ سَبَقَ وَقَصَّرُوا وَتَقَدَّمَ وَتَأَخَّرُوا.

أي في ما أخذوا من كلماته عليه السّلام في كلامهم، وفي ما استعانوا بجملا ته عليه السّلام في مقالاتهم. قال (ابن أبي الحديد) عند قوله عليه السّلام **«أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة»**: إنّ التحريض على الجهاد، والحضّ عليه قد قال فيه الناس فأكثروا، وكلّهم أخذوا من كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام. فمن جيّد ذلك ما قاله ابن نباته الخطيب: أيها الناس إلى كم تسمعون الذّكر فلاتعون ــ إلى أن قال (ابن أبي الحديد) ــ هذه آخر خطبة ابن نباتة. فانظر إليها وإلى خطبته عليه السّلام (أي المتقدّمة) بعين الانصاف تجدها بالنسبة إليها كمخنّث بالنسبة إلى فحل أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد، وانظر ما عليها من أثر التوليد، وشين التكلّف، ومجاجة كثير من الألفاظ. ألا ترى إلى فجاجة قوله: كأنّ أسماعكم تمجّ ودائع الوعظ، وكأنّ قلوبكم بها استكبار عن الحفظ ــ إلى أن قال ــ إنّي أضرب لك مثلاً تتّخذه دستوراً في كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام، وكلام الكتّاب والخطباء بعده كابن نباته والصابىء وغيرهما انظر نسبة شعر أبي تمام، والبحترى، وأبي نواس، ومسلم إلى شعر امرئ القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى ــ إلى أن قال بعد ذكر تضمين ابن نباته جملة قوله عليه السّلام **«ما غزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا»** ــ انظر كيف تصيح من بين الخطبة صياحاً وتنادي على نفسها نداءً فصيحاً وتعلم سامعها أنّها ليست من المعدن الّذي خرج باقي الكلام منه ولا من الخاطر الّذى صدر ذلك السجع عنه

١. رواه أبونعيم فى حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٩.
٢. الوزراء للجهشياري ص ٨٢ والنقل بتصرّف يسير.
٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٤/ شرح خطبة ٢٣١.

ولعمرالله لقد جلت الخطبة وحسنتها وزانتها وما مثلها فيها إلا كآية من الكتاب العزيز يتمثل بها في رسالة أو خطبة.[١]

وَلِأَنَّ.

هكذا في المصريّة، والصواب «لأنّ» بدون العاطف كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[٢]

كَلامَهُ عليه السّلام الْكَلامُ الّذي عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنَ الْعِلْمِ الإِلٰهى.

المسحة أن يبقى أثر المسح على الممسوح عليه. قال ذوالرّمة:

على وجه ميّه مسحة من ملاحة[٣] ولنعم ما قال الميبدى في شرح الديوان المنسوب اليه عليه السّلام:

شاهد كه مهش غلام ومهراست كنيز * ناطق بكمال اوست قرآن عزيز

گرقدر كلام اورفيع است چه دور * درخانه به كدخداى ماند همه چيز[٤]

وَفيهِ عَبَقَةٌ.

من عبق به الطيب لزمه.

مِنَ الْكَلامِ النَبوِىّ.

وكيف لايكون كذلك وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم، وعليّ بابها.[٥] في فهرست منتجب الدّين: الشيخ القاضي جمال الدين

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٤٢ــ١٤٤/ شرح خطبة ٢٧.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠.
٣. لسان العرب ج ٢ ص ٥٩٦/ مادّة «مسح».
٤.
٥. رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدى في الكامل والطبرانيّ في معجمة الكبير والحاكم في المستدرك عنهم الجامع الصّغير ج ١ ص ١٠٨ وابن المغازلي في المناقب بثلاث طرق ص ٨١ و ٨٢ و ٨٣ والخوارزميّ في المناقب ص ٤٠ والحسكانيّ بطرق متعدّدة في شواهد التنزيل ج ١ ص ٨١ ح ١١٨ وابن أخى تبوك في مسنده منتخب المسند ص ٤٢٦ ح ٢ والدّيلميّ في الفردوس والجويني في فرائد السّمطين عنها ينابيع المودّة ص ٧٢ عن ابن عبّاس ورواه ابن عدى في الكامل والحاكم في المستدرك عنها الجامع الصّغير ج ١ ص ١٠٨ وابن المغازليّ في المناقب بطريقين ص ٨٠ و ٨٤ والبزار في مسنده والطبرانيّ في معجمه الأوسط عنها ينابيع المودّة ص ٢٨٢ عن جابربن عبدالله وأخرجه أحمد في الفضائل عنه تذكرة الخواصّ ص ٤٨ وابن المغازليّ بطريقين ص ٨٢ و ٨٥ و الحسكانيّ في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٤ ح ٤٥٩ وأبوجعفر الطوسيّ في أماليه ج ٢ ص ١٩٠/ مجلس ٥ والصّدوق في ←

محمّدبن الحسين بن محمّدبن القريب قاضی قاشان فاضل فقيه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه، وله رسالة العبقة في شرح قول. السيّد الرّضيّ في خطبة النّهج: «عليه مسحة من العلم الإلهی، وفيه عبقة من الكلام النبويّ».[1]

وقال (ابن أبي الحديد) عند الكلام في خطبة الجهاد المتقدّمة: إنّ الناس قد اتفقوا على أن القرآن في أعلى طبقات الفصاحة وتأمّله تأمّلاً شافياً، وانظر إلى ما خصّ به من مزيّة الفصاحة، والبعد عن التقعّر والتعقيد، والكلام الوحشی الغريب وانظر كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام فإنّك تجده مشتقّاً من ألفاظه، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه، ومحذوّاً به حذوه ومسلوكاً به في منهاجه. فهو وإن لم يكن نظيراً ولا نداً يصلح أن يقال أنّه ليس بعده كلام أفصح منه، ولا أجزل، ولا أعلى، ولا أفخم، ولا أنبل إلّا أن يكون كلام ابن عمّه صلّى الله عليه وآله وسلّم.[2]

وقال أيضاً عند قوله عليه السّلام «عالم السرّمن ضمائر المضمرين— إلخ»: لو سمع النّضربن كنانة هذا الكلام لقال لقائله: ما قاله عليّ بن العبّاس بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

قالواأبوالصقرمن شيبان قلت لهم ⁕ كلاّ ولكن لعمری منه شيبان

وكم أب قدعلابابن ذری شرفاً ⁕ كما علا برسول الله عدنان

إذ كان يفخر به على عدنان وقحطان. بل كان يقرّ به عين ابيه إبراهيم خليل الرحمن، ويقول النضر له: لم يعف ما شيّدت من معالم التوحيد. بل أخرج الله تعالى لك من ظهری ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهليّة العرب مالم تبتدعه أنت في جاهليّة النّبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطا طاليس القائل بأنّه تعالى لايعلم الجزئيّات[3] لخشع قلبه، وقفّ شعره، واضطرب فكره. ألا ترى ما

العيون ج ٢ ص ٦٦ ح ٢٩٨ عن علی(ع)، وفی الباب أحاديث بهذا اللفظ عن الثّلاثة وأبی سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وكعب بن عجرة وأنس وابن مسعود والحسن(ع) والصّادق(ع) والصنابجيّ وسلمة وغيرهم وروى أيضاً بألفاظ أخرى لم يسعها المقام.

١. الفهرست لمنتجب الدّين ص ١٧٦.

٢. شرح ابن ابی الحديد ج ١ ص ١٤٣/ شرح خطبة ٢٧.

٣. قال الفارابی فی كتاب الجمع بين رأيی الحكيمين ص١٠٦ فی تفسير قول أرسطو بهذا القول مجملاً

عليه من الرواء والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة مع ماقد أشرب من الحلاوة والطلاوة، واللّطف والسّلاسة. لاأرى كلاماً يشبه هذا إلّا أن يكون كلام الخالق سبحانه. فإنّ هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة، وجدول من ذاك البحر وجذوة من تلك النار.[١]

وقال في شرح قوله عليه السّلام «**ومنها في صفة الأرض**» من خطبة ٨٩.

في بيان أنه عليه السّلام إمام أرباب صناعة البديع، وذلك لأن هذا الفن لايوجد منه فى كلام غيره ممن تقدّمه إلا ألفاظ يسيرة غير مقصودة، ولكنها واقعة بالإتّفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقاً غير مقصود، وذلك نحو قوله: «.. يا أسفا على يوسف..»[٢]، وكما وقعت المقابلة أيضاً غير مقصودة في قوله: «والسماء رفعها ووضع الميزان»[٣] على أنها ليست مقابلة في المعنى، بل من اللفظ خاصّة. ولما تأمّل العلماء شعر امرئ القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتاً أو بيتين نحو قوله يصف الليل:

فقلت له لمّا تمطّى بصلبه ٭ وأردف اعجازاً وناء بكلكل

وقوله:

وإن يك قد ساءتك منّي خليقة ٭ فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل[٤]

ولم ينشدوا مثل ذلك فى أشعار الجاهلية، حكموا له بأنّه إمام الشعراء ورئيسهم.

وهذا الفصل من كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام قد اشتمل من الإستعارة العجيبة وغيرها من أبواب البديع على مالو كان موجوداً في ديوان شاعر مكثر، أو مترسّل مكثر لكان مستحقّ التقديم بذلك. ألا تراه كيف وصف الأمواج بأنّها

←

ونسبه إلى أفلاطون وأرسطو والظّاهر اشتراك جمهور الحكماء فيه، كما نقله الغزّاليّ في المنقذ من الضّلال ص ٥١ والعلاّمة الحليّ في كشف المراد ص ٢٢٢ وغيرهما.

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦٧/ شرح خطبة ٨٩.

٢. يوسف ــ ٨٤.

٣. الرّحمن ــ ٧.

٤. أورده كذلك المعلّقات السّبع ص ٢٠ لكن فى الدّيوان ص١٨ ولسان العرب ج ١١ ص ٥٩٧/ مادة «كلل» بدل «صلبه» «جوزه».

مستفحلة، وأنها ترغو رغاء فحول الإبل. ثم جعل الماءَ جماحاً ثُمَّ وصفه بالخضوع، وحصل للأرض كلكلاً، وجعلها واطئة للماء به، ووصف الماء بالذلّ والإستخذاء، لمّا جعل الأرض متمعّكة عليه كما يتمعّك الحمار أو الفرس، وجعل لها كواهل، وجعل للذّل حكمة، وجعل الماء في حكمة الذلّ منقاداً أسيراً، وساجياً مقهوراً. وجعل الماء قد كان ذانخوة وبأو واعتلاء، فردّته الأرض خاضعاً مسكيناً، وطأطأت من شموخ أنفه، وسمّو غلوائه، وجعلها كاعمة له، وجعل الماء ذاكظّة بامتلائه، كما تعتري الكظّة المستكثر من الأكل. ثم جعله هامداً بعد أن كانت له نزقات، ولابداً بعد أن كانت له وثبات، ثم جعل للأرض أكتافاً وعرانين، وأنوفاً وخياشيم، ثم نفى النّوم عن وميض البرق، وجعل الجنوب مارية درر السحاب، ثم جعل للسّحاب صدراً وبواناً، ثم جعل الأرض مبتهجة مسرورة مزدهاة، وجعل لها ريطاً من لباس الزّهور، وسموطا تحلّيّ بها. فيالله وللعجب! من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضاً لاشتماله على أمثال هذه الصنعة، فإذا وجدوا في مأة ورقة كلمتين أو ثلاثاً منها، أقاموا القيامة، ونفخوا في الصّور ملأوا الصّحف بالإستحسان لذلك والإستطراف، ثم يمرّون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه، وأرصع وجه، وأرشق عبارة، وأدقَّ معنى، وأحسن مقصد، ثم يحملهم الهوى والعصبية على السّكوت عن تفضيله إذا أجملوا وأحسنوا، ولم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه. على أنه لاعجب، فإنه كلام عليّ عليه السلام، وحظّ الكلام حظّ المتكلم؛ وأشبه امرأ بعض بزّه! [١،٢]

قلت: ما قاله (ابن أبي الحديد) ليس يحسن على إطلاقه، فإنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام هو النبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون[٣،٤]، فإذا كان اعداؤه كذلك فإنّ أولياءَه يعترفون بالعجز عن وصف محاسنه وأنّ كلامه تالي القرآن الّذي قال

١. النبأ ــ ٢ و ٣. ولفظ الآية: «عن النبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون».

٢. أورده الزّمخشري في المستقصي ج ١ ص ١٨٧ ثمّ قال يضرب في مما ثلة الشّئ صاحبه.

٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٥٩/ شرح خطبه ٨٩.

٤. جاء في أخبار بأنّ علياً (ع) هو النباء العظيم أخرجه عليّ بن إبراهيم في تفسيره ج ٢ ص ٤٠١.
والفرات الكوفيّ في تفسيره ص ٢٠٢ والحسكانيّ في شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣١٧ و ٣١٨ بطرق متعدّدة.

جلّ وعلا فيه: «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»[١]. ولا يحطّ علوّه عمل اعدائه ولنعم ما قيل بالفارسيّة:

شب پره گروصل آفتاب نخواهد * رونق بازار آفتاب نكاهد[٢]

وقال سبط بن الجوزي في تذكرته: كان عليّ عليه السّلام ينطق بكلام قد حفّ بالعصمة ويتكلّم بميزان الحكمة. كلام ألقى الله عليه المهابة، فكلّ من طرق سمعه راعه فهابه وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة، والطّلاوة والفصاحة. لم يسقط منه كلمة، ولابارت له حجّة. أعجز الناطقين، وحاز قصب السبق في السابقين. ألفاظ يشرق عليها نور النبوّة ويحير الافهام والالباب.[٣]

قلت: ولاغرو أن يكون على كلامه عليه السّلام مسحة من العلم الإلهى، وكان كراراً يقول: «**أنا أعلم بطرق السّماء منّي بطرق الأرض**».[٤]

وكان عليه السّلام يقول: «**لو ثنيت لي الوسادة لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينطق كلّ منها ويقول: إنّ عليّاً قضى فيّ بما أنزل الله تعالى فيّ**».[٥]

وكيف لايكون في كلامه عبقة من الكلام النبويّ، وقد جعلها الله تعالى في آية المباهلة نفساً واحدة،[٦] وكان عليه السّلام يقول: «أنا من النبيّ

---

١. الاسراء ــ ٨٨.
٢. أورده دهخدا فى أمثال وحكم ج ٢ ص ١٠١٣ والشاعر السعديّ ترجمة البيت: «ان كان الخفاش لايريد وصال الشمس ليس ذلك بقادح في منزلة الشمس».
٣. تذكرة الخواصّ ص ١١٩.
٤. رواه الإربليّ في كشف الغمّة ج ١ ص ١٣٠ والآمدى فى غرر الحكم فصل ٣٩ ح ٨٥ وشاذان في الفضائل ص ٩٨.
٥. أخرجه الصفار في بصائر الدّرجات ص ١٥٣ ح ٤ والثّعلبى فى تفسيره عنه تذكرة الخواصّ ص ١٦ والفرات الكوفيّ في تفسيره ص ٦٩ والحسكانيّ بروايتين في شواهد التّنزيل ج ١ ص ٢٨٠ و ٢٨١ ح ٣٨٤ و ٣٨٥ والجوينى فى فرائد السّمطين عنه ينابيع المودة ص ٧٤ عن زاذان عن عليّ (ع) وروى بطرق عديدة حاضرة عندى عن الإمامين الباقر والصّادق (ع) وزاذان وابى البحتريّ والأصبغ بن نباتة وسلمة بن كهيل وعمرو بن أبى المقدام وسليم بن قيس وغيرهم.
٦. إشارة إلى قوله تعالى «فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» آل عمران ٦١.

صلّى الله عليه وآله كالصّنو من الصّنو، والذّراع من العضد[1]» وكان كلامه عليه السّلام أولى من كلام قيل فيه: وكلام لاتمجّه الآذان، ولاتبليه الأزمان. كلام قريب شاسع، ومطمع مانع كالشّمس تقرب ضياء، وتبعد علاء. أو كالماء يرخص موجوداً، ويغلو مفقوداً. كلام سهل متسلسل كالمدام بماء الغلام. يقرب أذنه على الافهام. كلام كبَرد الشراب على الأكباد الأحرار، وبُرد الشباب في خلع العذار. كلام كثيرالعيون، سلس المتون، رقيق الحواشي، سهل النواحي. كلام هو السّحر الحلال، والماء الزّلال، والبرود والحبر، والأمثال والعبر، والنعيم الحاضر، والشباب الناضر، نظرت منه إلى صورة الظرف بحتاً، وصورة البلاغة سبكاً ونحتاً. كلام يسرّ المحزون، ويسهّل الحزون، ويعطّل الدرّالمخزون. كلام بعيد من الكلف. نقي من الكّلف. كما ينفس السّحر عن نسيمه، ويبسم الدرّ عن نظيمه. كلام كالبشرى بالولد الكريم، قرع به سمع الشّيخ العقيم، كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته، وطلاوة الربيع بطلاوته. كلام قرب حتّى أطمع، وبعد حتّى امتنع، قرب حتّى صارقاب قوسين أو أدنى. ثمّ علا حتّى صار بالمنزل الأعلى، رقيق المزاج، حلو السماع، نقي السبك، مقبول اللفظ، قرأت لفظاً جليّاً، حوى معنى خفيّاً، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً. كلام أنس المقيم الحاضر، وزاد الراحل المسافر. كلام يصغى إليه المقبور وينتفض له العصفور، كلام يقضى حقّ البيان، ويملك رقّ الحسن والإحسان. كلام منه يجتنى الدرّ، وبه يعقد السحر، وعنده يغيب الدهر، وله ينشرح الصدر. كلام كما هبّ نسيم السحر على صفحات الزهر.

فَأَجَبْتُهُمْ اِلَى الْإِبْتِداءِ بِذٰلِكَ عالِماً بِما فيهِ مِنْ عَظيمِ النَّفعِ.

ينتفع به جميع البشر الموحّد منهم ممّا فيه من ذكر الثواب والعقاب، والملحد منهم ممّا فيه من الحكم والآداب، ومع ذلك فهو معجزة للإسلام ككتاب الله تعالى وشاهد للنبوّة والإمامة.

وَمَنْشُورِ الذِكْرِ.

إنّ الرّضيّ انقرض نسله كأخيه المرتضى إلّا أنّه انتشر ذكره في العالم

---

١. أخرجه الشّريف الرّضيّ في نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٣ ضمن كتاب ٤٥.

بجمعه هذا الكتاب. فكثير من الكتب لم يشتهر أمرها أصلاً، وبعضها إنّما اشتهر في عصر أو قطر، وأمّا هذا الكتاب فاشتهر اشتهار الشّمس في رابعة النهار.

وينبغي لمن فتح هذا الكتاب. أن يخاطب الرضيّ بخطاب أبي تمام الشّاعر للحسن بن وهب الكاتب لمّا قرأ كتاباً له:

لقد جلّى كتابك كلّ بثّ * جو و أصاب شاكلة الرميّ
فضضت ختامه فتبلجت لى * غرائبه عن الخبر الجليّ
وكان أغضّ في عينى وأندى * على كبدى من الزهر الحليّ
وأحسن موقعاً عندى ومنّى * من البشرى أتت بعد النعيّ
وضمّن صدره ما لم تضمّن * صدور الغانيات من الحليّ
فكائن فيه من معنى بديع * و كائن فيه من لفظ بهيّ

وقال بعضهم في الرضيّ وفي كتابه:

إنّ الرضيّ الموسويّ لمانه هومائح * لاقت به وبجمعه عدد القطا مدائح [1]

وَ مَذْخُورِ الْأَجْرِ.

فمن هدى شخصاً يكون خيراً له ممّا طلعت عليه الشّمس، وقد هدى الرّضيّ بتأليفه نهجه هذا من لا يحصيهم إلّا الله تعالى.

وَ اعْتَمَدْتُ بِهِ.

أي قصدت بجمع هذا الكتاب.

أَنْ اُبِينَ.

من الإبانة.

مِنْ عَظِيمِ.

هكذا فى المصريّة، والصواب «عن عظيم» كما في (ابن ميثم، والخطيّة)[2] ولأنّ الإبانة إنّما تتعدّى بعن.

قَدْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام في هٰذِهِ الْفَضِيلَةِ.

---

١. نقله ضمن أبيات الخوئى فى شرحه ج ١ ص ٨٠ عن السّيد عزّالدين بن ضياء الدّين.

٢. كذا فى شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠ ولكن فى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ أيضاً «من عظيم».

أي فضيلة النطق. قال تعالى: «..فلمّا كلّمه قال إنّك اليوم لدينا مكين أمين»[١] وقال عليه السّلام: «**تكلّموا تعرفوا، فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه**».[٢]

مُضافَةً.

هذه الفضيلة.

اِلَى الْمَحاسِنِ الدَّثِرَة.

أي الكثيرة العالية. قال ابن مقبل:

أصاخت له فدر اليمامة بعدما ٭ تدثّرها من وبله ما تدثّرا[٣]

وَ الفَضائِلِ الْجَمَّةِ.

أي المجتمعة. قال الشاعر:

إن تغفر اللّهمّ تغفر جمّا ٭ و أيّ عبد لك لا ألمّا[٤]

وقد وصف النبيّ صلّى الله عليه وآله محاسن أميرالمؤمنين عليه السّلام وفضائله. فقال: لو أنّ البحار كانت مداداً والأشجار أقلاماً والجنّ والإنس كتاباً لما أحصوا فضائل علىّ بن أبيطالب.[٥]

و روي العكبري كما في مناقب الكنجيّ الشّافعيّ مسنداً عن ابن عبّاس قال: بينما النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ عليه السّلام فلمّا بصر به النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في حكمه وإلى إبراهيم في حلمه فلينظر إلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.[٦] قال الكنجي: وتشبيه بآدم في علمه لقوله تعالى في آدم:

---

١. يوسف ــ ٥٤.

٢. نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٣/ حكمة ٣٩٢.

٣. لسان العرب ج ٤ ص ٢٧٧/ مادة «دثر».

٤. أورده لسان العرب ج ١٢ ص ١٠٤/ مادة «جم» والشّاعر أبوخراش الهذليّ.

٥. رواه الدّيلميّ في الفردوس عنه البحار ج ٤٠ ص ٧٥ ح ١١٢ والمطرزيّ عنه البحار ج ٤٠ ص ٧٤ ح ١١٠ وسبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواصّ ص ١٣ والكراجكيّ فى كنز الفوائد ص ١٢٨ وفى التفضيل ص ٤٠ والدّيلميّ فى إرشاد القلوب ص ٢٠٩.

٦. رواه الكنجيّ في كفاية الطّالب ص ٤٦ وأيضاً الحسكانيّ فى شواهد التّنزيل ج ١ ص ١٠٦ ح ١٤٧ والمحب الطبريّ فى ذخائر العقبى عنه ينابيع المودّة ص ٢١٤ عن ابن عبّاس ورواه الدّيلميّ في الفردوس عنه البحار ج ٤٠ ص ٧٨ والحسكانيّ في شواهد التّنزيل بطريقين ج ١ ص ٧٩ و ٨٠ ح ١١٦ و ←

«وعلّم آدم الاسماء كلّها..»[١] وبنوح في حكمه لشدّته على الكفّارلقوله: «..ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّاراً»[٢] و بإبراهيم في حلمه لقوله تعالى: «..إنّ إبراهيم لأوّاه حليم»[٣،٤] ولقد أجاد شباب التسترى حيث قال فيه عليه السّلام بالفارسيّة:

كتاب فضل ترا آب بحر كافى نيست
كه تر كنند سر انگشت و صفحه بشمارند[٥]

و هو عليه السّلام أولى ممّن قيل فيه:

ليس على الله بمستنكر ٭ أن يجمع العالم في واحد[٦]

ما قال شارح المعتزليّ في فضائله عليه السّلام

قال (ابن أبي الحديد) في أوّل كتابه: «فأمّا فضائله عليه السّلام فإنّها قد بلغت من العظم والجلال والإنتشار والإشتهار مبلغاً يسمج معه التعرّض لذكرها والتصدّى لتفصيلها فصارت كما قال أبوالعيناء لعبيدالله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكّل والمعتمد: رأيتنى في ما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الّذي لايخفى على الناظر، فأيقنت أنّي حيث انتهى بى القول

→
١١٧ والخوارزميّ بطريقين ص ٤٠ و ٢١٩ والمحبّ الطبريّ فى ذخائر العقبى عنه ينابيع المودّة ص ٢١٤ عن أبي الحمراء وأخرجه ابن المغازليّ في المناقب ص ٢١٢ والكراجكي في التفضيل ص ٣١ عن أنس ورواه الكراجكيّ فى التفضيل ص ٣١ عن أبي سعيد الخدريّ ونقله ابن أبي‌الحديد في شرحه ج ٢ ص ٤٢٩ ح ٤ عن أحمد فى مسنده والبيهقيّ فى السّنن وروى معناه الخوارزميّ ص ٤٥ عن الحارث الأعور عن جمع من أصحاب النبيّ (ص) وبين الألفاظ إختلاف.

١. البقرة ــ ٣١.
٢. نوح ــ ٢٦.
٣. التوبة ــ ١١٤.
٤. كفاية الطالب ص ٤٦ والنقل بتصرّف يسير.
٥. أورده دهخدا فى أمثال وحكم ج ٣ ص ١١٩١ ونسبه إلى الأسديّ وذيله فيه «كه تر كنى سر انگشت و صفحه بشمارى» ترجمة البيت «لايكفى كتاب فضلك ماء البحر أن ترطّب بنانك وتعدّد صفحاته».
٦. أورده ابن أبي الحديد فى شرحه ج ٢ ص ٢٣١ و غيره.

منسوب إلى العجز مقصّر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاءِ لك و وكّلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

وما أقول في رجل أقرّ له اعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه استولى بنو أُميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره والتحريف عليه، ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدّوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فمازاده ذلك إلّا رفعةً وسموّاً، وكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه و كلّما كتم تضوّع نشره، وكالشّمس لاتستر بالراح، وكضوء النّهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة وتنتهي إليه كلّ فرقة وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبوعذرها وسابق مضمارها ومجلّي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى.

وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهيّ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السّلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ.

فإنّ المعتزلة الّذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ تلامذته وأصحابه، لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفيّة، وأبوهاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السّلام.

وأمّا الأشعريّة فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي عليّ الجبائيّ، وأبوعليّ أحد مشائخ المعتزلة.

فالأشعريّة ينتهون بأخرة إلى أُستاذ المعتزلة ومعلّمهم وهو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

وأمّا الإماميّة والزيديّة فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السّلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه. أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف، ومحمّد، وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة، وأمّا الشافعي فقرأ على محمّد بن الحسن،

فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأمّا أحمدبن حنبل فقرأ على الشّافعي، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبوحنيفة قرأ على جعفربن محمّد عليه السّلام وقرأ جعفر على أبيه، وينتهي الأمر إلى عليّ عليه السّلام، وأمّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرّأى، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عبّاس، وقرأ عبدالله بن عبّاس على عليّ، وإن شئت رددت إليه فقه الشّافعيّ بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة وأمّا فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر.

وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا عمربن الخطّاب وعبدالله بن عبّاس وكلاهما أخذا عن عليّ عليه السّلام. أمّا ابن عبّاس فظاهر وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل الّتي اشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرّة: لو لاعليّ لهلك عمر[1] وقوله: لابقيت لمعضلة ليس لها أبوالحسن[2] وقوله: لايفتينّ أحد في المسجد وعليّ حاضر.[3] فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه. وقدروت العامّة والخاصّة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أقضاكم عليّ»[4] والقضاء هو الفقه فهو إذن أفقههم، وروى الكلّ أيضاً أنّه

١. رواه ابن عيّاش والسمعانيّ عنهما مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١ والخوارزميّ في المناقب ص ٣٩ والمحب الطّبريّ في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودّة ص ٢١١ وصاحب مسند زيدبن على فيه ص ٣٣٥ والفضل بن شاذان فى الإيضاح ص ٩٨ و ٩٩ و ١٠١ وجمع آخر.

٢. رواه البلاذريّ فى أنساب الأشراف وابن بطة فى الابانة والزّمخشريّ في الفائق عنهم مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١ وابن سعد في الطّبقات والمحب الطّبريّ في ذخائر العقبى عنهما ينابع المودّة ص ٢١١ و ٢٨٦ وابن عبدالبرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٣٩ والخوارزميّ في المناقب ص ٥١ وابن الأثير في أسدالغابة ج ٤ ص ٢٢ والمفيد فى الإرشاد ص ١٠٩ ونقله ابن البطريق فى العمدة ج ٢ ص ١٣٤ عن مسند أحمد.

٣. نقله مقاتل بن عطيّة في المؤتمر ص ٤٧.

٤. رواه الخوارزميّ بطريقين في المناقب ص ٣٩ و ٤١ عن أبي‌سعيد الخدريّ والصّدوق في أماليه ص ٤٤٠ ح ٢٠/ مجلس ٨١ عن سلمان والمفيد فى الإرشاد ص ٢٢ عن ابن‌عبّاس والمحب الطّبريّ في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودّة ص ٢١١ عن أنس وابن بطة في الإبانة عنه مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٣ عن ابى امامة وابويعلي فى مسنده عنه المطالب العالية ج ٤ ص ٨٥ ح ٤٠٣١ عن ابن عمر وابن شهر آشوب مجرّداً في المناقب ج ٢ ص ٣٣ عن الصّادق (ع) والقاضى الصّعدى في درر الأحاديث ص ١٤٥ عن الهادى إلى الحقّ كلّهم عن النّبيّ (ص) وروى بلارفع عن على (ع) وابن عبّاس وابن مسعود وعمر.

صلّى الله عليه وآله قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: «اَللهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه» قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين[١]، وهو عليه السّلام الّذي أفتى في المرأة الّتي وضعت لستّة أشهر[٢] وهو الّذي أفتى في الحامل الزانية[٣] وهو الّذي قال في المنبرية: صار ثمنها تسعاً[٤] وهذه المسألة لو فكر الفرضيّ فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنّك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً.

ومن العلوم علم تفسير القرآن، وعنه أُخذ ومنه فرّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك لأنّ أكثره عنه وعن عبدالله بن عبّاس، وقد علم الناس حال ابن عبّاس في ملازمته له وانقطاعه إليه وأنّه تلميذه وخرّيجه وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.[٥][٦]

---

١. أخرجه أبوداود في سننه ج ٣ ص ٣٠١ ح ٣٥٨٢ وابن ماجه في سننه ج ٢ ص ٧٧٤ ح ٢٣١٠ وصاحب مسند زيدبن علي فيه ص ٢٩٤ وأحمد في مسنده ج ١ ص ٨٣ و ١١١ و ١٣٦ والمفيد في الإرشاد ص ١٠٥ وجمع آخر.

٢. «القصّة أنّ عمر أُتي بامرأة وضعت لستّة اشهر فأمر برجمها فاستدلّ علي (ع) بآيتين على أنّ أقل الحمل ستّة أشهر فخلّى سبيلها» أخرجها جمع منهم البيهقيّ وابن أبي‌حاتم عنها الدّر المنثور ج ١ ص ٢٨٨ والفضل بن شاذان في الإيضاح ص ٩٨ والمفيد في الإرشاد ص ١١٠ وروى نحو هذه القصّة بين عليّ (ع) وعثمان أخرجه عدّة، منهم مالك في الموطأ ص ٦٨٦ والثّعلبيّ في تفسيره عنه عين العبرة ص ٣٢ وروى نحوها بين ابن‌عبّاس وعمرو بين ابن‌عبّاس وعثمان قال ابن عبدالبرّفي الإستيعاب ج ٣ ص ٣٩ «وعن عليّ أخذها ابن‌عبّاس والله أعلم».

٣. في ذلك قصّتان «الأُولى أُتي عمر بحاملة زانية فأمر برجمها فأثبت له عليّ (ع) أن تمهل حتى تضع» أخرجه صاحب مسند زيدبن عليّ فيه ص ٣٣٥ والفضل بن شاذان في الإيضاح ص ٩٩ والمفيد في الإرشاد ص ١٠٩ والمرتضى في الذّريعة ج ٢ ص ٧٦٥ وجمع آخر. والقصّة الثّانية أنّ خادمة لآل الرّسول زنت وهي حبلى فحكم بذلك عليّ (ع) وأمضى حكمه النّبيّ (ص) أخرجه أبويعلى في مسنده عنه مجمع الزّوائد ج ٦ ص ٢٥٢ وابن أبي‌شيبة في مسنده عنه المطالب العالية ج ٢ ص ١١٥ ح ١٨٠٧ وقد جاء في الباب أحكام عن النّبي (ص) قولاً وفعلاً.

٤. رواه سبط ابن الجوزي في تذكره الخواصّ ص ١٢٠ وابن شهرآشوب في المناقب ج ٢ ص ٤٤ والإربلي في كشف الغمّة ج ١ ص ١٣٢ وابن أبي‌الحديد في زوائد نهج البلاغة ص ٥٤٤ ح ٢٥١.

٥. رواه المفيد في أماليه ص ٢٣٦ ح ٦/ مجلس ٢٧ وأبوعلي الطوسيّ في أماليه ج ١ ص ١١/ جزء ١ والنّقاش في تفسيره عنه مناقب ابن شهرآشوب ج ٢ ص ٣٠ والجويني في فرائد السّمطين عنه ينابيع المودّة ص ٧٠ والإربلي في كشف الغمّة ج ٢ ص ٥ بفرق يسير.

٦. أسقط الشّارح مناقول ابن أبي‌الحديد «ومن العلوم علم الطّريقة والحقيقة وأحوال التصوّف إلى آخره».

ومن العلوم علم النحو والعربيّة، وقد علم الناس كافّة أنّه هو الّذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤليّ جوامعه وأُصوله من جملتها: «الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف» ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرّفع والنّصب والجرّ والجزم[١]، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأنّ القوّة البشريّة لاتفي بهذا الحصر ولاتنهض بهذا الاستنباط، وإن رجعت إلى الخصائص الخلقيّة والفضائل النّفسانيّة والدّينيّة وجدته ابن جلاها وطلاّع ثناياها.

وأمّا الشّجاعة فإنّه أنسى النّاس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشّجاع الّذي ما فرّ «قط» ولا ارتاع من كتيبة ولابارز أحداً إلّا قتله ولاضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأولى إلى الثانية، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً[٢] ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح النّاس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني مذ نصحتني إلّا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن، وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي[٣]، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته. فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السّلام قتلهم أظهر وأكثر. قالت أُخت عمرو بن عبدود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ** بكيته أبداً ما دمت في الأبد
لكنّ قاتله من لا نظير له ** وكان يدعى أبوه بيضة البلد[٤]

وانتبه معاوية يوماً، فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره

---

١. رواه المرتضى في الفصول المختارة ج ١ ص ٥٩ وابن شهرآشوب في المناقب ج ٢ ص ٤٧ والحديث كثير الإشتهار.

٢. رواه بروايات متعدّدة ابن شهرآشوب في المناقب ج ٢ ص ٨٣.

٣. نقل القصّة الطبريّ في التّاريخ ج ٤ ص ٢٩/ سنة ٣٧ والمسعوديّ في مروج الذّهب ج ٢ ص ٣٨٦ وابن قتيبة في الإمامة والسّياسة ج ١ ص ١٠٦.

٤. هذه الرّواية مشهورة لكن بين ألفاظها اختلاف نقله المفيد في الإرشاد ص ٥٧ والمرتضى في الفصول ص ٢٣٧ وابن شهرآشوب في المناقب ج ١ ص ١٩٩ والاربلي في كشف الغمّة ج ١ ص ٦٨ وغيرهم.

فقعد فقال له عبدالله يداعبه: يا اميرالمؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت. فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبابكر. قال: وما الّذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء عليّ بن ابيطالب. قال له معاوية: لاجرم أنّه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها، وجملة الأمر أن كل شجاع في الدّنيا إليه ينتهي وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها.

وأمّا القوّة والأيد فبه يضرب المثل فيهما. قال ابن قتيبة في معارفه: ما صارع أحداً قط إلّا صرعه[1]، وهو الّذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلّبوه فلم يقلّبوه، وهو الّذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيماً كبيراً جدّاً، فألقاه إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، فأنبط الماء من تحتها.

وأمّا السّخاء والجود فحاله فيه ظاهرة. كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده وفيه أُنزل «ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنّما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولاشكوراً»[2,3] وروى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية، فأنزل فيه «الّذين ينفقون أموالهم باللّيل والنّهار سرّاً وعلانية..»[4] وروى عنه أنّه كان يسق بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت يده ويتصدّق بالأُجرة ويشدّ

---

١. المعارف لابن قتيبة ص ٢١٠.

٢. الانسان ـــ ٨ و ٩.

٣. روى هذا الشأن الواحديّ في اسباب النزول ص ٢٩٦ والخوارزميّ في المناقب ص ١٩٢ وابن الأثير بروايتين في أُسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٠ والحسكانيّ بطرق في شواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٩٩ ـــ ٣١٠ وابن مردويه عنه الدّر المنثور ج ٦ ص ٢٩٩ عن ابن عبّاس و روى بطرق عن عليّ (ع) نفسه وعن أهل بيته (ع).

٤. البقرة ـــ ٢٧٤.

٥. روى هذا الشّأن الواحديّ في أسباب النّزول ص ٥٨ والخوارزميّ في المناقب ص ١٩٨ وابن المغازليّ في المناقب ص ٢٨٠ ح ٣٢٥ وابن الأثير بثلاث طرق فى أُسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ وعبدالرّزاق في الجامع وعبدبن حيد في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيره والطّبرانيّ وابن عساكر في التّاريخ عنهم الدّرالمنثور ج ١ ص ٣٦٣ عن ابن عبّاس وروى بطرق أُخرى أيضاً عن ابن عبّاس وغيره.

على بطنه حجراً.[١]

وقال الشعبي، وقد ذكر عليه السّلام: كان أسخى الناس كان على الخُلق الّذي يحبّه الله، السخاء والجود ما قال: «لا» لسائل قط[٢]، وقال عدوّه ومبغضه الّذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية لمحفن الضبيّ لمّا قال له: جئتك من عند أبخل الناس: ويحك كيف تقول أنّه أبخل الناس وهو الّذى لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه[٣] وهو الّذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّى فيها[٤] وهو الّذي قال: «يا صفراء ويا بيضاء غريّ غيرى»[٥] وهو الّذي لم يخلّف ميراثاً وكانت الدنيا كلّها بيده إلّا ما كان من الشام.

وأمّا الحلم والصّفح، فكان أحلم الناس عن مذنب وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهرت صحّة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم؛ وكان أعدى النّاس له وأشدّهم بغضاً؛ فصفح عنه، وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال: قد آتاكم الوغب اللئيم علي بن أبيطالب[٦] وكان عليّ عليه السّلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى شبّ عبدالله[٧]، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه وقال: اذهب فلا

---

١. حديث استقاء على (ع) لليهوديّ بالتمرجاء بألفاظ مختلفة أقربها ما أخرجه ابن ماجه في السّنن ج ٢ ص ٨١٨ ح ٢٤٤٦ وروى الإربلى في كشف الغمّة ج ١ ص ١٧٥.

٢. رواه ابن قتيبة في الإمامة والسّياسة ج ١ ص ١١٤ بفرق يسير.

٣. رواه ابن عبدالبرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٤٩ وغيره في باب زهده(ع).

٤. رواه المحب الطّبريّ في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودّة ص ٢١٧ وابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٩٥ والإربلى في كشف الغمّة ج ١ ص ١٦٥ وغيرهم في باب زهده(ع).

٥. رواه الكلينيّ في الكافي ج ٨ ص ١٢٩ ح ١٠٠ والمسعوديّ في مروج الذّهب ج ٢ ص ٤١٤ و ابن قتيبة فى الإمامة والسّياسة ج ١ ص ١٦٢ والشريف والرّضيّ في خصائص الأئمّة ص ٥٤ أنه (ع) لااورث ببيضاء ولاصفراء إلّا سبعمأة درهم فضلت من عطاياه ورواه الطّبريّ في التاريخ ج ٤ ص ١٢١/ سنة ٤٠ وابن عبدالبرق الإستيعاب ج ٣ ص ٤٨ متردداً بين سبعمأة و ثمانمأة.

٦. نقل خطبة ابن الزّبير المفيد في الجمل ص ١٧٤ لكن هذا الفظ لا يوجد فيه بل يوجد معناه.

٧. هذا مما تفرّد به ابن أبي الحديد في شرحه ج ٤ ص ٤٨٠/ شرح حكمة ٤٥٣ من رواية نهج البلاغة وأخرجه أيضاً الجوهريّ في السّقيفة وفدك ص ٦٠ وعاصم بن حميد في أصله ص ٢٣ وابن قتيبة فى الإمامة والسّياسة ج ١ ص ١٠ وابن عبدالبرّ في الإستيعاب ج ٢ ص ٣٠٢ والصّدوق في الخصال ص ١٥٧ ح ١٩٩ والمفيد في الجمل ص ٢٠٨.

اريتَك لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة؛ وكان له عدوّاً؛ فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلمّا ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّمهنّ بالعمائم وقلّدهنّ السيوف فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لايجوز أن يذكر به وتأفّفت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الّذين وكلهم بي. فلّما وصلت المدينة ألقت النساء عمائمهنّ وقلن لها: إنّما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف وسبوّه ولعنوه، فلمّا ظفربهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه في أقطار العسكر ألا لايتبع مولّ ولايجهز على جريح ولايقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم ولاسبى ذراريهم ولاغنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنه أبى إلّا الصفح والعفو وتبع سنّة النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم فتح مكّة فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءَة لم تنس.[1]

ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السّلام وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء، فقالوا: لاوالله ولاقطرة حتّى تموت ظمأً كمامات ابن عفّان. فلمّا رأى عليه السّلام أنّه الموت لامحالة تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدى وملكوا عليهم الماء وصار أصحاب معاوية في الفلاة لاماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أميرالمؤمنين كما منعوك ولاتسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضاً بالأيدى، فلاحاجة لك إلى الحرب. فقال: لاوالله لاأكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففى حدّ السيف ما يغني عن ذلك[2]. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح

---

١. روى سيرة عليّ (ع) في أهل الجمل هذه الطبريّ في التاريخ ج ٣ ص ٥٤٣/ سنة ٣٦ والمسعوديّ في مروج الذّهب ج ٢ ص ٣٦٨ وابن قتيبة في الإمامة والسّياسة ج ١ ص ٧٧ والمفيد في الجمل ص ٢١٦ وغيرهم من أهل التّاريخ والأثر.

٢. نقله نصربن مزاحم في وقعة صفين ص ١٦٠ والطبرى في التاريخ ج ٣ ص ٥٦٦/ سنة ٣٦ والمسعوديّ ←

فناهيك بها جمالاً وحسناً وإن نسبتها إلى الدين والورع فاخلق بمثلها أن تصدر عن مثله.

وأمّا الجهاد في سبيل الله فعلوم عند صديقه وعدوّه أنّه سيّد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلّا له؟ وقد عرفت أنّ أعظم غزاة غزاها النبيّ صلّى الله عليه وآله وأشدّها نكاية في المشركين بدر الكبرى قتل فيها سبعون من المشركين قتل عليّ عليه السّلام نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النّصف الآخر. وإذا رجعت إلى مغازي محمّدبن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذريّ وغيرهما[1] علمت صحّة ذلك دع من قتله في غيرها كأُحد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لامعنى للإطناب فيه لأنّه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكّة ومصر ونحوهما[2] ــ إلى أن قال ــ

وأمّا سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيّا والتبسّم فهو المضروب به المثل فيه حتّى عابه بذلك اعداؤه. قال عمروبن العاص لأهل الشّام: إنّه ذودعابة شديدة وقال عليّ عليه السّلام في ذاك: «**عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة وأنيّ امرؤتلعابة أعافس وامارس**»[3] وعمروبن العاص إنّما أخذها عن عمربن الخطّاب لقوله له لمّا عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعابة فيك[4]، إلّا أنّ عمر اقتصر عليها وعمر وزاد فيها وسمّجها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا لين جانب وشدّة تواضع وسهولة قياد وكنّاتها به مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه[5] وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة. قال له قيس: نعم كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يمزح ويبتسم إلى أصحابه وأراك

+ في مروج الذّهب ج ٢ ص ٣٧٥ وابن قتيبة في الإمامة والسّياسة ج ١ ص ١٠٥.

١. كذا نقل الواقديّ في مغازيه ج ١ ص ١٤٧ والبلاذريّ في أنساب الأشراف ج ١ ص ٢٩٧ ذكر من قتل بيده(ع) في يوم بدر ابن هشام في السّيرة ج ٢ ص ٢٥١ والمفيد في الإرشاد ص ٣٩.

٢. قال ابن أبي‌الحديد بعده وأمّا الفصاحة ــ الخ.

٣. رواه الشّريف الرّضيّ في نهج البلاغة ج ١ ص ١٤٧/ خطبة ٨٢.

٤. رواه ثعلب في أماليه عنه شرح ابن أبي‌الحديد ج ٢ ص ١١٤ والفضل بن شاذان في الإيضاح ص ١٢٨ و ١٢٩.

تسرّ حسواً في ارتغاء رفعه وتعيبه بذلك. أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قدمسّه الطّوى تلك هيبة التقوى، ليس كما يهابك طغام أهل الشّام. وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً فى محبيّه وأوليائه إلى الآن كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك.

وأمّا الزّهد في الدّنيا فهو سيّد الزّهاد وبدل الأبدال وإليه تشدّ الرّحال وعنده تنفض الأحلاس. ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً. قال عبدالله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد. فقدّم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً. فقدّم فأكل فقلت يا أميرالمؤمنين كيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتّاه بسمن أوزيت وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أُخرى ونعلاه من ليف وكان يلبس الكرباس الغليظ فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه فكان لايزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدى لالحمة له، وكان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو بملح فإن ترقّى عن ذلك فببعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ولا يأكل اللحم إلّا قليلاً ويقول: «لاتجعلوا بطونكم مقابر الحيوان» وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة وأعظمهم أيداً، لم ينقص الجوع قوّته ولا يخورّ الاقلال منّته، وهو الّذي طلّق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلّا من الشام فكان يفرقّها ويمزّقها، ثم يقول:

هذا جناى وخياره فيه ۞ إذ كلّ جان يده إلى فيه[1]

وأمّا العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النّافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفّين ليلة الهرير فيصلّي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً.[2] فلا يرتاع لذلك ولايقوم حتّى يفرغ من

---

١. هذه المعانى رواهاجمع كثير في باب زهده (ع) منهم ابن عبدالبرّ في الإستيعاب ج٣ ص ٤٩ والخوارزميّ في المناقب ص٦٦ وابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٩٣ وابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ والإربليّ في كشف الغمّة ج ١ ص ١٦٢ والقندوزيّ في ينابيع المودة ص١٤٣.

٢. هذا المعنى نقله نصربن مزاحم فى وقعة صفّين ص ٤٧٧.

وظيفته، وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده[١]، وأنت إذا تأملّت دعواته ومناجاته[٢] ووقفت على مافيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزّته والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص وفهمت من أيّ قلب خرجت وعلى أيّ لسان جرت، وقيل لعليّ بن الحسين عليه السّلام وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة النبيّ صلّى الله عليه وآله.[٣]

وأمّا قراءة القرآن والاشتغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب. اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله ولم يكن غيره يحفظه ثمّ هو أوّل من جمعه. نقلوا كلّهم أنّه تأخر عن بيعة أبي بكر فأهل الحديث لايقولون ما تقوله الشيعة من أنّه تأخّر مخالفة للبيعة، بل يقولون تشاغل بجمع القرآن. فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن، لأنّه لوكان مجموعاً في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته ــ صلّى الله عليه وآله ــ.

وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمّة القرّاء كلّهم يرجعون إليه كأبي عمروبن العلاء، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهما، لأنّهم يرجعون إلى أبي عبدالرّحمن السلميّ القارىء، وأبوعبدالرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن[٤] فقد صار هذا الفنّ من الفنون الّتي تنتهي إليه أيضاً مثل كثير ممّا سبق.

---

١. نقله الشريف الرّضيّ في نهج البلاغه ج ٢ ص ١٠٣/ خطبة ١٨٠ عن نوف البكاليّ وله شاهد أخرجه زيد الزّراد في أصله ص ٣ عن عليّ (ع) قال: «إنّي لأكره للرّجل أن تكون جبهته جلحاً ليس فيها شيء من أثر السّجود».

٢. ضبط الشارح هذه الكلمة «مناجاتاته» وهذا غلط واثبتنا الضّبط الصّحيح.

٣. روى حديثاً بهذا المعنى المفيد فى الإرشاد ص ٢٥٥ والقاضيّ النعمان في شرح الأخبارج ١٣ ص ١٢٧ وابن شهرآشوب في المناقب ج ٤ ص ١٤٩ وبفرق الكلينيّ في الكافيّ ج ٨ ص ١٢٩ ح ١٠٠.

٤. قوله كلّهم يرجعون إليه لايخلو عن الإشكال فليراجع التيسير لابى عمرو الدانيّ ص ٨ــ١٠ وغيره من كتب القراءة.

وأمّا الرّأى والتّدبير فكـان من أسدّ النـاس رأياً وأصحّهـم تدبيـراً، وهو الّذي أشار على عمر لمّا عزم على أنّ يتوجّه بنفسه الى حرب الرّوم والفرس بما أشار[١]، وهو الّذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث عليه ماحدث، وإنّما قال أعداؤه لارأى له لأنّه كان مقيّداً بالشّريعة لايرى خلافها ولا يعمل بما يقتضي الدّين تحريمه، وقد قال عليه السّلام: **«لولا الدّين والتّقى لكنت أدهى العرب»**[٢] وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن، ولا ريب أنّ من يعمل بما يؤدّى إليه اجتهاده ولايقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها ممّا يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنياويّة إلى الانتظام أقرب ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنياويّة إلى الإنتشار أقرب.

وأمّا السّياسة فإنّه كان شديد السّياسة خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمّه في عمل كان ولاّه إيّاه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به، وأحرق قوماً بالنّار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة، ودار جرير بن عبدالله البجليّ، وقطع جماعة وصلب آخرين.[٣]

ومن جملة سياسته حروبه في أيّام خلافته بالجمل وصفّين والنّهروان، وفي أقلّ القليل منها مقنع، فإنّ كلّ سائس في الدّنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر ممّا فعل عليه السّلام في هذه الحروب بيده وأعوانه. فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنّه فيها الإمام المتّبع فعله والرّئيس المقتفى أثره.

وما أقول في رجل يحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنّبوة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصوّر ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملاً سيفَه، مشمراً لحربه، وتصوّر ملوك الترك والدّيلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدّولة صورته، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنّهم يتفاءلون به النّصر

١. نقله الشّريف الرّضيّ في نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩/ خطبة ١٤٤.
٢. نقله الشّريف الرّضيّ في نهج البلاغة ج ٢ ص ١٨٠/ خطبة ١٩٨ بفرق.
٣. كلّ ذلك نقله أهل التاريخ والآثار لم يسع المقام لذكرها.

والظفر.

وما أقول في رجل أحبّ كلّ واحد أن يتكثّر به، ووَدّ كلّ أحد أن يتجمّل ويتحسّن بالإنتسابَ إليه؛ حتى الفتوّة التي أحسن ماقيل في حدّها: ألّا تستحسنَ من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنّفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه، وسمّوه سيّد الفتيان، وعضّدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المرويّ، أنه سمع من السّماء يوم اُحد:

لا سيف إلّا ذو الفقا ر ولا فتى إلّا علـي[1]

وما أقول في رجل أبوه أبوطالب سيّد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكّة، قالوا: قلّ أن يسوّد فقير، وساد أبوطالب وهو فقير لامال له، وكانت قريش تسميّه الشّيخ.

وفي حديث عفيف الكنديّ، لما رأى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ يصليّ في مبدأ الدّعوة، ومعه غلام وامرأة، قال: فقلت للعبّاس: أيّ شيء هذا؟ قال: هذا ابن أخي، يزعم أنّه رسول من الله إلى النّاس، ولم يتّبعه على قوله إلا هذا الغلام ـ وهو ابن أخي أيضاً ـ وهذه الإمرأة، وهي زوجته. قال: فقلت: ما الذي تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ ـ يعني أباطالب[2] ـ. وأبوطالب هو الذي كفل رسول اللّه صلّى الله عليه وآله صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عنتاً عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً، وصبر على

١. جملة «لاسيف إلّا ذوالفقار ولافتى إلّا علي» رويت في غزوات بدر واحد وخيبر ورويت بلا ذكر شأن فأمّا غزوة اُحد فأخرجها الصّدوق في معاني الأخبار ص ١١٩ ح ١ وأماليه ص ١٦٧ ح ١٠/ مجلس ٣٦ والمفيد بروايتين في الإرشاد ص ٤٦ و ٤٧ عن النّبيّ (ص) وأخرجها المفيد في الارشاد ص ٤٧ عن الباقر(ع) وأخرجها الكلينيّ في الكافيّ ج ٨ ص ١١٠ ح ٩٠ والصّدوق في علل الشّرائع ج ١ ص ٧ ح ٣ عن الصّادق (ع) وفي العيون ج ١ ص ٧٠ ح ٩ عن الكاظم (ع) وأخرجها ابن هشام في السّيرة ج ٣ ص ٤٣ عن ابن أبي نجيح والفرات الكوفيّ في تفسيره ص ٣٥ عن حذيفة بن اليمان وابن المغازليّ في المناقب ص ١٩٧ ح ٢٣٤ والمفيد في الإرشاد ص ٤٧ عن ابن رافع وأبوعليّ الطّوسيّ في أماليه ج ١ ص ١٤٢/ جزء ٥ عن محمّد بن إسحاق.

٢. حديث عفيف أخرجه الطّبرى بثلاث روايات في التّاريخ ج ٢ ص ٥٦ و ٥٧ وغيره بفرق يسير.

نصره والقيام بأمره. وجاء في الخبر أنّه لما توفي أبوطالب أوحي إليه عليه السلام وقيل له: اخرج منها، فقد مات ناصرك.[١]

وله مع شرف هذه الأبوّة أنّ ابن عمه محمد سيدُ الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذوالجناحين، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أشبهت خَلقي وخُلقي»[٢] فر يحجل فرحاً، وزوجته سيّدة نساء العالمين، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنة؛ فآباؤه آباء رسول الله، وأمّهاته أمّهات رسول الله، وهو مسوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبدالمطلب بين الأخوين عبدالله وأبي طالب، وأمّهما واحدة، فكان منهما سيدا الناس؛ هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي!.

وما أقول في رجل سبق النّاس إلى الهدى وآمن بالله وعبده وكلّ من في الأرض يعبد الحجر ــ إلى أن قال ــ وقد قال هو عليه السّلام **«أنا الصّدّيق الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام النّاس وصلّيت قبل صلاتهم»**[٣] ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك وعلمه واضحاً وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري[٤] وهو القول الّذي رجّحه ونصره صاحب كتاب الإستيعاب.[٥،٦]

وفي صناعة أبي هلال العسكري سئل صعصعة عن عليّ عليه السّلام فقال: لم يقل فيه مستزيد لوانّه ولا مستقصر أنّه جمع العلم والحلم والسلم والقرابة

---

١. هذا المعنى أخرجه الكلينيّ في الكافي ج ١ ص ٤٤٩ ح ٣١ وغيره.
٢. أخرجه الترمذيّ سنة ج ٥ ص ٦٥٤ ح ٣٧٦٥ وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٤٢ والخطيب في التاريخ عنه منتخب كنزالعمّال ج ٥ ص ١٥٤ وروى أيضاً ضمن أحاديث.
٣. أخرجه ابن ماجه في سننه ج ١ ص ٤٤ ح ١٢٠ والنسائي في الخصائص ص ٤٦ والطبريّ في التاريخ ج ٢ ص ٥٦ وابن أبي شيبة في مسنده وابن أبي عاصم في السّنة والعقيليّ في الضّعفاء والحاكم في المستدرك وأبونعيم في المعرفة عنهم منتخب كنزالعمّال ج ٥ ص ٤٠ والثّعلبيّ في تفسيره عنه ينابيع المودّة ص ٦٠ والصّدوق في الخصال ص ٤٠١ ح ١١٠ وله شاهد قوىّ من الحديث النّبويّ (ص).
٤. رواه الطّبريّ في تاريخه ج ١ ص ٥٥.
٥. قاله ابن عبدالبرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٢٧.
٦. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥ ــ ١٠.

القريبة والهجرة القديمة والبصر بالأحكام والبلاء العظيم في الإسلام.[١]

وفيه: لمّا بلغ كلامه عليه السّلام في بيان حكمة الله تعالى في خلط لذّات الدنيا بآلامها إلى الجاحظ. قال: هو جماع الكلام الّذي دونّه الناس في كتبهم وتحاوروه بينهم فسمع بذلك أبوعليّ الجبائي فقال: صدق الجاحظ هذا مالا يحتمله الزيادة والنّقصان.[٢]

وقال (ابن أبي الحديد) في كتابه عليه السّلام إلى ابن عبّاس بعد مقتل محمّد بن أبي بكر: «**فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً**»: انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها وتملّكه زمامها وأعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضاً كيف تؤاتيه وتطاوعه سلسة سهلة تتدفّق من غير تعسّف ولاتكلّف حتّى انتهى إلى آخر الفصل. فقال يوماً واحداً ولاألتق بهم أبداً، وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة وتارة مجرورة وتارة منصوبة. فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلّف أثر بيّن وعلامة واضحة وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن ذكره عبدالقاهر قال: «انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة الأولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب اصلاً ولومزّجت احدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما ثم إنّ فواصل كلّ واحدة منها تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعيّ لاالصناعة التكليفية ثمّ انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال «**ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً**» لوقال «ولداً كادحاً وعاملاً ناصحاً» وكذلك ما بعده لما كان صواباً ولا في الموقع واقعاً، فسبحان من منح هذا الرّجل بهذه المزايا النّفيسة والخصائص الشّريفة أن يكون غلام من أبناء عرب مكّة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهيّة من أفلاطون وأرسطو، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقيّة والآداب النفسانيّة، لأنّ قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك وخرج أعرف بهذا الباب من

---

١. القصاعتين ص ١٨٦ والنقل بتصرّف يسير.

٢. لم أجده في القصاعتين.

سقراط، ولم يرب بين الشجعان لأنّ أهل مكّة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوى حرب، وخرج أشجع من كلّ بشر مشى على الأرض. قيل لخلف الأحمر: أيّما أشجع عنبسة وبسطام أم عليّ بن أبيطالب. فقال: إنّما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس لامع من يرتفع عن هذه الطبقة. فقيل له: فعلى كلّ حال. قال: والله لوصاح عليّ عليه السّلام في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما. وخرج أفصح من سحبان وقسّ ولم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها. قالوا: أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهد الناس في الدّنيا وأعفّهم مع أنّ قريشاً ذو وحرص ومحبّة للدّنيا ولاغر وفي من كان محمّد صلّى الله عليه وآله مربيّه ومخرجه والعناية الإلهيّة تمدّه وترفده أن يكون منه ما كان.[1]

وَ اَنَّهُ عَليه السَّلام انْفَرَدَ بِبُلُوغِ غايَتِها.

أي غاية فضيلة النّطق.

عَنْ جَميعِ.

متعلّق بقوله «انفرد».

السَّلَفِ الْاَوَّلينَ الَّذينَ اِنَّما يُؤْثَرُ.

أي يروى.

عَنْهُمْ مِنْها.

أي من تلك الفضيلة.

اَلْقَليلُ النّادِرُ وَالشّاذُ.

والأصل في معنى الشاذّ التفرّق.

اَلشّارِدُ.

يقال: بعير شارد، ويأتي في الكلام استعارةً. قال الشّاعر:

شرود إذا الرّاوون حلّوا عقالها ٭ محجّلة فيها كلام محجّل[2]

قال (ابن أبي الحديد) عند شرح قوله عليه السّلام في صفة الملائكة: «ثمّ خلق سبحانه لاسكان سماواته»: هذا موضع المثل «إذا جاء نهر الله بطل نهر

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٤/ شرح كتاب ٣٥ وما نقل عن عبدالقاهر فهو ف دلائل الإعجاز ص ٣٩٩.

٢. نقله أساس البلاغة ص ٢٣٢/ مادة «شرد» ولسان العرب ج ٣ ص ٢٣٧ مادة «شرد».

معقل»[١] إذا جاء هذا الكلام الربانيّ واللّفظ القدسيّ بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلام العرب إلى كلامه نسبة التّراب إلى النّضار الخالص، ولو فرضنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم هذه المادّة الّتي عبّرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهليّة بل الصّحابة المعاصرون للنبيّ هذه المعاني الغامضة ليتهيّأ لهم التعبير عنها؟ أمّا الجاهليّة فإنّهم إنّما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك وأمّا الصّحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنّما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السّطرين أو الثّلاثة إمّا في موعظة تتضمّن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا أو ما يتعلّق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب. فأمّا الكلام في الملائكة وصفاتها وعبادتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبّها له وولهها إليه وما جرى مجرى ذلك ممّا تضمّنه هذا الفصل على طوله، فإنّه لم يكن عندهم معروفاً بهذا التفصيل، نعم ربما علموا جملة غير مقسّمة هذا التقسيم ولا مرتّبة بهذا التّرتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم وأمّا من عنده من هذه المادّة كعبدالله بن سلام وأميّة بن أبي الصّلت وغيرهما فلم تكن لهم هذه العبارة ولا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقة لم تحصل إلّا لعليّ عليه السّلام وحده.[٢]

وقال أيضاً في شرح كلامه عليه السّلام في صفة الاحتضار وسقوط الناطقة ثمّ السّامعة ثمّ الباصرة: هذا موضع المثل «في كلّ شجرة نار واستمجد المرخ والعفار»[٣] الخطب الوعظيّة الحسان كثيرة ولكن هذا حديث يأكل الأحاديث فإنّ نسبة هذه الخطبة إلى كلّ فصيح من الكلام عدا كلام الله تعالى ورسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكيّة إلى الحجارة الأرضيّة المظلمة ثمّ لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء والجلالة والرواء والديباجة، وما تحدثه من الرّوعة والرّهبة والمخافة

---

١. نقله الميدانيّ في مجمع الأمثال ج ١ ص ٨٨ ضمن الأمثال المولدة.

٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٥٠/ شرح خطبة ٨٩ و نقله الشّارح بتصرّف.

٣. نقله الميدانيّ في مجمع الأمثال ج ٢ ص ٧٤ والزّمخشريّ في المستقصى ج ٢ ص ١٨٣. قال الزّمخشريّ: «يضرب في تفضيل القوم على بعض إذا كانوا كلّهم ذوي خير ولبعضهم مزيّة وتقدّم ليس للآخرين».

والخشيّة حتّى لوتليت على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث والنشور لهدّت قواه ورعب قلبه واصعقت على نفسه وزلزلت اعتقاده، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به وليّاً من أوليائه، فما أبلغ نصرته له تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه وتارة بقلبه وفكره، إن قيل جهاد وحرب فهو سيّد المجاهدين وإن قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين وإن قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسّرين وإن قيل عدل وتوحيد فهو إمام العدل والموحّدين و:

ليس على الله بمستنكر ٭ أن يجمع العالم في واحد[1]

وَ أَمّا كَلامُهُ عليه السّلام فَهُوَمِنَ الْبَحْرِ.

هكذا في المصريّة والصواب «البحر» بدون «من» كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّيّة).[2]

اَلّذى لايُساجَلُ.

هكذا في المصريّة بالجيم والصّواب «لايساحل» بالحاء.[3] فلاربط للمساجلة وهي المباراة في الاستقاء من البئر هنا، وإنّما هو من ساحل فلان إذا أتى السّاحل، والمراد أنّ كلامه عليه السّلام بحر لاساحل له.

وَ الْجَمُّ.

أي المجتمع من استجم البئر إذا تركها حتّى يجتمع ماؤها.

الّذى لايُحافَلُ.

أي لايظهر فيه نقصان من حفُل الشاة إذا جمع اللّبن في ضرعها ليرى فيه لبن كثير، وليس كذلك، ونهى عن بيع المحفلة. قال البحتريّ في وصف كلام:

في نظام من البلاغة ما شكّ امرء أنّه نظام فريد
وبديع كأنّه الزّهر الضّاحك في رونق الرّبيع الجديد
مشرق في جوانب السّمع ما يخلفه عوده على المستعيد
حجج تخرس الألد بألفاظ فرادى كالجواهر المعدود

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٠/ شرح خطبة ١٠٧ ونقله الشّارح بتصرّف.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠.
٣. في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠ أيضاً بالجيم لكن جعل ابن أبي الحديد «يساحل» بالحاء رواية.

ومعان لو فصّلتها القوافي ٭ هجّنت شعر جرول ولبيد

وأرَدْتُ أنْ يَسُوغَ.

أى يجوز والأصل فيه: سوغ الطعام والشراب من الحلق.

لِيَ التَمثّلُ في الإفتِخارِ بِهِ عليه السّلام بِقَوْلِ الفَرَزْدَق:

وهو همّام بن غالب بن صعصعة من بني تميم مخاطباً لجرير.

أولئِكَ آبائي فَجِئْني بِمِثْلِهِمْ ٭ إذا جَمَعَتْنا يا جَريرُ المَجامِعُ[1]

وجرير من كليب بن يربوع كان بينهما التّفاخر والمهاجاة مدّة حياتهما وكان يتعصّب لكلّ منهما طائفة حتّى يقع بينهما التّشاجر ولم يكن لجرير بيت وكان أبوه خاملاً، وأمّا بنو تميم بيت الفرزدق فكانوا معروفين في الجاهليّة والإسلام. كان صعصعة جدّه اشترى في الجاهليّة ثلاثين موؤدة وأنجاهنّ من الموت[2]، وفرّق أبوه غالب إبلاً له كثيراً في حمالات الناس في الإسلام، وكان الفرزدق جعل على نفسه أن يجير كلّ من استجار بقبر أبيه ويسعى في نجح حاجته وقصّة حبيش او خنيس في ذلك معروفة، ولسائر آبائه وعشيرته مكارم أثبتها لهم التّاريخ والبيت من قصيدة يفاخر جريراً بآبائه، والإشارة في قوله: «أولئك» في البيت إلى الّذين عدّهم في أبيات قبل البيت وذكر مكارمهم وهي:

ومنّا الّذي اختير الرّجال سماحةً ٭ وخيراً إذا هبّ الرياح الزّعازع

ومنّا الّذي أحيا الوئيد وغالب ٭ وعمرو ومنّا حاجب والأقارع[3]

ونظير شعره هذا أولئك آبائي شعر آخر له:

أولئك أحلاسي فجئني بمثلهم ٭ واعبد أن اهجو كليباً بدارم[4]

وله قصيدة أُخرى يفاخره أيضاً فيها بآبائه وهي:

---

١ و ٢. ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤١٨.

٣. أخرج ابن مندة وابن أبي الدّنيا وابن عساكر عنهم شواهد المغنيّ ج ١ ص ١٦ عن مغيرة قال: «لم يكن أحداً من أشراف العرب بالباديّة كان أحسن ديناً من صعصعة جدّ الفرزدق وهو الّذي أحيا الف موؤدة وحمل على ألف فرس».

٤. كثيراً ما يفتخر الفرزدق بدارم لكن لم أجد هذا البيت في ديوانه، ولعلّه من المنسوبات إليه ونقل ابن منظور فى لسان العرب ج ٣ ص ٢٧٥/ مادة عبد بيتاً عن الفرزدق مصراعه الثّانى كذلك وصدره «اولئك قوم إن هجونى هجوتهم.

إن تك كلباً من كليب فإنني * من الدارميّين الطوال الشقاشق
هم الداخلون البيت لاتدخلونه * على الملك والحامون عند الحقائق [١]

هذا وقال (الخوئى) بعد نقل قول المصنّف: وأردت أن يسوغ لى التمثّل في الافتخاربه عليه السّلام بقول الفرزدق: أولئك ـ البيت: وأنا أيضاً أتمثّل بذلك وأفتخر به كالسيد لكوننا فرع أصل واحد وغصن دوحة واحدة.[٢]

قلت: إنّ الرضيّ رضوان الله عليه لم يرد الإفتخاربه عليه السّلام بانتسابه إليه وكونه علوياً لأنّه ليس كلامه في قبال رجل غير علويّ بل أراد الافتخار به عليه السّلام بايتمامه به في قبال العامّة المؤتمّين بأُولئك الثلاثة بأنّه هل الإمام من يكون له مثل هذه المناقب أو من يكون له تلك المثالب، ومن يكون له مثل هذه الفصاحة الخارجة عن طوق البشر أو من عجز عن التكلم بكلمات يسيرة؟ قال أبوعبيدة: قال عمر: ما تصعدتني خطبة كما تصعدتني خطبة النكاح،[٣] وقال الجاحظ في بيانه: صعد عثمان المنبر فارتجّ عليه، فقال: إنّ أبابكر وعمر كانا يعدّان لهذه المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها.[٤]

قلت: وحيث إنّ عثمان وهو ذونوريهم لم يقدر على خطابة مختصرة واعتذر باحتياج الناس إلى عدل الإمام لا خطابته ليته وفي لهم ولم يعمل من الجور ما يضطر الناس إلى قتله، وحينئذ فتمثّل الرضيّ ـ رحمه الله ـ في معنى قوله تعالى مشيراً إلى قضية العقول: «.. أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»[٥] وحينئذٍ فيمكن أن يتمثّل به كلّ اماميّ وشيعة فكلّ امامي علويّ وكان مصطلحاً «فلان علويّ، وفلان عثمانيّ» يريدون بالأوّل الإماميّ وبالثاني المخالف. مع أنّ للرضيّ خصوصيّة في انتسابه إليه عليه السّلام،

---

١. يوجد البيت الأوّل في ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٤ لكن الثاني لم أجده فيه.
٢. شرح الخوئي ج ١ ص ٩٠. قال الخوئي عقيب كلامه هذا: «وانتهاء نسبي ونسب السّيد إلى العبد الصّالح موسى بن جعفر(ع).
٣. نقله الجاحظ في البيان والتّبين ج ١ ص ١٦١.
٤. نقله الجاحظ في البيان والتّبين ج ١ ص ٣٥٩.
٥. يونس ــ ٣٥.

وهي كون انتسابه إليه عليه السّلام من قبل الأب والأمّ مع قلّة الوسائط، فأبوه الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السّلام، وأمّه فاطمة بنت الحسن الناصر الصغير ابن أحمد بن الحسن الناصر الكبير ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن عمر الأشرف ابن عليّ السجّاد عليه السّلام كما ذكر ذلك أخوه المرتضى في أوّل ناصرياته.[١]

وأمّا قول (ابن أبي الحديد): أمّه فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمر[٢] فوهم فأهل البيت أدرى بما في البيت.

وقد مدح أبو اسحاق الصابي الرّضيّ في نسبه العالي وشرفه النفسي في قبال حاسديه ومعارضيه بقوله:

ألا أبلغا فرعاً نمته عروقه * إلى كلّ سام للمفاخر بان
محمّد المحمود من آل أحمد * أبا كلّ بكر في العلي وعوان
أبا حسن قطعت أحشاء حاسد * طواها على البغضاء والشنآن
يراك بحيث النجم تصدع قلبه * بحدّ لسان أو بحدّ سنان
جرى جاهداً والعفو منك يفوته * فكان هجيناً طالباً لهجان
وأنت سماء في الذؤابة صاعد * وذاك حضيض في القرارة عان[٣]

و مراده بمحمّد المحمود الرضيّ كما أنّه هو المراد بقوله أبا حسن.

وَرَأَيْتُ كَلامَهُ عليه السّلام يَدُورُ عَلىٰ أَقْطابٍ.

والأصل في القطب قطب الرّحى.

ثَلاثَةٍ: أَوَّلُها اَلْخُطَبُ وَالأَوامِرُ.

والنّواهى.

---

١. فى الناصريّات ص ١٧٨ فاطمة بنت أبي محمّد الحسن وفي نسخة أبي الحسن ابن أحمد أبي الحسين أحمد صاحب جيش أبيه الناصر الكبير أبي محمّد الحسين بن أحمد بن الحسين بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن على بن عمر وفى نسخة أبى محمّد الحسين بن على بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ السجّاد زين العابدين.

٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١١.

٣. من قصيدة طويلة للصابي فى مدح الشريف الرّضيّ نقله الثعالبي معاصرهما في يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٠٠.

وَ ثانيها: اَلْكُتُبُ وَ الرَّسائِلُ.

والرّسائل أعمّ من الكتب فيمكن أن تكون الرّسائل برسل يؤدّون المطالب شفاهاً.

وَ ثالِثُها: اَلْحِكَمُ وَ الْمَواعِظُ.

الّتي لم تكن في خطبة أو كتاب ورسالة، وبالقيد يكون الثّالث قسيماً للأوّلين وإلّا ففي الخطب والكتب أيضاً حكم ومواعظ كثيرة، وقد ذكرنا في أكثر عناوين الأبواب الثلاثة مدارك وأسانيد لكونها كلامه عليه السّلام. فإنكار النّصاب لكون النّهج كلامه عليه السّلام غير مسموع في قبال البيّنة مع أنّ كثيراً منه بل جلّه يصحّح متنه وسنده لاسيّما الشّقشقيّة الّتي أنكروها خصوصاً.[١]

وقال (ابن أبي الحديد) عند قوله عليه السّلام «واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرّقيق صبر على النّار»: إنّ كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إنّ كثيراً من نهج البلاغة كلام مُحدث صنعه قوم من فصحاء الشّيعة. قال وربّما عزَوا بعضه إلى الرّضيّ وغيره قال: وهؤلاء قوم أعمت العصبيّة أعينهم فضلّوا عن النّهج الواضح وركبوا بنيّات الطّريق ضلالاً وقلّة معرفة بأساليب الكلام. قال وانا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط.

فأقول: لايخلو إمّا أن يكون كلّ نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه والأوّل باطل بالضّرورة لأنّا نعلم بالتّواتر صحّة اسناد بعضه إليه عليه السّلام، وقد نقل المحدّثون كلّهم أو جلّهم والمورّخون كثيراً منه، وليسوا من الشّيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك، والثاني يدلّ على ما قلناه لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان وصارله ذوق في هذا الباب لابدّ أن يفرّق بين الكلام الرّكيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولّد، وإذا وقف على كرّاس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة من البلغاء أو لاثنين منهم فقط فلابدّ أن يفرّق بين الكلامين ويميّز بين الطّريقتين، ألاترى أنّا مع معرفتنا بالشّعر ونقده لو

١. أمّا إنكار كلّ نهج البلاغة فنقله ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٥٢٦/ شرح خطبة ١٨١ عن بعض، وأمّا إنكار الشّقشقيّة فنقله ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٦٩/ شرح خطبة ٣ وابن ميثم في شرحه ج ١ ص ٢٥١/ شرح خطبة ٣ ويأتي تفصيل بحثه في عنوان ٣٠ من الفصل الثّامن.

تصفّحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض. ألا ترى أنّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه لمباينتها لمذهبه فى الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنّه ليس من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء ولم يعتمدوا في ذلك إلّا على الذّوق خاصّة، وأنت إذا تأمّلت نهج البلاغة وجدته كلّه ماءً واحداً ونفساً واحداً وأُسلوباً واحداً كالجسم البسيط الّذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقى الأبعاض في الماهيّة، وكالقرآن العزيز أوّله كأوسطه وأوسطه كآخره وكلّ سورة منه وكلّ آية مماثلة في المآخذ والمذهب والفنّ والطّريق والنّظم لباقي الآيات والسّور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك. فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضه منحول إليه عليه السّلام.[1]

قلت: وما ذكره في غاية الجودة لكن يستثنى منه ما أشرنا إليه في أوّل الكتاب[2] فليحذف كما حذف من شعر أبي تمام وأبي نواس بالقاعدة الّتي ذكرها، وقد برهنّا على ما قلنا عند شرح عناوين ما ذكرنا هذا والذى يظهر من كتب اللغة كالصحاح والأساس[3] وغيرهما عدم صحّة استعمال «كرّاس واحد» بل «كرّاسة واحدة» وكون الكرّاس جمعاً. ثمّ إنّ إخواننا جاوزوا الحدّ في الحطّ من قدره عليه السّلام اقتداء بسلفهم. فتارة أنكروا بعض كلامه كونه منه كالشّقشقيّة وغيرها[4]، وأخرى نسبوا كلامه عليه السّلام إلى غيره فنسبوا كلامه عليه السّلام «أيّها الناس إنّا قد أصبحنا في دهر عنود» إلى معاوية[5] كلّ ذلك إرادة لإطفاء نوره عليه السّلام ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره.

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥٢٦/ شرح خطبة ١٨١.

٢. مرّ فى مقدمة المؤلّف.

٣. صحاح اللّغة للجوهريّ ج ٢ ص ٩٢٧/ مادّة «كرس» وأساس البلاغة ص ٣٩٠/ مادّة «كرس» ولسان العرب ج ٦ ص ١٩٣/ مادّة «كرس».

٤. كما سبق فى شرح الفقرة.

٥. رواها الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ٥٨ عن معاوية ثمّ أنكر كونها له ورواها عن معاوية أيضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٧ وابن عبد ربّة فى العقد الفريد ج ٤ ص ١٥٢ وأشار إلى ←

فَاَجْمَعْتُ.

أي عزمت.

بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعالىٰ عَلَى الْإِبْتِداءِ بِإِخْتِيارِ مَحاسِنِ الْخُطَبِ. ثُمَّ مَحاسِنِ الْكُتُبِ. ثُمَّ مَحاسِنِ الْحِكَمِ وَالْأَدَبِ.

لا كلّ خطبة وكتاب وكلام له عليه السّلام.

مُفْرِداً لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذٰلِكَ.

الّذي ذكر من الخطب والكتب والأدب.

باباً.

وتعبيره في الأبواب الثلاثة مختلف. ففي الأوّل يقول: ومن خطبة له عليه السّلام، أو ومن كلام له عليه السّلام، وفي الثّاني في الأغلب يقول: ومن كتاب له عليه السّلام، وقد يقول: ومن وصيّة له عليه السّلام كما في ١١ و ١٢ و ١٤ و ٢٤ و ٢٥ و ٣١ و ٤٧ و ٥٦ و ٧٦ و ٧٧ [١] وقال في ٧٤: ومن حلف له عليه السّلام كتبه بين ربيعة واليمن [٢] وقد يقول: ومن عهد له عليه السّلام كما في ٢٦ و ٢٧ [٣] وقد يقول: وكان عليه السّلام يقول. كما في ١٥ و ١٦ [٤] وفي الثالث يقول: قال عليه السّلام. لكن الغريب أنّه قال في خطبة ٥٩: وقال عليه السّلام لمّا عزم على حرب الخوارج وقال بعده: ولمّا قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم. قال عليه السلام، وقال بعده: وقال عليه السّلام فيهم لاتقتلوا الخوارج، بعدي [٥]. مع أنّ عنوانها عنوان الباب الأخير كما أنّ كلاًّ منها كلام قصير. فكان الواجب نقلها في الأخير. اللّهمّ إلّا أن يقال بأنّها ليست عناوين مستقلّة بل كلّها عطف على قوله قبلها: ومن كلام له عليه السّلام كلّم به الخوارج.

ـــ نقلها عن معاوية الرّضيّ في نهج البلاغة ج ١ ص ٧٩ وتأتي الخطبة وبحثها في عنوان ١ من الفصل الخامس والعشرين في شرح خطبة ٣٢.

١. نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤ و ٢٢ و ٢٣ و ٣٧ و ٧٦ و ١١٣ و ١٣٦.

٢. نهج البلاغة ج ٣ ص ١٣٤.

٣. نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦ و ٢٧.

٤. نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥ و ١٦.

٥. نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٧.

وقال في خطبة ٦٨: وقال عليه السّلام في سحرة اليوم الّذى ضرب فيه[١].
مع أنّه كان الواجب جعله في الثالث، ولا يأتي فيه تأويل ذكر لسابقه.

وَمُفَصَّلاً.

و في (ابن أبي الحديد والخطّيّة) ومفضّلاً بالمعجمة.[٢]

فيهِ أَوْراقاً لِتَكُونَ.

الأوراق.

مُقَدِّمَةً.

هكذا في المصريّة، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم)[٣].

لِاسْتِدْراكِ ما عَساهُ.

أي لعلّه.

يَشُذُّ.

أي يتفرّق.

عَنّي.

وقد شذّ عنه كلام كثير منه عليه السّلام ممّا يدخل في موضوع كتابه ممّا له مزيد بلاغة في الأبواب الثلاثة، ولاسيّما في الأوّل والأخير.

عاجِلاً.

أي في الحال.

وَيَقَعُ إِلَيَّ آجِلاً.

أي بعد، وقد عرفت من (ابن أبي الحديد، وابن ميثم) أنّ المصنّف ختم الكتاب بعنوان «رب مفتون» حكمة ٤٦٢، ثمّ ألحق به ثمانية عشر عنواناً وعرفت من الرّاوندي أنّه زاد في أوّل ٢٣٤ و ٢٣٥.[٤]

وَإِذا جاءَ شَيْءٌ مِنْ كَلامِهِ عَلَيْهِ السَّلامِ الْخارِجِ فى أَثْناءِ.

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ١١٨.
٢. فى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠ أيضاً مفصّلاً بالصّاد المهملة.
٣. لا يوجد فى شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩٠ لكن يوجد فى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦.
٤. قد مرّ في مقدّمة المؤلّف.

جمع ثنى بالكسر.

حِوارٍ.

مصدر حاور كالمحاوره مثل نقله ردّه عليه السَّلام اعتراض الأشعث عليه في أثناء خطبته.[١]

أَوْ جَوابِ سُؤالٍ.

كنقله كلامه عليه السَّلام في جواب من سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به.[٢]

أَوْ غَرَضٍ.

أي مقصد.

آخَرَ مِنَ الْأَغْراضِ.

كنقله كلامه عليه السَّلام في هرب مصقلة[٣] وفي عدم غناء بيعة مروان بكفّه[٤] وفي إشارته عليه السَّلام على عمر بعدم خروجه بنفسه في حرب الفرس وكذا الرّوم.[٥]

في غَيْرِ الْأَنْحاءِ.

أي الأقسام.

الَّتِى ذَكَرْتُها، وَقَرَّرْتُ الْقاعِدَةَ عَلَيْها.

من الخطب والأوامر، والكتب والرسائل، والحكم والمواعظ.

نَسَبْتُها إِلىٰ أَلْيَقِ الْأَبْوابِ بِهِ.

في مقصده.

وَأَشَدِّها مُلامَحَةً.

يقال: لمح البرق إذا لمع من بعيد.

لِغَرَضِهِ.

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ٥٦/ خطبة ١٩.
٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٣/ خطبة ١٦٠.
٣. نهج البلاغة ج ١ ص ٩٤/ خطبة ٤٤.
٤. نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٣/ خطبة ٧١.
٥. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩/ خطبة ١٤٤.

فنقل جميع ما مرّ في الباب الأوّل لكون كلامه عليه السّلام فيها كالخطب والأوامر كما نقل وصيّته عليه السّلام لجيشه[١]، ووصاياه عليه السّلام في أمواله[٢]، ووصيّته عليه السّلام بعد ضرب ابن ملجم عليه اللّعنة للحسن والحسين عليهما السّلام، ووصيّته عليه السّلام لابنه الحسن عليه السّلام[٣]، ووصيّته لابن عبّاس لمّا ولّاه[٤]، ووصيّته عليه السّلام له لمّا بعثه إلى الخوارج[٥]، ونحوها في الباب الثاني لكونها كالكتب والرسائل، كما نقل غريب كلماته عليه السّلام في الباب الثّالث لكونها كالحكم والأدب لكنّه قد يخرج عمّا قرّر. فنقل تحريضاً له عليه السّلام لأصحابه في الثاني[٦] مع أنّه بالأوّل أليق، وقد نقل تحريضاً آخر له عليه السّلام في الأوّل[٧] على أصله، ونقل كلامه عليه السّلام في معنى الأنصار في السّقيفة في الأوّل[٨] مع أنّه بالثالث أليق، ونقل كلاماً آخر له عليه السّلام في المعنى في الثالث[٩] على أصله.

وأمّا نقله أدعيته عليه السّلام في الأبواب الثّلاثة، فلكون نسبتها إليها على السّواء، وإن كان نقل جميعها في الثالث أولى حيث إنّه أعمّ لأنّه قال فيه: ويدخل فيه الكلام القصير الخارج في سائر أغراضه بخلاف الأوّلين.[١٠]

هذا وقال (ابن أبي الحديد) في أوّل الباب الثاني بعد نقل كلام المصنّف: باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السّلام وقد أورد في هذا الباب ما هو بالباب الأوّل أشبه نحو كلامه عليه السّلام لشريح القاضي لمّا اشترى داراً[١١]،

---

١. نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢/ كتاب ١١.
٢. نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢/ كتاب ٢٤.
٣. نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٦/ كتاب ٤٧.
٤. نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٧/ كتاب ٣١.
٥. نهج البلاغة ج ٣ ص ١٣٦/ كتاب ٧٦.
٦. نهج البلاغة ج ٣ ص ١٣٦/ كتاب ٧٧.
٧. الظّاهر أنّ كليهما كلامان في نهج البلاغة ج ٢ ص ٢/ خطبة ١٢١ وج ٢ ص ٢٣٢/ خطبة ٢٣٩.
٨. نهج البلاغة ج ١ ص ١١٦/ خطبة ٦٥.
٩. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٣/ حكمة ١٩٠.
١٠. نهج البلاغة ج ٤ ص ٣/ باب الحكم.
١١. نهج البلاغة ج ٣ ص ٤/ كتاب ٣.

وكلامه عليه السّلام لشريح بن هاني لمّا جعله على مقدّمته إلى الشام[١،٢]، لكنّه اعتراض ساقط أمّا كلامه عليه السّلام لشريح القاضي. فقال: ومن كتاب له عليه السّلام كتبه لشريح فكيف ينقله في الخطب، ولولا كونه كتاباً وإن كان كتاب شراء دار لكان بالباب الأخير أشبه لأنّه في الحكم والمواعظ، وأمّا كلامه عليه السّلام لشريح بن هاني، فعنوان المصنّف له: ومن وصيّة له عليه السّلام وصىّ بها شريح بن هاني، وقد قال في أوّل الباب الثاني: ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عمّاله ووصاياه لأهله وأصحابه.[٣] فهل هو إلّا من عهوده عليه السّلام إلى عمّاله، وإن شئت قلت: هو من وصاياه إلى أصحابه، ومفاسد قلّة التدبّر كثيرة.

وَرُبَّما جاءَ فى ما ٱخْتارَهُ مِنْ ذٰلِكَ.

فى الأبواب الثّلاثة من كلامه.

فُصُولٌ غَيْرُ مُتَّسِقَةٍ.

الثّالث مع الثّاني، والثّاني مع الأوّل.

وَمَحاسِنُ كَلِمٍ غَيْرُ مُنْتَظِمَةٍ.

في مقصد واحد.

لِأَنّى أُوْرِدُ ٱلنُّكَتَ.

جمع النّكته، والأصل في النكت أن تنكت في الأرض بقضيب ونحوه أي تضرب فتؤثّر فيها.

وَ ٱللُّمَعَ.

جمع اللّمعة، والأصل فيها قطعة من النّبت إذا أخذت في اليبس.

وَلا أَقْصِدُ ٱلتَّتالِىَ وَ ٱلنَّسَقَ.

والأصل في النّسق الإستواء، والمصنّف وإن كان يختار فصولاً غير متّسقة ومحاسن كلم غير منتظمة إلّا أنّه ينبّه على عدم اتّساقها وانتظامها بقوله: «منها» و «ومنها» و «منه» و «ومنه» كقوله في أوّل الباب الأوّل: «منها في ذكر

---

١. نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٣/ كتاب ٥٦.
٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٤.
٣. نهج البلاغة ج ٣ ص ٢/ باب الكتب.

الحج»[١] وفي ثانيه: «ومنها يعنى آل النبيّ صلّى الله عليه وآله»[٢] وأتى بلفظة «منها» في خطبة ٨١[٣] وفي خطبة «فاتّعظوا عبادالله»[٤] وفي خطبة الأشباح[٥]، وفي خطبة «فتبارك الله»[٦] وفي خطبة «انظروا إلى الدّنيا»[٧] وفي خطبة «الحمدلله الّذي شرع الإسلام»[٨] وفي خطبة الملاحم[٩] وفي خطبة «كلّ شيء خاشع له»[١٠]وفي خطبة «أرسله داعياً إلى الحقّ»[١١]وفي «ومن كلام له عليه السّلام قاله لاصحابه في ساحة الحرب»[١٢]وفي خطبة ملاحم البصرة[١٣]وفي خطبة «نحمده على ما أخذ وأعطى»[١٤]وفي كلامه عليه السّلام «وانقادت له الدّنيا والآخرة»[١٥]وفي كلام له عليه السّلام في معنى طلحة والزبير[١٦]وفي خطبة «وأستعينه»[١٧]وفي خطبة «الحمدلله الدالّ على وجوده»[١٨] وفي خطبة «وناظر قلب اللّبيب»[١٩]وفي كلام في الملاحم[٢٠]وفي خطبة «أرسله على

١. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٧/ خطبة ١.
٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٧/ خطبة ٢.
٣. نهج البلاغة ج ١ ص ١٣٢.
٤. نهج البلاغة ج ١ ص ١٤٨ و ١٤٩/ خطبة ٨٢ اولها «عجباً لابن التّابغة» ليس فيها لفظة «منها» أصلاً.
٥. نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٠/ خطبة ٨٩.
٦. نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٤/ خطبة ٩٢.
٧. نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٧/ خطبة ١٠١.
٨. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٣/ خطبة ١٠٤.
٩. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٦/ خطبة ١٠٦.
١٠. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٩/ خطبة ١٠٧.
١١. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢٩/ خطبة ١١٤.
١٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢/ خطبة ١٢١.
١٣. نهج البلاغة ج ٢ ص ٩/ خطبة ١٢٦.
١٤. نهج البلاغة ج ٢ ص ١٤/ خطبة ١٣٠.
١٥. نهج البلاغة ج ٢ ص ١٦/ خطبة ١٣١.
١٦. نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩/ خطبة ١٣٥.
١٧. نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧/ خطبة ١٤٩.
١٨. نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٩/ خطبة ١٥٠.
١٩. نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٣/ خطبة ١٥٢.
٢٠. نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٧/ خطبة ١٥٤.

حين فترة»[١] وفي خطبة «أمره قضاء وحكمة»[٢] في بعضها مرّة وفي بعضها مرّتين وفي بعضها ثلاث أو أكثر.

وكقوله في الباب الثّاني في ٦ «منه»[٣] و في ٢٤ «منها»[٤] وفي ٢٧ «ومنه»[٥] وفي ٤٥ «ومن هذا الكتاب»[٦] وفي ٦٢ «ومنه»[٧].

وحمل كلامه على أنّ مراده أنّه قد يسرد خطبة أو كتاباً، ويكون فيها فقرات غير متّسقة كما فهمه (ابن أبي الحديد) فيقول في مطاوى كتابه كثيراً، إنّ كلام الرضيّ ملتقط من فصول مختلفة[٨] بعيد حيث انّه خارج عن أصل المقصود من الإستفادة، وغاية ما وقفنا عليه مثل خلطه بين كلامه عليه السّلام في خرّيت النّاجى وأصحابه من قوله «أأمنوا فقطنوا» وبين كتابه عليه السّلام فيهم من قوله: «فحسبهم بخروجهم»[٩] إلاّ أنّه ككلام واحد.

وأمّا ما ترى من اختلاف ما نقل مع ما وقفنا عليه من أُصول كلامه، فالظّاهر كونه من اختلاف الرّوايات؛ مثلاً قوله عليه السّلام في خطبة ٤٣ في عنوان كلامه عليه السّلام بعد إرساله جريربن عبدالله البجلي إلى معاوية «ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه ــ إلخ»[١٠] وجدته قاله أيّام صفّين، وقوله عليه السّلام فيه أيضاً «إنّه قد كان على النّاس وال أحدث أحداثاً»[١١] وجدته في كتابه عليه السّلام

---

١. نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٣ / خطبة ١٥٦.
٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٥ / خطبة ١٥٨.
٣. ليس فى نهج البلاغة ج ٣ ص ٧ لفظة «منه».
٤. نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٢ / كتاب ٢٤.
٥. نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧ / كتاب ٢٧.
٦. ليس فى نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٣ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ١٠١ لفظ «ومن هذا الكتاب» بل فى شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٠٨.
٧. نهج البلاغة ج ٣ ص ١١٨ / كتاب ٦٢.
٨. قاله ابن أبي الحديد فى شرحه ج ١ ص ٢٠٧ و ٢١٢ و ٢٧٢ و ج ٣ ص ١٨٨ و ٣٠٧ و ٤١٧ / فى شرح خطب ٣٧ و ٣٨ و ٤٥ و ٢٣٣ و كتابي ٩ و ١٠.
٩. نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠٢ / خطبة ١٧٩.
١٠. نهج البلاغة ج ١ ص ٩٤.
١١. ذيل خطبة ٤٣.

إلى أهل مصر، إلى غير ذلك ممّا ستقف عليه في مطاوى الكتاب إن شاء الله تعالى. وبالجملة قد ينقل المصنّف كلاماً في موضوع وردت أجزاؤه فى أخبار فيجعلها واحداً بجامعها. فكلامه عليه السّلام في خطبة ١٢٢ [١] مأخوذ من ستّ روايات إلّا أنّها كلّها في التحريض على القتال وكذلك كلامه عليه السّلام في خطبة ١٢٣ في التحكيم [٢] مأخوذ من ثلاث روايات.

وَمِنْ عَجائِبِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّتى انْفَرَدَ بِها، وَأَمِنَ الْمُشارَكَةَ فيها أَنَّ كَلامَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ الْوارِدَ فِى الزُّهْدِ، وَالْمَواعِظِ، وَالتَّذْكيرِ وَالزَّواجِرِ إِذا تَأَمَّلَهُ الْمُتَأَمِّلُ، وفَكَّرَ فيهِ الْمُتَفَكِّرُ، وَخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ كَلامُ مِثْلِهِ مِمَّنْ عَظُمَ قَدْرُهُ وَنَفَذَ أَمْرُهُ وَأَحاطَ بِالرِّقابِ مُلْكُهُ. لَمْ يَعْتَرِضْهُ الشَّكُّ فى أَنَّهُ كَلامُ مَنْ لا حَظَّ لَهُ فى غَيْرِ الزَّهادَةِ. وَلا شُغْلَ لَهُ بِغَيْرِ الْعِبادَةِ.

قد تعجّب الثعالبي [٣] من أبي سهل الحمدوني الّذي كان والى الريّ، وقال أبياتاً يسيرة في الزّهد، فكيف لا يتعجّب منه عليه السّلام مع ما وصف.

قَدْ قَبَعَ.

والأصل فيه قبع القنفذ أدخل رأسه في جسده.

في كِسْرٍ.

بالكسر عن ابن السكّيت. الكسر أسفل شقّة البيت الّتي تلي الأرض من حيث يكسر جانباه من عن يمينك ويسارك. [٤]

بَيْتٍ.

أي خباء.

اَوِ انْقَطَعَ.

عن الناس.

في.

هكذا في المصريّة، والصّواب ما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة)

---

١. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢.
٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ٥.
٣. لم أر ذلك فى يتيمة الدهر.
٤. نقله عنه الجوهريّ فى صحاح اللّغة ج ٢ ص ٨٠٦/ مادة كسر.

«إلى». [١]

سَفِح.

أي أسفل.

جَبَلٍ لا يَسْمَعُ اِلاّ حِسَّهُ.

أي صوته الخفيّ.

وَ لا يَرىٰ اِلاّ نَفْسَهُ.

كسقراط الحكيم. في أخبار حكماء القفطي: يعرف سقراط بسقراط الحبّ لأنّه سكن حباً مدّة عمره، ولم ينزل بيتاً، وكان يشتمل بكساء، ولم يتّخذ لنفسه غيره، قتله ملك زمانه إذ زجره عن القبائح والفحشاء. قال له الملك: أنت لي عبد. قال: بل أنت عبد لعبدي. قال: كيف؟ قال: لأنّي رجل أملك شهوتي، وملّكك شهوتك. [٢]

وَ لا يَكادُ يُوقِنُ بِأنَّهُ كَلامُ مَنْ يَنْغَمِسُ.

أي يرتمس.

فِى الْحَرْبِ مُصْلِتاً.

من أصلت سيفه جرّده من غمده.

سَيْفَهُ فَيَقُطُّ.

أي يقطع عرضاً من قطّ القلم ويقال قطّ البيطار الحافر إذا نحته.

الرِقابَ وَيُجَدِّلُ.

أي يلقى على الجدالة، وهي الأرض.

الأَبْطالَ.

جمع «البطل» بفتحتين أى الشجعان. وفى صفّين نصربن مزاحم: وبرز عروة الدّمشقى لمّا دعا أميرالمؤمنين عليه السّلام معاوية إلى المبارزة. فأبى

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦ و شرح ابن‌ميثم ج ١ ص ٩٠.

٢. كذا فى أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٥ و النقل بتصرّف.

وقال الشّهر ستانيّ في صفة السّقراط في كتاب الملل والنّحل ج ٢ ص ٩١: «وكان يخوف بالملك الّذى حبسه انّه يريد قتله قال: انّ سقراط فى حب والملك لايقدر الا على كسر الحب فالحب يكسر ويرجع الماء إلى البحر».

معاوية فقال إن كان معاوية كره مبارزتك يا ابا الحسن فهلمّ إليّ. فتقدّم اليه علي عليه السّلام. فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس لك بخطر. فقال عليه السّلام: «والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه دعوني وإيّاه» ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمنة والأخرى يسرة فارتجّ العسكران لهول الضربة. ثمّ قال عليه السّلام: اذهب يا عروة فاخبر قومك أمّا والّذي بعث محمّداً بالحقّ لقد عاينت النّار وأصبحت من النّادمين.[١]

وَيَعُودُ بِهِ.

أي بسيفه.

يَنْطِفُ.

أي يسيل.

دَماً وَيَقْطُرُ مُهَجاً.

جمع مهجة دم القلب والرّوح، وكونه عليه السّلام كذلك من الواضحات، وقد كانوا سمّوه قتّال العرب، وكان عليه السّلام يقول: «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها»[٢] وكان عليه السّلام يقول «ما لقيت رجلاً إلّا أعانني على نفسه»[٣] أي انخلع قلبه، وانقطعت مريرته من هيبته عليه السّلام.

وفي تاريخ الطّبري عن أبي لبيد قال: قتل (عليّ) منّا (يوم الجمل) ألفين وخمسمأة والشّمس هيهنا، أي في بعض يوم[٤]، وفيه عن ابن أبي يعقوب يقول: قتل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يوم الجمل ألفين وخمسمأة، ألف وثلاثمأة وخمسون من الأزد، وثمانمأة من بني ضبة، وثلاثمأة وخمسون من سائر الناس.[٥]

---

١. وقعة صفّين ص ٤٥٨.

٢. أخرجه الشّريف الرّضيّ في نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٣ ضمن كتاب ٤٥.

٣. أخرجه الشّريف الرّضى في نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٥/ حكمة ٣١٨.

٤. تاريخ الطّبرى ج ٣ ص ٥٤٧/ سنة ٣٦ ونقله عن أبي لبيد أيضاً المسعودي في مروج الذّهب ج ٢ ص ٣٧١.

٥. تاريخ الطّبرى ج ٣ ص ٥٤٧/ سنة ٣٦ وهناك روايات أخرى فى عدد قتلى وقعة الجمل في تاريخ الطّبرى ج ٣ ص ٥٤٣ و ٥٤٧/ سنة ٣٦ ومروج الذّهب ج ٢ ص ٣٧١.

وفي صفّين نصر عن جابر بن عمير الأنصارى: لا والله الّذي بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله بالحق نبيّاً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السّماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليه السّلام أنّه قتل في ما ذكر العادّون زيادة على خمسماة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنياً. فيقول معذرة إلى الله عزّوجلّ: وإليكم من هذا لقد هممت أن اصقله ولكن حجزني عنه إنّي سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول كثيراً: «لاسيف إلّا ذوالفقار، ولافتى إلّا عليّ، وأنا أُقاتل به دونه» قال: فكنّا نأخذه فنقومّه، ثمّ يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصفّ، فلا والله ماليث بأشدّ نكاية فى عدوّه منه عليه السّلام.[1]

وَهُوَ مَعَ تِلْكَ الْحالِ.

من التّصدّى للقتال وقتل الأبطال.

زاهِدُ الزُّهادِ.

فقد طلّق عليه السّلام الدنيا ثلاثاً وقال لها: «غرّى غيرى»[2] وكان يقول: «ما لعليّ ولنعيم يفنى، ولذّة لاتبق»[3] وكان عليه السّلام يقول: «دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز»[4] وكان عليه السّلام ينام على التّراب حتّى كنّاه النبيّ صلّى الله عليه وآله بأبي تراب[5] وكان أحبّ كناه إليه عليه السّلام[6] وتضاد روحيات من له تلك الحالة في الحرب، ومن كان بهذه الدرجة من الزّهد معلوم.

١. وقعة صفّين ص ٤٧٧.

٢. هذه قطعة من حديث ضرار بن ضمرة الضّبابيّ قالها عند معاوية أخرجه الشّريف الرّضيّ في نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦/ حكمة ٧٧.

٣. أخرجه الشّريف الرّضى في نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٨ ضمن خطبة ٢٢٢.

٤. أخرجه الشّريف الرّضى في نهج البلاغة ج ١ ص ٣٧ ضمن خطبة ٣ المعروفة بالشّقشقيّة.

٥. الرّواية واقعة خاصّة لا أمر مستمّر وبين متن الرّوايات إختلاف منها ما أخرجه النّسائى في الخصائص ص ١٢٩ وأحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٦٣ و أبويعلى في مسنده عنه المطالب العاليّة ج ٤ ص ٦٤ ح ٣٩٦٩ وأبوالفرج بروايتين في مقاتل الطّالبيّين ص ١٤ و ١٦ و أبونعيم فى المعرفة والطّبرانيّ في معجمه الكبير عنها منتخب كنزالعمّال ج ٥ ص ٣٦ وابن المغازليّ في المناقب ص ٨ ح ٥ وابن مردويه بروايتين عنه ألقاب الرّسول ص ١٧٧ و١٧٨ وبعض الرّوايات يشتمل عن حصول اختلاف بين عليّ وفاطمة (ع) لم اخرجها لكثرة طرقها مع ضعف متنها.

٦. أكثر روايات تكنية النّبي (ص) علياً بأبى تراب السابقة يشتمل على كونها أحب كناه إليه (ع).

وقال (ابن أبي الحديد) عند قوله عليه السّلام: «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلّطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم»: إنّي لأُطيل التعجّب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أنّ طبعه مناسب لطباع الأُسود والنمور وأمثالها من السّباع الضّارية. ثمّ يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدلّ على أنّ طبعه مشاكل لطباع الرّهبان لابسى المسوح الّذين لم يأكلوا لحماً، ولم يريقوا دماً. فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، وعتيبة بن الحرث اليربوعيّ، وعامربن الطفيل العامريّ، وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليونانيّ، ويوحنّا المعمدان الإسرائيليّ، والمسيح بن مريم الإلهيّ، وأُقسم بمن تقسم الأُمم كلّها به. لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرّة ما قرأتها قطّ إلّا وأحدثت عندى روعة وخوفاً وعظة، وأثّرت في قلبي وجيباً، وفي أعضائي رعدة، ولا تأمّلتها إلّا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي، وأرباب ودّي، وخيّلت في نفسى أنّي أنا ذلك الشّخص الّذي وصف عليه السّلام حاله.[1]

وَبَدَلُ الْأَبْدالِ.

أي وليّ الأولياء، وفي اللّسان: والأبدال قوم من الصّالحين بهم يقيم الله الأرض أربعون في الشام وثلاثون في سائر البلاد لايموت منهم أحد إلّا قام مكانه آخر، فلذلك سمّوا أبدالاً وواحد الابدال العبّاد بِدل وبَدل، وقال ابن دريد: بديل[2]، وروى ابن شميل بسنده حديثاً عن عليّ ــ كرّم الله وجهه ــ أنّه قال: الأبدال بالشّام والنّجباء بمصر والعصائب بالعراق[3]، قال ابن شميل: الأبدال خيار بدل من خيار، والعصائب عصبة وعصائب يجتمعون فيكون بينهم حرب ــ إلى أن

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٥١/ شرح خطبة ٢١٩.

٢. جمهرة اللّغة لابن دريد ج ١ ص ٢٤٧.

٣. رواه ابن الأثير فى النّهاية ج ٣ ص ٢٤٣/ مادة «عصب» وأخرجه بفرق لفظى فى شان أصحاب المهدىّ (ع) الدانّي فى سننه عنه عقد الدّرر ص ١٤٩ وابن عساكر في تاريخه عنه ينابيع المودّة ص ٤٣٣ والمفيد في أماليه ص ٣٠ ح ٤/ مجلس ٤ والطّوسيّ في الغيبة ص ٢٨٤ ورواه ابن الأثير في النّهاية ج ٣ ص ٢٤٣/ مادّة «عصب» والأحاديث الواردة في الأبدال كثيرة لايسعها المقام.

قال ــ: قال ابن السّكّيت: الأبدال جمع بَدَل وبدل، وجمع بديل بدلى.[١]

قلت: وأظنّ أنّ الأصل في اصطلاح الأبدال الصّوفيّة وضعوه لمشائخهم، وفي حديثه الأمويّة، وإلّا فأهل الشّام كانوا أطوع النّاس للمخلوق، وأعصاهم للخالق، والأرض لاتخلو من حجّة منذ خلق الناس نبيّ أو إمام، وكيف كان فعلى قول ابن دريد قول المصنّف: «وبدل الأبدال» غير صحيح لكن قول ابن دريد ليس بصحيح والصّواب قول ابن السّكّيت في واحد الأبدال.

وَهٰذِهِ مِنْ فَضائِلِهِ العَجيبَةِ، وَخَصائِصِهِ اللَّطيفَةِ الَّتى جَمَعَ بِها بَيْنَ الأَضْدادِ.

الّتى تكون فى غيره من الحالات.

وما قاله المصنّف من جمعه عليه السّلام بين الأضداد أثبته له القرآن. أوّلاً في قوله عزّوجلّ: «.. أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم[٢]..» ثمّ نفسه عليه السّلام ثانياً في كتابه عليه السّلام إلى عثمان بن حنيف بعد ذكره كون حصر قوته في قرصين لاينا ــ في كون قوّته قوّة تقابل جميع النّاس. فقال عليه السّلام: «وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان» ــ إلخ.[٣]

وقد بلغ عليه السّلام الغاية في العلم والعبادة مع أنّهما كذلك في غيره عليه السّلام متقابلان، ولذا ورد: العالم كذا وكذا والعابد كذا وكذا، وبالجملة وجوده عليه السّلام بتلك الجامعيّة من آيات قدرته تعالى.

ليس على الله بمستنكر ٭ أن يجمع العالم في واحد[٤]

وَأَلَّفَ بَيْنَ الأَشْتاتِ.

أي المتفرّقات في غيره. قال ابن سينا: لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قطّ إلّا عليّ بن أبيطالب عليه السّلام[٥] وقال الثعالبي للمتنبّي إنّك قلت:

---

١. لسان العرب ج ١١ ص ٤٩/ مادة «بدل» وقال قريباً من قوله ابن دريد فى جمهرة اللّغة ج ١ ص ٢٤٧.

٢. الفتح ــ ٢٩.

٣. نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٠/ كتاب ٤٥.

٤. أورده ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٣١ وغيره.

٥. نقله ابن شهر آشوب فى المناقب ج ٢ ص ٤٩.

يرى الجبناء أنّ العجز حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكلّ شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحكيم

وأنى يكون الشجاع حكيماً، فقال هذا عليّ بن أبي طالب ــ كرّم الله وجهه[1] ــ وفي فواتح الميبدي قيل للشافعي: ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ما أقول في شخص اجتمعت له ثلاثة مع ثلاثة لم تجتمع لأحد من بني آدم: الجود مع الفقر، والشّجاعة مع الرّأى، والعلم مع العمل، وأنشد:

أنا عبد لفتى أُنزل فيه هل أتى * إلى متى أكتمه أكتمه إلى متى[2]

وجمع عليه السّلام بين الشّجاعة والجود. قال (ابن أبي الحديد) إنّا: ما رأينا شجاعاً جواداً قط. كان عبدالله بن الزّبير شجاعاً، وكان أبخل الناس، وكان الزبير أبوه شجاعاً، وكان شحيحاً. قال له عمر: لووّليتها لظلت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع والمدّ، وأراد عليّ عليه السّلام أن يحجر على عبدالله بن جعفر لتبذيره المال. فاحتال عبدالله لنفسه فشارك الزبير فى أمواله وتجاراته، فقال عليّ عليه السّلام: أمّا إنّه قد لاذ بملاذ ــ الخ.[3]

قلت: ما ذكره في غاية السّقوط، وكيف لم يوجد شجاع جواداً، وقد أكثر الشّعراء في وصف ممدوحيهم بجمعهم بين الشّجاعة والسّماحة. قال شاعر:

كفّاك كفّ ما تليق درهماً * جوداً وأُخرى يعط بالسيّف الدما

وقال آخر:

علّم الغيث الندى حتّى إذاما * حكاه علّم الناس الأسد
فله الغيث مقرّ بالندى * وله الليث مقرّ بالجلد

و قال آخر:

سماءك تمطر الذّهبا * وحربك يلتظى لهبا
وأيّ كتيبة لاقتك * لم تستحسن الهربا

وافتخروا بالجمع بينهما. قال حسّان،

١. قاله الثعالبي فى يتيمة الدّهر ج ١ ص ٢٠٨.

٢.

٣. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧ وأدام كلامه بضرب أمثلة أُخرى.

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ٭ وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً

ويحكى أنّ النّابغة لمّا سمعه قال له: فللت جفانك وسيوفك. وكيف لم يرشجاعاً جواداً وقد كان أبودلف العجلي في غاية الجود ونهاية الشّجاعة. أمّا جوده فكان إذا أتته الأموال بسطها على الأنطاع ويأمر الشّعراء بنهبها، فيأخذ كلّ بقدر قوّته وقد قيل فيه:

إنّما الدّنيا أبو دلف ٭ بين باديه ومحتضره

فإذا ولّى أبو دلف ٭ ولّت الدنيا على أثره

وقد غضب المأمون عليه وعلى مادحه بها بأنّه لم يبق له بعدالبيتين شيء.

وأمّا شجاعته فكان قد خرج في قافلة إلى مكّة فلمّا تجاوزوا الكوفة حضرت الأعراب وكثرت تريد اغتيالهم، فلمّا سمعوا بأنّ أبادلف فيهم انهزموا من غير حرب، وكان يضرب المثل بشجاعته، ذكر عند المبرّد الحظوظ، فقال: قال شاعر، ولم يكن أراد مدح أبي دلف:

أم هل حسبت سواد اللّيل شجّعني ٭ أوأنّ قلبي في جنبي أبي دلف

فبلغ شعره أبادلف فوجّه إليه أربعة آلاف درهم بلا انتظاره، وكان حاتم الطائي في الجاهليّة ومعن بن زائدة الشيباني في الإسلام جامعين بين السّخاوة والشّجاعة إلّا أنّ أشهريّة سخاوتها أخملت شجاعتها. فقال ابن قتيبة في شعرائه في حاتم: كان حاتم إذا قاتل غلب واذا غنم أنهب.[1]

وفي خطبة جناس قلب بعض الكفعمي في مصباحه: أين من فاق قسّاً في فصاحته وحصافته وشاء حاتماً في سماحته وحماسته.[2]

وجود معن لا يحتاج إلى بيان حتّى قال الشاعر في رثائه مخاطباً لقبره:

وياقبر معن كيف واريت جوده ٭ وقدكان منه البرّوالبحر مترعاً

ويكفي في شجاعته استنقاذه منصوراً من جند أبي مسلم لمّا قتله[3]، وكانوا يعتقدون في أبي مسلم الألوهيّة وكانوا أحاطوا بالمنصور وكان أشرف على الهلاك.

ويزيد بن المهلب كان يضرب المثل بشجاعته وسخاوته. قال كعب

---

١. قاله ابن قتيبة في الشّعر والشّعراء ص ٧٠ والنقل بتصرف يسير.

٢. المصباح للكفعميّ ص ٧٥٩/ فصل ٤٩ والخطبة إنشاء نفس المؤلّف.

٣. روى القصّة المسعوديّ في مروج الذّهب ج ٣ ص ٢٨٦.

الأشقرى فيه:

يداك إحداهما تسق العدوّ بها ٭ سمّا وأُخرى نراها لم يزل ديما

و حكايات جوده في السيّر مسطورة، وارتجّ عليه على المنبر فضربه برجله وقال: فتى حروب لافتى منابر.

ويزيد بن مزيد الشيباني من أمراء هارون كان أيضاً جامعاً بينهما. قال سلم الخاسر فيه:

إنّ لله في البريّة سيفين ٭ يزيداً و خالدبن الوليد

ذاك سيف الّذي في سالف الدهر ٭ و هذا سيف الإمام الرّشيد

ما مقامي على النّدى وقد ٭ فاضت بحور النّدى بكفّى يزيد

و لمّا قدم عليه شاعر باليمن وقال فيه:

يوماه يوم للمواهب والنّدى ٭ خضل ويوم دم وخطف منيه

ولقد أتيتك واثقاً بك عالماً ٭ إن لست تسمع مدحة بنسيّه

قال: صدقت لست أسمع مدحة بنسيّه أعطوه ألف دينار. وفي ذيل الطبّرى كان عبيدالله بن العبّاس سيّداً شجاعاً سخيّاً كان ينحر كلّ يوم جزوراً ــ إلخ [١]، وكان عامّة بني هاشم جامعين بين السّخاوة والشّجاعة.

ثمّ إن لم يكن الشّجاع سخيّاً فن أين يكون بخيلاً حتماً كما يفهمه كلام (ابن أبى الحديد) فأيّ استلزام بينهما. فخالدبن الوليد ومالك الأشتر وهاشم المرقال وجمع آخر لايحصى كانوا من الشجعان ولم يصفهم أحد بالبخل.

وأمّا من نقل بخله مع شجاعته كالزّبير وابن الزّبير وكذا طلحة وعبدالملك وقد ذكرهم (ابن أبى الحديد) في ذيل كلامه، فكان جمع الشحّ والشّجاعة فيهم على حسب الاتّفاق مع أنّهم لم يكونوا ذوى شجاعة فائقة ولاسيّما الأخيران بل الأخير لم يعلم مبارزته لأحد وإنّما كان قسيّاً ذبح ابن عمّه الأشدق بيده وكان مكتوفاً. [٢]

وكيف يكون تناف بين الشّجاعة والسّخاوة ولايكون شخص كاملاً إلّا

١. المنتخب من ذيل المذيل للطبريّ ص ٣٨.

٢. رواه الطبريّ في التاريخ ج ٤ ص ٥٩٩/ سنة ٦٩ وابن قتيبة فى الإمامة والسّياسة ج ٢ ص ٢٦ والمسعوديّ في مروج الذّهب ج ٣ ص ١٠٤ وجاءت روايات تخالف هذه.

بالجمع بينهما. قال البحتري في أبي‌عيسى بن صاعد:

نصيبك في الأكرومتين فإنّما * يسود الفتى من حيث يسخو ويشجع

كما أنّ ما قاله من أنّ أميرالمؤمنين عليه‌السّلام أراد الحجر على عبدالله بن جعفر فأحتال بشركة الزّبير، لم أقف عليه، وإنّما روى الخطيب في أبي يوسف أنّ عبدالله بن جعفر أتى الزّبير، فقال: إنّي اشتريت كذا وكذا وإنّ عمّي يريد أن يأتي عثمان ــ وذكر حديث الحجرــ فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزّبير. قال أحمدبن حنبل: لم أسمع هذا إلّا من حديث أبي‌يوسف.[1]

وبالجملة ما قاله من تضاد الشّجاعة والسّخاوة بلاحقيقة نعم أدخله بعض الشّعراء في التضادّ بتخيّلات شعريّة بأنّ بسخاوة ممدوحة يحيى جمع من مواليه وبشجاعته يموت جمع من أعاديه. فقال:

يحيى الأنام به في الجدب إن قحطوا * جوداً ويشقى به يوم الوغى الهام

حالان ضدّان مجموعان فيه فما * ينفكّ بينهما بؤس وانعام

كالمزن يجتمع الضدّان فيه معا * ماء ونار وارهام واضرام

وللشّعراء نظير ذلك كثير فيخترعون تضادّاً بالتخيّل الشّعرى في أشياء، قال بعضهم:

ومن عجب أنّ الصّوارم في الوغى * تحيض بأيدي القوم وهي ذكور

وأعجب من ذا أنّها في أكفهم * تؤجّج ناراً والأكف بحور[2]

وَ كَثيراً ما آذْكُرُ.

هكذا في المصريّة، والصّواب: «أذاكر» كما في (ابن أبي‌الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[3]

الْإِخْوانَ بِها.

أي بهذه العجيبة.

وَ آسْتَخْرِجُ عُجْبَهُمْ.

المركوز في جبلتهم من مثلها.

---

١. تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٤٢ والنّقل بتصرف.

٢. للمزيد؛ راجع الأغاني لأبي الفرج والعقد الفريد لابن عبد ربّه وغيرهما.

٣. شرح ابن أبي‌الحديد ج ١ ص ١٦ وشرح ابن‌ميثم ج ١ ص ٩١.

مِنها. وَهِيَ مَوْضِعُ لِلْعِبْرَةِ بِها، وَالْفِكْرَةِ فيها.

بأنه عليه السّلام كان غير البشر المتعارفي، وأنّ اجتماع ذلك فيه عليه السّلام من آيات الله تعالى شاهداً لإمامته.

وَرُبَّما جاءَ في أَثْناءِ هٰذَا الإِخْتِيارِ.

في الأبواب الثلاثة.

اَللَّفْظُ الْمُرَدَّدُ.

أي المرجّع.

وَالْمَعْنىٰ الْمُكَرَّرُ.

ولو بلفظ آخر.

وَالْعُذْرُ في ذٰلِكَ.

أي التّرديد والتّكرار.

اَنَّ رِواياتِ كَلامِهِ عليه السّلام تَخْتَلِفُ اِخْتِلافاً شَديداً.

حسب اختلاف نقل كثير من المطالب.

فَرُبَّما اتَّفَقَ.

أي وقع.

اَلْكَلامُ الْمُخْتارُ في رِوايَةٍ فَنُقِلَ عَلىٰ وجْهِهِ.

في تلك الرّواية.

ثُمَّ وُجِدَ بَعْدَ ذٰلِكَ في رِوايَةٍ أُخْرىٰ مَوْضُوعاً غَيْرَ وَضْعِهِ الأَوَّل.

أي كيفيّته.

اِمّا بِزِيادَةٍ مُخْتارَةٍ.

أي ينبغي أن تختار.

أَوْ بِلَفْظٍ.

هكذا في المصريّة، والصّواب «أو لفظ» (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّيّة) عطفاً على «زيادة»[1].

أَحْسَنَ عِبارَةٍ.

١. كذا في شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١ ولكن في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٠١٧ أيضاً «بلفظ».

من الأوّل.

فَتَقْتَضِي الْحالُ أنْ يُعادَ.

لكونه من موضوع الكتاب.

اِسْتِظْهاراً.

مفعول له لقوله «يعاد» أي تكميلاً.

لِلاِخْتِيارِ.

من كلامه عليه السّلام.

وَ غَيْرَةً.

بالفتح من غار الرجل على أهله.

وأمّا الغيرة بالكسر. فقال الجوهريّ: إنّها الميرة من غار أهله أى مارهم ونفعهم[١]، وقال الزّمخشريّ: إنّها الدية، وجمعها الغِير. قال الشّاعر:

لنجد عن بأيدينا أنوفكم ٭ بنى أُميّة إن لم تقبلوا الغيرا[٢]

عَلىٰ عَقائِلِ الْكَلامِ.

أي كرائمه من أن تفوته وممّا أعاده لزيادة مختاره أنّه قال في خطبة ١٤٧ من كلام له قبل موته[٣] وقال في كتاب ٢٣ ومن كلام له عليه السّلام قاله قبل موته على سبيل الوصيّة[٤] وقال في آخر الثّاني: قد مضى بعض هذا الكلام فى ما تقدّم من الخطب إلّا أنّ فيه هيهنا زيادة أو جبت تكريره.

وكرّر قوله عليه السّلام في حكمة ١٤٨ «المرء مخبوء تحت لسانه»[٥] في ٣٩٢ مع زيادة[٦] لكنّه غفل عن تكراره حيث لم يشر إليه كما في الأوّل.

ثمّ من الغريب أنّه كرّر قوله عليه السّلام في حكمة ١١٦ «كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالسّتر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء

١. صحاح اللّغة للجوهريّ ج ٢ ص ٧٧٥/ مادة «غير».
٢. أساس البلاغة ٣٣١/ مادة «غير».
٣. نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٣.
٤. نهج البلاغة ج ٣ ص ٢١.
٥. نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٨.
٦. نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٣ وذيله «تكلموا تعرفوا».

له»، في ٢٦٠ قبل فصل الغريب، وقال: وقد مضى هذا الكلام في ما تقدم إلّا أنّ فيه ههنا زيادة[٢]، مع أنّه ليس في الثاني زيادة أصلاً إلّا أنّ التكرار على نقل (ابن أبي الحديد والخطيّة)[٣] كالمصريّة وأمّا (ابن ميثم) فليس الثاني فيه[٤] كما أنّه كرّر حكمة ٢٢[٥] في ٣٨٩ مع زيادة على نقل (ابن أبي الحديد) دون (ابن ميثم)[٦] لكن نسختي من (ابن ميثم) بعد حكمة ٨١ كثيرة التصحيف فليلحظ النسخ الأخرى.

وممّا أعاده بلفظ آخر قوله في خطبة ٣٣ «**أما والله إن كنت لفي ساقتها حتّى ولّت بحذافيرها ما ضعفت وماجبنت وإنّ مسيري هذا لمثلها فلأنقبنّ الباطل حتّى يخرج الحقّ من جنبه**»[٧] في جملة خطبة ١٠٢[٨] لكنّه غفل عن الأول لعدم إشارته إلى التكرار كما هودأبه في الإعتذار.

وأعاد قوله عليه السّلام في خطبة ١٧٠ «**اللّهمّ إنّي أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي وصغّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثمّ قالوا: ألا أنّ في الحقّ أن تأخذه وفي الحقّ أن تتركه**»[٩] في خطبة ٢١٥ بلفظ آخر[١٠] والظّاهر غفلته هنا أيضاً لما يأتي في الآتي.

وأعاد أيضاً بلفظ آخر قوله عليه السّلام في خطبة ٢٦ «**فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشّجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم**»[١١] في آخر خطبة ٢١٥ بلفظ

---

١. نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٧.
٢. نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٧.
٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٩١ و ٣٥٥.
٤. لايوجد في شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٣٠٧ لكن ورد فيه في ص ٣٠٣ كما قال الشارح.
٥. نهج البلاغة ج ٤ ص ٦.
٦. كرّر في شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤١٩ لكن لا يوجد في شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤١٩ كما قال الشارح.
٧. نهج البلاغة ج ١ ص ٨١.
٨. نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٩.
٩. نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٥.
١٠. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٢.
١١. نهج البلاغة ج ١ ص ٦٧.

«فنظرت فإذا ليس لى رافد، ولاذابّ ولامساعد إلّا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنيّة فأغضيت على القذى وجرعت ريق على الشّجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلم للقلب من حزّ الشّفار» ثمّ قال: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة إلّا أنّي كرّرته هنا لاختلاف الرّوايتين.[1]

ثمّ إنّ المصنّف وإن كرّر في خطبة ٢١٥ معنى ما ورد في خطبة ١٧٠[2] أيضاً كما مرّ قبل هذا إلّا أنّ قوله «وقد مضى ـ إلخ» إشارة إلى ما في خطبة ٢٦ ولايمكن أن يكون إشارة إليهما لإباء قوله: هذا الكلام وقوله: خطبة متقدّمة عن ذلك.

وأعاد أيضاً قوله في خطبة ٣٣ «إنّ الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ـ إلخ»[3] في خطبة ١٠٢ وقال: وقد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرّواية.[4]

وأعاد أيضاً قوله في حكمة ١١٧: «هلك فيّ رجلان محبّ غال، ومبغض غال»[5] في ٤٦٩ بلفظ «يهلك فيّ رجلان محبّ مفرط وباهت مفترٍ» وقال: الثّاني مثل الأوّل.[6]

وأعاد أيضاً قوله في خطبة ٧٠ في الصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله «حتّى أورى قبس القابس ـ إلخ»[7] في خطبة ١٠٤ وقال: وقد مضى هذا الكلام في ما تقدّم إلّا أنّنا كرّرناه هيهنا لما في الرّوايتين من الإختلاف.[8]

وأعاد أيضاً قوله «يا ابن آدم لاتحمل همّ يومك ـ إلخ» من حكمة ٢٦٧[9] في

---

١. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٢.

٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٥ و مراد الشّارح من المعنى: «أللّهم إنّي استعينك على قريش ـ الخ».

٣. نهج البلاغة ج ١ ص ٨٠.

٤. نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٩ وقول الرّضيّ في رواية شرح ابن أبي‌الحديد ج ٢ ص ١٩٩ أبسط من هذا.

٥. نهج البلاغة ج ٤ ص٢٨.

٦. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٨ لفظ الرّضيّ: «وهذا مثل قوله(ع) هلك فيّ رجلان: محب غال ومبغض قال».

٧. نهج البلاغة ج ١ ص ١٢١.

٨. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٤ ولفظ خطبة ١٠٤: «حتى اورى قبساً لقابس ـ الخ».

٩. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٦.

٣٧٩ وقال: وقد مضى هذا الكلام ــ إلخ.[١]

وأعاد أيضاً قوله في حكمة ١٥ «تذلّ الأمور للمقادير حتّى يكون الحتف في التّدبير[٢]» في ٤٥٩ بلفظ «يغلب المقدار على التقدير حتّى تكون الآفة في التّدبير» لكنّه غفل عن تكراره فلم يشر ولم يعتذر.[٣]

وأعاد قوله في حكمة ٣٤٨ «أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه»[٤] بلفظ «أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه» في ٤٧٧[٥] وغفل عن تكراره فلم يعتذر.

وَرُبّما بَعُدَ الْعَهْدُ اَيْضاً بِما اخْتيرَ اَوَّلاً فَاُعيدُ بَعْضُهُ.

لا لزيادة أو للفظ أحسن عبارة بل.

سَهْواً اَوْنِسْياناً.

هكذا في المصريّة، والصّواب: «ونسياناً» كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّيّة)[٦] والعطف فيه تفسيرى.

لا قَصْداً واعْتِماداً.

أي تعمّداً، فيكون العطف فيه أيضاً تفسيريّاً.

فأعاد فقرة «ما شككت في الحقّ مذ أريته» جزء خطبة ٤[٧] المكرّر في حكمة ١٨٤[٨] نسياناً.

وأعاد فقرة «من أبدى صفحته للحقّ هلك» وهى جزء خطبة ١٦[٩] في

---

١. نهج البلاغة ج ٤ ص ٩١ ولفظ حكمة ٣٧٩: «فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك».

٢. نهج البلاغة ج ٤ ص ٥.

٣. الظّاهر أنّه من سهو الشّارح لأنّ الشّريف الرّضيّ قال بعد تمام الحكمة فى نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٥: «وقد مضى هذا المعنى في ما تقدّم برواية تخالف هذه الألفاظ» وكذا فى شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٠٥ لكن سقط كلام الشّريف في شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٦٠.

٤. نهج البلاغة ج ٤ ص ٨١.

٥. نهج البلاغة ج ٤ ص ١١٠.

٦. كذا فى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧ لكن فى شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١ أيضاً «أو».

٧. نهج البلاغة ج ١ ص ٣٩.

٨. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٣.

٩. نهج البلاغة ج ١ ص ٥٠.

حكمة ١٨٨ [١] سهواً، وأعاد أيضاً قوله «كلمة حقّ يراد به باطل» جزء خطبة ٤٠ [٢] في حكمة ١٩٨ [٣] نسياناً.

وأعاد أيضاً قوله عليه السَّلام «من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه» جزء وصيّته عليه السَّلام إلى ابنه [٤] في كتاب ٣١ سهواً في حكمة ٢٤٨ [٥].

وأعاد أيضاً قوله «ومفتون بحسن القول فيه» الّذي جزء عنوان «كم من مستدرج بالإحسان إليه» المذكور في حكمة ١١٦ بالاتّفاق [٦]، وفي حكمة ٢٦٠ أيضاً بنقل (ابن أبي الحديد والخطيّة) [٧] في حكمة ٤٦٢ [٨] سهواً.

وأعاد قوله عليه السَّلام «لاخير في الصّمت عن الحكم كما أنّه لاخير في القول بالجهل» المذكور في حكمة ١٨٢ [٩] في حكمة ٤٧١ بنقل المصريّة و(ابن ميثم) [١٠] وقبل حكمة ١٩٢ بنقل (ابن أبي الحديد والخطيّة) [١١] أيضاً غفلة.

ومنه يظهر أنّه قد يعيد كلّ العنوان سهواً جاعلاً له كلاً ثانياً.

وأعاد خطبة ٢١ «فإنّ الغاية أمامكم وأنّ وراءكم السّاعة تحدوكم تخفّفوا تلحقوا فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم» [١٢] جزء خطبة ١٦٥ «إنّ الله تعالى أنزل كتاباً هادياً ــ إلخ» بلفظ «فإنّ النّاس أمامكم وأنّ السّاعة تحدوكم من خلفكم تخفّفوا تلحقوا. فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم». [١٣]

١. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٣.
٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٩١.
٣. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٥.
٤. نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٤.
٥. نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٤.
٦. كذا في نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٧ وشرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٩١ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ٣٠٣.
٧. كذا فى شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٥٥ ونهج البلاغة ج ٤ ص ٥٧.
٨. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٣ ولفظه «ربّ مفتون» وقال فيه بعد تمام الحكمة «زيادة عن نسخة كتبت في عهد المصنّف».
٩. نهج البلاغه [ج ٥٤ ــ ٤٣] و لفظه «ربّ مفتون» وقال فيه بعد تمام الحكمة «زيادة من نسخة كتبت في عهد المصنّف».
١٠. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٦٥.
١١. شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٣٠.
١٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٥٨.
١٣. نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٠.

ومنه يظهر أنّه قد يعيد كلّ عنوان جزء عنوان آخر غفلةً مع اختلافٍ ما.

وأعاد قوله عليه السّلام «كالفالج الياسر الّذي ينتظر أوّل فوزة من قداحه» جزء خطبة ٢٣ [١] في رقم ٨ من فصل الغريب بلفظ «كالياسر الفالج ينتظر أوّل فوزة من قداحه» [٢] غفلة.

وأعاد قوله عليه السّلام «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم» من حكمة ٩١ [٣] في ١٩٧ [٤] سهواً.

واعاد قوله عليه السّلام فى خطبة ١٧٠ «فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين، وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً» في خطبة ٢١٦ [٥] بلفظ «فقدموا على عمّالي وخزّان بيت مال المسلمين الّذي في يدي وعلى أهل مصر كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا عليّ جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً» [٦] غفلة.

وأعاد قوله عليه السّلام في خطبة ٢٢ «والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه، ولئن كانوا ولّوه دوني؛ فما التبعة إلّا عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم» في خطبة ١٣٥ [٧] بلفظ «والله ما أنكروا عليّ منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه، فإنّ لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولّوه دوني، فما الطّلبة إلّا قبلهم، وإنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم» [٨] غفلة.

كما أنّه أعاد ما في خطبة ١٠ «ألا وإنّ الشّيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وإنّ معي لبصيرتي ما لبّست على نفسي، ولا لُبّس عليّ، وأيم الله لأفرطنّ لهم

١. نهج البلاغة ج ١ ص ٦٠.
٢. نهج البلاغة ج ٤ ص ٦١.
٣. نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٠.
٤. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٥ ولفظه «طرائف الحكمة».
٥. نهج البلاغة ج ٢ ص ٨٥.
٦. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٣.
٧. نهج البلاغة ج ١ ص ٥٩.
٨. نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩.

حوضاً أنا ماتحه لايصدرون عنه ولايعودون إليه»[١] جزءً منه في خطبة ٢٢ «ألا وإنّ الشّيطان قد ذمر حزبه، واستجلب جلبه»[٢] وجزءً منه في خطبة ١٣٥ «إنّ معي لبصيرتي ما لبست، ولالبس عليّ» ــ إلى أن قال ــ: «وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه لايصدرون عنه بريّ، ولايعبّون بعده في حسي»[٣] غفلة مع اختلافٍ ما.

وأعاد حكمة ٦٨ «العفاف زينة الفقر والشّكر زينة الغنى»[٤] في حكمة ٣٤٠[٥] سهواً.

وأعاد ذيل خطبة ١٢٥ «إنّما اجتمع رأى ملأكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لايتعدّيا القرآن فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما فمضيا عليه، وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل، والصّمد للحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما»[٦] في خطبة ١٧٥ بلفظ «فاجمع رأى ملأكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يجعجعا عند القرآن، ولايجاوزاه، وتكون ألسنتهما معه، وقلوبهما تبعه فتاها عنه، وتركا الحقّ، وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، والإعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل، والعمل بالحقّ سوء رأيهما، وجور حكمهما»[٧] غفلة.

وأعاد قوله عليه السّلام «النّاس أعداء ما جهلوا» في حكمة ١٧٢[٨] غفلة في حكمة ٤٣٨[٩].

وأعاد قوله عليه السّلام «قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول»[١٠] في حكمة ٢٧٨ نسياناً في حكمة ٤٤٤ بلفظ «قليل تدوم عليه خير من كثير مملول منه»[١١].

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ٤٣.

٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٥٩.

٣. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠.

٤ و ٥. نقله كذلك ابن أبي الحديد في شرحه ج ٤ ص ٢٧٣ و ٣٩٦ مكرّراً لكن في نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٠ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ٤٠٩ كاملاً وبلاذيل في نهج البلاغة ج ٤ ص ١٥ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٧٣.

٦. نهج البلاغة ج ٢ ص ٩.

٧. نهج البلاغة ج ٢ ص ٩٦.

٨. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٢.

٩. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٢.

١٠. نهج البلاغة ج ٤ ص ٦٨.

١١. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٣.

وأعاد قوله عليه السَّلام في خطبة ١٤٣ «ايّها النّاس إنّما أنتم في هذه الدّنيا غرض تنتضل فيه المنايامع كلّ جرعة شرق، وفي كلّ أكلة غصص لاتنالون منها نعمة إلّا بفراق أخرى ولايعمّر معمّر منكم يوماً من عمره إلّا بهدم آخر من أجله»[١] غفلة في حكمة ١٩١ بلفظ «إنّما المرء في الدّنيا غرض تنتضل فيه المنايا، ونهب تبادره المصائب، ومع كلّ جرعة شرق، وفي كلّ أكلة غصص، ولاينال العبد نعمة إلّا بفراق أخرى ولايستقبل يوماً من عمره إلّا بفراق آخر من أجله».[٢]

وأعاد قوله عليه السَّلام في حكمة ٢٤١ «يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من يوم الظّالم على المظوم»[٣] غفلة في حكمة ٣٤١ بلفظ «يوم العدل على الظّالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»[٤].

وأعاد قوله عليه السَّلام في الخطبة الأخيره برقم ٢٣٩ «ما أنقص النّوم لعزائم اليوم»[٥] غفلة في حكمة ٤٤٠[١٦] مستقلاً.

وأعاد قوله عليه السَّلام «وكفى أدباً لنفسك تجنّبك ما كرهته لغيرك»[٧] وهو جزء حكمة ٣٦٥ غفلة في حكمة ٤١٢[٨] مستقلاً.

وأعاد قوله عليه السَّلام «القناعة مال لاينفد» حكمة ٥٧[٩] غفلةً في حكمة ٤٧٥.[١٠]

وأعاد قوله عليه السَّلام «أشرف الغنى ترك المنى» حكمة ٣٤[١١] غفلة جزء

---

١. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨.
٢. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٤.
٣. نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٣.
٤. نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٠.
٥. نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٤.
٦. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٢.
٧. نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٥.
٨. نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٦ ولفظه «كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك».
٩. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٤.
١٠. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠٩ قال فيه بعد تمام الحكمة: «وقد روى بعضهم هذا الكلام لرسول الله (ص)».
١١. نهج البلاغة ج ٤ ص ١٠.

«الجود حارس الأعراض» حكمة ٢١١.[١]

وأعاد قوله عليه السّلام في خطبة ١٥٤ «وإنّهما لايقرّبان من أجل ولاينقصان من رزق»[٢] في ٣٧٤ــ٣ بلفظ «وإنّ الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر لايقرّبان من أجل، ولاينقصان من رزق».[٣]

وممّا نقلنا من تكراراته يظهر أنّ الرضى وإن قال أنّه قد يعيد نسياناً بعض ما مرّ[٤] وظاهره يعيده بلفظه إلّا أنّه قد يفعل كما قال، وقد يعيد كلّ ما مرّ كما قد يعيد بعض ما مرّ أو كلّه بلفظ آخر، ومرّ في شرح قوله في «ما أعاده قصداً لزيادة أو للفظ آخر»[٥] جملة ممّا أعادها نسياناً أيضاً.

وَلا أدّعى مَعَ ذلِكَ انّى أحيطُ بِأقْطار.

أي نواحي.

جَميع كَلامِهِ عليه السّلام حَتّى لا يَشُذَّ عَنّى شاذٌّ.

أي يتفرّق عنّي متفرّق.

وَلا يَنِدَّ.

أي يبعد عنّي.

نادٌّ.

أي بعيد.

بَلْ لا أُبْعِدُ.

أي لا أعدّ بعيداً.

أنْ يَكُونَ الْقاصِرُ عَنّى.

أي الّذي لم يصل إليّ.

فَوْقَ الْواقِعِ.

أي الواصل من كلامه.

اِلَىَّ، وَ الْحاصِلُ.

---

١. نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٨.

٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٩.

٣. نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٩.

٤. لفظ الرّضيّ: «فاعيد بعضه سهواً أو نسياناً لاقصداً واعتماداً» والظّاهر أنّ الشّارح نقله بالمعنى.

عطف على القاصر اسم «يكون».

في رِبْقَتِي.

بالكسر. قال الجوهريّ: الربق حبل فيه عدّة عرى تشدّ به البهم.[١]

دُونَ.

أي أقلّ، وهو عطف على «فوق» خبر «يكون»، أي من عطف الجملة.

الْخارِجِ مِنْ يَدَيَّ.

الّذي أفلت عنّي. قال الرّاوندي، كما نقل (ابن ميثم) عنه: سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول: إنّي وجدت بمصر مجموعاً من كلام عليّ عليه السّلام في نيف وعشرين مجلّداً.[٢]

وَما عَلَيَّ اِلاّ بَذْلُ الْجُهْدِ.

في الصحاح: الجَهد والجُهد (بالفتح والضم) الطاقة وقرئ «.. والّذين لا يجدون إلّا جَهدهم..» و«جُهدهم»[٣]. قال الفرّاء: الجُهد بالضم الطاقة والجهد بالفتح: من قولك أجهد جَهدك في هذا الامر: أي أبلغ غايتك ولايقال اجهد جُهدك.[٤]

وَبَلاغُ الْوُسْعِ.

في نقل كلامه عليه السّلام.

وَعَلَى اللهِ سُبْحانَهُ.

أي المنزّه عن النقائص وعن أن يفوته شيء.

وَتَعالَى.

هكذا في المصرية، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّية).[٥]

---

١. صحاح اللّغة للجوهريّ ج ٤ ص ١٤٨٠.

٢. شرح ابن ميثم ج ١ ص ١٠١.

٣. التوبة ــ ٧٩.

المشهور فى المصاحف ضم الجيم وقرأ ابن هرمز بالفتح كما فى روح المعانيّ ج ١٠ ص ١٤٧.

٤. صحاح اللّغة للجوهريّ ج ١ ص ٤٥٧/ مادة «جهد».

٥. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١.

نَهجُ السَّبيلِ.

مأخوذ من قوله تعالى: «وعلى الله قصد السّبيل..».[١]

وَ رَشادُ الدَّليلِ.

وقال تعالى: «.. أهدكم سبيل الرّشاد».[٢]

إنْ شاءَ اللهُ.

ذلك.

وَ رَأَيتُ مِنْ بَعْدُ.

أي بعد الحمد والصلاة أو بعد ما مرّ في شرح كلامه عليه السّلام وهو الأظهر.

تَسْمِيَةِ هٰذا الْكِتابِ بِنَهجِ الْبَلاغَةِ.

والنّهج: الطريق الواضح وأمّا البلاغة فورد عنهم عليهم السّلام لها تعريفات وعن الأدباء لها توصيفات، وعن العباسية فيها بيانات.

أمّا الأوّل: ففي صناعة أبي هلال العسكريّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: البلاغة إيضاح الملتبسات، وكشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات، وقال الحسن بن عليّ عليهما السّلام: البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة، وقال محمّد بن عليّ عليهما السلام: البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ، وقال: البلاغة قول مفقه في لطف، فالمفقه المفهم، واللّطيف من الكلام ما تعطف به القلوب النافرة، وتؤنس به القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الآبية حتّى تبلغ به الحاجة، وتقام به الحجّة[٣] وفي تحف العقول عن الصادق (ع): «يا ابن النعمان ليست البلاغة بحدّة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنّها إصابة المعنى وقصد الحجّة».[٤]

وأمّا الثّاني: ففي دلائل إعجاز عبد القاهر قالوا: لا يكون الكلام يستحقّ

---

١. النّحل — ٩.

٢. غافر — ٣٨.

٣. الصناعتين للعسكريّ ص ٥١ و ٥٢.

٤. تحف العقول ص ٣١٢ ونقل هذا التّعريف للبلاغة الهاشميّ في جواهر البلاغة ص ٣٧ عن خالد بن صفوان.

اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولايكون لفظه أسبق إلى سمعك مِن معناه إلى قلبك، ويدخل في الأُذن بلا إذن[١]، وفي بيان الجاحظ: قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام، وقيل للرّومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الإقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة؛ وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدّلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة، وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجّة والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربّما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدّرك، وأحقّ بالظّفر وقال مرّة: جماع البلاغة إلتماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلّة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللّفظ أو تعذّر[٢]، وقال أعرابيّ: البلاغة التقرّب من البعيد والتّباعد من الكلفة، والدّلالة بقليل على كثير، وقال اعرابى: البلاغة إيجاز في غير عجز وإطناب في غير خطل، وقيل لأبي العيناء: ما أبلغ الكلام؟ قال: ما أسكت المبطل وحيّر المحقّ.

وأمّا الثّالث: فعن إبراهيم المعروف بالإمام يكفى من حظّ البلاغة أن لايؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق، ولايؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع، وقال هارون: البلاغة التّباعد من الإطالة، والتّقرّب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وقال المأمون: ما كنت أتوهم أنّ أحداً يقدر على هذه البلاغة حتّى قرأت كتاب عمروبن مسعدة إلىّ كتابي إليك، ومن قبلي من القوّاد والأجناد في الطّاعة والإنقياد على أحسن ما يكون طاعة جند تأخّرت عطياتهم، واختلّت أحوالهم، وقال ابن المعتزّ: البلاغة البلوغ إلى المعنى، ولم يطل سفر الكلام.[٣] قلت: وبأيّ معنى فسّرت فالكتاب مصداقه، فالتّسمية حقّه.

---

١. دلائل الإعجاز ص ٢٠٦.

٢. كذا فى البيان والتّبيين للجاحظ ج ١ ص ١١١ وما نقله عن بعض أهل الهند رواه ابن أبي‌الحديد فى زوائد نهج البلاغة ص ٥٣٥ ح ٩٢ عن عليّ (ع).

٣. جمع هذه الأقوال وأقوال أُخرى فى تفسير البلاغة الجاحظ فى البيان والتّبيين وابن عبد ربّه فى العقد الفريد.

اِذ كانَ يَفْتَحُ لِلنّاظِرِ فيهِ.

أي في هذا الكتاب.

أَبوابَها.

أي أبواب البلاغة.

وَيُقَرِّبُ عَلَيْهِ طِلابَها.

قد عرفت في ما مرّ اعتراف عبدالحميد الكاتب وابن نباته الخطيب[1] وهما على ما عليه بحصول البلاغة لهما من النّظر في كلامه عليه السَّلام.

فيهِ.

هكذا في المصريّة، والصواب «وفيه» كما في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّية)[2] ولاقتضاء المقام له.

حاجَةُ الْعالِمِ.

في زيادة علمه.

وَالْمُتَعَلِّمِ.

في حصول العلم له.

وَبُغْيَةُ.

بضمّ الباء وكسرها، أي مطلوب.

الْبَليغِ.

ليقتدر على الاتيان بالكلام البليغ.

وَالزّاهِدِ.

ليرضى بزهده ويسرّ به ويجدّ في ازدياده.

وَيَمْضى في أَثْنائِهِ.

أي أثناء الكتاب.

مِنَ الْكَلامِ.

هكذا في المصريّة، والصواب: «من عجيب الكلام» كما في (ابن

---

١. مرّ في شرح خطبة الرضى فقرة: «وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ».

٢. شرح ابن أبي‌الحديد ج ١ ص ١٨ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١.

أبي الحديد، وابن ميثم والخطيّة).[١]

فِي التَّوْحِيدِ.

ولا سيّما خطبة ١٨٤ الّذى قال المصنّف فيه: ومن خطبة له عليه السّلام في التوحيد وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لاتجمعه خطبة.[٢]

وَ الْعَدْلِ.

قال: (ابن أبي الحديد) في شرح خطبة ٨٣ واعلم أن التّوحيد والعدل والمباحث الشّريفة الإلهيّة ما عرفت إلّا من كلام هذا الرجل، وإنّ كلام غيره من أكابر الصّحابة لم يتضمّن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصوّرونه، ولو تصوّروه لذكروه، وهذه الفضيلة عندى أعظم فضائله عليه السّلام.[٣]

قلت: بل كان فاروقه قائلاً بعدم عدل الله تعالى. ففى تاريخ بغداد فى عنوان عثمان بن سعيد: خطب عمر النّاس بالجابية. فقال: إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. فقال قسّ من تلك القسوس: ما يقول أميركم هذا؟ فقالوا: يقول إنّ الله يضلّ من يشاء. فقال القسّ: برقست الله أعدل من أن يضلّ أحداً. فبلغ ذلك عمر. فبعث إليه. فقال: بل الله أضلّك، ولولا عهدك لضربت عنقك.[٤] فإذا كان قائلاً بعدم عدله تعالى كيف ينتظر منه التكلّم في أوصافه تعالى وعدله والقرآن، وإن ورد باللفظ إلّا أنّه تعالى قال بعده: «.. ومايضلّ به إلّا الفاسقين الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون»[٥] مع أنّ العقل والنّقل متطابقان على وجوب تأويل المتشابه لكن الرّجل مصداق قوله تعالى: «.. فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ..»[٦] والرّجل أراد الجواب بالضّرب والقتل.

وَ تَنْزِيهِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١.
٢. نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٩.
٣. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٢٠.
٤. تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٩٠ والنّقل بتصرّف يسير.
٥. البقرة ــ ٢٦ و ٢٧.
٦. آل عمران ــ ٧.

عن النّقائص.

وَتَعالىٰ.

هـكـذا في المصريّة، والصواب عدم الكـلمة عدم وجودها في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم والخطّية).[١]

عَنْ شِبْهِ.

متعلّق بقوله «و تنزيه الله».

الْخَلْقِ.

وفي خطبة الأشباح برقم ٨٩ سأله سائل أن يصف الله تعالى له حتّى كأنّه يراه عياناً. فغضب عليه السّلام وخطب بها[٢]، وكان عليه السّلام أحسّ منه إرادته وصفه بالتّشبيه.

ما هُوَ بِلالُ.

بالكسر النّدوة والرّطوبة. قال الشاعر:

كأنيّ حلوت الشّعرحين مدحته ◦ صفا صخرة صمّاء يبس بلالها[٣]

وقال آخر:

و صاحب مرامق داجيته ◦ على بلال نفسه طويته[٤]

وأصله: السقا يطوى وهو مبتلّ فيعفن. قال «ولقد طويتكم على بلاتكم»[٥] لكن لوكان المصنّف قال «نقوع» بدل «بلال» كان أقرب إلى إفادة المراد. يقال نقع الماء العطش نقعاً ونقوعاً سكّنه، ويقال شرب حتّى نقع، وإنّما يحسن البلال في المبالغة في النفي يقال ما في سقائك بلال أيّ ما يبلّ به الحلق، وقالت ليلى الأخيلية لابن عمّ توبة حين فرّعنه حتّى قتل:

فلا وأبيك يا ابن أبي عقيل ◦ تبلّك بعدها فينا بلال

---

١. كذا في شرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١ لكن في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨ أيضاً «وتعالى».

٢. نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٠.

٣. أورده لسان العرب ج ١١ ص ٦٤/ مادة «بلل» والشّاعر أوس.

٤. أورده لسان العرب ج ١١ ص ٦٦/ مادة «بلل».

٥. هذا صدر بيت لحضرمي بن عامر الأسديّ وذيله «وعلمت ما فيكم من الاذراب» أورده أساس البلاغة ص ٣٠/ مادة «بلل» ولسان العرب ج ١١ ص ٦٦/ مادة «بلل».

فلو آسيته لخلاك ذمّ ❁ وفارقك ابن عمّك غير قالى[١]

كُلِّ غُلَّةٍ.

بالضّم حرارة العطش وزاد (ابن أبي الحديد والخطّية) بعده «وشفاء كلّ علّة»[٢].

وَجِلاءُ كُلِّ شُبْهَةٍ.

أي زوالها واضمحلالها. في الإرشاد روى الحسن البصريّ قال: جاء رجل إلى أميرالمؤمنين بعد انصرافه من حرب صفّين. فقال له: يا أميرالمؤمنين خبّرني عمّا كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله وقدر؟ فقال له أميرالمؤمنين عليه السّلام: ما علوتم قلعة ولاهبطتم وادياً إلّا ولله فيه قضاء وقدر. فقال الرّجل: فعندالله أحتسب عناى يا أميرالمؤمنين فقال له: ولم؟ قال: إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلى العمل فما وجه الثّواب لنا على الطّاعة وما وجه العقاب لنا على المعصية؟ فقال له أميرالمؤمنين عليه السّلام: أو ظننت يا رجل أنّه قضاء حتم وقدر لازم ولاتظنّ ذلك فانّ القول به مقال عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها. إنّ الله تعالى أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يخلق السّماء والأرض وما بينهما باطلاً. ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النّار. فقال الرّجل: فما القضاء والقدر الّذى ذكرته يا أميرالمؤمنين؟ قال عليه السّلام: الأمر بالطّاعة، والنّهى عن المعصية، والتّمكين من فعل الحسنة، وترك السّيّئة، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كُلّ ذلك قضاءالله في أفعالنا وقدره لأعمالنا. فأمّا غير ذلك فلاتظنّه، فإنّ الظنّ له محبط للأعمال. فقال الرّجل فرّجت عنّى يا أميرالمؤمنين فرّج الله عنك وأنشأ يقول:

أنت الإمام الّذي نرجوا بطاعته ❁ يوم المآب من الرّحمن غفراناً
أو ضحت من ديننا ما كان ملتبساً ❁ جزاك ربّك بالإحسان إحساناً[٣]

---

١. اورده لسان العرب ج ١١ ص ٦٧/ مادة «بلل».

٢. كذا فى شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨ وزاده أيضاً ابن ميثم فى شرحه ج ١ ص ٩١.

٣. خرجه المفيد فى الارشاد ص ١٢٠ عن الحسن البصرى وايضاً اخرجه الصدوق فى العيون ج ١ ص ١١٤ ←

وَمِنَ اللهِ سُبْحانَهُ اَسْتَمِدُّ التَّوفيقَ.

لنيل الغرض.

وَالْعِصْمَةَ.

من الضّلال.

وَأَسْتَنْجِزُ.

أي استنجح.

التَّسْديدَ.

أي الحمل على السّداد، أي الصّلاح.

وَالْمَعُونَةَ.

على العمل.

وَأَسْتَعيذُهُ مِنْ خَطاءِ الْجَنانِ.

بالفتح القلب.

قَبْلَ خَطاءِ اللّسانِ.

قال خالدبن جعفر الكلابيّ للكسرى لمّا أو فده النعمان بن المنذر إليه:

وعـثـرة الـقـول أنـكـا * مـن عـثـرة الـوعـث

و «الوعث» المكان الّذي يشقّ المشى فيه.

وَمِنَ زَلَّةِ الْكَلامِ.

هكذا في المصريّة، والصّواب: «الكَلِم» كما في (ابن أبي‌الحديد، وابن ميثم والخطّية).[1]

قَبْلَ زَلَّةِ الْقَدَمِ.

ح ٣٨ والتوحيد ص ٣٨٠ ح ٢٨ بطريقين والكراجكى فى كنز الفوائد ص ١٦٩ عن الحسين (ع) واخرجه الصدوق فى العيون والتوحيد الحديث السابق عن السجاد (ع) ورواه ابن شعبة فى تحف العقول ص ٤٦٨ والطبرسى فى الاحتجاج ص ٢٠٨ ضمن رسالة الهادى (ع) واخرجه الصدوق فى العيون والتوحيد الحديث السابق عن ابن عباس ورواه ابوالحسين الخياط فى الغررعنه شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٢٧٧ عن الاصبغ بن نباتة واخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ١٥٥ ح ١ والشريف الرضى فى نهج البلاغة ج ٤ ص ١٧ حكمة ٧٨ وفى خصائص الائمة ص ٦٩ ورواه ابن ميثم فى شرحه ج ٥ ص ٢٧٨ مرسلاً ومجرداً.

١. شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ١٨ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ٩١.

قال ابن السكيّت:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ٭ وليس يصاب المرء من عثرة الرّجل

فعثرته فى القول تذهب رّاسه ٭ وعثرته في الرّجل تبرأ عن مهل

وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الأصل فيه قوله تعالى: «..وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» [1] وهذا أوان الشّروع في المقصود بعون الملك المحمود. فنقول:

١. آل عمران ــ ١٧٣.

الفصــــل الاول

في التــوحيــد

و حيث إنّ المصنّف بدأ بخطبة في التوحيد نبدأ بما بدأ به مع كلامه. فقال:

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام وأوامره، ويدخل فى ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب فى المقامات المحصورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة.

أي المقاصد العارضة ككلامه عليه السّلام لمّا خاطبه العبّاس وأبوسفيان بالبيعة له بعد قبض النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم [1] وكلامه عليه السّلام لمّا أُشير عليه بألّا يتّبع طلحة والزبير [2]، إلى غير ذلك ممّا عبّر فيها غالباً بقوله: ومن كلام له عليه السّلام.

فمن خطبة له عليه السّلام يذكر فيها ابتداء خلق السّماء والأرض، وخلق آدم.

ونحن نقتصر من الخطبة هنا على ما يكون في التوحيد، وأمّا ما فيها في خلق السّماء والأرض. فنذكره في الفصل الثّاني [3] كما أنّ ما فيها راجعاً إلى خلق آدم نذكره في الفصل الرّابع [4] على ما عرفت أوّلاً في فهرست فصوله [5]، وإنّما

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ٤٠/خطبة ٥.

٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٤١/ خطبة ٦.

٣. فى عنوان ١.

٤. فى عنوان ١.

ذكرناهنا عنوان المصنّف لئلاّ ندع شيئاً من كلامه.

وفيها ذكر الحجّ.

هكذا في المصرية والجملة بتمامها زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي‌الحديد، وابن ميثم، والخطيّة) [١] ولابدّ أنّها كانت حاشية من بعض المحشّين حيث رأى أنّ في الخطبة فصلاً راجعاً إلى الحجّ، فخلطت بالمتن، وكيف كان فنذكر ما فيه من ذكر الحجّ في فصل العبادات. [٢]

١. خطبة ١:

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذى لايَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقائِلُونَ، وَلايُحْصى نَعْماءَهُ الْعادُّونَ، وَلايُؤَدّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ. الَّذى لايُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلا يَنالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ. الَّذى لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلانَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلائقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِياحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُخُورِ مَيَدانَ أَرْضِهِ.

من خطبة ٩٤: وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه‌السّلام:

اَلْحَمْدُ للهِ الْأَوَّلِ فَلا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ فَلا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظّاهِرِ فَلاشَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْباطِنِ فَلاشَيْءَ دُونَهُ.

من خطبة ٩٢: وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه‌السّلام:

فَتَبارَكَ اللهُ الَّذى لايَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلايَنالُهُ حُسْنُ الْفِطَنِ. الْأَوَّلُ الَّذى لاغايَةَ لَهُ فَيَنْتَهى وَلا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ.

←

٥. وجاء بعض قطعه فى عنوان ١ من الفصل الثالث وكذا الخامس والسادس وعنوان ٢ من الفصل الثانى والاربعين.

١. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ١٨ لكن يوجد فى شرح ابن ميثم ج ١ ص ١٠٦.

٢. فى عنوان ٢.

أقول: نقل الخطبة الأولى ابن طلحة الشّافعيّ في مطالبه[١]، وقال (الخوئى) أنّ المجلسي رواه فىّ البحار عن عيون الحكمة لمحمّد بن علىّ الواسطىّ إلى قوله «إلى يوم الوقت المعلوم»[٢] لكن لم أقف في البحار على نقله عنه.[٣]

«الحمد»: ظاهر الصحاح ترادف الحمد مع المدح حيث قال: الحمد نقيض الذّم[٤]، وفرّق المصباح بينهما، فجعل الحمد للجميل الاختياري فقط، والمدح له وللخلقي[٥]، إلاّ أنّ الظاهر أنّ كلاً من الحمد والمدح للاختياري النفسانيّ فكما لم نسمع استعمال حمد اللؤلؤ كذلك لم نسمع استعمال مدحه.

«لله»: روى المعاني عن العسكري عليه السّلام أنّ الله هو الّذي يتألّه إليه عند الحوائج والشّدائد[٦]، ونقل (ابن أبي الحديد) عن الرّاونديّ أنّ «الله» أخصّ من «الإ له»[٧] ونقل عنه فى موضع آخر أنّ الإ له مصدر بمعنى المألوه[٨]، وردّه بأنّه لافرق بينهما في اللغة، بل في الإصطلاح، وأنّ الإ له إسم جنس كالرجل لكلّ معبود بحقّ أو باطل وغلب على الحقّ وأنّ «مألوه» مصدر لامفعول وأنّه لم يسمع مألوه في اللغة لأنّ أله الرّجل إذا دهش وتحيّر لازم لايبنى منه مفعول.[٩]

قلت: حمله ولعه على الاعتراض على الراونديّ ألّا يراجع اللّغة، وإلّا ففى الصّحاح أله بالفتح إلاهة أى عبد عبادة، وإله فعال بمعني مفعول أي معبود كقولنا: إمام على فعال بمعنى مفعول لأنّه مؤتمّ به.[١٠]

وما قاله من أنّ أله الرجل بمعنى تحيّر لايبنى منه مفعول غلط فاحش، فإنّما

---

١. رواه ابن طلحة فى مطالب السؤول ص ٢٧.

٢. شرح الخوئى ج ١ ص ٩٧.

٣. يوجد فى بحار الانوار ج ٧٧ ص ٣٠٠ ح ٧ وفيه «على بن محمد الواسطى».

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٤٦٣/ماده حمد.

٥. المصباح المنير ج ١ ص ١٨٣/ مادة حمد.

٦. معانى الاخبار للصدوق ص ٤ ح ٢.

٧. شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٢٠.

٨. شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٢١.

٩. رد الاول فى صفحة ٢٠ والثانى فى ص ٢١.

١٠. صحاح اللغة للجوهرى ج ٦ ص ٢٢٢٥/مادة اله.

وله الرّجل بمعنى تحيّر لا يبنى منه مفعول لا «أله» ولو كان اعترض عليه بأنّ إله ليس بمصدر بل إلاهة كما قال الجوهريّ، وأنّه قال إله فعال بمعنى مفعول كان له وجه.

ثمّ لو لم يكن فرق بين «الله» و«إله» كما قال (ابن أبي الحديد)[١] يصير معنى: لا إله إلّا الله كقولك: لا رجل إلّا رجل أو لا زيد إلّا زيد.

وكيف لا يكون بينهما فرق، وقد كان المشركون، وهم من أهل اللّغة؛ يطلقون الإ له على الأوثان، ولا يطلقون لفظة «الله» إلّا على موجد العالم. قال تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله..»[٢] كما أنّ ما قاله من أنّ الإ له كلّ معبود وغلب على الحقّ ليس كذلك. قال تعالى: «أفرأيت من اتّخذ إلهه هواهُ..»[٣] وإنّما غير الحقّ يجب أن ينفى ككلّ باطل، فلا إله إلّا الله، وكذلك قوله مألوه مصدر ليس كذلك، فقد عرفت من الصّحاح أنّه على أصله.

قال (ابن أبي الحديد) أيضاً: قال الراونديّ: الحمد لله دالّ على أنّه عليه السّلام حمد الله تعالى وأنّه ثابت عليه مدّة حياته، وأمر غيره في فحوى كلامه أن يحمدوه أيضاً ثابتين، ولو كان عبّر بلفظ أحمد الله لم يفهم منه جميع ذلك[٤] ثمّ ردّه (ابن أبي الحديد) بأنّه لا فرق بين قولنا: «الحمد لله»، وقولنا: «أحمد الله».[٥]

قلت: لم لم يراجع كلمات علماء البيان في الفرق بين الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة، فإنّما قال الراونديّ ما قالوه من أنّ أحمد الله بلفظ الفعليّة مجرد إخبار بحمده له تعالى، وأمّا الحمد لله بلفظ الإسميّة، وتعريف الحمد بلام الجنسيّة، فدالّ على الدّوام والإستمرار، وأنّه تعالى مستحقّ للحمد من كلّ حامد فكما حمده هو عليه السّلام يجب أن يحمده كلّ مخلوق مثله.

وفي الخبر أنّ الباقر عليه السّلام فقد بغلة له، فقال: «لئن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها» فما لبث أن أُتي بها بسرجها ولجامها فلمّا استوى عليها

---

١. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٠.
٢. الزمر ــ ٣٨.
٣. الجاثية ــ ٢٣.
٤. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٠ والنقل بالمعنى.
٥. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٠ والنقل بالمعنى.

وضمّ إليـه ثيابه رفع رأسه إلى السّماء، فقـال: الحمدلله، فلـم يزد. ثمّ قـال: ما تركت ولابقيـت شيئاً، جعلت كلّ أنواع المحامد لله عزّوجلّ، فما من حمد إلّا وهو داخل في ما قلت.[١]

«الّذي لايبلغ مدحته القائلون»: كيف يبلغ القائلون مدحته، والمادح إنّما يبلغ مدح شخص إذا أحاط علماً بكمالاته. فالجاهل لايقدر أن يصف علم العالم ولايمكن الاحاطة بكمالاته تعالى لغيره عزّوجلّ فينحصر مدحه تعالى كما ينبغي بذاته المقدّسة، ولذا قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «لاأُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٢] وكيف يبلغ مدحته القائلون، وقد قال عزّ اسمه: «قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله مدداً»[٣].

«ولا يحصي نعماءه العادّون»: إنّما يمكن الاحصاء في ماله حصر ولا حصر لنعمائه تعالى.

وفي الخبر أنّ أُبيّ بن كعب قرأ عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله قوله تعالى: «.. وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..»[٤] فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لقوم عنده، وفيهم أبوبكر وعبيدة وعمر وعثمان وعبدالرّحمن: قولوا الآن ما أوّل نعمة غرسكم الله بها وأبلاكم بها فخاضوا من المعاش والرّياش والذرّيّة والأزواج، فلمّا أمسكوا قال لأميرالمؤمنين عليه السّلام: يا أباالحسن قل. فقال عليه السّلام: إنّ الله خلقنى ولم أكن شيئاً مذكوراً، وأن أحسن بى فجعلني حيّاً لامواتاً، وأن أنشأنى فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب، وأن جعلنى متفكّراً واعياً لاأبله ساهياً، وأن جعل لى شواعر أدرك بها ما ابتغيت وجعل فيّ سراجاً منيراً، وأن هدانى لدينه ولن يضلّني عن سبيله، وأن جعل لى مردّاً في حياة لا انقطاع لها، وأن جعلنى

١. رواه الاربلى فى كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣٠ والطبرسى فى مكارم الاخلاق ص ٣٠٧.

٢. اخرجه صاحب مصباح الشريعة فيه ص ٥٦ والدار قطنى فى الافراد عنه منتخب كنزالعمال ج ١ ص٣٤٨ عن النبى (ص) ونقله ابن ابىالحديد فى شرحه ج ١ ص١٩ وابن‌ميثم فى شرحه ج ١ ص ١١١.

٣. الكهف ــ ١٠٩. ٤. لقمان ــ ٢٠.

ملكاً مالكاً لامملوكاً، وأن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، وأن جعلنا ذكراناً قوّاماً على حلائلنا لا أُناثاً، وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول في كلّ كلمة: صدقت، ثمّ قال: فما بعد هذا؟ فقال علي (ع): «وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها»[١]. فتبسّم النبيّ صلّى الله عليه وآله وقال: ليهنئك الحكمة، ليهنئك العلم يا أباالحسن، أنت وارث علمي، والمبيّن لأُمّتي ما اختلفت فيه من بعدي.[٢]

«ولا يؤدّي حقّه المجتهدون»: أي السّارعون في عبادته، وكيف يمكن لأحد أداء حقّه، وحقوقه غير محصورة على حسب نعمائه.

وعن الزّهري دخلت مع عليّ بن الحسين عليه السّلام على عبدالملك، فاستعظم ما رأى من أثر السّجود بين عينيه، فقال له: يا أبامحمّد لقد تبيّن عليك الإجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من النّبيّ صلّى الله عليه وآله. فأجابه عليه السّلام في كلام طويل بأنّه مع ذلك لم يؤدّ حقّه تعالى ــ إلى أن قال عليه السّلام له ــ: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري في قيامي له تعالى لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه الّتي لا يحصيها العادّون ويبلغ حدّ نعمة واحدة منها على جميع حمد الحامدين له تعالى ــ الخبر.[٣]

وقال بعضهم: قوله عليه السّلام «الّذي لايبلغ مدحته القائلون» إقرار بالعجز عن الحمد باللسان، وقوله عليه السّلام «ولا يحصي نعماءه العادّون» اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان وقوله عليه السّلام «ولا يؤدّي حقّه المجتهدون» اعتراف بالقصور عن العمل بالأركان.[٤]

«الّذي لايدركه بعد الهمم»: أي لايصل إلى كنهه الهمم العالية الراقية إلى شوامخ الأمور.

---

١. ابراهيم ــ ٣٤ والنحل ــ ١٨.
٢. رواه ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٣٥٥ والحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٩ ح ٤٥٥ وابوعلي الطوسي في اماليه ج ٢ ص ١٠٥ / جزء ١٧.
٣. رواه ابن طاووس في فتح الابواب عنه البحار ج ٤٦ ص ٥٦ ح ١٠.
٤. القائل هوالمجلسي في شرح الخطبة في بحارالانوار ج ٤ ص ٢٤٨.

«ولا يناله **غوص الفطن**» أي لا ينتهي إلى هويّته الفطن الغائصة لجج الأفكار.

قال (الخوئي) إضافة «**بعد الهمم**» و «**غوص الفطن**» ليس من باب إضافة الصفة إلى الموصوف على ما قيل لوجوب المطابقة بين الصّفة والموصوف.[١]

قلت: ما قيل سليم، وما قاله هو عليل، فالمطابقة إنّما في ما إذا بقيت الصفة على وصفها لا بعد تبديلها، فيقال: زيد بعيد الهمم، والأصل ذوهم بعيدة.

ثمّ مثل قوله عليه السّلام هنا «**الّذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن**» قوله عليه السّلام في الثالثة: «**فتبارك الله الّذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن**» فإنّ الفرق بينهما إنّما في اللّفظ والمعنى واحد.

وما نقلناه «**حدس الفطن**» إنّما هو في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم)[٢] فنقل المصريّة «حسن الفطن» تصحيف.

وفي الكافي: سأل ابوهاشم الجعفريّ الجواد عليه السّلام عن قوله تعالى «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار..»[٣] فقال عليه السّلام: يا اباهاشم أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند و البلدان الّتي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون.[٤]

هذا ومن المضحك أنّ جمهور متكلّمي العامّة يدّعون أنّهم يعرفون حقيقة ذاته و أفرطوا في الوقاحة، فقالوا: إنّه تعالى لا يعلم من ذاته إلّا ما نعلم منها.

---

١. شرح الخوئي ج ١ ص ١٠٠.

٢. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٨٠ لكن في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٩٤ ايضاً «حسن الفطن».

٣. الانعام ــ ١٠٣.

٤. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٩ ح ١١ والصدوق في التوحيد ص ١١٣ ح ١٢ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٤٤٢ عن ابي هاشم عن الجواد (ع) وروى معناه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٦ عن الصادق (ع) والبرقي في المحاسن ص ٢٣٩ ح ٢١٥ والكليني في الكافي ج ١ ص ٩٨ ح ١٠ والصدوق في التوحيد ص ١١٢ ح ١١ عن طريق ابي هاشم والصدوق في الامالي ص ٣٣٤ ح ٢/مجلس ٦٤ وصاحب فقه الرضا عنه البحار ج ٣ ص ٦٢ ٢ ح ١٧ عن غير طريقة عن الرضا (ع) والبرقي في المحاسن ص ٢٣٩ ح ٢١٥ عن ابي هاشم عن الجواد (ع) وابن ابي حاتم وابوالشيخ واللالكائي عنهم الدر المنثور ج ٣ ص ٣٧ عن ابي الحسين القاري موقوفاً.

«الّذي ليس لصفته» أي لتوصيفه، فيأتي كلامه عليه السّلام «وكمال الاخلاص له نفي الصّفات عنه» والمراد ليس لذاته.

«حدٌّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود». لكون هذه الأُمور من عوارض الجسمانيّات، وهو تعالى منزّه عن ذلك.

وروى توحيد الصّدوق خطبة عنه عليه السّلام في استنهاضه النّاس إلى حرب معاوية ثانية وفيها «الّذي ليس له وقت معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود»[1].

«فطر» عن ابن عبّاس: كنت لا أدري ما «فاطر السّماوات» حتّى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها: أي ابتدأتها.[2]

«الخلائق» من الجماد والنبات، والوحش، والطّير، والهوامّ، والأنعام غير البشر.

«بقدرته» يمكن أن يكون المراد لإظهار قدرته. فيكون قوله هذا «فطر الخلائق بقدرته» مساوقاً لقوله عليه السّلام الآخر «عباد مخلوقون اقتداراً» ويمكن أن يكون المراد أنّ خلقه تعالى للخلائق بنفس قدرته لابمعونة أدوات وآلات كعمل المخلوقين. فيكون الكلام إشارة إلى قوله تعالى: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[3].

«ونشر الرّياح برحمته» يمكن أن يكون المراد بالرّحمة الأمطار كالرّحمة في قوله تعالى: «وهو الّذي يرسل الرّياح بشراً بين يدى رحمته..»[4] ويمكن أن يكون المراد بها ترّحمه تعالى على عباده بنشر الرّياح، فبالرّياح يجيء السّحاب كما عرفت من الآية

١. توحيد الصدوق ص ٤١ ح ٣.

٢. اخرجه ابوعبيد فى غريب الحديث وفضائل القرآن عنهما الكاف الشاف ج ٢ ص ٩ وابن جرير وابن الانبارى فى الوقف والابتداء وعبدبن حميد فى مسنده وابن المنذر وابن ابى حاتم والبيهق فى شعب الايمان عنهم الدر المنثورج ٣ ص ٧ وج ٥ ص ٢٤٤ ونقله الطوسى فى البتيان ج ٤ ص ٨٨ عن ابن عباس وبين الفاظ اختلاف يسير.

٣. يس ـــ ٨٢.

٤. الاعراف ـــ ٥٧

وبالرّياح تلقح الأشجار، قال تعالى: «وأرسلنا الرّياح لواقح..»[١] وبالرّياح تسير السّفن، قال تعالى: «إن يشأ يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره..»[٢] ولولا الرّياح لزويت النّباتات ومات الإنسان والحيوانات وفسدت الجمادات.

والرّياح لاتستعمل غالباً إلاّ في الخير كما في آيات «وهو الّذي يرسل الرّياح» «وأرسلنا الرّياح لواقح..» «وهو الّذي أرسل الرّياح بشراً..»[٣] «.. ومن يرسل الرّياح بشراً..»[٤] «ومن آياته أن يرسل الرّياح مبشّرات..»[٥] «والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً..»[٦] «.. وتصريف الرّياح..»[٧].

وممّا جاء للمطلق «فأصبح هشيما تذروه الرّياح»[٨] لكن في قراءة: «الرّيح»[٩].

كما أنّ الرّيح الأغلب استعمالها في الشرّ كما في آيات «.. إذ أرسلنا عليهم الرّيح العقيم»[١٠] «.. فيرسل عليكم قاصفاً من الرّيح..»[١١] «.. أوتهوى به الرّيح في مكان سحيق»[١٢] «.. كرماد اشتدّت به الرّيح في يوم عاصف..»[١٣].

وممّا جاءت للخير: «ولسليمان الرّيح عاصفة..»[١٤] «فسخّرنا له الرّيح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب»[١٥] «ولسليمان الرّيح غدوّها شهر ورواحها

---

١. الحجر — ٢٢.
٢. الشورى — ٣٣.
٣. الفرقان — ٤٨.
٤. النمل — ٦٣.
٥. الروم — ٤٦.
٦. فاطر — ٩.
٧. البقرة — ١٦٤.
٨. الكهف — ٤٥.
٩. قرأ حمزة والكسائى وخلف «الريح» بلفظ المفرد وقرأ باقى القراء العشرة «الرياح» بلفظ الجمع كما فى التيسير ص ٧٨ والنشرج ٢ ص ٢٢٣.
١٠. الذاريات — ٤١.
١١. الاسراء — ٦٩.
١٢. الحج — ٣١.
١٣. ابراهيم — ١٨.
١٤. الانبياء — ٨١.
١٥. ص — ٣٦.

شهر..»[١] «إنّ يشاء يسكن الرّيح..»[٢].

وكذلك ريح بدون الّلام يأتي لهما قال تعالى: «إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً..»[٣] «..ريح فيها عذاب أليم»[٤] «..وتذهب ريحكم..»[٥].

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول الثّعالبي في فقه لغته: لم يأت لفظ الرّيح في القرآن إلّا في الشّرّ والرّياح إلّا في الخير ثمّ ذكر آيات.[٦]

«و وتّد بالصّخور»: أي الجبال.

«ميدان» : أي اضطراب.

«أرضه» أي جعل الجبال أو تاداً للأرض لئلاّ تضطرب كاوتاد الخيم لئلاّ تضطرب، وإلى ذلك أُشير في الكتاب في مواضع، منها «وألق في الأرض رواسى أن تميد بكم..»[٧] «والجبال أوتادا»[٨].

وفي الصّخور أي الجبال فوائد أُخرى غير منع الأرض من الميدان من كونها معادن للفلزّات والأحجار الكريمة، وخزائن مياه، ومنابت أشجار ونباتات وأزاهير وعقاقير، ومعاقل للناس عن أعدائهم ومساكن الوحوش و الطّيور.

قول المصنّف في الثانية «ومن خطبة له عليه السّلام» هكذا في (ابن أبي الحديد، وابن ميثم)[٩] وأمّا ما في المصريّة «ومن خطبة أخرى» فتحريف ولا وجه

---

١. سبأ ــ ١٢.
٢. الشورى ــ ٣٣.
٣. القمر ــ ١٩.
٤. الاحقاف ــ ٢٤.
٥. الانفال ــ ٤٦.
٦. هذا قول مشهور بين اهل اللغة والتفسير قال به الراغب الاصفهانى فى المفردات ص ٢١١/مادة روح ثم ذكر الآيات، وغيره منهم لكن لم اجده فى نسختى من فقه اللغة للثعالبي ولا ملحقه نعم جاء فى متن فقه اللغة ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩ وملحقه من كتاب الجرائيم لعبدالله بن مسلم ص ٣٥٤ و ٣٥٥ ذكر الريح و الرياح مفصلاً باسمائها ويلوح منه هذا المعنى لكن لم يذكر آية.
٧. النحل ــ ١٥.
٨. النبأ ــ ٧.
٩. شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ١٨٢ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٤٠٠.

لقوله «أخرى» فكلّ خطبة غير سابقتها.

قوله عليه السّلام فيها «الحمدلله الأوّل فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظّاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه» الأصل فيه قوله تعالى: «هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»[١،٢].

قوله عليه السّلام في الثّالثة «الأوّل الّذي لا غاية له فينتهي، ولا آخر له فينقضي» روى توحيد الصّدوق أنّ ابن أبي يعفور قال للصّادق عليه السّلام: قوله تعالى «هو الأوّل والآخر»[٣] عرفنا الأوّل بيّن لنا تفسير الآخر. فقال عليه السّلام له: إنّه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغيّر أو يدخله الغير والزوال أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة إلّا ربّ العالمين، فإنّه لم يزل ولا يزال واحداً. هو الأوّل قبل كلّ شيء، وهو الآخر على مالم يزل. لا تختلف عليه الصّفات والأسماء ما يختلف على غيره. مثل الإنسان الّذي يكون تراباً مرّة ومرّة لحماً ومرّة دماً ومرّة رفاتاً ورميماً، وكالتّمر الّذي يكون مرّة بلحاً ومرّة بسراً ومرّة رطباً ومرّة تمراً، فيتبدّل عليه الأسماء والصفات والله ـ عزّ وجلّ ـ بخلاف ذلك.[٤]

٢ • خطبة ١: بَعْدَ ما مَرَّ:

أَوَّلُ الدّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْديقُ بِهِ وَكَمالُ التَّصديقِ بِهِ تَوْحيدُهُ وَكَمالُ تَوْحيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ وَكَمالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْهُ بِشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّها غَيْرُ الْمَوْصُوفِ. وَشَهادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنّاهُ وَمَنْ ثَنّاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قالَ: فيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قالَ: عَلامَ فَقَدْ أَخْلىٰ مِنْهُ.

---

١ و ٢. الحديد ـ ٣.

٣. لم يتعرض الشارح بشرح الفقرتين من اول الثالثة وقد سبق قريب منها في الاولى.

٤. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٣١٤ ح ٢ والكليني في الكافي ج ١ ص ١١٥ ح ٥.

«أوّل الدّين»: أي أوّل ما يجب أن يتديّن به.

«معرفته»: أى بالقلب والجنان. قال الرضا عليه السّلام في علل رواها عنه الفضل بن شاذان: فإن قال قائل فما أوّل الفرائض قيل: الإقرار بالله وبرسوله وحجّته وبما جاء من عندالله فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله وبرسوله وحجته وبما جاء من عندالله قيل: لعلل كثيرة: منها أنّ من لم يقرّ بالله لم يتجنّب معاصيه، ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحداً في ما يشتهى ويستلذّ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كلُّ إنسان ما يشتهى ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدّماء والسّبى، وقتل بعضهم بعضاً من غير حقّ ولاجرم فيكون في ذلك خراب الدّنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنّسل.[١]

«وكمال معرفته» مضافاً إلى معرفته بالقلب.

«التصديق به»: أي الإقرار به باللّسان حتّى لايكون من الّذين جحدوا بآياته واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً، فإنّ أولئك معرفتهم ناقصة غير كاملة.

«وكمال التّصديق به توحيده» بنفى الشّريك عنه، لأنّ من عرف بقلبه أنّ للعالم صانعاً وأقرّ به بلسانه، لكن جعل له شريكاً في الايجاد كالثنوية، ومن قال هو ثالث ثلاثة تصديقه ناقص لافائدة فيه.

«وكمال توحيده الإخلاص له» في العبادة لأنّ من وحّده في الايجاد لكن جعل له شريكاً في العبادة كالوثنيّة الّذين قالوا في أوثانهم: «..ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى..»[٢] توحيده غير كامل.

١.. اخرجه ضمن حديث طويل الصدوق فى علل الشرائع ج ١ ص ٢٥٢ ح ٩ والعيون ج ٢ ص ٩٧ ح ١.

٢. الزمر ـــ ٣.

«و كمال الاخلاص له نفي الصّفات» زائدة على الذات كما في الناس.

«عنه بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف» فعلم زيد غيرذات زيد.

«وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة» فذات عمرو غيرحلمه، وفي حديث الزّنديق الّذي قال للصّادق عليه السّلام: «أتقول: إنّ الله سميع بصير فقال عليه السّلام: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي إنّه سميع بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي، إذ كنت مسئولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول: يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض لأنّ الكلّ لنا له بعض، ولكنّ أردت إفهامك والتّعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك كلّه إلّا أنّه السّميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذّات، ولا اختلاف المعنى»[1].

وقيل للباقر عليه السّلام: «يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر، ويبصر بغير الّذي يسمع. فقال عليه السّلام: كذبوا وألحدوا وشبّهوا تعالى الله عن ذلك إنّه سميع بصير. يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع»[2].

وكلامه عليه السّلام ككلام عترته عليه السّلام ردّ على الصّفاتيّة الّذين يقال لهم اليوم الأشعريّة.

قال الشّهرستانيّ في ملله: اعلم أنّ جماعة كثيرة من السّلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزليّة من العلم والقدرة،، والحياة والإرادة، والسّمع والبصر، والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام، والعزّة والعظمة، ولا يفرّقون بين صفات الذّات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً، وكذلك يثبتون صفات خبريّة مثل اليدين والوجه، ولا يؤوّلون ذلك إلّا أنّهم يقولون هذه الصفات قدوردت في الشرع فنسّميها صفات خبريّة، ولمّا كانت المعتزلة ينفون الصّفات والسّلف يثبتون سمّى السّلف صفاتيّة، والمعتزلة معطلة،

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٩ ح ٢ والصدوق بطريقين في التوحيد ص ١٤٤ ح ١٠ وص ٢٤٥ ح ١ وروى هذا الحديث الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٢ لكن لا توجد فيها هذه القطعة.

٢. اخرجه ضمن حديث الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٨ ح ١ والصدوق في التوحيد ص ١٤٤ ح ٩.

فبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حدّ التّشبيه بصفات المحدثات، واقتصر بعضهم على صفات دلّت الأفعال عليها، وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين منهم من أوّله على وجه يحتمل اللّفظ ذلك، ومنهم من توقّف في التأويل.

ــ إلى ان قال ــ ثمّ إنّ جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا: لابدّ من اجرائها على ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت، من غير تعرّض للتأويل ولاتوقّف في الظاهر، فوقعوا في التّشبيه الصّرف.

ــ إلى أن قال ــ أمّا السّلف الّذين لم يتعرّضوا للتأويل ولاتهدّفوا للتشبيه، فنهم مالك بن أنس إذ قال: الإستواء معلوم، والكيفيّة مجهولة، والإيمان به واجب والسّؤال عنه بدعة، ومثل أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وداود بن عليّ الإصفهانيّ ومن تابعهم، حتّى انتهى الزّمان إلى عبدالله بن سعيد الكلابيّ، وأبي العبّاس القلانسيّ، والحرث بن أسد المحاسبيّ.

وهؤلاء كانوا من جملة السّلف أنّهم باشروا علم الكلام وأيّدوا عقائد السّلف بحجج كلاميّة وبراهين أُصوليّة وصنّف بعضهم ودرّس بعض، حتّى جرى بين أبي الحسن الأشعري، وبين استاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصّلاح والأصلح، فتخاصما وانحاز الأشعريّ إلى هذه الطّائفة، فأيّد مقالتهم بمناهج كلاميّة، وصار ذلك مذهباً لأهل السّنّة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتيّة إلى الأشعريّة، ولمّا كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عدّدناهم فرقتين من جملة الصّفاتيّة.[١]

«ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثنّاه فقد جزّأه».

هكذا في النّسخ[٢]، ولا يبعد أن يكون وقع تحريف، وأنّ الأصل **«ومن قرنه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد ثنّاه»**، فإنّ القول بتثنيته أشنع من القول بتجزيته، فبطلان القول بالتثنية مسلّم عند جميع فرق المسلمين بخلاف القول بتجزيته، فيدين به المشبّهة منهم والمجسّمة.

---

١. الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٤.

٢. كذا في نهج البلاغة ج ١ ص ١٥ وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٢ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ١٠٦.

«ومن قال فيم» كمن قال إنّه في السّماء.

«فقد ضمّنه» أي جعله في ضمن شيء.

«ومن قال علام» كمن قال إنّه على العرش.

«فقد أخلى منه» أي غير ذلك الشيء الّذي قال هو عليه، كالكرسيّ مثلاً وغيره.

قال ابن أبي العوجاء للصّادق عليه السّلام: أليس إذا كان في السّماء كيف يكون في الأرض وإذا كان في الأرض كيف يكون في السّماء؟ فقال عليه السّلام: إنّما وصفت المخلوق الّذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدرى في المكان الّذي صار إليه ما يحدث في المكان الّذي كان فيه، فأمّا الله العظيم الشأن الملك الديّان، فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان.[١]

هذا، وروى الإرشاد هذه الفقرات عن الزّهري وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان عنه عليه السّلام هكذا: «أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي التّشبيه عنه، جلّ عن أن تحلّه الصّفات بشهادة العقول أنّ كلّ من حلّته الصّفات مصنوع، وشهادة العقول أنّه ــ جلّ جلاله ــ ليس بمصنوع بصنع الله يستدلّ عليه وبالعقول تعتقد معرفته، وبالنّظر تثبت حجتّه. جعل الخلق دليلاً عليه، فكشف به عن ربوبيّته. هو الواحد الفرد في أزليّته لا شريك له في إلهيّته، ولا ندّله في ربوبيّته بمضادّته بين الأشياء المتضادّة علم أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له».[٢]

وروى العيون والتوحيد وأمالي المفيد وأمالي الشّيخ عن الرّضا عليه السّلام

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٢٦ ح ٣ والصدق في التوحيد ص ٢٥٤ ح ٤ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٥ ضمن حديث طويل واخرج الحديث الصدوق في العلل ج ٢ ص ٤٠٤ ح ٤ والامالي ص ٤٩٣ ح ٤/ مجلس ٩٠ والمفيد في الارشاد ص ٢٨٠ والكراجكي في الكنز ص ٢٢٠ لكن ليس في رواية العلل وما بعدها هذه القطعة.

٢. الارشاد للمفيد ص ١١٩.

خطبة في المعنى و هى: «أوّل عبادة‌الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيدالله نفى الصّفات عنه، لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ موصوف أنّ له خالقاً ليس بصفة ولاموصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الإقتران بالحدوث، وشهادة الحدوث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدوث ــ الخبر»[١].

٣. من خطبة ١: بعد ما مرّ:

كائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُقارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزايَلَةٍ، فاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكاتِ وَالْآلَةِ، بَصيرٌ إذْ لا مَنْظُورَ إلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ، أنْشَأَ الْخَلْقَ إنْشاءً، وَابْتَدَأهُ ابْتِداءً، بِلا رَوِيَّةٍ أجالَها وَلا تَجْرِبَةٍ اسْتَفادَها، وَلا حَرَكَةٍ أحْدَثَها، وَلا هَمامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فيها، أحالَ الْأشْياءَ لِأوْقاتِها، وَلاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفاتِها، وَغَرَّزَ غَرائِزَها، وَألْزَمَها أشْباحَها، عالِماً بِها قَبْلَ ابْتِدائِها، مُحيطاً بِحُدُودِها وَانْتِهائِها، عارِفاً بِقَرائِنِها وَأحْنائِها.

«كائن لاعن حدث» لأنّه مكوّن المحدثات.

«موجود لاعن عدم» لأنّه موجد المعدومات.

«مع كلّ شيء لابمقارنة» قال تعالى: «..مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أين ما كانوا..»[٢].

---

١. اخرجه الصدوق فى العيون ج ١ ص ١٢٣ ح ٥١ والتوحيد ص ٣٤ ح ٢ والمفيد فى اماليه ص ٢٥٣ ح ٤/ مجلس ٣٠ وابوعلى الطوسى فى اماليه ج ١ ص ٢٢/جزء ١.

٢. المجادلة ــ ١.

«وغير كلّ شي لا بمزايلة» «.. ليس كمثله شي ..»[1].

«فاعل لا بمعنى الحركات والآلة» «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[2].

«بصير إذ لا منظور إليه من خلقه» إذ البصيريّة من صفات ذاته تعالى كالسّميعيّة والعالميّة، والقدرة لا من صفات الفعل حتّى يستلزم أن يكون منظور إليه. قال الصادق عليه السّلام: «لم يزل الله تعالى ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور.»[3]

«متوحّد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده» إذ التّوحيد من صفات ذاته والاستيناس والاستيحاش من صفات خلقه».

«أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً».

ومعنى الإنشاء أنّه تعالى أوجد الخلق لا من مادّة، ومعنى الإبتداء أنّه أوجدهم لا لتحصل له فائدة. فعن الرّضا عليه السّلام في ما أملى في التوحيد على محمّد بن زيد: «الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداء بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الإختراع، ولا لعلّة فلا يصحّ الإبتداع، خلق ما شاء كيف شاء»[4].

«بلا رويّة» في الصّحاح: الرّويّة التفكّر في الأمر.[5]

---

١. الشورى ــ ١١.

٢. يس ــ ٨٢.

٣. اخرجه ضمن حديث الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٧ ح ١ والصدوق في التوحيد ص ١٣٩ ح ١ وباختصار ابوعلي الطوسي في اماليه ج ١ ص ١٧٠ / جزء ٦.

٤. اخرجه ضمن حديث الصدوق في التوحيد ص ٩٨ ص ٥ وعلل الشرائع ج ١ ص ٩ ح ٣.

٥. صحاح اللغة للجوهري ج ٦ ص ٢٣٦٤ / مادة روى.

«أجالها» أي أدارها، والأصل فيه الجولان.

«ولا تجربة استفادها» كالبشر في أموره.

«ولا حركة أحدثها» كما يفعل من يريد الإتيان بعمل.

«ولا همامة» قال (ابن أبي الحديد): إنّ الهمامة اصطلاح للثّنويّة، وفي كتاب المقالات: إنّ همامة من النّور، وهمامة من الظّلمة، أي قطعة منها غيّرتا أوّلاً ثمّ تقارنتا حتّى ابتنى منهما هذا العالم المحسوس، وإنّ أمير المؤمنين عليه السّلام ردّ عليهم في اصطلاحهم، وليست بلفظة عربيّة.[1]

قلت: إنّ (ابن أبي الحديد) لايراجع غير الصّحاح، وحيث لم يذكرها جعل اللّفظة غير عربيّة، وهو غلط، فتفهم عربيّتها من كلامه عليه السّلام ككلام غيره من العرب، وذكرها القاموس واللّسان لكن جعلاها مصدراً من الهمّ بالكسر بمعنى الشّيخ الفانيّ.

قال الأوّل: والهِمّ والهِمّة بكسرهما الشّيخ الفانيّ، وقدأهمّ. جمع الهِمّ أهمام وهي همّة وجمعها همّات وهمائم والمصدر الهمومة والهمامة[2]، وقال: الثاني: والهِم بالكسر الشّيخ الكبير البالي، والأُنثى همّة بيّنة الهمامة، والمصدر: الهمومة والهمامة، وقد انهمّ، وقد يكون الهمّ والهمّة من الإبل، قال وناب همّة لاخير فيها.[3]

والصواب أن يقال: إنّه يجيء مصدراً من فعل الهمّ الّذي قالا وإن اختلفا فيه مع كونه على خلاف القياس من أهمّ كان أو انّهم، ويجيء مصدراً من هممت بالشيّ إذا قصدته كما في كلامه عليه السلام، و هو على القياس.

وبالجملة هل كتبوا اللّغة إلّا من موارد استعمال العرب، وفي ما كتبوا

---

١. يوجد هذا المعنى في شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٧ وكتاب المقالات يبدو انه للكعبي وثمة يوجد كتب كثيرة بهذا الاسم لاتحصى ونقل الشهرستاني قريباً من هذه المقالة عن المرقونية من الثنوية في الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٣.

٢. القاموس المحيط ج ٤ ص ١٩٢/ مادة هم.

٣. لسان العرب ج ١٢ ص ٦٢١/ مادة هم.

نواقص ولمن كتب أوهام، حتى مثل الا صمعيّ الّذي كان من أئمّتهم فله أغلاط واضحة ومنها في أرعد وأبرق[١] وللصّحاح أوهام فاضحة ومنها في قوله العلق بالكسر النّفيس من كلّ شيء يقال علق مضنة.[٢]

ومن الغريب أنّ (ابن أبي الحديد) يغلّط يعرب بن قحطان إذا رآى في كلامه شيئاً على خلاف قول الصّحاح ومنه إنكاره كون الهمامة عربيّة لعدم ذكر الصّحاح لها مع أنّ الصّحاح وإن لم يذكر اللّفظة إلّا أنّه قال: يقال أهمّني الأمر إذا أقلقك وحزنك[٣] فلم لم يجعلها مشتقّة منه كما يشهد له المقام ونفس الكلام.

«نفس اضطرب فيها» فإنّ كلّ ذلك من صفات الخلق.[٤]

«ولاءم بين مختلفاتها» قال النّظام: الدّليل على الصّانع انّا رأينا أشياء متضادّة من شأنها التّنافي والتّباين والتّفاسد مجموعة، وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة المجتمعة في كلّ حيوان وفي أكثر سائر الأجسام، فعلمنا أنّ جامعها قسرها على الإجتماع ولولا ذلك لتباينت وتفاسدت، ولو جاز أن تجتمع المتضادّات المتنافرات وتتقاوم من غير جامع جمعها لجاز ان يجتمع الماء والنار ويتقاوما من ذاتها بغير جامع مدبّر مقيم يقيمها، وهذا محال لايتوهّم، وفي اجتماعها دليل على حدوثها لأنّها لا يجوز عليها الإنفراد، فإذا كانت لاتوجد إلّا مجتمعة بطل أن توجد كذلك إلّا بجامع جمعها صحّ أنّه قبلها، وأنّها لم توجد إلّا حين ابتدعها مجتمعة ولو وجدت قبل ذلك لم يوجد الّا على أحد وجهين: إمّا أن يكون كلّ واحد منها منفرداً وهذا محال أو تكون مجتمعة لاجامع لها وهذا أيضاً محال، فقد صحّ أنّها ابتدعت وأنّ الّذي جمعها كان موجوداً قبلها.[٥]

وفي حديث الدّيصانيّ ــ وكان من الزّنادقة ــ مع الصّادق عليه السّلام: دلّني على معبودي ولاتسألني عن اسمي ــ وكان اسمه عبدالله ــ فقال عليه السّلام

---

١. نقل قول الاصمعى فى لسان العرب ج ٣ ص ١٨٠/ مادة رعد.

٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٥٣٠/ مادة علق.

٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ٢٠٦١/ مادة همم.

٤. لم يتعرض الشارح بشرح فقرة «احال الاشياء لاوقاتها».

٥. نقله عنه الكراجكى فى كنزالفوائد ص ٨٦.

له: اجلس وإذاً غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها. فقال عليه السّلام: يا غلام ناولني البيضة. فناوله.[١] فقال عليه السّلام: ياديصانيّ هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة، وفضّة ذائبة. فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح، فيخبرعن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري أللذكر خلقت أم للأنثى. تنفلق عن مثل ألوان الطّواويس. أترى لها مدبّراً. فأطرق مليّا ثمّ قال: أشهد ألّا إله إلّا الله.[١]

وقد كشف العلم الجديد أنّ الماء مركّب من جزئين قتّالين[٢] وبتركيبهما صارا حياة لكلّ ذى روح.

«وغرّز غرائزها» وهب لكلّ ذي طبيعة من نوع الإنسان وأجناس الحيوان وأصناف الطّيور، وأقسام الوحوش، وصنوف الحيتان طبيعتها.

«وألزمها أشباحها» هكذا في المصريّة و (ابن أبي الحديد)[٣] ولكن في (ابن ميثم) «أسناخها»[٤].

جعل كلّ نطفة مبدأ لدابّة وطير وسابح، وكلّ بذرمنشأ لنبات وشجر.

«عالماً بها قبل ابتدائها» فإنّه لو لم يكن عالماً بها قبل ابتدائها لما قدرعلى ابتدائها، وحيث إنّ علمه من صفات ذاته فعلمه بها قبلها كعلمه بها بعدها. وأمّا البشر فقد يعمل عملاً فيجد أثراً فيه بدون علمه بترتبه.

«محيطاً بحدودها، وانتهائها» جعل لكلّ شيء حدّاً وانتهاء لا يتجاوزه فلنشو الإنسان والحيوان والشجر والنبات حدّ تنتهي إليه «إنّا كلّ شيء خلقناه

---

١. اخرجه باختلاف يسير الكليني فى الكافي ج ١ ص ٧٩ ح ٤ والصدوق في التوحيد ص ١٢٣ ح ١ والطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٣.

٢. هما غازا الاكسجين والهدرجين وقوله «قتّالين» غريب خصوصاً فى مورد الاكسجين لانه مادة تجتذبها الرئة وعليها تتوقف الحياة.

٣. شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٢٥.

٤. فى شرح ابن ميثم ج ١ ص ١٣١ ايضاً «اشباحها».

بقدر»[١].

«عارفاً بقرائنها» أي ما يوافقها فيقرنها.

«وأحنائها» في الصّحاح: «الحنو» بالكسر واحد أحناء السّرج والقتب، وحنو كلّ شيء ايضاً اعوجاجه، ومنه حنو الجبل[٢].

هذا، وقال المجلسي في شرح قوله عليه السّلام «عارفاً بقرائنها وأحنائها»: إنّه يدلّ على جواز اطلاق العارف عليه تعالى ومنعه بعضهم[٣]. قلت: إنّما يفهم منه جواز إطلاق عارف مقيّد لا مطلق.

٤ • خطبة ٤٩: وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ (ع):

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الّذى بَطَنَ خَفِيّاتِ الْأُمُورِ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلىٰ عَيْنِ الْبَصيرِ. فَلا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ. سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلا شَيْءَ أَعْلىٰ مِنْهُ، وَقَرُبَ فِى الدُّنُوِّ فَلا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلا اسْتِعْلاؤُهُ باعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلا قُرْبُهُ ساواهُمْ فِى الْمَكانِ بِهِ لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلىٰ تَحْديدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْها عَنْ واجِبِ مَعْرِفَتِهِ. فَهُوَ الّذى تَشْهَدُ لَهُ أَعْلامُ الْوُجُودِ عَلىٰ إِقْرارِ قَلْبِ ذِى الْجُحُودِ، تَعالَى اللهُ عَمّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبيراً.

«الحمدلله الّذي بطن خفيّات الأمور» أي صار باطناً لها حتّى كأنّها ظاهرة بالنسبة إليه تعالى كما قال عليه السّلام في كلام له آخر «كلّ باطن غيره ظاهر»[٤]

---

١. القمر ــ ٤٩.

٢. صحاح اللغة للجوهري ج ٦ ص ٢٣٢١/ مادة حنو.

٣. بحارالانوار ج ٥٧ ص ١٨١.

٤. لفظ الفقرة «وكل باطن غيره غير ظاهر» كما في نهج البلاغة ج ١ ص ١١٣/ خطبة ٦٣ وشرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٤٧١ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٦٧ والفرق كثير.

وذلك لإمكان درك ذاتها، واستحالة ذلك في حقّه تعالى.

وقال (ابن أبي الحديد) وتبعه (ابن ميثم، والخوئي)[١]: معنى قوله عليه السّلام: «بطن خفيّات الأمور» علم بالبواطن والخفيّات، وهو كما ترى مع أنّه يأباه قوله عليه السّلام بعد.

«ودلت عليه أعلام الظّهور» فإنّه دالّ على أنّ كنهه تعالى وإن كان أخفى الأمور إلّا أنّ وجوده تعالى أجلى الأشياء، وفي غاية الظّهور لكثرة شواهده، وتوفّر أدلّته «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أو لم يكف بربّك إنّه على كلّ شيء شهيد»[٢].

وفي كلّ شيء له آية ٭ تدلّ على أنّه واحد[٣]

«وامتنع على عين البصير» أن تبصره وتراه، وعن عاصم بن حميد: ذاكرت الصّادق عليه السّلام في ما يروون من الرّؤية. فقال: الشّمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسيّ والكرسيّ جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور السّتر. فإن كانوا صادقين فليملؤا أعينهم من الشّمس ليس دونها سحاب.[٤]

وقال المفيد: لا يصحّ رؤية الباري سبحانه بالأبصار وبذلك شهد العقل، ونطق القرآن، وتواتر الخبر عن أئمّة الهدى عليهم السّلام من آل محمد صلّى الله عليه وآله وعليه جمهور أهل الإمامة، وعامّة متكلّميهم إلّا من شذّ منهم لشبهة عرضت له في تأويل الأخبار.[٥]

«فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره» قال (ابن أبى الحديد): وقد روى هذا الكلام على وجه آخر قالوا فى الخطبة «فلا قلب من لم يره ينكره،

---

١. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٩٢ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٢٧ وشرح الخوئي ج ٢ ص ٧٨.

٢. فصلت ـ ٥٣.

٣. اورده ابن ابي الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٤٤.

٤. اخرجه الكليني فى الكافي ج ١ ص ٩٨ ح ٧ والصدوق فى التوحيد ص ١٠٨ ح ٣.

٥. اوائل المقالات للمفيد ص ٦٢.

ولا عين من أثبته تبصره».[١]

قلت: هو أنسب جداً. فالإنكار ينسب إلى القلب، والإبصار إلى العين، والأوّل عكسه، ولا يصحّ إلّا بتأوّل.

دخل رجل من الخوارج على الباقر عليه السّلام وقال له: أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى. قال أرأيته؟. قال: بلى ولكن لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان. لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبّه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات. لا يجور في حكمه ذلك الله لا إله إلّا هو. فخرج الرّجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.[٢]

«سبق في العلوّ» لكونه خالقاً.

«فلا شيء أعلى منه» لأنّ كلّ شيء مخلوق له تعالى.

«وقرب في الدنوّ فلا شيء أقرب منه» حتّى أنّ المحتضر مع قرب أقاربه منه ذاك الحين، واجتماعهم حوله هو تعالى أقرب إليه منهم حتّى يتوفى تعالى نفسه «فلو لا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون»[٣] وحتّى أنّ الأجزاء الباطنيّة للإنسان مع كونها في غاية القرب من صاحبها هو تعالى أقرب إليه منها «..ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»[٤] «.. يحول بين المرء وقلبه..»[٥].

«فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه» كما باعد استعلاء السّماء على الأرض السماء عن الأرض.

---

١. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٩٢.

٢. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٧ ح ٥ والصدوق في التوحيد ص ١٠٨ ح ٥ والامالي ص ٢٢٩ ح ٤ / مجلس ٤٧ ورواة الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢١ عن الباقر(ع) ورواه الاربلي في كشف الغمة ج ٢ ص ٤١٨ متردداً عن الباقر أو الصادق (ع) وروى هذا المعنى عن علي والصادق (ع) كما يأتي في تحقيق حديث ذعلب في شرح خطبة ١٧٧ عنوان ٢٣ من هذا الفصل.

٣. الواقعة ــ ٨٣ ــ ٨٥.

٤. ق ــ ١٦.

٥. الانفال ــ ٢٤.

«ولا قربه ساواهم في المكان به» كما ساوى قرب نفرين جارين بينهما في المكان لأنّ استعلاءه وقربه ليس كاستعلاء بعض الخلق على البعض، وكقرب بعضهم من بعض.

«لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته» قال الصادق عليه السّلام للمفضّل بن عمرو: إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته.

فإن قالوا: فكيف يكلّف العبد الضّعيف معرفته بالعقل اللّطيف، ولا يحيط به.

قيل لهم: إنّما كلّف العباد من ذلك في ما طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلّفوا الإحاطة بصفته كما أنّ الملك لا يكلّف رعيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير، أبيض هو أم أسمر، وإنّما يكلّفهم الإذعان لسلطانه والانتهاء إلى أمره. ألا ترى أنّ رجلاً لو أتى إلى باب الملك وقال: اعرض عليّ نفسك حتّى أتقصّى معرفتك وإلّا لم أسمع لك كان قد[١] أحلّ نفسه بالعقوبة. فكذا القائل إنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّضاً لسخطه ـ الخبر.

«فهو الّذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود» هو نظير قوله عليه السّلام في ما يأتي «المتجلّي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجّته».[٢]

---

١. توحيد المفضل ص ١٧٧.

٢. نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٦/ خطبة ١٠٦ يأتي في عنوان ١٥ من هذا الفصل.

مناظرة ابن أبي العوجاءِ مع الصادق عليه السَّلام

قال أبومنصور المتطبّب: أخبرني رجل من أصحابي، قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء، وعبدالله بن المقفّع في المسجد الحرام. فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق ــ وأومأ بيده إلى موضع الطواف، ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة إلّا ذلك الشّيخ الجالس ــ يعني أباعبدالله جعفر بن محمد عليه السَّلام ــ فأمّا الباقون فرعاع وبهائم. فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الإسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أره عندهم. قال فقال له ابن أبي العوجاء: لابدّ من اختبار ما قلت فيه منه، فقال له ابن المقفّع: لاتفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك. فقال: ليس ذا رأيك، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إجلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت. فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت عليّ هذا فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقال وسمه مالك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفّع جالسين. فلمّا رجع إلينا ابن أبي العوجاء قال: ويلك يا ابن المقفّع ما هذا ببشر وإن كان في الدنيا روحانيّ يتجسّد إذا شاء ظاهراً ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا. فقال له: وكيف ذلك؟ قال: جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون يعني أهل الطواف فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم.

فقلت له: يرحمك الله وأيّ شيء نقول وأي شيء يقولون ما قولي وقولهم

إلّا واحد؟

فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون إنّ لهم معاداً، وثواباً وعقاباً، ويدينون بأنّ في السماء إلهاً وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد. قال فاغتنمتها منه. فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه، ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم إثنان، ولم احتجب عنهم، وأرسل إليهم الرسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به. فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشوءَك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك وكراهتك بعد شهوتك ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك ورجاءَك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرَك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك، وما زال يعدّد عليّ قدرته الّتي هي في نفسى الّتي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر في ما بيني وبينه.[1]

ومن الشواهد على ما ذكره عليه السّلام من إقرار قلب ذي الجحود أنّ كلّ جاحد إذا انقطع رجاؤه عن الأسباب الظاهريّة، وصار إلى الاضطرار يتوجّه إلى مبدأه بلااختيار «..فطرة الله الّتي فطر الناس عليها..»[2] «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذاهم يشركون»[3].

وحتّى أنّ عمرو بن العاص الّذي عادى النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى أن فتح النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مكّة فاستسلم ولم يسلم وأسرّ كفره ثمّ عادى أميرالمؤمنين عليه السّلام إلى شهادته كان مقرّاً بأنّ ما قدّرالله تعالى يقع، ولو على خلاف الأسباب الظاهريّة. في صفّين نصر أنّ معاوية لمّا أعطى عمروبن العاص مصر ليعينه على أميرالمؤمنين عليه السّلام وكتب له كتاباً، وكتب فيه: على أن

---

١. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٧٤ ح ٢ والصدوق فى التوحيد ص ١٢٥ ح ٤.

٢. الروم ـ ٣٠.

٣. العنكبوت ـ ٦٥.

لا ينقض شرط طاعة وكتب عمرو: على أن لا تنقض طاعة شرطاً، وكايد كلّ واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو ابن عمّ له فتى شاب وكان داهياً حليماً فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال: ألا تخبرني يا عمرو بأيّ رأى تعيش في قريش؟ أعطيت دينك ومنيّت دنيا غيرك. أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية، وعلى حيّ وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الّذي قدّمه في الكتاب. فقال له عمرو: يا ابن الأخ إنّ الأمر لله دون عليّ ومعاويّة الخ.[1]

«تعالى الله عمّا يقول المشبّهون به والجاحدون له علوّاً كبيراً» روى عن ابراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين انهما حكيا للرضا عليه السّلام: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة ــ إلى أن قال ــ فخرّ ساجداً لله ثمّ قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحّدوك، فمن أجل ذلك وصفوك ــ إلى أن قال ــ إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشّابّ الموفّق وسنّ أبناء ثلاثين سنة يا محمّد عظم ربيّ عزوجل أن يكون في صفة المخلوقين، قال: قلت له جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة قال: ذاك محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب.[2]

وروى عن داود الرّقيّ قال: سألت اباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزوجل: «..وكان عرشه على الماء..»[3]، فقال: مايقولون؟ قلت: يقولون: انه العرش على الماء، والرّبّ فوقه. فقال: كذبوا من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق، ولزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه.[4]

وأمّا قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»[5] فهو من قبيل قول الشّاعر:

---

١. وقعة صفين ص ٤٠.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ١٠٠ ح ٣ والصدوق فى التوحيد ص ١١٣ ح ١٣ ضمن حديث طويل واخرج معناه ايضاً الكلينى فى الكافى ج ١ ص ١٠٦ ح ٨ والصدوق فى التوحيد ص ١٧ ح ١.

٣. هود ــ ٧.

٤. اخرجه ضمن حديث الكلينى في الكافى ج ١ ص ١٣٢ ح ٧ والصدوق فى التوحيد ص ٣١٩ ح ١.

٥. طه ــ ٥.

قد استوى بشر على العراق ٭ من غير سيف ودم مهراق[١]

في كون المراد به مجرد الاستيلاء والسّلطة.

هذا، وفي كامل الجزري: وفي سنة (٣٢٣) خرج توقيع الراضيّ الخليفة بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبّخهم باعتقاد التّشبيه وغيره فمنه تارة أنكم تزعمون أنّ صورة وجوهكم القبيحة السّمجة على مثال ربّ العالمين، وهيئتكم الرّذلة على هيئته، وتذكرون الكفّ والأصابع والرّجلين والنّعلين المذهّبين، والشّعر القطط، والصّعود إلى السّماء، والنّزول إلى الدّنيا. تبارك الله عمّا يقول الظّالمون والجاحدون علوّاً كبيراً ـ الخ.[٢]

قلت: والأصل في زعمهم قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته[٣]، والضّمير في «صورته» راجع إلى رجل سبّه من قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله له ذلك فتوهموا رجوعه إلى «الله». روى العيون عن الحسين بن خالد قال قلت للرضا عليه السّلام: يا ابن رسول الله إنّ الناس يروون أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته. فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث. إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال صلّى الله عليه وآله له: يا عبدالله لاتقل هذا لأخيك فإنّ الله تعالى خلق آدم على صورته.[٤]

---

١. اورده لسان العرب ج ١٤ ص ٤١٤ / مادة سوا.

٢. الكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣٠٨/ سنة ٣٢٣.

٣. اخرجه مسلم فى صحيحه ج ٤ ص ٢١٨٣ ح ٢٨ واحمد بطريقين في مسنده ج ٢ ص ٣١٥ و٣٢٣ والطبرانى فى السنة والدار قطنى فى الصفات عنهما منتخب كنزالعمال ج ١ ص ١١٣ واخرج معناه عنه عبدالرزاق فى الجامع وابن عساكر فى التاريخ منتخب كنزالعمال ج ١ ص ١١٣ واخرجه ابن قتيبة فى تأويل المختلف ص ٢٢٠ مجرداً عن ابن عمر بلفظ «ان الله خلق آدم على صورة الرحمن» ونحو هذا اللفظ اخرج الطبرانى عنه كنوز الحقائق ج ٢ ص ١٥٩ وروى الكشى اختيار الكشى ص ٢٨٤ ح ٥٠٣ عن هشام بن سالم انه يقول «انّ آدم خلق على مثال الرب» وروى الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٤٤ ضمن حديث طويل عن الصادق (ع) نسبة التمسك بهذا الحديث الى اصحاب التناسخ وجاء ما يشبه هذا الحديث في التوراة الموجودة العهد العتيق ـ سفر التكوين ـ الاصحاح الاول/ ٢٦ و ٢٧ وفى رسالة بولس الى اهل افسس العهد الجديد ـ الرسالة المذكورة ـ الاصحاح الرابع/ ٢٤ وما نقل من صحف ادريس (ع) ابن طاووس فى سعد السعود ص ٣٣.

٤. اخرجه الصدوق فى العيون ج ١ ص ٩٨ ح ١٢ والتوحيد ص ١٥٢ ح ١١ ورواه الطبرسى فى

←

وفي الكامل أيضاً في سنة (٤٥٨): ذكر أنّ فيه توفي أبو يعلى الحنبليّ مصنّف كتاب الصّفات أتى فيه بكلّ عجيبة، وفيه التّجسيم وكان ابن تميم الحنبليّ يقول: لقد خرى أبويعلى على الحنابلة خرية لايغسلها ماء.[١]

هذا، ونوّع (ابن أبي‌الحديد) القول بالتّشبيه من قائليه أحد عشر نوعاً: كونه تعالى جسماً وجوهراً وذا أعضاء وذاجهة، وكونه عرضاً، ومحلّاً لشيء آخر، ومتّحداً بغيره، وكونه ذا أعراض ولون، وذا شهوة ونفرة، وذاتناه وكونه مرئياً، ونقل في كلّ نوع أباطيل من قائليه إلّا أنّ في نقله الغثّ والسّمين. فنسب إلى جمع من أجلّة الشيعة أضاليل[٢] كما نقل ما لا ينبغي نقله من ترّهات قصص العامّة مثل ما نقل عن قاصّ طبري أنّ في القيامة يخفى الله يزيد بن معاوية تحت قوائم عرشه من فاطمة ويرغّبها فى العفو عنه بإرائته لها قدمه المجروحة من سهم نمرود وعفوه عنه[٣]، ونقل عن معاذ العنبري أنّ له جميع الأعضاء حتّى الفرج[٤]. تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

٥ • خطبة ٦٣: ومن خطبة له عليه‌السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الّذى لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حالٌ حالاً. فَيَكُونَ اَوَّلاً قَبْلَ اَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظاهِراً قَبْلَ اَنْ يَكُونَ باطِناً. كُلُّ مُسَمّىً بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَليلٌ. وَكُلُّ عَزيزٍ غَيْرُهُ ذَليلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعيفٌ، وَكُلُّ مالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ،

الاحتجاج ج ٢ ص ٤١٠ عن الرضا (ع) وروى معناه الصدوق فى التوحيد مسنداً ص ١٥٢ ح ١٠ وابن قتيبة فى تأويل المختلف ص ٢١٩ والمرتضى فى تنزيه الانبياء ص ١٢٧ وابن خالويه فى الاعراب مجرداً ص ١٢٩ وجاء فى شرح الحديث روايات غيرهذه الرواية منها ما رواه الصدوق فى التوحيد ص ١٠٣ ح ١٨ والطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢٣ عن الباقر (ع).

١. الكامل لابن الاثيرج ١٠ ص ٥٢ / سنة ٤٥٨.

٢. مقصود الشارح هشام بن الحكم وهشام بن سالم ويونس بن عبدالرحمن ومحمدبن النعمان صاحب الطاق والفضل بن شاذان والنسب التى نسبها اليهم ابن ابى‌الحديد رواها جمع من مؤلفى الشيعة والسنة لم يسع المقام لنقل رواياتهم.

٣ و ٤. شرح ابن ابى‌الحديد ج ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٤ ونقله الشارح بالمعنى.

وَكُلُّ سَميعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطيفِ ٱلاَصْواتِ، وَيُصِمُّهُ كَبيرُها، وَيَذْهَبُ عَنْهُ ما بَعُدَ مِنها وَكُلُّ بَصيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ ٱلاَلْوانِ، وَلَطيفِ ٱلاَجْسامِ، وَكُلُّ ظاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ باطِنٍ، وَكُلُّ باطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظاهِرٍ. لَمْ يَخْلُقْ ما خَلَقَهُ لِتَشْديدِ سُلْطانٍ، وَلا تَخَوُّفٍ مِنْ عَواقِبِ زَمانٍ، وَلا اسْتِعانَةٍ عَلى نِدٍّ مُثاوِرٍ، وَلا شَريكٍ مُكاثِرٍ، وَلا ضِدٍّ مُنافِرٍ، وَلٰكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبادٌ داخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِى ٱلاَشْياءِ، فَيُقالُ هُوَ فيها كائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْها، فَيُقالُ: هُوَمِنْها بائِنٌ. لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ ما ابْتَدَأ، وَلا تَدْبيرُ ما ذَرَأ، وَلا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمّا خَلَقَ، وَلا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فى ما قَضىٰ وَقَدَّرَ. بَلْ قَضاءٌ مُتْقَنٌ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ، الْمَأمُولُ مَعَ النِّقَمِ، وَالْمَرْجُوُّ مِنَ النِّعَمِ.

«الحمدلله» حمده تعالى باعتبار خمسة عشر وصفاً لا يوصف بواحد منها غيره تعالى.

الأوّل: «الّذي لم يسبق له حال حالاً. فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً» وغيره تعالى لا يوصف بالأوّليّة، والآخريّة في زمان واحد مثل أوّل سلطنة سلطان وآخرها وأوّل فاكهة وآخرها، وأمّا هو تعالى، ففي كلّ وقت أوّل وآخر، وسئل الصّادق عليه السّلام عن معنى الأوّل والآخر فيه تعالى. فقال: الأوّل لا عن أوّل قبله، ولا عن بدء سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم أوّل آخر لم يزل ولا يزول بلا بدء، ولا نهاية.[1]

«ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً» هو أيضاً كسابقه تفريع على قوله «لم يسبق له حال حالا» فكما أنّه تعالى في حين آخريته أوّل كذلك هو في حين باطنيته ظاهر. قال تعالى: «هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم»[2].

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١١٦ ح ٦ والصدوق في التوحيد ص ٣١٣ ح ١ ومعاني الاخبار ص ١٢ ح ١ عن ميمون البان عن الصادق (ع).

٢. الحديد ـ ٣.

وقال الرضا عليه السّلام في خبر في أسمائه تعالى: وأمّا الظّاهر فليس من أجل أنّه علا الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها، وتسنّم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرّجل ظهرت على أعدايي، وأظهرني الله على خصمي يخبر عن الفلج والغلبة. فهكذا ظهور الله على الأشياء، ووجه آخر أنّه الظّاهر لمن أراده، ولا يخفى عليه شيء، وأنّه مدبّر لكلّ ما برأ فأيّ ظاهر أظهر وأوضح من الله تعالى لأنّك لاتعدم صنعته حيثما توجّهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منّا البارز بنفسه، والمعلوم بحدّه. فقد جمعنا الإسم ولم يجمعنا المعنى.

وأمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول القائل أبطنته يعني خبرته، وعلمت مكتوم سرّه، والباطن منّا الغائب في الشيء المستتر فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.[1]

الثّاني: «كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل» في وحدته روى الفتح بن يزيد عن الرضا عليه السّلام في خبر: فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله تعالى واحد لا واحد غيره ولا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان. فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف فمن أجزاء مختلفة، وجواهر شتّى غير أنّه بالإجتماع شيء واحد.[2]

وفي خبر عن الجواد عليه السّلام: فلا يقال الله مؤتلف ولا الله قليل ولا كثير ولكنّه القديم في ذاته لأنّ ما سوى الواحد متجزّئ والله واحد لا متجزّئ، ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكلّ متجزّئ أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له.[3]

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٢٠ ح ٢ والصدوق في التوحيد ص ١٨٩ ح ٢ والعيون ج ١ ص ١٢٢ ح ٥٠ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٨.

٢. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٦٢ ح ١٨ ضمن حديث طويل واخرجه ايضاً الكليني في الكافي ج ١ ص ١٣٧ ح ٣ لكن ليس في حديث الكافي هذه القطعة.

٣. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١١٦ ح ٧ والصدوق في التوحيد ص ١٩٣ ح ٧ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٤٤٢.

الثّالث: «وكلّ عزيز غيره ذليل» «.. أيبتغون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعاً»[١] والعزّة في غيره تعالى وإن كان مجازياً إلّا أنّها أيضاً بيده فلاينالها إلّا من يشاء تعالى «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير»[٢].

كما أنّه تعالى جعلها بمعنى آخر للمنسوبين إليه «.. ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون»[٣] وكلتاهما وإن كانت غير حقيقيّة إلّا أنّ الأُولى ظاهريّة والثّانية باطنيّة.

الرّابع: «وكلّ قوى غيره ضعيف» كيف لايكون غيره ضعيفاً والإنسان الّذي سخّر له ما في السّماوات والأرض، وقال تعالى فيه: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا»[٤] في غاية الضّعف فقال تعالى: «.. وخلق الإنسان ضعيفاً»[٥]، وقال عليه السّلام: «**مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة**»[٦].

الخامس: «وكلّ مالك غيره مملوك» هو تعالى «.. له ملك السّموات والأرض..»[٧] وغيره «.. ولايملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً»[٨] «.. وما يملكون من قطمير»[٩] قال الجوهريّ: القطمير الفوفة الّتي فى النواة وهي القشرة الرّقيقة ويقال: هى النّكتة البيضاء الّتي في ظهر النّواة تنبت منها النّخلة.[١٠]

---

١. النساء ـــ ١٣٩.
٢. آل عمران ـــ ٢٦.
٣. المنافقون ـــ ٨.
٤. الاسراء ـــ ٧٠.
٥. النساء ـــ ٢٨.
٦. نهج البلاغة ج ٤ ص ٩٨/ حكمة ٤١٩.
٧. الفرقان ـــ ٢.
٨. الفرقان ـــ ٣.
٩. فاطر ـــ ١٣.
١٠. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٧٩٧/ مادة قطمر.

السّادس: «وكلّ عالم غيره متعلّم» وأمّا هو تعالى فعلمه من صفات ذاته.

السّابع: «وكلّ قادر غيره يقدر» على أشياء معدودة و «يعجز» عن أشياء غير محصورة، وأمّا هو تعالى فقادر على كلّ أمر غير مستحيل، وأمّا المستحيل كادخال الدّنيا في بيضة مع ابقائهما على حالهما كما اقترحه جاهل معاند، فخارج عن موضوع القدرة، مع أنّه تعالى فعل نظيره.

قال الدّيصانيّ لهشام بن الحكم: ألك ربّ؟ فقال: بلى. قال: أقادر هو؟ قال: نعم قادر قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لاتكبّر البيضة، ولا تصغّر الدنيا. قال هشام: النظرة. فقال له: قد أنظرتك حولاً. ثمّ خرج عنه فركب هشام إلى الصادق عليه السّلام فاستأذن عليه فأذن له فقال له: يا ابن رسول الله أتاني عبدالله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلّا على الله وعليك. فقال له أبوعبدالله عليه السّلام: عمّا ذا سألك؟ فقال: قال لي كيت وكيت. فقال ابوعبدالله عليه السّلام: يا هشام كم حواسّك؟ قال: خمس. قال: أيّها أصغر؟ قال: النّاظر. قال: وكم قدر النّاظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها. فقال عليه السّلام له يا هشام: فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى. فقال: أرى سماء وأرضاً، ودوراً وقصوراً، وبراري وجبالاً، وأنهاراً. فقال له ابوعبدالله عليه السّلام: إنّ الّذي قدر أن يدخل الّذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لاتصغّر الدنيا، ولا تكبّر البيضة. فأكبّ هشام عليه، وقبّل يديه ورأسه ورجليه وقال: حسبي يا ابن رسول الله، ورجع إلى الدّيصاني فأجابه. فقال: ليس هذا من عندك.[١]

الثّامن: «وكلّ سميع غيره يصمّ» بالفتح كناية عن عدم السّماع «عن لطيف الأصوات ويصمّه» بالضمّ «كبيرها» وأمّا هو تعالى فيسمع السرّ وأخفى، وهو ما خطر بالقلب[٢] «ويذهب عنه ما بعد منها» بخلافه تعالى. فالقرب والبعد عنده

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٧٩ ح ٤ والصدوق في التوحيد ص ١٢٢ ح ١ وحديث البيضة جاء بالفاظ اخرى منها سؤال ابليس عيسى (ع) اخرجه الصدوق في التوحيد ص ١٢٧ ح ٥ ومنها سؤال رجل عليًّا (ع) اخرجه بروايتين الصدوق في التوحيد ص ١٣٠ ح ٩ و ١٠ وسؤال رجل الرضا (ع) اخرجه الصدوق في التوحيد ص ١٣٠ ح ١١.

٢. قول الشارح اشارة الى قوله تعالى «فانه يعلم السر واخفى» طه ـ ٧ وتفسيره بما خطر بالقلب مروى ←

سواء بل ليس عنده قرب ولا بعد.

التّاسع: «وكلّ بصير غيره يعمى» كناية عن عدم الرّؤية «عن خفى الألوان ولطيف الأجسام» الظّاهر سقوط ما يؤدّى معنى قوله عليه السّلام فى السّابق «ويذهب عنه ما بعد منها» فكما يذهب عن كلّ سميع غيره تعالى ما بعد من الأصوات كذلك يذهب عن كلّ بصير غيره جلّ وعلا ما بعد من الألوان ولو كانت واضحة، والأجسام ولو كانت عظيمة. فإنّ السّامعة والباصرة منّا محدودتان، وغاية ما قالوا في القصص التاريخيّة: إنّ زرقاء اليمامة كانت تبصر الرّاكب من مسيرة ثلاثة أيّام، وأنّها قالت لقومها جديس لمّا بعث ملك اليمن إليهم لأخذ ثار طسم منهم، وكانوا خافوا أن تبصرهم فتنذرهم فيستعدّوا ولا يقدروا عليهم. فقطعوا الأشجار وجعل كلّ رجل منهم بين يديه شجرة: أرى أشجاراً تقبل إليكم، وأرى فيها رجلاً معه كتف يأكلها أو نعل يخصفها ففندوها فصبّحوهم على غرّه وأبادوهم.[١]

العاشر: «وكلّ ظاهر غيره غير باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر» لأنّ الظّاهر والباطن في غيره تعالى ضدّان لا يجتمعان بخلافهما فيه جلّ وعلا كما عرفت معناهما في شرح قوله عليه السّلام «ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»[٢].

الحاديعشر: «لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان» «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون؛ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون»[٣] «ولا تخوّف من عواقب زمان» كالملوك في أفعالهم.

وفي تاريخ الطّبري: أنّ المنصور بنى الهاشميّة قبالة مدينة ابن هبيرة الّتي كانت إلى جانب الكوفة، وبنى أيضاً الرّصافة بظهر الكوفة. فلمّا ثارت الرّاونديّة في هاشميّته كره سكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الرّاونديّة مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه. فأراد أن يبعدهم من جوارهم. فذكر أنّه خرج بنفسه يرتاد موضعاً يتّخذه مسكناً لنفسه وجنده. فبدأ فانحدر إلى

← موقوفاً عن على بن ابراهيم وقتادة والحسن البصرى وعكرمة يجئ تخريجه فى عنوان ١٥ من هذا الفصل.

١. نقل القصة بطولها الحموى فى معجم البلدان ج ٥ ص ٤٤٦.

٢. هى الفقرة الثالثة من هذا العنوان.

٣. الذاريات ــ ٥٦ و ٥٧.

جرجرايا، ثمّ صار إلى بغداد، ثمّ مضى إلى الموصل، ثمّ عاد إلى بغداد. فقال: هذا موضع معسكر صالح هذه دجلة ليس بيننا وبين الصّين شيء يأتينا فيها كلّ ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينيّة وما حول ذلك، وهذا الفرات يجيء فيه كلّ شيء من الشّام والرّقة وما حول ذلك. فنزل وضرب عسكره على الصّراط وخطّ المدينة، ووكّل بكلّ ربع قائداً.[١]

«ولا استعانة على ندّ» بالكسر المثل والنظير.

«مثاور» أي مواثب.

«ولاشريك مكاثر» كأهل الدنيا «اعلموا أنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد..»[٢].

وفي المروج: كتب ملك الصّين إلى أنوشيروان: من فغفور ملك الصّين صاحب قصر الدرّ والجوهر الّذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الّذي توجد رائحته على فرسخين، والّذي تخدمه بنات ألف ملك، والّذي في مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه كسرى أنوشيروان.[٣]

وفيه: وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق، وصاحب قصر الذّهب، وأبواب الياقوت والدّر إلى أخيه ملك فارس صاحب التّاج والرّاية كسرى أنوشيروان.[٤]

«ولا ضدّ منافر» كالسّلاطين في استحكاماتهم.

وفي تاريخ الطّبري: قيل للمنصور في ما قيل له في محاسن موضع بغداد ليتّخذه حصناً: وأنت بين أنهار لايصل إليك عدوّك إلّا على جسر أو قنطرة فإذا قطعت الجسر، وأخرجت القناطر لم يصل إليك عدوّك ــ إلى أن قال ــ والتّدبير

---

١. تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٣٤/ سنة ١٤٥ ونقلها الشارح بتلخيص.

٢. الحديد ــ ٢٠.

٣. مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٢.

٤. مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٣.

في المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق والحصون، ودجلة والفرات خنادق لمدينتك.[١]

«**ولكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون**» بالدّال المهملة: أي صاغرون ذليلون «.. **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد**»[٢] فكيف يعمل عملاً لتشديد سلطان أو سائر ما ذكر.

الثّاني عشر: «**لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ**» بفتح الهمزة أي لم يبعد ولم ينفصل «**عنها فيقال هو منها بائن**» مثلاً لايقال: إنّه تعالى حلّ في السّماء كما لايقال: إنّه عزّوجلّ نأى عن الأرض بل نسبتها إليه تعالى على السّواء « وهو الّذي في السّماء إله وفي الأرض إله..»[٣].

هذا، وتوحيد الصدوق روى الثاني عشر قبل الحادي عشر[٤]، والظّاهر أصحيّته فإنّ. المناسب أن يكون قوله: «**لم يحلل**» ـ إلخ ـ بعد قوله «**وكلّ باطن غيره غير ظاهر**» كما أنّ المناسب أن يكون الثّالث عشر «**لم يؤده**» ـ إلخ ـ بعد قوله «**لم يخلق**» ـ إلخ ـ لكونهما من واد واحد.

كما أنّه زاد بعد قوله «**بائن**»: «**ولم يخل منها فيقال له أين لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، وأحصاها حفظه**» فالظّاهر وقوع سقط في النّهج لكون الزّائد من موضوعه كتقديم وتأخير.

الثّالث عشر: «**لم يؤده**» أى لم يثقله من آده الحمل أثقله أو من آدنى هذا الأمر بلغ منّى المجهود. «**خلق ما ابتدأ**» «.. وسع كرسيّه السّموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العليّ العظيم»[٥] «**ولا تدبير ما ذرأ**» في الصّحاح حكى بعضهم ذرأت الأرض: أى بذرتها وزرع ذرىّ على فعيل وأنشد:

شققت القلب ثمّ ذرأت فيه ٭ هواك فليم فالتأم الفطور[٦]

«إنّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من

---

١. تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢٣٦/ سنة ١٤٥.
٢. ابراهيم ـ ١٩.
٣. الزخرف ـ ٨٤.
٤. التوحيد للصدوق ص ٤٢ و ٤٣ ح ٣.
٥. البقرة ـ ٢٥٥.
٦. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٥١/ مادة ذرء.

أحد من بعده..»[١] «..فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا آتينا طائعين فقضاهنّ سبع سمٰوات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنا السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم»[٢].

«ولا وقف به عجز عمّا خلق» هكذا في النّسخ[٣]، والظّاهر وقوع تصحيف فقولك وقف بى الأمر الفلانىّ عن الشّيء الفلانيّ إنّما يقال إذا لم تفعله، فلابدّ أنّ الأصل «ولاوقف به عجز في ما خلق» أو «ولا وقف به عجز عمّا لم يخلق».

ويشهد له رواية التّوحيد للخطبة: ولا من عجز ولامن فترة بما خلق اكتفى علم ما خلق وخلق ما علم.[٤]

الرّابع عشر: «ولا ولجت عليه شبهة في ما قضى وقدّر بل قضاء متقن وعلم محكم، وأمر مبرم» وفي التّوحيد: لابالتفكّر ولا بعلم حادث أصاب ما خلق، ولاشبهة دخلت عليه في ما لم يخلق لكن قضاء مبرم ــ إلخ.[٥]

«..قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لاتعلمون ــ إلى ــ فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنّى أعلم غيب السّموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»[٦].

الخامس عشر «المأمول مع النّقم والمرجوّ من النّعم» هكذا في المصريِة، والصّواب «والمرهوب مع النّعم» كما في (ابن ميثم، وغيره)[٧].

يدلّ على كونه تعالى مأمولاً مع النّقم، ومرهوباً مع النّعم ماورد أنّه تعالى قال لداود عليه السّلام: بشّر المذنبين، وانذر الصّدّيقين.

---

١. فاطر ــ ٤١.

٢. فصلت ــ ١١ و ١٢.

٣. كذا فى نهج البلاغة ج ١ ص ١١٣ وشرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٤٧١ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٦٨.

٤ و ٥. التوحيد للصدوق ص ٤٣ ح ٣.

٦. البقرة ــ ٣٠ و ٣٣.

٧. فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ١٦٨ ايضاً «المرجو» لكن فى شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٤٧١ «المرهوب» وليس قبله واو.

قال داود: كيف أبشّر المذنبين، وانذر الصّديقين. قال يا داود: بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفوعن الذّنب، وأنذر الصدّيقين ألّا يعجبوا بأعمالهم، فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلّا هلك.[١]

هذا، ونقل (ابن أبي الحديد)[٢] هنا آياتاً و أبياتاً لا ربط لها بالمقام كقوله تعالى «..فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل اللّه فيه خيراً كثيراً»[٣] وكقول الشّاعر:

من عاش لاقى ما يسو ٭ ءُ من الأنوار وما يسرّ

٦. خطبة ٨٣: ومن خطبة له عليه السّلام:

وَ اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ. الْاَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ لا غايَةَ لَهُ. لا تَقَعُ الْاَوْهامُ لَهُ عَلىٰ صِفَةٍ، وَلا تَعْقُدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلىٰ كَيْفِيَّةٍ، وَلا تَنالُهُ التَجْزِئَةُ وَالتَّبْعيضُ، وَلا تُحيطُ بِهِ الْاَبْصارُ وَالْقُلُوبُ.

«وأشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لاشريك له» روى ثواب الأعمال عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله في خبر يقول تعالى: فمن لقيني منكم يشهد ألّا إله إلّا أنا. وأنّ محمّداً عبدي ورسولي أدخلته الجنّة برحمتي.[٤]

«الأوّل لاشيء قبله، والآخر لاغاية له» وفي خطبة ٩٩ «الأوّل قبل كلّ أوّل، والآخر بعد كلّ آخر بأوّليّته وجب أن لا أوّل له، وبآخريّته وجب أن لا آخر له»[٥] وفي خطبة ٩٤ «الحمدللّه الأوّل فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظّاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه»[٦] ومرّ في عنوان ١ من هذا الفصل.

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٣١٤ ح ٨ ذيل حديث عن الصادق (ع) عن النبي (ص).

٢. شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٤٧٥.

٣. النساء ــ ١٩.

٤. اخرجه الصدوق في ثواب الاعمال ص ٢٥ ح ٢.

٥. نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٤/ خطبة ٩٩.

٦. نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٦/ خطبة ٩٤.

«لاتقع الأوهام له على صفة» في حديث الزّنديق مع الصّادق عليه السّلام: قال الزّنديق: فإنّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً. قال ابوعبدالله عليه السّلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التّوحيد عنّا مرتفعاً لأنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم ولكنّا نقول: كلّ موهوم بالحواسّ مدرك فما تجده الحواسّ، وتمثّله فهو مخلوق ولابدّ من إثبات صانع الأشياء خارج من الجهتين المذمومتين: إحديهما النّفى إذ كان النّفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثّانية التشبيه إذ كان التّشبيه من صفة المخلوق الظّاهر التّركيب والتّأليف فلم يكن بدّ من إثبات الصّانع لوجود المصنوعين والإضطرار منهم إليه.[١]

«ولاتقعد» هكذا في المصريّة، والصّواب «ولاتعقد» بتقديم العين كما في (ابن ميثم) وغيره.[٢]

و من الغريب أنّ محشّى المصريّة قرّر الغلط وقال إنّه مجاز عن استقرار حكمها.[٣]

«القلوب منه على كيفيّة» هو ردّ على المشبّهة حيث قالوا: كلّ ما لم تعقد القلوب منه على كيفيّة، ولم ترجع فيه إلى إثبات هيئة لم نعقل منه شيئاً. فردّ عليه السّلام عليهم أنّه واحد بلا كيفيّة، وأنّ القلوب تعرفه بلا إحاطة، وقال الصّادق عليه السّلام: من نظر في الله كيف هو هلك.[٤]

«ولاتناله التّجزئة والتّبعيض» وما ورد من مثل «..يدالله فوق أيديهم..»[٥] و«..بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء..»[٦] فكنايات واستعارات.

---

١. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٢٤٥ ح ١ والكليني فى الكافي ج ١ ص ٨٠ ح ٥ لكن ليس في حديث الكافي هذه القطعة.

٢. كذا في شرح ابن ابي‌الحديد ج ٢ ص ١٢٠ لكن في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٧٤ ايضاً «تقعد».

٣. المحشى هو الشيخ محمد عبده كذاقال في ذيل نهج البلاغة ج ١ ص ١٤٨.

٤. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٣ ح ٥ والبرقي في المحاسن ص ٢٣٧ ح ٢٠٨.

٥. الفتح ــ ١٠.

٦. المائدة ــ ٦٤.

«ولا تحيط به الأبصار والقلوب» قال الصّادق عليه السّلام: يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطّاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السّماوات والأرض. إن كنت صادقاً فهذه الشّمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول. [١]

هذا، ويناسب كلامه عليه السّلام في هذه الخطبة قول الهادي عليه السّلام: إلهي تاهت أوهام المتوهّمين وقصر طرف الطّارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلّت أقاويل المبطلين عن الدّرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك. فأنت في المكان الّذي لايتناهى، ولم تقع عليك عيون بإشارة ولاعبارة، هيهات ثمّ هيهات يا أوّلي يا وحداني يا فرداني، شمخت في العلو بعزّ الكبر، وارتفعت من وراء كلّ غورة ونهاية بجبروت الفخر. [٢]

٧. خطبة ٨٨: ومن خطبة له عليه السلام:

اَلْحَمْدُ لِلهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ. الَّذي لَمْ يَزَلْ قائِماً دائِماً. اِذْ لا سَماءٌ ذاتُ اَبْراجٍ، وَلا حُجُبٌ ذاتُ اِرْتاجٍ، وَ لا لَيْلٌ داجٍ، وَلا بَحْرٌ ساجٍ، وَلا جَبَلٌ ذُو فِجاجٍ، وَلا فَجٌّ ذُو اِعْوِجاجٍ، وَلا اَرْضٌ ذاتُ مِهادٍ؛ وَلا خَلْقٌ ذُو اِعْتِمادٍ. ذلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وارِثُهُ، وَ اِلهُ الْخَلْقِ وَ رازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دائِبانِ فى مَرْضاتِهِ يُبْلِيانِ كُلَّ جَديدٍ، وَيُقَرِّبانِ كُلَّ بَعيدٍ. قَسَمَ أَرْزاقَهُمْ، وَ أَحْصىٰ آثارَهُمْ وَأَعْمالَهُمْ، وَ عَدَدَ أَنْفاسِهِمْ، وَ خائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَما تُخْفى صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّميرِ وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْاَرْحامِ وَالظُّهُورِ اِلىٰ أَنْ تَتَناهى بِهِمُ الْغاياتُ. هُوَ الَّذى اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلىٰ أَعْدائِهِ فى سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِاَوْلِيائِهِ فى شِدَّةِ نِقْمَتِهِ. قاهِرُ مَنْ عازَّهُ، وَمُدَمِّرُ مَنْ شاقَّهُ، وَمُذِلُّ مَنْ ناواهُ، وَغالِبُ مَنْ عاداهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ

١. اخرجه الكليني فى الكافى ج ١ ص ٩٣ ح ٨ والصدوق فى التوحيد ص ٤٥٥ ح ٥.

٢. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٦٦ ح ١٩.

عَلَيْهِ، كَفاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزاهُ.

«الحمدلله» حمده على أوصاف أوجبت حمده:

الأوّل: «المعروف من غير رؤية» الابصار بل من رؤية القلوب.

وأملى الرّضا عليه السّلام في التّوحيد: احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور. عرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة، ونعت بغير جسم، لا إله إلّا الله الكبير المتعال [١]

الثّاني: «والخالق من غير رويّة» بخلاف باقى الصّانعين.

والثّالث: «الّذي لم يزل قائماً دائماً» قبل أن يكون خلق.

«إذ لاسماء ذات أبراج» قال في اللّسان انّ الأبراج جمع البرج كالبروج.[٢] قال تعالى: «والسّماء ذات البروج»[٣] «تبارك الّذي جعل في السّماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً»[٤] «ولقد جعلنا في السّماء بروجاً وزيّناها للنّاظرين؛ وحفظناها من كلّ شيطان رجيم، إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهاب مبين»[٥].

والبروج الإثنا عشر معروفة، وعن الفرّاء: اختلفوا في البروج فقالوا: هي النّجوم، وقالوا: هي البروج المعروفة إثنا عشر برجاً وقالوا هى القصور فى السماء والله اعلم بما أراد.[٦]

«ولا حجب» وفي خبر زيد بن وهب: سئل أميرالمؤمنين عليه السّلام عن الحجب. فقال: أوّل الحجب سبعة غلظ كلّ حجاب مسيرة خمسمأة عام بين كل حجابين منها مسيرة خمسمأة عام، والحجاب الثالث سبعون حجاباً بين كل

١. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٩٨ ح ٥ والعلل ج ١ ص ٩ ح ٣.
٢. لسان العرب ج ٢ ص ٢١٢/ مادة برج.
٣. البروج ــ ١.
٤. الفرقان ــ ٦١.
٥. الحجر ــ ١٦ــ١٨.
٦. نقله عن الفرّاء لسان العرب ج ٢ ص ٢١٢/ مادة برج.

حجابين منها مسيرة خمسمأة عام، وطوله خمسمأة عام حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك، قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين منها ظلمة ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، ومنها مطر، ومنها رعد، ومنها ضوء، ومنها رمل، ومنها جبل، ومنها عجاج، ومنها ماء، ومنها أنهار، وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام ــ الخبر.[١]

«ذات إرتاج» بالكسر بمعنى الاغلاق.

«ولا ليل داج» في معنى قوله تعالى: «والّيل إذا يغشى»[٢] قال الأصمعيّ: دجا اللّيل إنّما هو ألبس كلّ شيء، وليس هو من الظّلمة، ومنه قولهم: «دجا الإسلام» أي قوى، وألبس كلّ شيء.[٣]

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول الشّراح «ليل داج» أي مظلم.[٤]

«ولا بحر ساج» أي ساكن. قال الأعشى:

فما ذنبنا أن جاش بحرابن عمّكم ٭ وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا[٥]

ومنه إيضا «واللّيل إذا سجى»[٦] أي بلغ النّهاية في الظّلمة فسكن.

«ولا جبل ذوفجاج» فجاج جمع فجّ. قال تعالى: «.. من كلّ فجّ عميق»[٧] وفي اللّسان: قال ابوالهيثم الفجّ الطّريق الواسع في الجبل، وكلّ طريق بعد فهو

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٢٧٨ ح ٣ والخصال ج ٢ ص ٤٠١ ح ١٠٩ ضمن حديث.

٢. الليل ــ ١.

٣. هذا قول بعض اهل اللغة قال به ابن الاثير فى النهاية ج ٢ ص ١٠٣/ مادة دجى ونقله ابن منظور عن مجهول فى لسان العرب ج ١٤ ص ٢٤٩/ مادة دجى ولم أرمن نسبه الى الاصمعى. بل حكى ابن منظور فى لسان العرب ج ١٤ ص ٢٥٠ عن الأصمعى أنّ دجى الليل بمعنى هدأ وسكن وذكر شاهده على قوله.

٤. كذا قال ابن ابي الحديد فى شرحه ج ٢ ص ١٣٧ والمجلسى فى شرح الخطبة فى بحارالانوار ج ٥٧ ص ٢٦ والخوئى فى شرحه ج ٣ ص ٦٨ والنقل بالمعنى.

٥. اورده لسان العرب ج ١٤ ص ٣٧١/ مادة سجا.

٦. الضحى ــ ٢.

٧. الحج ــ ٢٧.

فجّ.[١]

وقول بعضهم الفجّ الطّريق الواسع بين جبلين[٢] يأباه قوله عليه السّلام هذا فجعل عليه السّلام لجبل واحد فجاجاً بل الأصل فيه الطّريق الواسع، ولو لم يكن في جبل قال تعالى: «والله جعل لكم الأرض بساطاً، لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً»[٣] وكون الجبل ذافجّ لايستلزم أن يكون كلّ فجّ في الجبل، فهو نظير أن تقول جبل ذوعيون مع حصول العين في غير الجبل.

«ولا فجّ ذو اعوجاج» هو أيضاً لايستلزم أن يكون الفجّ معوّجاً، وإنّما هو وصف غالبي كسابقه، فإنّ الأغلب في الجبال أن تكون ذات فجاج كما أنّ الأغلب في الفجاج أن تكون ذات إعوجاج.

«ولا أرض ذات مهاد» «ألم نجعل الأرض مهادا»[٤] «والأرض فرشناها فنعم الماهدون»[٥] «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً..»[٦] «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً..»[٧].

هذا، ونقل الهيئة والإسلام[٨] عن بعضهم الاستدلال بالآية الأخيرة على حركة الأرض لكون المهد يتحرّك بلا اضطراب. قلت: ومثلها الآية الثّالثة.

«ولا خلق ذو اعتماد» قال (ابن أبي الحديد): أي ولا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما ونحو ذلك والإعتماد هنا البطش والتّصرّف.[٩]

---

١. لسان العرب ج ٢ ص ٣٣٩/ مادة فجج.

٢. هو مختار ابن منظور في لسان العرب ج ٢ ص ٣٣٨/ مادة فجج وغيره.

٣. نوح ــ ١٩ و ٢٠.

٤. النبأ ــ ٦.

٥. الذاريات ــ ٤٨.

٦. الزخرف ــ ١٠.

٧. طه ــ ٥٣.

٨. الهيئة والاسلام ج ١ ص ٦٨.

٩. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٣٧.

قلت: بل الظاهر أنّ المراد أنّه لم يكن مخلوقاً من مخلوقاته الحيّة الّتي لها قصد في مآربهم و حوائجهم. يقال اعتمد فلان فلاناً في حاجته إذا قصده، ومنه قتل العمد أى قتل عن قصد، وقال خفاف بن ندبة:

إن تك خيلى قد أُصيب صميمها ٭ فعمداً على عين تيمّمت مالكاً[١،٢]

«والشّمس والقمر دائبان» أي جادّ ان من دأب فلان أي جدّ وتعب، والأصل في كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين..».[٣]

«في مرضاته» حيث إنّهما مسخّران له فلا يقدران خلافه. قال تعالى: «والشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم؛ والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم»[٤] وقال الصّادق عليه السّلام للزّنديق المصريّ: يلجان فلا يشتبهان ويرجعان قد اضطرّا، ليس لهما مكان إلّا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان وإن كانا غير مضطرّين فلم لايصير اللّيل نهاراً والنّهار ليلاً، اضطرّا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما، والّذي اضطرّهما أحكم منهما وأكبر. فقال الزّنديق: صدقت.[٥]

«يبليان» أي يجعلان باليا.

«كلّ جديد» قال أبوالنّجم:

طيّر عنها قنزعاً من قنزع ٭ مرّ اللّيالى أبطئى وأسرعى
أفناه قيل الله للشمس اطلعى ٭ حتّى إذا داراك افق فارجعى[٦]

---

١. اورده لسان العرب ج ٣ ص ٣٠٢/ مادة عمد.
٢. لم يتعرض الشارح بشرح فقرتين ههنا «ذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه».
٣. ابراهيم ـ ٣٣.
٤. يس ـ ٣٨ و ٣٩.
٥. اخرجه الكلينى في الكافي ج ١ ص ٧٣ ح ١ والصدوق فى التوحيد ص ٢٩٥ ح ٤ ورواه الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٤.
٦. نقله السيوطى فى شواهد المغنى ج ٢ ص ٥٤٥.

«ويقرّبان كلّ بعيد» قال الصّلتان العبديّ:

أشاب الصغير وأفنى الكبير إذا ❁ هرمت ليلة يومها أتى بعد ذلك يوم فتى [١]

«قسم أرزاقهم، وأحصى آثارهم وأعمالهم» قالوا: مأخوذ من قوله تعالى: «.. نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ..» [٢] وقوله تعالى: «.. ونكتب ما قدّموا وآثارهم [٣] ..».

قلت: ومن قوله عزّوجلّ: «فالمقسّمات أمراً» [٤] «وكلّ صغير و كبير مستطر» [٥] «ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد» [٦] و «وإنّ عليكم لحافظين؛ كراماً كاتبين؛ يعلمون ما تفعلون» [٧].

«وعدد أنفاسهم» في الخبر أنّ المراد من قوله تعالى: «.. إنّما نعدّ لهم عدّاً» [٨] عدّ الله تعالى لعدد أنفاس عبيده لالسنيهم فإنّ سنيهم يعدّها أبواهم أيضاً. [٩]

«وخائنة أعينهم وما تخفى صدورهم من الضمير» قال الله تعالى: «يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور» [١٠].

«ومستقرّهم ومستودعهم من الأرحام والظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات»

---

١. نقله التفتازانى فى المطول ص ٦١/ احوال الاسناد الخبرى بلفظ:
اشاب الصغير وافنى الكبير ❁ رذكر الغداة ومرّ العشى
٢. الزخرف ــ ٣٢.
٣. يس ــ ١٢.
٤. الذاريات ــ ٤.
٥. القمر ــ ٥٣.
٦. قٓ ــ ١٨.
٧. الانفطار ــ ١٠ ــ ١٢.
٨. مريم ــ ٨٤.
٩. اخرج هذا المعنى عبد بن حيد فى مسنده عنه الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨٤ عن الباقر(ع) واخرجه على بن ابراهيم فى تفسيره ج ٢ ص ٥٣ والكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٢٥٩ ح ٣٣ عن الصادق (ع) واخرجه ابن المنذر وابن ابى حاتم عنهما الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨٤ عن ابن عباس وجاء ايضاً عنه فى تنوير المقباس ج ٣ ص ٢١٨.
١٠. غافر ــ ١٩.

«وهو الّذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون»[١] «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين»[٢].

وعن الحسن: الإنسان مستقرّ في القبر ومستودع في الدّنيا[٣]، وقال سليمان العدويّ:

فجع الأحبّة بالأحبّة قبلنا * فالنّاس مفجوع به ومفجّع
مستودع أو مستقرّ مدخلا * فالمستقرّ يزوره المستودع[٤]

والظاهر أنّ كلامه عليه السّلام ناظر إلى قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين؛ ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين؛ ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، ثمّ إنكم بعد ذلك لميّتون، ثمّ إنكم يوم القيامة تبعثون»[٥].

«هو الّذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته واتّسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته» بخلاف الملوك فلا تجتمع فيهم شدّة النقمة وسعة الرحمة في وقت واحد، وفي دعاء الإفتتاح: أيقنت أنك أرحم الرّاحمين في موضع العفو والرّحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النّكال والنّقمة.[٦]

«قاهر من عازّه» أي غالبه بمعنى أراد الغلبة عليه «وقال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فاوقدلى يا هامان على الطّين فاجعل لى صرحاً لعلّي أطّلع إلى إله موسى وإنّي لأظنّه من الكاذبين؛ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحقّ وظنّوا أنّهم إلينا لايرجعون؛ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف

١. الانعام ــ ٩٨.
٢. هود ــ ٦.
٣. اخرجه ابوالشيخ عنه الدر المنثور ج ٣ ص ٣٦ عن الحسن وقتادة وجاء فى المصدر اقوال اخرى فى الآية.
٤. اورده فى مجمع البيان ج ٤ ص ٣٤٠.
٥. المؤمنون ــ ١٢ ــ ١٦.
٦. نقله ضمن الدعاء الطوسى فى مصباح المتهجد ص ٥٢٠ والكفعمى فى البلدالامين ص ١٩٣.

كان عاقبة الظّالمين»[٢،١].

«ومذلّ من ناواه» أي عاداه. قال الجوهري: وأصله الهمزة لأنّه من النوء وهو النّهوض.[٣] قال تعالى: «.. وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب»[٤] «.. فنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصّيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا..»[٥].

«وغالب من عاداه» قال تعالى: «.. والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون»[٦] وقال الشّاعر في قيام قريش، و كانوا يكنّون عنهم بسخينة على رسوله صلّى الله عليه وآله:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها ٭ وليغلبنّ مغالب الغلّاب[٧]

«ومن توكّل عليه كفاه» «.. ومن يتوكّل على الله فهو حسبه..»[٨]، وقد كفى تعالى من المتوكّلين عليه خليله ابراهيم عليه السّلام، قال تعالى: «قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين؛ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم؛ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين»[٩].

وكفى حبيبه محمّداً صلّى الله عليه وآله، قال تعالى له: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، إنّا كفيناك المستهزئين..»[١٠] فأهلك تعالى جميع المستهزئين به الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدى بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وغيرهم كلّ واحد ببليّة.

---

١. القصص ــ ٣٨ ــ ٤٠.
٢. لم يتعرض الشارح بشرح فقرة «ومدمر من شاقه».
٣. صحاح اللغة للجوهري ج ٦ ص ٢٥١٧/ مادة نوى.
٤. غافر ــ ٥.
٥. العنكبوت ــ ٤٠.
٦. يوسف ــ ٢١.
٧. اورده اساس البلاغة ص ٢٠٥/ مادة سخن.
٨. الطلاق ــ ٣.
٩. الانبياء ــ ٦٨ ــ ٧٠.
١٠. الحجر ــ ٩٤ و ٩٥.

«ومن سأله أعطاه» قال زكريا: «.. فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً. يا زكريّا إنّا نبشّرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّا؛ قال ربّ أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيّاً؟ قال كذلك قال ربّك هو عليّ هيّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً»[١].

«ومن أقرضه قضاه» وأعطاه ما أقرض «من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة..»[٢] «من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم»[٣].

«ومن شكره جزاه» «.. لئن شكرتم لأزيدنكم..»[٤].

٨ـ خطبة ٨٩: ومن خطبة له عليه السّلام تعرف بخطبة الأشباح، وهي من جلائل خطبه، وكان سأله سائل أن يصف الله حتّى كأنّه يراه عياناً فغضب (ع) لذلك.

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلا يُكْديهِ الْإعْطاءُ وَالْجُودُ. إذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِواهُ، وَكُلُّ مانِعٍ مَذْمُومٌ ما خَلاهُ وَهُوَ الْمَنّانُ بِفَوائِدِ النِّعَمِ، وَعَوائِدِ الْمَزيدِ وَالْقِسَمِ، عِيالُهُ الْخَلْقُ، ضَمِنَ أرْزاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أقْواتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبيلَ الرّاغِبينَ إلَيْهِ، وَالطّالِبينَ ما لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِما سُئِلَ بِأجْوَدَ مِنْهُ بِما لَمْ يُسْألْ. الأوَّلُ الَّذي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرّادِعُ أناسِيَّ الْأبْصارِ عَنْ أنْ تَنالَهُ أوْ تُدْرِكَهُ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحالُ، وَلا كانَ فى مَكانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الْإنْتِقالُ.

---

١. مريم ـ ٥ ـ ٩.
٢. البقرة ـ ٢٤٥.
٣. الحديد ـ ١١.
٤. ابراهيم ـ ٧.

قول المصنّف: تعرف بخطبة الأشباح. قال (ابن أبي الحديد): الأشباح الأشخاص والمراد بهم هيهنا الملائكة لأنّ الخطبة تتضمّن ذكر الملائكة[١]، وتبعه (الخوئي)[٢] إلّا أنّ الظاهر أنّ الخطبة كانت متضمّنة لذكر لفظ الأشباح كما أنّ الخطبة الشقشقيّة[٣] متضمّنة لذكر الشقشقة، وروى الروضة خطبة معروفة بالطالوتية[٤] تضمّنت قصة طالوت، وروى خطبة معروفة بالوسيلة[٥] لكونها متضمّنة لذكر الوسيلة، وفي هذه وإن لم نقف على لفظ أشباح إلّا أنّ المصنّف لم ينقل جميعها بل انتخب منها. فقال تارة فيها: منها في صفة خلق السّماء، وأُخرى قال: منها ثمّ خلق سبحانه، وثالثة: منها في صفة الأرض.

ولو كانت العلّة ما ذكر كان كثير من خطب النهج متضمّناً لذكر الملائكة، ومنها في الأُولى فلم خصّت هذه بالتّسمية مع أنّه أيّ مناسبة للتّعبير عن الملائكة بالأشباح وإنّما استعمل الأشباح في كلامه عليه السّلام في مقابل الأجناس ففي خطبة له عليه السّلام رواها توحيد الصدوق **«ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح»**[٦] والظاهر أنّ المراد به الجسميّة. ففي أُخرى رواها **«ليس بشبح فيرى»**[٧].

والظّاهر أنّه كان فيها هذه الفقرة: **«وكيف يوصف بالأشباح وينعت بالألسن الفصاح»**. رواها أواخر توحيد توحيده[٨] فسقطت منها يعني لم ينقلها.

«وهي من جلائل» جمع الجليلة.

---

١. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٣٩.
٢. شرح الخوئي ج ٣ ص ٧٤.
٣. نهج البلاغة ج ١ ص ٣٠/ خطبة ٣.
٤. الكافي ج ٨ ص ٣١ ح ٥.
٥. الكافي ج ٨ ص ١٨ ح ٤.
٦. التوحيد للصدوق ص ٧٠ ح ٢٦.
٧. التوحيد للصدوق ص ٧٨ ح ٣٤.
٨. اخرج الصدوق الخطبة بروايتين في التوحيد ص ٤٨ ح ١٣ وص ٧٧ ح ٣٤ وتوجد هذه الفقرة في الرواية الثانية فقط والاولى اوفق بلفظ نهج البلاغة.

«خطبة» وفي (ابن أبي الحديد)[1] الخطب.

«وكان سأله سائل» هكذا في المصريّة، ولكن في (ابن ميثم، والخطّيّة)[2] «وكان سائل سأله».

«أن يصف الله» هكذا في المصريّة، وزاد (ابن ميثم)[3]«تعالى» و(الخطّيّة) «له».

«حتّى كأنّه يراه عياناً فغضب عليه السّلام لذلك» وزاد (ابن ميثم)[4] «وقال الخطبة».

ثمّ الكلام من قوله «وكان» ـ إلى ـ «لذلك» في المصريّة و(ابن ميثم، والخطيّة) على اختلاف عرفت، وليس في (ابن أبي الحديد) رأساً، ونقل (ابن أبي الحديد) بدل ذاك الكلام «روى مسعدة بن صدقة عن الصّادق جعفربن محمّد عليه السّلام أنّه قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السّلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أنّ رجلاً أتاه فقال: يا أميرالمؤمنين صف لنا ربّنا مثل ما نراه عياناً لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب ونادى الصّلاة الجامعة، فاجتمع إليه النّاس حتّى غصّ المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللّون، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ قال:»

ومثله نقل (ابن ميثم) زائداً على ذاك الكلام بدون فقرة «مثل ما نراه عياناً»، وتبديل «ثمّ قال» ـ في الآخر بقوله: «ثمّ خطبها»[5] وليس في الخطيّة رأساً.[6]

وجمع الرّضي رضوان الله عليه بينهما مشكل حيث إنّه كالتّكرار، وليس ذلك دأبه، وكأنّ نسخ النّهج كانت مختلفة، فنسخة (ابن أبي الحديد) منه كانت

١. فى شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٣٨ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٢ ايضاً «خطبه».
٢ و ٣ و ٤. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٢.
٥. وحذف الباء من اول هذه وحذف «اليه» بعد «فاجتمع».
٦. جمع ابن ميثم بين عنوان نهج البلاغه ج ١ ص ١٦٠ وشرح ابن ابى الحديد بفرق يسير والعنوان المذكور فى رواية التوحيد ص ٤٨ ح ١٣ نحو ابن ابي الحديد وقد مرت الاشارة الى الاختلاف فى مقدمة المؤلف.

متضمّنةً لنقل الرّواية، والنسخة الخطيّة لنقل الكلام بدلها و(ابن ميثم) جمع بينهما.

وكيف كان فلا ريب أنه رواية مسعدة عن الصّادق عليه السّلام. فروى توحيد الصّدوق عن الأسديّ عن البرمكيّ عن عليّ بن العبّاس عن إسماعيل بن مهران عن إسماعيل ابن إسحاق الجهنيّ عن فرج بن فروة عن مسعدة عن الصّادق عليه السّلام: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يخطب على المنبر بالكوفة إذقام إليه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّك لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين عليه السّلام ونادى الصّلاة جامعةً. فاجتمع النّاس حتّى غصّ المسجد بأهله ثمّ قام متغيّر اللّون، فقال: ألحمد لله الّذي لايفره المنع، ولا يكديه الإعطاء ــ إلخ [1] ــ لكن ليس فيه جميع ما في النّهج، وفيه اختلافات.

وكيف كان فإنّما غضب عليه السّلام لأنّه أحسّ من الرّجل أنّه طلب منه عليه السّلام وصفه تعالى بالكنه، وتعريفه بالتّشبيه ففي الخطبة على رواية التّوحيد: **«الّذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته، وطول ولههم إليه، وتعظيم جلال عزّة، وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلّا ما أعلمهم»**[2].

وفيها أيضاً: **«أيّها السّائل اعلم أنّ من شبّه ربّنا الجليل بتباين أعضاء خلقه ــ إلخ»**[3] ــ فسؤال الرّجل وغضبه عليه السّلام نظير سؤال بني إسرائيل من موسى بن عمران عليه السّلام أن يريهم الله عياناً. فغضب تعالى عليهم كما أخبر عزّ وجلّ عنهم بقوله: «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتكم الصّاعقة وأنتم تنظرون»[4].

«الحمد لله الّذي لا يفره» هنا متعدّ ويأتي لازماً أيضاً يقال وفّرت الشيء ووفر الشّيء.

«المنع» كالنّاس.

---

١. التوحيد للصدوق ص ٤٨ ح ١٣.
٢. التوحيد للصدوق ص ٥٠ ح ١٣.
٣. التوحيد للصدوق ص ٥٤ ح ١٣.
٤. البقرة ــ ٥٥.

«والجمود» هكذا في المصريّة، وليست الكلمة في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[1] فهي زائدة.

«ولا يكديه» بالضمّ. قال تعالى: «وأعطى قليلاً وأكدى»[2] أي قطع القليل.

«الإعطاء والجود» كالمخلوقين.

«إذ كلّ معط منتقص سواه» علّة لقوله «ولا يكديه الإعطاء والجود».

«وكلّ مانع مذموم» صفة مانع.

«ما خلاه» يعني سواه، والجملة علّة لقوله «لا يفره المنع» يعني ليس منعه بخلاً فيستحقّ الذم، بل حكمة فيستحقّ الحمد أيضاً، لأنّه منع ظاهراً وأعطى في الحقيقة، والمعنى «ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنّه بعباده خبير بصير»[3] «وأصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا..»[4].

ووجه كونه علّة أنّ المنع لوفر المال مذموم لكونه بخلاً.

«وهو» هكذا في المصريّة، والصّواب «هو» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[5].

«المنّان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم» «..ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده..»[6] «..قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا إنّه من يتّق ويصبر فإنّ

---

١. توجد الكلمة في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٣٨ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٣ ايضاً.
٢. النجم ـ ٣٤.
٣. الشورى ـ ٢٧.
٤. القصص ـ ٨٢.
٥. يوجد الواو في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٣٨ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٣ ايضاً.
٦. ابراهيم ـ ١١.

الله لايضيع أجر المحسنين».[١]

«عيـاله الخلق» هكـذا في المصريّة، والصّواب «الخلائق» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[٢] فالنّهج كان «الخلائق» ولكن نقله التوحيد: «وبجوده ضمن عيالة الخلق»[٣] وفي دعاء أبي حمزه: «والخلق كلّهم عيالك وفي قبضتك»[٤] وفي قوله تعالى: «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين»[٥] «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم إنّ قتلهم كان خطأً كبيراً»[٦].

«ضمن أرزاقهم» أي أرزاق جميع خلقه من الإنسان وأقسام الحيوان، وأصناف الطير، وصنوف الوحش والهوام والحيتان، ولكن غلّب الإنسان في الضّمير.

«وقدّر أقواتهم» وهو أيضاً من باب التّغليب فقدّر لكلّ جنس قوته بحسب ما يناسبه حتّى الجنين والرّضيع، والأصل في كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «.. وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواء للسّائلين»[٧].

«ونهج» أي أوضح.

«سبيل الرّاغبين إليه» لعبادته.

«والطّالبين ما لديه» من الأجر والثّواب بنهج السّبيل بخلق العقول لهم، وبعث الرّسل إليهم وإنزال الكتب عليهم.

---

١. يوسف ــ ٩٠.

٢. كذا فى شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٣٨ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٢ ايضاً «الخلق».

٣. التوحيد للصدوق ص ٤٩ ح ١٣.

٤. رواه ضمن الدعاء الطوسى في مصباح المتهجد ص ٥٣٥.

٥. هود ــ ٦.

٦. الاسراء ــ ٣١.

٧. فصلت ــ ١٠.

«**وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل**» وفي الدّعاء: يا من يعطي من سأله، ومن لم يسأله تحنّناً منه ورحمة ويبتدئ بالخير من لم يسأله تفضلاً منه و كرماً.[١]

وفي الخبر: «كن لما لا ترجوأرجى منك لما ترجوفإنّ موسى بن عمران عليه السّلام خرج يقتبس لأهله ناراً فكلّمه الله عزّوجلّ و رجع نبيّاً مرسلاً، و خرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السّلام، و خرجت سحرة فرعون يطلبون العزّ لفرعون فرجعوا مؤمنين».[٢]

«**الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الّذي ليس له بعد فيكون شيء بعده**» قد مرّ نظيره.[٣]

و «**الرّادع**» أي المانع.

«**أناسى**» جمع إنسان العين، وفي الصّحاح: إنسان العين: المثال الّذي يرى في السّواد أى سواد العين ويجمع أيضاً على أناسى. قال ذوالرمة يصف إبلاً غارت عيونها من التعب والسير «أناسى ملحود لها في الحواجب».[٤]

«**الأبصار عن أن تناله**»: أى تصله.

«**أو تدركه**» كما تدرك الأجسام. قال الصّادق عليه السّلام: «إنّ الأبصار لاتدرك إلّا ماله لون و كيفية، والله خالق الألوان والكيفيّة»[٥] «ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه قال ربّ أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف ترانى فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ

---

١. هذه قطعة من دعاء للسحر رواه الطوسى فى مصباح المتهجد ص ٥٤٠.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٨٣ ح ٣ والصدوق فى الفقيه ج ٤ ص ٢٨٤ ح ٣ مسنداً وفى الفقيه ج ٣ ص ١٠١ ح ٤٤ مجرّداً وهو فى الامالى ص ١٥٠ ح ٧/ مجلس ٣٣ وابن شعبه فى تحف العقول ص ٢٠٨ عن على (ع) واخرج صدر الحديث الكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٨٣ ح ٢ عن الصادق (ع).

٣. مرفى عنوان ٥ و ٦ من هذا الفصل.

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٩٠١/ مادة انس.

٥. اخرجه الصدوق فى الامالى ص ٣٣٤ ح ٣/ مجلس ٦٤ ورواه الفتال فى روضة الواعظين ج ١ ص ٣٤.

موسى صعقاً فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين»[١].

هذا وفي تاريخ الطبرى في الفداء بين المسلمين وصاحب الروم عن الواثق ــ الخليفة ــ أنّه وجّه من يمتحن الأُسراء منهم. فمن قال منهم أن القرآن مخلوق وأنّ الله عزّوجلّ لايرى في الآخرة فودى به، ومن لم يقل ذلك ترك في أيدي الرّوم.[٢]

وفيه أيضاً: قتل الواثق بيده بسيف عمروبن معديكرب أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ ــ وكان جدّه مالك أحد نقباء بني العبّاس ــ وحظر على رأسه في بغداد حظيرة وضرب عليه فسطاط، وأُقيم عليه الحرس، وعرف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر، وكتب في أُذنه رقعة: هذا رأس الكافر المشرك الضالّ الّذي أقرّ بالتّشبيه، وتكلّم بالكفر فاستحلّ دمه، وكان الواثق قال له: ما تقول في ربّك؟ فقال: جاءت الآثار عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: ترون ربّكم يوم القيامة كماترون القمر لاتضامون في رؤيته فنحن على الخبر، وقال حدّثني سفيان بن عيينة بحديث يرفعه أنّ قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلّبه وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يدعو: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي ــ إلخ[٣] ــ وخبره الأوّل موضوع وأخيراه عمّا رامه بمراحل.

«ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال» يمكن أن يريد عليه السّلام بعدم اختلاف الحال منه تعالى لعدم اختلاف الدهر عليه بالنسبة إلى الفقرات المذكورة قبله من إعطائه تعالى ومنعه، وضمانه للأرزاق، وتقديره للأقوات، ونهجه السبيل، واستواء المساول فيه عنده مع غيره، وغيرها فإنّ أسخياء الناس إنّما يجودون إذا جاد عليهم الزّمان، ويبخلون إذا بخل عليهم، ويعطون أوّلاً ثمّ يمنعون، ويضمنون شيئاً ثمّ يتبرّؤن، كلّ ذلك بحسب تأثير الدّهر والزّمان فيهم، وهو تعالى منزّه عن ذلك.

ويمكن أن يريد عليه السّلام به الأعمّ مثلاً الإنسان في نشئه، وباختلاف

---

١. الاعراف ــ ١٤٣.

٢. تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٣٢/ سنة ٢٣١.

٣. تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٢٨/ سنة ٢٣١ والنقل بتصرف.

دهره يختلف حاله فهو كما في فقه اللّغة مادام في الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، ومادام لم يستتم سبعة أيّام فهو صديغ، لأنّه لايشتدّ صدغه إلى تمام السبعة، ثم مادام يرضع فهو رضيع، ثمّ إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، ثمّ إذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جحوش عن الأصمعي، وانشد للهذليّ:

قتلنا مخلداً و ابنى حراق * وآخر جحوشاً فوق الفطيم

قال الأزهري كأنّه مأخوذ من الجحش الّذي هو ولد الحمار ثمّ هو إذا دبّ ونما دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسيّ، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور عن أبي زيد، فإذا نبتت أسنانه بعد السّقوط فهو مثغّر (بالثّاء) ومتغّر (بالتّاء) عن أبى عمرو، فإذا كاد يجاوز عشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشىء، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق، فإذا أدرك واجتمعت قوّته فهو حزوّر، واسمه في جميع هذه الأحوال غلام، فإذا اخضرّ شاربه وأخذ عذاره يسيل قيل بقل وجهه، فإذا صار ذافتاء فهوفتى وشارخ، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه. فهو مجتمع، ثمّ مادام بين الثّلاثين والأربعين فهو شابّ، ثم هو كهل إلى أن يستوفى ستّين[1]، وهكذا نقل له أسام بحسب ازدياد سنّه، والله تعالى منزّه عن جميع ذلك.

«ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال» قيل للرّضا عليه السّلام: ما تقول في الحديث الّذي يرويه النّاس أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: ينزل الله تعالى كلّ ليلة إلى السّماء الدنيا؟[2] فقال: لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه، والله ما قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله ذلك. إنّما قال: إنّ الله ينزّل ملكاً إلى

---

١. فقه اللغة الثعالبى ص ٨١/ باب ١٤ فصل ٢٠.

٢. حديث نزول الرب اخرجه احمد فى مسنده ج ١ ص ١٢٠ عن على (ع) عن النبي (ص) واخرجه جعفر الحضرمى فى اصله ص ٦٩ عن الباقر (ع) ويحضر عندى له ٥١ طريقاً عن ابى هريرة وابى سعيد الخدرى ورفاعة الجهنى وجبيربن مطعم وابن مسعود وابى الدرداء وعبادة بن الصامت عن النبى (ص) واخرج زيد النرسى فى اصله ص ٥٤ عن الصادق (ع) «ان الله ينزل فى يوم عرفة» الحديث واخرج الصدوق فى التوحيد فى بعض نسخه ص ٢٤٨ ــ الهامش / البحار ج ٣ ص ٣٣١ عن الصادق (ع) تأييد حديث نزول الرب وتصحيحه واخرج على بن ابراهيم فى تفسيره ج ٢ ص ٢٠٤ عن الصادق (ع) «ينزل امره كل ليلة» وفى نقل البحار ج ٣ ص ٣١٥ عنه «ينزل كل ليلة».

السّماء الدّنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أوّل الليل ـ الخبر.[1]

٩. من خطبة ٨٩: بعد ما مرّ في سابقه:

وَلَوْ وَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعادِنُ الْجِبالِ وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدافُ الْبِحارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيانِ، وَنُثارَةِ الدُّرِّ وَحَصيدِ الْمَرْجانِ ما أَثَّرَ ذلِكَ في جُودِهِ وَلا أَنْفَدَ سَعَةَ ما عِنْدَهُ، وَلَكانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخائِرِ الْأَنْعامِ ما لا تُنْفِدُهُ مَطالِبُ الْأَنامِ، لِأَنَّهُ الْجَوادُ الَّذي لا يَغيضُهُ سُؤالُ السّائِلينَ، وَلا يُبْخِلُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ.

«ولو وهب» قال (ابن أبي الحديد): هذا الكلام من تتمّة الكلام الاوّل وهو قوله عليه السّلام «لا يفره المنع والجمود ولا يكديه الإعطاء»[2]. قلت: بل خصوص قوله «ولا يكديه الإعطاء» ولا ربط له بقوله «لا يفره المنع».

«ما تنفّست عنه معادن الجبال» هو استعارة كقوله تعالى: «والصّبح إذا تنفّس»[3] والمراد ما تشقّقت عنه المعادن.

«وضحكت عنه» هو أيضاً استعارة كقوله تنفّست، والمراد أيضاً ما تشقّقت، ولا يخفى حسن التّعبير عن تشقّق الجبال بالفلزّات بالتنفّس عن الشّيء وعن تشقّق الأصداف باللّئالى بالضّحك عنه.

«أصداف البحار» والصّدف غشاء الدّرة.

«من فلزّ» بكسرتين، وجوّز القاموس فيه الضمّتين كعتل، والكسر فالفتح

---

١. حديث الرضا (ع) اخرجه الصدوق في العيون ج ١ ص ١٠٤ ح ٢١ والتوحيد ص ١٧٦ ح ٧ وأماليه ص ٣٣٥ ح ٥/ مجلس ٦٤ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٤١٠ واخرج نحوه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٢٥ ح ١ والصدوق في التوحيد ص ١٨٣ ح ١٨ عن الكاظم (ع) والكليني في الكافي ج ١ ص ١٢٦ ح ٤ عن الهادي (ع) وروى قريباً منه ابن طاووس في جمال الاسبوع ص ١٨٢ بلاعزو.

٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٠.

٣. التكوير ـ ١٨.

كهجف وقال: الفلزّ نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو خبث الحديد أو الحجارة أو جواهر الأرض كلّها أو ما ينفيه الكير من كلّ ما يذاب منها.[١]

قلت: الصّواب هو القول الرّابع لقوله عليه السّلام «اللّجين» بالتّصغير الفضّة.

«**والعقيان**» بالكسر الذّهب الخالص، ورواه التوحيد «**وسبائك العقيان**»[٢].

«**ونثارة الدرّ**» في الصحاح: النثار بالضم ما تناثر من الشيء[٣]، والدرّة: اللؤلؤ، والجمع درّ ودرّات ودرر.

«**وحصيد المرجان**» و رواه التّوحيد «**ونضائد المرجان**»[٤] وقال (ابن أبي الحديد): ويروى «**وحصباء المرجان**»[٥]. قلت: وأبونوٴاس نسب الحصباء إلى الدرّ فقال:

كأنّ صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء درّ على أرض من الذّهب[٦]

وفي اللّسان: قال بعضهم: المرجانُ البُسّذ و هو جوهر أحمر قال ابن برّى: الّذي عليه الجمهور إنّه صغار اللؤلؤ كما ذكره الجوهريّ والدّليل على صحّة ذلك قول امرئ القيس ابن حجر:

أذود القوافي عنّى ذياداً * ذياد غلام جريّ جيادا
فاعزل مرجانها جانباً * و آخذ من درّها المستجادا[٧]

قلت: جعله في الآية «يخرج منهما اللّؤلؤ والمرجان»[٨] وفي كلامه

١. القاموس المحيط ج ٢ ص ١٨٦/ مادة فلز.
٢ و ٣. التوحيد للصدوق ص ٤٩ ح ١٣.
٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٨٢٢/ مادة نثر.
٥. شرح ابن ابى‌الحديد ج ٢ ص ١٤٠.
٦. اورده ابن هشام فى شرح القطر ص ٣١٦.
٧. لسان العرب ج ٢ ص ٣٦٦/ مادة مرج وما نقله عن الجوهرى فى صحاح اللغة ج ١ ص ٣٤١/ مادة مرج.
٨. الرحمن ــ ٢٢.

عليه السّلام وفي شعر امرئ القيس مقابل اللّؤلؤ والدّرّ دالّ على كونه غيره، وفي المصباح قال الطرطوشي: هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف قال: وهكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيراً.[١]

ثمّ الأكثر ذكروا مرجان في مرج، وعن الأزهريّ: لا أدرى أرباعى هوأم ثلاثى؟[٢] هذا، و «من فلز اللّجيان والعقيان» راجع إلى معادن الجبال، و «ونثارة الدرّ وحصيد المرجان» راجع إلى أصداف البحار.

«ما أثّر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده» وكيف ينفد وله خزائن السّماوات والأرض ، وفي أصل البرسيّ: إنّ الله تعالى قال لداود: «يا داود وعزّتي وجلالي لو أنّ أهل سماواتي وأرضي أمّلونى فاعطيت كلّ مؤمل أمله بقدر دنياكم سبعين ضعفاً لم يكن ذاك إلّا كما يغمس أحدكم إبرة في البحر ويرفعها فكيف ينقص شيء أنا اعطيته»[٣].

«ولكان عنده من ذخائر الأنعام ما لاتنفده مطالب الأنام» وفي رواية التوحيد **«ولكان عنده من ذخائر الإفضال ما لا ينفده مطالب السّؤال، ولايخطر لكثرته على بال»**[٤] «وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم»[٥].

«لأنّه الجواد الّذي لايغيضه» من غاض الماء قل ونضب. قال الجوهريّ: وغيض الماء فعل به ذلك يتعدى، ولايتعدى، وقال الأخفش في قوله تعالى: «.. وماتغيض الأرحام..»[٦]: أي ماتنقص، ويقال غاض الكرام أي قلوا، وفاض

١. المصباح المنيرج ٢ ص ٢٦٤/ مادة مرج.

٢. نقله عن الازهري لسان العرب ج ٢ ص ٣٦٦/ مادة مرج وقال: «واورده فى رباعى الجيم».

٣. رواه الحافظ البرسى فى مشارق الانوار ص ٤٢ بلااسناد لكن اخرج معناه الكلينى بروايتين فى الكافى ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧/ ح ٧ و ٨ وابوجعفر الطوسى فى اماليه ج ٢ ص ١٩٦/ مجلس ٦ وجاء قريباً منه اربع روايات رواها الطبرسى فى مشكاة الانوار ص ١٦ و ١٧ واما قول الشارح اصل البرسى فهو لان الحافظ رجب البرسى ليس من اصحاب الاصول بل صاحب الاصل هو زيد الترسى وليس فى اصله اثر من هذا الحديث.

٤. التوحيد للصدوق ص ٤٩ ح ١٣.

٥. الحجر ــ ٢١.

٦. الرعد ــ ٨.

اللّئام أي كثروا، واعطاه غيضاً من فيض أي قليلاً من كثير.[١]

«سؤال السّائلين ولايبخله إلحاح الملحّين» وفي رواية التّوحيد بدل: «لأنّه الجواد» إلخ «لأنّه الجواد الّذي لاتنقصه المواهب، ولاينحله إلحاح الملحّين وإنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٢].

١٠ • من خطبة ٨٩: بعد ما مرّ في سابقة:

وَانْظُرْ اَيُّهَا السّائِلُ فَما دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِيْ بِنُورِ هِدايَتِهِ، وَما كَلَّفَكَ الشَّيْطانُ عِلْمَهُ مِمّا لَيْسَ فِى الْكِتابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلا فِى سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاَئِمَّةِ الْهُدى اَثَرُهُ. فَكِلْ عِلْمَهُ اِلَى اللهِ سُبْحانَهُ فَاِنَّ ذلِكَ مُنْتَهى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ، وَاعْلَمْ اَنَّ الرّاسِخينَ فِى الْعِلْمِ هُمُ الَّذينَ اَغْناهُمْ عَنِ اقْتِحامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرارُ بِجُمْلَةِ ما جَهِلُوا تَفْسيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ. فَمَدَحَ اللهُ ـ عَزَّوَجَلَّ ـ اِعْتِرافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَناوُلِ ما لَمْ يُحيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فى ما لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلى ذلِكَ، وَلا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحانَهُ عَلى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهالِكينَ.

أقول: ورواه التّوحيد مع زيادة وتغيّر. ففيه: «الّذي لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته، ذي الأقطار والنّواحي المختلفة في طبقاته، وكان عزّوجلّ الموجود بنفسه لابأداته، انتفى أن يكون قدروه حقّ قدره، فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد، وارتفاعاً عن قياس المقدّرين له بالمحدود من كفرة العباد: «وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا

---

١. صحاح اللغة ج ٣ ص ١٠٩٦/ مادة غيض.
٢. التوحيد الصدوق ص ٤٩ ح ١٣ وفقرة «وانما امره» الخ هى لفظ الاية يس ـ ٨٢.

يشركون»[١] فما دلّك القرآن عليه من صفته فاتّبعه ليوصل بينك وبين معرفته، وائتمّ به، واستضيء بنور هدايته فإنّما هي نعمة وحكمة أوتيتها فخذما أوتيت وكن من الشّاكرين، وما دلّك الشيطان» ــ إلخ.[٢]

«وانظر أيّها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به، واستضيء بنور هدايته» وممّا دلّنا القرآن عليه من صفته تعالى: «..لاتأخذه سنة ولا نوم له ما في السّموات وما في الأرض ــ إلى ــ وهو العلّي العظيم[٣]» وقال تعالى: «قل هوالله أحد[٤] ــ إلى آخر السّورة» وقال جلّ وعلاّ: «..ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير»[٥].

«وما كلّفك الشيطان علمه» من عرفان كنهه.

«ممّا ليس في الكتاب» أي القرآن.

«عليك فرضه ولا في سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأئمّة الهدى» وهم أهل بيته عليهم السّلام: وأمّا الثّلاثة وإن سمّوهم الخلفاء الرّاشدين إلاّ أنّه لايصدق إلاّ إذا صدق قول من قال: «..ما أريكم إلاّ ما أرى وما أهديكم إلاّ سبيل الرّشاد»[٦].

«أثره فكل» من «وكل» أي فوّض.

«علمه إلى الله سبحانه» كان عليّ بن الحسين عليه السّلام يقول: سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلاّ المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنّه لايدركه.[٧]

---

١. الزمر ــ ٦٧.
٢. التوحيد للصدوق ص ٥٥ ح ١٣.
٣. البقرة ــ ٢٥٥.
٤. الاخلاص ــ ١.
٥. الشورى ــ ١١.
٦. هذا قوله تعالى في سورة غافر آية ٢٩ وهومقول فرعون.
٧. اخرجه الكليني في الكافي ج ٨ ص ٣٩٤ ح ٥٩٢.

«فإن ذلك منتهى حقّ الله عليك» لأنّه لم يكلّف أحداً ما لم يطقه، وفي الكافي عن الصّادق عليه السّلام في قوله تعالى: «وأنّ إلى ربّك المنتهى»[١] قال: «إذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فامسكوا»[٢]، وفي آخر عنه عليه السّلام: «إنّ النّاس لايزال بهم المنطق حتّى يتكلّموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلّا الله الواحد الّذي ليس كمثله شيء»[٣].

«واعلم أنّ الرّاسخين»: أي الثّابتين. قال لبيد:

رسخ الدمن على أعضاده * ثلمته كلّ ريح وسبل[٤]

«في العلم هم الّذين أغناهم عن اقتحام» الاقتحام: الرمى بالنفس في شيء من غير رويّة.

«السّدد» بالضمّ فالفتح جمع السّدّة باب الدّار، وفي الخبر: «الشعث الرؤوس الّذين لاتفتح لهم السّدد»[٥] وقال الجزريّ: السّدّة كالظلّة على الباب لتقي الباب من المطر وقيل: هي الباب نفسه وقيل هي السّاحة بين يديه.[٦]

«المضروبة دون الغيوب» فلايمكن لأحد الوقوف عليها.

---

١. النجم ــ ٤٢.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٩٢ ح ٢ و البرقى فى المحاسن ص ٢٣٧ ح ٢٠٦ والصدوق فى الهداية ص ٤٦ عن الصادق (ع) واخرجه على بن ابراهيم فى تفسيره ج ٢ ص ٣٣٨ بلا عزو.

٣. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٩٢ ح ٣ عن الصادق (ع) واخرجه البرقى فى المحاسن ص ٢٣٧ ح ٢٠٩ عن الباقر (ع).

٤. اورده اساس البلاغة ص ١٦٢/ مادة رسخ.

٥. نقل ابن منظور فى لسان العرب ج ٣ ص ٢٠٩/ مادة سدد هذا اللفظ واخرج الترمذى ٤ ص ٦٢٩ ح ٢٤٤٤ وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٨ ح ٤٣٠٣ والحاكم فى المستدرك عنه الجامع الصغير ج ١ ص ٩٠ واحمد فى مسنده ج ٥ ص ٢٧٥ عن ثوبان عن النبى (ص) فى حديث فى ورود الحوض: «الشعث رؤوساً الدنس ثياباً الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم ابواب السدد» واخرج قريباً منه الضياء المقدسى فى المختارة والطبرانى فى معجمه الكبير عنهما منتخب كنزالعمال ج ٦ ص ٩٢ عن ابى امامة عن النبى (ص).

٦. النهاية لابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٣/ مادة سدد.

«الإقرار» وهو فاعل **«أغناهم»**.

«بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب» أشار عليه السّلام إلى قوله تعالى: «هوالّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا وما يذّكّر إلّا أولوا الألباب؛ ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب»[١].

ثمّ إنّه وإن اختلفت الخاصّة والعامّة في الآية هل «والراسخون في العلم» عطف على «الله» أو مستأنف[٢] إلّا أنّ كلامه عليه السّلام دالّ على الثّاني وهو الظّاهر من الآية حيث إنّه لوكان عطفاً لكان الأنسب أن يقال «ويقولون» لا «يقولون» ويأتي فيه زيادة كلام.

ولا ينافي ذلك علم النبيّ صلى الله عليه واله و أوصيائه بتأويل القرآن فإنّ علمهم به بوحيه وإلهامه فعلم تأويله من علم الغيب، وقد قال تعالى في موضع: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً؛ إلّا من ارتضى من رسول..»[٣] مع أنّه قال: «إنّ الله يعلم غيب السّموات والأرض..»[٤] وقال: «قل لايعلم من في السّموات والأرض الغيب إلّا الله..»[٥] وحينئذٍ فالآية في مقام آخر نظير قوله تعالى الآخر: «..فأمّا الّذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وأمّا الّذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً..»[٦].

«فمدح الله عزّوجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول» أي فهم.

---

١. آل عمران ــ ٧ و ٨.

٢. ليس الاختلاف راجعاً الى المذهب بل القولين العطف والاستيناف يوجدان فى كلا المذهبين ولكل على مذهبه تفسير وتأويل.

٣. الجن ــ ٢٦ و ٢٧.

٤. الحجرات ــ ١٨.

٥. النمل ــ ٦٥.

٦. البقرة ــ ٢٦.

«ما لم يحيطوا به علماً» من المتشابه حيث حكى عنهم أنهم يقولون آمنّا به أي بالكتاب كلّ من المحكم الّذي فهمنا، والمتشابه الّذي لم نفهمه من عند ربّنا.

«وسمّى تركهم التعمّق في مالم يكلّفهم البحث» أي الكشف، والأصل فيه كشف التراب عن الشيء المدفون. قال ابن دريد: وفي مثل من امثالهم كباحثة عن حتفها بظلفها، وذلك أنّ شاة بحثت عن سكين مدفون بظلفها فذبحت به.[1]

«عن كنهه» أي حقيقته وبلوغ غايته.

«رسوخاً» أي ثبوتاً مستحكماً من رسخ الجبل. فعبّر عنهم بقوله: «والراسخون في العلم».

«فاقتصر على ذلك» و تأدّب بأدب الله.

«ولا تقدّر» أي لاتعيّن مقدار.

«عظمة الله» وذاته.

«على قدر عقلك» لقصوره.

«فتكون من الهالكين» حيث تجاوزت حدّك . قال الباقر عليه السّلام: إنّ قوماً تكلّموا في الله ــ عزّوجلّ ــ فتاهوا حتّى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادي من خلفه فيجيب من بين يديه[2]، وقال الصّادق عليه السّلام: إنّ ملكاً عظيم الشأن كان في مجلس له فتناول الرّبّ تعالى ففقد فما يدرى أين هو[3]، وفي خبر آخر تكلّموا في كلّ شيء ولا تتكلّموا في ذات الله

---

١. جهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ١٩٩.

٢. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٤٥٥ ح ٧ والبرقي في المحاسن ص ٢٣٨ ح ٢١١ في ذيل حديث عن الباقر (ع) ورواه صاحب فقه الرضا عنه بحار الانوار ج ٣ ص ٢٦٢ ح ١٤ بلاعزو.

٣. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٣ ح ٦ والصدوق في التوحيد ص ٤٥٨ ح ١٩ والبرقي في المحاسن ص ٢٤٠ ح ٢١٩ عن الصادق (ع).

تعالى[١]، وعن الباقر عليه السّلام تكلّموا في خلق الله، ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لايزداد صاحبه إلّا تحيّراً.[٢]

١١. من خطبة ٨٩: أيضاً بعد ما مرّ:

هُوَ الْقادِرُ الَّذی اِذَا ارْتَمَتِ الْاَوْهامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَراتِ الْوَساوِسِ اَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فی عَميقاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ اِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فی كَيْفِيَّةِ صِفاتِهِ، وَغَمَضَتْ مَداخِلُ الْعُقُولِ فی حَيْثُ لاتَبْلُغُهُ الصِّفاتُ لِتَناوُلِ عِلْمِ ذاتِهِ رَدَعَها، وَهِيَ تَجُوبُ مَهاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً اِلَيْهِ سُبْحانَهُ. فَرَجَعَتْ اِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِاَنَّهُ لايُنالُ بِجَوْرِ الْاِعْتِسافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلاتَخْطُرُ بِبالِ اُولِی الرَّوِيّاتِ خاطِرَةٌ مِنْ تَقْديرِ جَلالِ عِزَّتِهِ.

هو القادر» على كلّ شيء.

«الّذي إذا ارتمت» أي قصدت، والأصل فيه رمى الصّيد.

«الأوهام لتدرك منقطع قدرته» وفي رواية التّوحيد بدل جميع الكلام «لأنّه اللّطيف الّذي إذا أرادت الأوهام أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه»[٣].

«وحاول» أي قصد.

«الفكر المبرأ من خطرات» هكذا في المصريّة، والصّواب «من خطر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[٤].

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٢ ح ١ والصدوق في التوحيد ص ٤٥٥ ح ٢ عن الباقر(ع).

٢. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٢ ح ١ والصدوق في التوحيد ص ٤٥٤ ح ١ عن الباقر(ع) وقد جاء في هذا المعنى احاديث كثيرة لم يسع المقام ذكرها.

٣. التوحيد للصدوق ص ٥١ ح ١٣.

٤. في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٢ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩ ايضاً «خطرات».

«الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته» وفي رواية التّوحيد بدل جميع الكلام «وحاولت الفكر المبرأة من خطر الوسواس إدراك علم ذاته»[١].

«وتولّهت» أي صارت والهة.

«القلوب إليه لتجرى في كيفيّة صفاته» وفي رواية التوحيد «لتحوي منه مكيّفاً في صفاته»[٢].

«وغمضت» من أغمض في الأرض إذا ذهب وغاب.

«مداخل العقول في حيث» أي في مكان.

«لا تبلغه الصفات» أي التوصيفات.

«لتناول» وفي (ابن ميثم، والخطيّة)[٣] «لتنال».

«علم ذاته» أي حقيقته. قال (ابن أبي الحديد): ذات لفظة قد طال فيها كلام كثير من اهل العربية فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى وإضافتها إليه. أمّا إطلاقها فلأنّها لفظة تأنيث، والبارى سبحانه منزّه عن الأسماء والصّفات المؤنثة، وأمّا إضافتها فلأنّها عين الشيء، والشيء لايضاف إلى نفسه، وأجاز آخرون إطلاقها في البارى تعالى وإضافتها اليه أمّا استعمالها فلوجهين:

أحدهما: أنّها جاءت في الشّعر القديم. قال حبيب الصّحابيّ عند صلبه:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ٭ يبارك على أوصال شلو موزّع

ويروى ممزّع وقال النابغة:

محبّتهم ذات الإله ودينهم ٭ قديم فما يخشون غير العواقب

والوجه الثاني: أنّها لفظة اصطلاحية فجاز استعمالها لا على أنّها مؤنث ذويل تستعمل ارتجالاً في مسمّاها الّذي عبّر عنه بها أرباب النظر الإلهى كما

---

١. التوحيد للصدوق ص ٥١ ح ١٣.

٢. التوحيد للصدوق ص ٥١ ح ١٣.

٣. فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩ فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٢ ايضاً «لتناول».

استعملوا لفظ الجوهر والعرض، وغيرهما في غير ما كان أهل العربيّة واللغة يستعملونها فيه واما منعهم إضافتها إليه تعالى وأنّه لايقال ذاته لأنّ الشئ لايضاف الى نفسه فباطل بقولهم اخذته نفسه واخذته عينه.[١]

قلت: من المنكرين ابن برهان، قال الفيّوميّ: قال ابن برهان من النحاة: قول المتكلّمين «ذات الله» جهل لأنّ اسماءه لاتلحقها تاء التأنيث فلايقال: علاّمة وإن كان أعلم العالمين. قال: وقولهم «الصفات الذاتية» خطأ أيضاً فإنّ النسبة إلى ذات ذوويّ لأنّ النسبة تردّ الاسم إلى أصله.[٢]

قلت: كلامه غلط في غلط فإنّ ذاتاً بمعنى الحقيقة ليس تاؤه للتأنيث، وإنّما ذات وصفي في قبال ذوتائه للتأنيث. تقول: رجل ذومال وامرأة ذات مال كما أن «علاّمة» ليست تاؤه للتأنيث بل للمبالغة كيف ويطلق على الرجال، فيقال: فلان علاّمة الدهر.

وذات بمعنى الحقيقة اسم، وقد خلطوا بينه وبين ذات وصفي بمعنى الصّاحبة ويشهد لخلطهم ما في اللّسان: إنّ ابن الأنباريّ قال في قوله تعالى: «.. إنّه عليم بذات الصّدور»[٣]: معناه بحقيقة القلوب من المضمرات. فتأنيث ذات لهذا المعنى كما قال: وتودّون أنّ غيرذات الشوكة تكون لكم. فأُنّث على معنى الطّائفة.[٤]

فجعل «ذات الصّدور» كذات الشّوكة مع أنّ الثّاني وصف والأصل أنّ الطائفة غير ذات الشّوكة لقوله تعالى قبل: «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم..»[٥] والأوّل اسم، وصرّح بالفرق بينهما الفيّوميّ أيضاً.[٦]

وقد استعمل الذات مضافاً إليه تعالى في غير كلامه عليه السّلام، وبيت الصّحار وبيت النّابغة في كلام سيّدة النساء في خطبتها في فدك «مكدوداً في

١. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٢.

٢. المصباح المنير ج ١ ص ٢٥٧/ مادة ذوى.

٣. هود ــ ٥.

٤. لسان العرب ج ١٥ ص ٤٥٩/ مادة ذو.

٥. الانفال ــ ٧.

٦. المصباح المنير ج ١ ص ٢٥٧/ مادة ذوى.

ذات الله»[١] و كلامها فى مرضها الذى توفت فيه «وتنمّره فى ذات الله»[٢].

وفي بيت أبي تمام: ويضرب في ذات الإله فيوجع. نقله المصباح[٣] والمغرب[٤]، وفي كلام العرب على نقل التكملة كما فيهما[٥،٦]: جعل الله ما بيننا في ذاته.

ومرّ خبر الكافي: ولا تتكلّموا في ذات الله.[٧]

وجاء ذات مضافاً إلى غير الله في بيت سويد بن كراع العكلي، وقدنقله كتاب سيبويه شاهد لكف لعلّ بلفظة ما:

تحلّل وعالج ذات نفسك وانظرن ✽ أبا جعل لعلّما أنت حالم[٨]

وفي بيت ذي الرّمّة، وقد نقله الأساس، وهو:

وإن هوى صيداء في ذات نفسه ✽ بسائر أسباب الصّبابة راجح[٩]

وفي بيت حكاه ابن فارس في متخيّر ألفاظه كما في المصباح:

فنعم ابن عمّ القوم في ذات ماله ✽ إذا كان بعض القوم في ماله كلباً[١٠]

ثمّ الظاهر أنّ معناه في الكلّ واحد في الأصل، والإختلاف فيه من خصوصيّة المقام. فهو في بيت النابغة بمعنى الإله نفسه. قال الفيّوميّ فى بيت النابغة: المجلة بالجيم الصّحيفة أى كتابهم عبوديّة نفس الإله.[١١]

وفي كلامه عليه السّلام وفي كلام الصّادق عليه السّلام «ذات الله» أى حقيقته وهويّته، وفي كلام الصّدّيقة عليها السّلام وبيت الصّحاح، وبيت أبي تمام، و كلام العرب بمعنى في جنب الله ولأجله.

---

١. رواه الطبرى فى دلائل الامامة ص ٣٤ والاربلى فى كشف الغمة ج ٢ ص ١١٢ والطبرسى فى الاحتجاج ج ١ ص ١٠١ لكن رواه ابن ابى الحديد فى شرحه ج ٤ ص ٧٩ بدون هذه الفقرة.

٢. رواه الصدوق فى معانى الاخبار ص ٣٥٥ ج ١ والجوهرى فى السقينة ص ١١٨ والطبرى فى دلائل الامامة ص ٤٠ وابوعلى الطوسى فى اماليه ج ١ ص ٣٨٤/ جزء ١٣ والطبرسى فى الاحتجاج ج ١ ص ١٠٨.

٣ و ٥ و ١٠. المصباح المنير ج ١ ص ٣٥٧/ ماده ذوى.

٤ و ٦. المغرب ص ١٩٦/ مادة ذوى.

٧. مر هذا الخبر واخبار اخرى فى المعنى فى عنوان ١٠ من هذا الفصل.

٨. اورده سيبويه فى الكتاب ج ١ ص ٢٨٣.

٩. نقله اساس البلاغة ص ١٤٧/ مادة ذوى.

١١. المصباح المنير ج ١ ص ٢٥٧/ مادة ذوى.

وفي قوله تعالى: «.. عليم بذات الصدور»[١] أى بباطنها وخفيّها، فهو في معنى قوله تعالى «..وما تخفى الصّدور»[٢] وفي بيت سويد أيضاً بمعنى الباطن، وفي بيت ذى الرّمّة بمعنى شخصه، وفي بيت ابن فارس بمعنى أصله.

«ردعها» أي كفّها.

«وهى تجوب» أي تقطع.

«مهاوى» أي مهالك.

«سدف» أي ظلم.

«الغيوب متخلّصة إليه سبحانه» لا يخالطها قصد غيره.

«فرجعت إذ جبهت» أى صكّت جباهها.

«معترفة بأنّه» تعالى.

«لاينال» بلفظ المجهول.

«بجور» أي كثرة.

«الإعتساف» أي الأخذ على غير الطّريق.

«كنه معرفته» عزّ و جلّ لكونه من المحالات.

«ولا تخطر ببال» أي ذهن.

«أولى الرّويّات» أي أصحاب التفكّر في الأُمور.

«خاطرة من تقدير جلال عزّته» كيف لا وقد قال تعالى: «قل لو كان

١. هود ــ ٥.
٢. غافر ــ ١٩.

البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً»[١].

وكلامه عليه السّلام من أوّله إلى آخره ناظر إلى قوله تعالى: «..ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير»[٢].

ومثله دعاء قنوت الصّحيفة السجّاديّة الثّانية: سبحانك طوت الأبصار في صنعتك مديدتها، وثنت الألباب عن كنهك أعنّتها.[٣]

وقال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فإن قالوا: ولم يختلف فيه تعالى قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمته، وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته، وأنّها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك ومادونه، فمن ذلك هذه الشّمس الّتي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الأقاويل فيها، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها، فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوّ ناراً له فم يجيش بهذا الوهج والشّعاع.

وقال آخرون: هو سحابة.

وقال آخرون: هو جسم زجاجيّ يقبل ناريّة في العالم ويرسل عليه شعاعها.

وقال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد ماء البحر.

وقال آخرون: هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النّار.

وقال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة ثمّ اختلفوا في شكلها. ــ إلى أن قال ــ وكذلك أختلفوا في مقدارها ــ إلى أن قال ــ ففي اختلاف هذه الاقاويل منهم في الشّمس دليل على أنّهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، فإذا كانت هذه الشمس الّتى يقع عليها البصر ويدركها الحسّ قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم.[٤]

---

١. الكهف ــ ١٠٩.

٢. الملك ــ ٣ و ٤.

٣. لم اظفر على نسخته.

٤. توحيد المفضل ص ١٧٨.

هذا. وزاد في رواية التّوحيد بعد «من تقدير جلال عزّته»: «لبعده من أن يكون في قوى المحدودين لأنّه خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقين، وإنّما يشبه الشيء بعديله فأمّا ما لا عديل له فكيف يشبه بغير مثاله»[١].

١٢. من خطبة ٨٩: بعد ما مرّ:

اَلَّذِى ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلىٰ غَيْرِ مِثالٍ امْتَثَلَهُ وَلا مِقْدارٍ احْتَذىٰ عَلَيْهِ، مِنْ خالِقٍ مَعْبُودٍ كانَ قَبْلَهُ، وَاَرانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجائِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرافِ الْحاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ اِلىٰ اَنْ يُقيمَها بِمِساكِ قُوَّتِهِ ما دَلَّنا بِاضْطِرارِ قِيامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلىٰ مَعْرِفَتِهِ وَظَهَرَتْ فِى الْبَدائِعِ الَّتِى اَحْدَثَها آثارُ صَنْعَتِهِ وَاَعْلامُ حِكْمَتِهِ. فَصارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، وَدَليلاً عَلَيْهِ، وَاِنْ كانَ خَلْقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبيرِ ناطِقَةٌ، وَدَلالَتُهُ عَلَى الْبَدْعِ قائِمَةٌ.

«الّذي ابتدع الخلق»: أي اخترعه، قال تعالى: «بديع السّموات والأرض..»[٢].

«على غير مثال امتثله» لنفسه كالصائغ الّذي يصوغ حلقة من رصاص، ثمّ يصوغ حلقة من ذهب عليها، و كالبنّاء الّذي يخطّ في الأرض أو غيرها خطوطاً، ثمّ يبنى بحسبها، و كالّذي يضرب اللّبن على القالب.

«ولا مقدار احتذى عليه» أي جعله مقابلاً له يقال: حذو النّعل بالنّعل، والقذّة بالقذّة[٣]، والقذّة ريش السّهم.

---

١. التوحيد للصدوق ص ٥٢ ح ١٣.

٢. البقرة ــ ١١٧.

٣. هذا اصطلاح سائر فى لغة العرب وجاء فى الحديث النبوى «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» رواه رزين فى الجمع عنه جامع الاصول ج ١٠ ص ٤٠٨ ح ٧٤٧١ والطوسى فى الاقتصاد ص ٢١٣ والمفصح ص ١٢٧ واورد الميدانى فى مجمع الامثال ج ١ ص ١٩٥ والزمخشرى فى المستقصى ج ٢ ص ٦١ «حذو القذة بالقذة» وقال الزمخشرى يضرب فى التماثلين.

«من خالق معبود» وفي المصرية «معهود» وهو غلط.[١]

«كان قبله» كصنّاع يتبعون صنّاعاً قبلهم كانوا مخترعي تلك الصّنعة.

«وأرانا من ملكوت قدرته» قال تعالى: «ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشرتنتشرون»[٢]، فهل قدرة أملك من تلك القدرة الّتي جعلت التراب بشراً ينتشر.

«وعجائب ما نطقت به آثار حكمته» «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون»[٣].

فهل من حكمة أعجب من هذه فلولم تكن أزواج الناس من جنس أنفسهم لنفروا عنها ولم يسكنوا إليها، ولنفرت الأزواج عنهم، ولم تسكن إليهم كما أنّه لولم يكن جعل تعالى بينهم مودّة ورحمة كيف كانَ الرّجال يتحمّلون مشاقّ مؤونات النّساء وكيف كانت النّساء يتحملّن مشاقّ تكليفات الرّجال إلى غير ذلك من غرائب قدرته وعجائب حكمته في خلقه الّذي لا يحصى.

«واعتراف الحاجة من الخلق» بلسان الحال.

«إلى أن» هكذا في النّسخ[٤]، والظاهر كونه مصحّف «إلى من».

«يقيمها بمساك قوّته» «إنّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده...»[٥].

«ما» مفعول ثان لقوله «وأرانا».

---

١. لفظ شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٣ «معبود» ولفظ شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩ «معهود».
٢. الروم ــ ٢٠.
٣. الروم ــ ٢١.
٤. كذا فى نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٣ وشرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٣ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩.
٥. فاطر ــ ٤١.

«دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته» بالوجود والقدرة والحكمة.

«وظهرت في البدائع الّتي أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته» هكذا في النّهج[١]، والظاهر وقوع سقط لعدم ربط الكلام من أوّله بما قبله.

ويشهد للسّقط رواية التوحيد ففيها قبله «الّذي صدرت الأمور عن مشيئته، وتصاغرت عزّة المتجبرين دون جلال عظمته، وخضعت له الرّقاب، وعنت الوجوه من مخافته».[٢]

«فصار كلّ ما خلق حجّة له ودليلاً عليه» قال:

فوا عجباً كيف يعصى الإله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كلّ شيء له آية * تدلّ على أنّه واحد[٣]

«وإن كان خلقاً صامتاً» وفي (ابن ميثم)[٤] «وإن كان صامتاً».

«فحجّته بالتّدبير» أي بوجود مدبّر للخلائق.

«ناطقة» بلسان الحال.

«ودلالته على البدع» أي كونه تعالى مبدعاً لها.

«قائمة» بشهادة العقول. قال بعضهم في وصف النّرجس:

عيون في جفون في فنون * بدت فأجاد صنعتها المليك
بأبصار التغنج لامحات * كأنّ حداقها ذهب سبيك
على غصن الزمرد مخبرات * بأنّ الله ليس له شريك

---

١. كذا في نهج البلاغة ج ١ ص ١٦٣ وشرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٣ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩.
٢. التوحيد للصدوق ص ٥٢ ح ١٣.
٣. اورده ابن ابي الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٤٤.
٤. في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩ وكذا شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٣ ايضاً «خلقاً صامتاً».

١٣. من خطبة ٨٩: بعد ما مرّ:

فَاَشْهَدُ اَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبايُنِ اَعْضاءِ خَلْقِكَ وَتَلاحُمِ حِقاقِ مَفاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَميرِهِ عَلىٰ مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُباشِرْ قَلْبُهُ الْيَقينَ بِاَنَّهُ لانِدَّ لَكَ، وَكَاَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التّابِعينَ مِنَ الْمَتْبُوعينَ، اِذْ يَقُولُونَ «تَاللهِ اِنْ كُنّا لَفى ضَلالٍ مُبينٍ اِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمينَ» كَذَبَ الْعادِلُونَ بِكَ، اِذْ شَبَّهُوكَ بِاَصْنامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقينَ بِاَوْهامِهِمْ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّماتِ بِخَواطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوىٰ بِقَرائِحِ عُقُولِهِمْ، وَاَشْهَدُ اَنَّ مَنْ ساواكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعادِلُ بِكَ كافِرٌ بِما نَزَلَتْ بِهِ مُحْكَمُ آياتِكَ، وَنَطَقَتْ بِهِ شَواهِدُ حُجَجِ بَيِّناتِكَ، وَاَنْتَ اللهُ الَّذي لَمْ تَتَناهَ فِى الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فى مَهَبِّ فِكْرِها مُكَيَّفاً، وَلا فى رَوِيّاتِ خاطِرِها مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

«فاشهد» إخباره عليه السّلام عن شهادته لتأكيد المطلب نظير قول هود عليه السّلام لقومه «.. إنّي أُشهد الله واشهدوا أنّي بريءٌ ممّا تشركون، من دونه..» [١].

«أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك» في كون بعضها أفراداً وبعضها أزواجاً.

قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فالرّأس ممّا خلق فرداً، ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له اكثر من واحد. ألا ترى أنّه لو أُضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه، لأنّ الحواس الّتي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ثمّ كان الإنسان ينقسم قسمين، لو كان له رأسان فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطّلاً لا إرب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلّم بأحدهما بغير الّذي

---

١. هود ــ ٥٤ و ٥٥.

تكلّم به من الآخر، لم يدر السّامع بأيّ ذلك يأخذ، وأشباه هذا من الأخلاط. واليدان ممّا خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة، لأنّ ذلك كان يخلّ به في مايحتاج إلى معالجته من الأشياء. ألا ترى أنّ النجّار والبنّاء لوشلّت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته، وإن تكلّف ذلك لم يحكمه، ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يداه تتعاونان على العمل.[١]

«وتلاحم» أي تلاصق من تلاحمت الشّجة تلائم لحمها.

«حقاق» جمع الحقّ بالضمّ، وفي الجمهرة: الحُقّ رأس العضد الذي فيه الوابلة وأصل الورك الّذي فيه عظم رأس الفخذ[٢]، وزاد اللّسان، والنقرة الّتى في رأس الكتف أيضاً.[٣]

«مفاصلهم المحتجبة» عن العيون، وفي توحيد المفضّل: ولو رأيت الدّماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هدّ الصدمة والصكّة الّتى ربّما وقعت في الرّأس، ثمّ قد جلّلت الجمجمة بالشعر حتّى صارت بمنزلة الفرو للرأس، يستره من شدّة الحرّ والبرد، فمن حصّن الدماغ هذا التّحصين إلّا الّذى خلقه، وجعله ينبوع الحس والمستحقّ للحيطة والصيانة بعلوّ منزلته من البدن، وارتفاع درجته وخطير مرتبته. تأمّل يا مفضّل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراج وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب، وما عليه من الشعر.

يا مفضّل من غيّب الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة الّتي هي غشاؤه وحصّنه بالجوانح، وما عليها من اللّحم والعصب لئلّا يصل إليه ما ينكأه.[٤]

---

١. توحيد المفضل ص ٦١.
٢. جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٦٣.
٣. لسان العرب ج ١٠ ص ٥٦/ مادة حقق.
٤. توحيد المفضل ص ٦٤.

«لتدبير حكمتك» في تباين ما تباين من الأعضاء، وتلاحم حقاق ما احتجبت من المفاصل على ما عرفت.

هذا. وقال (ابن أبي الحديد): روى بعضهم قوله عليه السّلام «المحتجبة لتدبير حكمتك»: «المحتجّة» فمن قال: المحتجّة، أراد أنّها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجّة المستدلّة على التدبير الحكمي من لدنه سبحانه، ومن قال: المحتجبة، أراد المستترة لأنّ تركيبها الباطن خفي محجوب.[1]

والاشكال عليه أنّ «ثم» الّذي نسخته بخطّ المصنّف لم ينقل غير «المحتجبة»[2] ورواية التوحيد أيضا بلفظ «المحتجبة» نسخة واحدة[3] وقد عرفت أنّ التدبير مربوط بجميع الكلام لا بخصوص تلاحم حقاق المفاصل.

وكيف كان فبيانه عليه السّلام لتدبير حكمته تعالى في الأعضاء والمفاصل ضمنيّ فإنّه عليه السّلام في مقام إنكار تشبيه الخالق بالخلائق كما أنّه قد يكون الكلام في غير مقام المدح والقدح، ويحصلان ضمناً.

كما أنّ قوله عليه السّلام: «شبّهك بتباين» جعل وجه الشبه والمشبّه والمشبّه به اختصاراً وايضاحاً لشناعة فعالهم.

«لم يعقد غيب ضميره على معرفتك» أي أنّ المشبّه له تعالى بالخلق، وإن ادّعى أنّه عرفك إلّا أنّه لم يصل إلى معرفتك حيث إنّ ما تصوّره الربّ ليس بربّ.

ولمّا اتّهم الواثق أحمد بن نصر الخزاعيّ بالخروج عليه، فأخذ وحمل إليه، قال له الواثق: دع ما أخذت له أفترى ربّك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرّواية. فقال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسّم يحويه مكان، ويحصره الناظر، أنا أكفر بربّ هذه صفته ما تقولون فيه. فقال ابن أبي دؤاد: شيخ مختل لعلّ به عاهة أو تغيّر عقل. قال الواثق: ما أراه إلّا مؤدّياً لكفره قائماً بما يعتقده، ودعا بالصمصامة وقال: إذا قمت إليه، فلا يقومنّ أحد معي، فإنّي أحتسب

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٤.

٢. لفظ شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٩ «المحتجبة».

٣. التوحيد للصدوق ص ٥٤ ح ١٣ ولم ينقل فى الهامش اختلاف بين النسخ.

خطأى إلى هذا الكافر الّذي يعبد ربّاً لانعبده، ولانعرفه بالصّفة الّتي وصفه بها، ومشىَ إليه حتّى ضرب عنقه.[١]

ومن المضحك أنّ الخطيب الحشويّ وضع له نومين. أحدهما رأوه في النّوم، فقال: لقيت الله فضحك إلىّ. والثّاني رأوه في النوم، فقال: غضبت لله فأباحني النّظر إلى وجهه ــ تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً ــ.

وروى ذاك الحشويّ في عنوانه للحسين بن شبيب خبراً عن أبي بكر الصيّدلاني عن أبي بكر المروزيّ بأسناد له أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: الكرسيّ الّذي يجلس عليه الربّ وما يفضل منه إلّا قدر أربع، وإن له أطيطاً كأطيط الرّحل الجديد أى صوته.

وقال ذاك الحشويّ: من ردّ هذا فإنّما أراد الطّعن على أبي بكر المروزيّ، وعلى أبي بكر بن سلم ــ وهل كانا إلّا رجلين معروفين بالمنكر؟

ومن العجب أنّ ذاك الحشويّ يطعن على أدلّة العقول، وعلى كلام الرّسول صلّى الله عليه وآله ويذعن ويسكن إلى جمع حشويّين ناصبيّين معتقدين لما تكاد السّماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً.[٢]

وقال الرّضا عليه السّلام: إلهي بدت قدرتك، ولم تبدهيئة فجهلوك وقدّروك، والتّقدير على غير ما به وصفوك، وإنّي بريئ يا الهي من الّذين بالتّشبيه طلبوك.[٣]

«ولم يباشر قلبه اليقين بأنّه لاندّ» أى مثل.

«لك» وإنّما استندوا إلى أوهام، واعتمدوا على أباطيل، ومنهم أبوإسماعيل الهرويّ فاستند في ما توهم إلى ما عن مرامه بمراحل. فقال: لما عاب

---

١. نقله الطبرى فى التاريخ ج ٧ ص ٣٢٨/ سنة ٢٣١ لكن نقله الشارح بتصرف وقد سبق بعض القصة فى عنوان ٨ من هذا الفصل.

٢. رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٢.

٣. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ١٢٤ ح ٢ والعيون ج ١ ص ٩٥ ح ٥ واماليه ص ٤٨٧ ح ٢/ مجلس ٨٩ ونقله المجلسى عن الكتاب العتيق الغروى فى بحار الانوار ج ٩٤ ص ١٨١ ح ٩ عن الرضا (ع) واخرجه المفيد فى الارشاد ص ٢٦٠ عن السجاد (ع).

تعالى الأصنام بعدم أرجل يمشون بها، وأيد يبطشون بها وأعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها حيث قال: «ألهم أرجل يمشون بها؛ أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها..[١]» وقال: «إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم..»[٢] وقال: «.. ألم يروا أنّه لا يكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً..[٣]» وقال: «أفلا يرون ألّا يرجع إليهم قولاً..[٤]» تبيّن أنّه تعالى تمدح بها، وأنّها حقائق فيه.[٥]

فإنّ عيبهم بما قال لا يستلزم مدحه بها كما توهّم، وإلّا لزم أن يكون جميع البشر آلهة، فعاب آلهتهم بعدم كونهم مثلهم تهجيناً لعقولهم، ولا ينافي ذلك اختصاص الإله من عبيده بكونه جامعاً للصّفات الكماليّة بدون الحاجة إلى الجوارح الظّاهريّة.

«وكأنّه لم يسمع تبرؤ التّابعين من المتبوعين إذ يقولون تالله إن كنّا لفي ضلال مبين إذ نسوّيكم بربّ العالمين»[٦] والآيتان في الشّعراء، وقبلهما: «قالوا وهم فيها يختصمون»[٧] والمراد من التّابعين الغاوون، ومن المتبوعين ما يعبدون من دون الله. قال تعالى: «وبرزت الجحيم للغاوين؛ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون»[٨] وخطابه عليه السّلام وإن كان مع الموحّدين، والآيات في المشركين إلّا أنّهم لمّا شبّهوه بخلقه صاروا كالمشركين غيره تعالى له عزّ وجلّ كما قال عليه السّلام:[٩]

«إذ شبّهوك بأصنامهم» في إثبات الجسميّة له، وفي التّوحيد بدل

١. الاعراف ــ ١٩٥.
٢. فاطر ــ ١٤.
٣. الاعراف ــ ١٤٨.
٤. طه ــ ٨٩.
٥. نقله عن ابن طاووس في الطرائف ج ٢ ص ٣٤٥.
٦. الشعراء ــ ٩٧ و ٩٨.
٧. الشعراء ــ ٥٦.
٨. الشعراء ــ ٩١ ــ ٩٣.
٩. لم يتعرض الشارح بشرح فقرة «كذب العادلون بك».

«بأصنامهم». «بأصنافهم». [١]

«وغلوك» أي ادّعوا لك باطلاً.

«حلية المخلوقين» الّتي يكون الخالق منزّهاً عنها.

«بأوهامهم» ولم يراجعوا عقولهم.

«وجزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم، وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم» النّاقصة، والمراد باستنباط عقولهم الضّعيفة، والأصل في القريحة أوّل ماء يستنبط من البئر.

قال الدّوانيّ: المشبّهة منهم من قال: إنّه جسم حقيقة ثمّ افترقوا، فقال بعضهم إنّه مركّب من لحم ودم، وقال بعضهم هو نور متلألأ كالسبيكة البيضاء طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، ومنهم من قال إنّه على صورة إنسان. فمنهم من يقول إنّه شاب أمرد جعد قطط، ومنهم من قال إنّه شيخ أشمط الرأس واللحية، ومنهم من قال هو في جهة الفوق مماسّ للصّفحة العليا من العرش، ويجوز عليه الحركة والإنتقال، تبدل الجهات وتئطّ العرش تحته أطيط الرحل الجديد تحت الرّاكب الثّقيل، وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع، ومنهم من قال هو محاذ للعرش غير مماسّ له وبعده عنه بمسافة متناهية، وقيل بمسافة غير متناهية[٢] — إلى غير ذلك من خرافاتهم تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً.

«وأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك» عن جلالك.

«والعادل بك» غيرك.

«كافر بما نزّلت به محكم آياتك» قال تعالى: «.. أإله مع الله بل هو قوم يعدلون»[٣]، «.. ولا تتّبع أهواء الّذين كذّبوا بآياتنا والّذين لا يؤمنون بالآخرة وهم

---

١. التوحيد للصدوق ص ٥١ ح ١٣ ولفظه «اذ شبّهوه بمثل اصنافهم» وفي نسخة «اصنامهم».
٢. نقله عن الدواني المجلسي في بحار الانوار ج ٣ ص ٢٨٩.
٣. النمل — ٦٠.

بربّهم يعدلون»[١]، «..ثم الّذين كفروا بربّهم يعدلون».[٢]

«ونطقت به شواهد حجج بيّناتك» من دلالة العقول على عدم إمكان كون الخالق كالخلائق.

«وأنت الله الّذي لم تتناه في العقول» لقصورها عن الإحاطة بك.

«فتكون في مهبّ» رياح.

«فكرها» ككثير من الأشياء.

«مكيّفاً» بكيفية.

«ولا في روّيات خاطرها» أي تفكّرها في الأمور.

«محدوداً مصرّفاً» كخلقه، ورد أنّ رجلاً قال له عليه السّلام أين المعبود؟. فقال عليه السّلام: لايقال له **«أين»** لأنّه أيّن الأينيّة، ولايقال له **«كيف»** لأنّه كيّف الكيفيّة، ولايقال له **«ماهو»** لأنّه خلق الماهية. سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيّار أمواج عظمته، وحصرت الألباب عن ذكر أزليّته، وتحيّرت العقول في أفلاك ملكوته.[٣]

هذا. وفي منهاج العلاّمة: حكى عن بعض المنقطعين التّاركين من شيوخ الحشويّة أنّه اجتاز عليه في بعض الأيّام نفّاط، ومعه أمرد حسن الصّورة قطط الشّعر على الصّفات الّتي يصفون ربّهم بها، فألحّ بالنّظر إليه وكرّره فتوهّم منه النّفاط أمراً فجاء إليه ليلاً وقال له: رأيتك تلحّ بالنّظر إلى هذا الغلام وقد أتيتك به. فإن كان لك فيه نيّة فأنت الحاكم فحرّد عليه، وقال: إنّما كرّرت النّظر لأنّ مذهبي أنّ الله ينزل على صورة هذا الغلام، فتوهّمت أنّه الله. فقال له النّفاط: والله ما أنا عليه من النفاطة أجود ممّا أنت عليه من الزّهد مع هذه المقالة.

---

١. الانعام ــ ١٥٠.

٢. الانعام ــ ١.

٣. رواه الفتال في روضة الواعظين ج ١ ص ٣٧ وروى معناه كثيراً لم يسع المقام لذكره.

وفيه: وذهب بعضهم إلى أنّه تعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة على شكل أمرد ببغداد راكباً على حمار حتّى أنّ بعضهم ببغداد صنع على سطح داره معلفاً ويضع كلّ ليلة جمعة فيه شعيراً وتبناً فلعلّ ينزل الله على حماره على ذلك السّطح فيشتغل الحمار بالأكل، ويشتغل الرّبّ بالنّداء، ويقول: هل تائب مستغفر؟[1]

١٤. من خطبة ٨٩: بعد ما مرّ:

قَدَّرَ ما خَلَقَ فَأَلْطَفَ تَقْديرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَحْكَمَ تَدْبيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْاِنْتِهاءِ اِلىٰ غايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ اِذ اُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلىٰ اِرادَتِهِ، وَكَيْفَ وَاِنَّما صَدَرَتِ الْاُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنْشِيءُ اَصْنافَ الْاَشْياءِ بِلا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ اِلَيْها، وَلا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ اَضْمَرَ عَلَيْها، وَلا تَجْرِبَةٍ اِسْتَفادَها مِنْ حَوادِثِ الدُّهُورِ، وَلا شَرِيكٍ اَعانَهُ عَلىٰ ابْتِداعِ عَجائِبِ الْاُمُورِ. فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَاَذْعَنَ لِطاعَتِهِ، وَاَجابَ اِلىٰ دَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْبَطِيءِ، وَلا اَناةُ الْمُتَلَكِّئِ، فَأَقامَ مِنَ الْاَشْياءِ اَوَدَها، وَنَهَجَ حُدُودَها، وَلاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضادِّها، وَوَصَلَ اَسْبابَ قَرائِنِها، وَفَرَّقَها اَجْناساً مُخْتَلِفاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْاَقْدارِ وَالْغَرائِزِ وَالْهَيْئاتِ بَدايا خَلائِقَ اَحْكَمَ صُنْعَها، وَفَطَرَها عَلىٰ ما اَرادَ وَابْتَدَعَها.

قدّر ما خلق فألطف» هكذا في المصريّة[2]، والصّواب «فأحكم».

«تقديره» «فالق الإصباح وجعل اللّيل سكناً والشّمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم»[3] «سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض

١. نقلها العلامة الحلى فى منهاج الكرامة ص٧ والنقل بتصرف يسير.

٢. لفظ ابن ابى‌الحديد فى شرحه ج ٢ ص ١٤٥ «فأحكم» ولفظ ابن ميثم فى شرحه ج ٢ ص ٣٤٠ «فألطف».

٣. الانعام ــ ٩٦.

ومن أنفسهم وممّا لايعلمون؛ وآيةٌ لهم اللّيل نَسْلَخُ منه النّهار فإذاهم مظلمون؛ والشّمسُ تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم؛ والقمرَ قدرّناه منازل حتّى عاد كالعُرجون القديم»[١].

«ودبّره فأحكم» هكذا في المصريّة، والصّواب «فألطف» كما في غيرها.[٢]

«تدبيره» قل ءَإنّكُمْ لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين؛ وجعل فيها رواسيَ من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتَها في أربعة أيّام سواءً للسّائلين»[٣].

وفي دعاء الهلال: سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك، وألطف ما صنع في شأنك جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث.[٤]

وفي توحيد المفضّل: قال الصّادق عليه‌السّلام: انظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواسّ الّتي خصّ بها الإنسان في خلقه، وشرّف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرّأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء الّتي تمتهنّ كاليدين والرّجلين فتعترضها الآفات، ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها ويؤثّر فيها. وينقص منها، ولا في الأعضاء الّتي وسط البدن كالبطن والظّهر، فيعسر تقلّبها واطّلاعها نحو الأشياء[٥] وفيه أيضاً: اعتبر الآن يا مفضّل بعظم النّعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه، وتسهيل خروج الأذى، أليس من حسن التّقدير في بناء الدّار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها؟ فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيّأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا ناشراً من بين يديه، بل هو مغيّب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان، وتحجبه الأليتان بما عليها من اللّحم

---

١. يس ـ ٣٦ ـ ٣٩.

٢. لفظ ابن ابي‌الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٣٥ «فألطف» ولفظ ابن ميثم في شرحه ج ٢ ص ٣٤١ «فأحكم».

٣. فصلت ـ ٩ و ١٠.

٤. الصحيفة الكاملة السجاديّة ص ٢١٠/ دعاء ٤٣.

٥. توحيد المفضل ص ٥٨.

فتواريانه. فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصباً مهيّئاً لانحدار الثّفل. فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولاتحصى نعماؤه.[١]

«ووجّهه» أي ما خلق.

«لوجهته» الّتي ينبغي أن يكون عليها.

«فلم يتعدَّ حدود منزلته، ولم يقصّر دون الإنتهاء إلى غايته» بل يصير إلى ما خلق له بلا زيادة ولانقصان.

في توحيد المفضّل: انظر الآن كيف حياء الأُنثى من الفيلة في أسفل بطنها. فإذا هاجت للضّراب ارتفع وبرز حتّى يتمكّن الفحل من ضربها، فاعتبر كيف جعل حياء الأُنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام، ثمّ جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيّأ للأمر الّذي فيه قوام النّسل ودوامه.[٢]

«ولم يستصعب» ما خلق.

«إذ أمر بالمضيّ» والنّفوذ.

«على إرادته» ووفق مشيئته. قال تعالى: «ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أوكرهاً قالتا آتينا طائعين؛ فَقَضيهُنَّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم»[٣]، «لا الشّمسُ ينبغي لها أن تدرك القمرَ ولا اللّيلُ سابقُ النّهارِ وكلٌّ في فلك يسبحون»[٤].

«وكيف» يستصعب شيء عن إرادته تعالى.

«وإنّما صدرت الأمور عن مشيئته» «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن

١. توحيد المفضل ص ٧٠.
٢. توحيد المفضل ص ١٠٤.
٣. فصلت ــ ١١ و ١٢.
٤. يس ــ ٤٠.

فيكون»[١] «وما تَشاؤُنَ إلّا أن يشاءَ الله»[٢].

«المنشىء أصناف الأشياء بلاروية» أي تأمّل.

«فكر آل»: أي رجع.

«إليها» كالنّاس في أفعالهم «وهو الّذي أنشأ جنّات معروشات وغيرَ معروشات والنّخلَ والزّرعَ مختلفاً أُكُلُهُ والزّيتونَ والرّمّانَ متشابِهاً وغير متشابهٍ كلوا من ثمره إذا أثمرَ وآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ ولا تسرفوا إنّه لا يحب المسرفين؛ ومن الأنعام حمولة وفرشاً..»[٣].

«ولا قريحة» والأصل في القريحه أوّل ماء يستنبط من البئر، ثمّ استعير لما يستنبط بجودة الطّبع.

«غريزة» بتقديم الرّاء على الزّاء أي الطّبيعة.

«أضمر» أي عمل في الضّمير.

«عليها» أي على تلك القريحة.

«ولا تجربة استفادها من حوادث الدّهور» كالنّاس المعمّرين.

«ولا شريكَ أعانه على ابتداع عجائب الأمور» حسب شأن الخلائق.

«فتم خلقه» من حيث جمعه لجميع مصالحه «ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت»[٤].

«وأذعن» أي خضع وذلّ.

---

١. يس ــ ٨٢.
٢. الانسان ــ ٣٠.
٣. الانعام ــ ١٤١ و ١٤٢.
٤. الملك ــ ٣.

«لطاعته» أي إطاعته.

«وأجاب إلى دعوته» فلمّا قال بلسان القدرة للسّماء والأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا بلسان المذلّة له: أتينا طائعين.[١]

«ولم يعترض دونه ريث» الرّيث «ضدّ العجلة كالبُطْء».

«البطيء ولا أناة» أي تأنّي.

«المتلكّىء» أي المتباطي، وفي رواية التّوحيد بدل «وأجاب إلى دعوته ـ إلى ـ أناة المتلكّىء»: «ووافق الوقت الّذي أخرجه إليه إجابة لم يعترض دونها ريث المبطيء، ولا أناة المتلكّىء»[٢] وهو الأقرب لافادة المقصد.

والمراد أنّ ما يحصل في الوجود كالأسنان للرّضيع، واللّحية للرّجل، والثّدي للمرأة إنّما كان لأنّ الأوّل إنّما يوافي الوقت الّذي يحتاج إلى الأكل، والثّاني إنّما يوافي الوقت الّذي يتميّز الرّجل من الطّفل، والثّالث إنّما يوافي الوقت الّذي تستعدّ المرأة للحمل، وكلّ منها قبل ذلك وجوده لغو لا أنّها تلكّأت وأبطأت عليه تعالى كالنّاس يريدون شيئاً لا يحصل لهم في ذاك الوقت.

«فأقام من الأشياء أودها» أي عوجها.

«ونهج» أي أوضح.

«حدودها» ونقله (ابن أبي الحديد) «جددها» وقال: أي طريقها[٣]. مع أنّ في الصّحاح: الجدد بالفتح الأرض الصّلبة[٤]، وفي اللّسان قال ابن شميل:

١. هذا اقتباس من قوله تعالى «ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين» فصلت ١١.

٢. التوحيد للصدوق ص ٥٣ ح ١٣.

٣. فى شرح ابن ابى‌الحديد ج ٢ ص ١٤٥ ايضاً «حدودها» وفى ص ١٤٦ شرح فقرة «نهج البلاغة» بلفظ «اوضح الطريق» واما فى شرح ابن‌ميثم ج ٢ ص ٣٤٤ «جددها» وفى ص ٣٤٤ جعل «حدودها» رواية وشرح الفقرة بلفظ «هو ايضاحه لكل شئ وجهته وعايته التى تيسرها له».

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٤٤٩/ مادة جدد.

الجدد ما استوى من الأرض[١]. قلت: ويشهد للثاني المثل «من سلك الجدد أمن العثار»[٢]. ثمّ في التوحيد بدل الجملة «ونهى معالم حدودها»[٣].

«ولاءَم بقدرته بين متضادّها» فسّر متضادّ الأشياء الّتي لاءَم تعالى بينها بعضهم بالحرارة، والبرودة، والرّطوبة، واليبوسة، وبعضهم بالنّاروالماء والرّيح والتّراب.

«ووصل أسباب قرائنها» قيل: المراد اقتران النفوس بالأبدان، وقيل: هدايتها لما هو الأليق بها في معاشها ومعادها، وزاد التّوحيد «وخالف بين ألوانها»[٤].

«وفرّقها أجناساً مختلفات» الإنسان وأنواع الحيوانات والطّيور والهوامّ. «في الحدود والأقدار» أي المقادير.

«والغرائز» بتقديم الرّاء أي الطّبائع.

«والهيئات»: أي الأشكال. قال الصّادق عليه‌السّلام للمفضّل: فكّر يا مفضّل في هذه الأصناف الثّلاثة من الحيوان، وفي خلقها على ماهي عليه ممّا صلاح كلّ واحد منها فالإنس لـمّا قد روا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصّناعات من البناء والنّجارة والصّباغة وغيرذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصّناعات وآكلات اللّحم، لمّا قدّر أن تكون معائشها من الصّيد خلقت لهم أكفّ لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح لأخذ الصّيد ولا تصلح للصّناعات. وآكلات النّبات لمّا قدّر أن يكونوا لا ذوات صنعة ولا ذوات صيد، خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب المرعىٰ، ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيؤها للركوب

١. لسان العرب ج ٣ ص ١٠٩/ مادة جدد.
٢. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ٢ ص ٣٠٦ والزمخشرى فى المستقصى ج ٢ ص ٣٥٦ وقالا يضرب فى طلب العافية.
٣ و ٤. التوحيد الصدوق ص ٥٤ ح ١٣.

والحمولة تأمّل التّدبير في خلق آكلات اللّحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حَداد، وبراثن شداد وأشداق وأفواه واسعة، فإنّه لمّا قدّر أن يكون طعمها اللّحم، خلقت خلقة تشاكل ذلك، وأُعينت بسلاح وأدوات تصلح للصّيد، وكذلك تجد سباع الطّير ذوات مناقير ومخالب مهيّأة لفعلها، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أُعطيت مالاتحتاج إليه، لأنّها لاتصيد ولاتأكل اللّحم، ولو كانت السّباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني السّلاح الّذي تصيد وتتعيّش. أفلاترى كيف أُعطى كلّ واحد من الصّنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.[1]

«**بدايا خلائق أحكم صنعها**» قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر في خلق الزّرّافة واختلاف أعضائها، وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان. فرأسها رأس فرس، وعنقها عنق جمل، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر، وزعم ناس من الجهّال بالله تعالى أنّ نتاجها من فحول شتّى قالوا: وسبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزوعلى بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتّى، وهذا جهل من قائله وقلّة معرفة بالبارئ جلّ قدسه. وليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف، فلا الفرس يلقح الجمل، ولا الجمل يلقح البقر، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان في ما يشاكله، ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار، فيخرج بينهما البغل، ويلقح الذئب الضبع، فيخرج بينهما السمع.[2]

«**وفطرها على ما أراد وابتدعها**» «سبّح اسم ربّك الأعلى؛ الّذي خلق فسوّى والّذي قدّر فهدى»[3].

وقال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر في الفطن الّتي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة، لطف من الله عزّوجلّ لهم لئلاّ يخلو من نعمه جلّ وعزّ

---

١. توحيد المفضل ص ٩٦.

٢. توحيد المفضل ص ١٠٤.

٣. الاعلى ــ ١ ــ ٣.

أحد من خلقه، لا بعقل ورويّة، فإنّ الايّل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع عن شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله، ويقف على الغدير، وهو مجهود عطشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه، ولو شرب لمات من ساعته. فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب الشديد خوفاً من المضرّة في الشرب، وذلك ممّا لا يكاد الإنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه.[1]

هذا. وزاد التّوحيد على ما مرّ: «انتظم علمه صنوف ذرئها، وأدرك تدبيره حسن تقديرها»[2].

١٥. خطبة ١٠٦: ومن خطبة له عليه السّلام (وهي من خطب الملاحم):

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ. خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِى الضَّمَائِرِ، وَلَيْسَ بِذِى ضَمِيرٍ فِى نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

قول المصنّف «وهي من خطب الملاحم» الملاحم الوقائع العظيمة في الفتن جعلها منها لأنّ فيها «رأيت ضلالة قد قامت على قطبها» إلخ، كما يأتي في فصل إخباره عليه السّلام بالملاحم.[3]

قوله عليه السّلام: «الحمد لله المتجلّي لخلقه» تجلّياً أجلى من الشّمس فقد يشكّ في طلوع الشّمس وغروبها وزوالها ومحلّها من السّماء إذا كانت تحت السّحاب، وليس يشكّ في وجود الصّانع غير مكابر في وقت «أفي الله شكّ فاطر السّموات والأرض»[4].

١. توحيد المفضل ص ١٠٩.
٢. التوحيد للصدوق ص ٥٤ ح ١٣.
٣. يأتي في عنوان ٣٠ منه.
٤. ابراهيم ـ ١٠.

«بخلقه»: أي تجليه بسبب مشاهدة مخلوقاته، ولولم يكن في خلقه إلّا الشّمس لكفاه في تجليّه لخلقه كيف وخلقه لا يحصى.

«والظّاهر لقلوبهم بحجته» وإن لم يظهر لأعينهم بمشاهدته.

كلّم الصّادق عليه السّلام ابن أبي العوجاء يوماً فعاد إليه غداً. فقال: كأنّك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه. فقال: أردت ذلك يا بن رسول الله.

فقال له أبوعبدالله عليه السّلام: ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أنيّ ابن رسول الله.

فقال: العادة تحملني على ذلك.

فقال عليه السّلام: فما يمنعك من الكلام. قال: إجلالاً لك ومهابةً ما ينطلق لساني بين يديك فإنّي شاهدت العلماء وناظرت المتكلّمين فما تداخلني هيبة قطّ مثل ما تداخلني من هيبتك. قال: يكون ذلك ولكن أفتح عليك بسؤال وأقبل عليه.

فقال له: أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟ فقال عبدالكريم بن ابى العوجاء: بل أنا غير مصنوع. فقال عليه السّلام: فصف لى لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟ فبقي عبدالكريم مليّاً لا يحير جواباً، وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول: طويل عريض عميق قصير متحرّك ساكن كلّ ذلك صفة خلقه. فقال عليه السّلام: فإن كنت لم تعلم صفة الصّنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك ممّا يحدث من هذه الأمور.

فقال له عبدالكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها.

فقال أبوعبدالله عليه السّلام: هبك علمت أنّك لم تسأل في ما مضى. فما علمك أنّك لا تسأل في ما بعد على أنّك يا عبدالكريم نقضت قولك لأنّك تزعم أنّ الأشياء من الأوّل سواء فكيف قدّمت وأخرّت، ثم قال: يا عبدالكريم أزيدك وضوحاً أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر. فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس. فقال لك: صف لي الدّينار، وكنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدّينار عن الكيس وأنت

لا تعلم؟ قال: لا.

فقال أبوعبدالله عليه السّلام: فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس. فلعلّ في العالم صنعة من حيث لاتعلم صفة الصّنعة من غير الصّنعة (أي فكيف تنفي الصّنعة) فانقطع عبدالكريم وأجاب إلى الإسلام بعض اصحابه وبقي معه بعض. فعاد في اليوم الثّالث. فقال: أُقلّب السؤال.

فقال له ابوعبدالله عليه السّلام: سل عمّا شئت. فقال: ما الدّليل على حدث الأجسام؟

فقال عليه السّلام: إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلّا وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولوكان قديماً ما زال ولاحال لأنّ الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث، والقدم في شيء واحد.

فقال عبدالكريم: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت بذلك على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثهنّ.

فقال عليه السّلام: إنّما نتكلّم على هذا العالم الموضوع. فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه، ووضعنا غيره، ولكن أُجيبك من حيث قدّرت أن تلزمنا، فنقول: إنّ الأشياء لودامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ضمّ شيء إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التّغيير عليه خروجه من القدم كما أنّ في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراءه شيء يا عبدالكريم. فانقطع وخزى. فلمّا كان من العالم القابل التقى معه في الحرم. فقال له بعض شيعته: إنّ ابن أبي العوجاء قد أسلم. فقال عليه السّلام: هو أعمى من ذلك، لا يسلم. فلمّا بصر به (ع) قال: يا سيّدى ومولاى. فقال (ع) ماجاء بك إلى هذا الموضع. فقال: عادة الجسد وسنّة البلد، ولننظر ما النّاس فيه من الجنون والحلق ورمى الحجارة. فقال له عليه السّلام: أنت بعد على عتوّك وضلالك يا عبدالكريم. فذهب يتكلّم. فقال عليه السّلام له: لا جدال في الحجّ، ونفض رداءه من يده وقال: إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا

ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول وهو كما نقول نجونا وهلكت. فأقبل عبدالكريم على من معه، فقال: وجدت في قلبي حزازة فردّوني، فردّوه فمات.[١]

«خلق الخلق من غير رويّة» أي تفكّر.

«إذ كانت الرويّات لاتليق إلّا بذوي الضّمائر» الّذين لهم قلوب في الصدور.

«وليس بذي ضمير في نفسه» وهو نظير قوله عليه السّلام في الخطبة الأُولى «بلا رويّة أجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها»[٢].

«خرق علمه باطن غيب السّترات» فجعلها منكشفة «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور»[٣] «فإنّه يعلم السرّ وأخفى»[٤] قالوا: أخفى من السرّ ما خطر بالقلب ولم يحصل في الخارج.[٥]

«وأحاط بغموض» أي خفي.

«عقائد السّريرات» «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله، ويعلم ما في السّمٰوٰاتِ والأرض»[٦] «يَسْتخفُونَ من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يَرْضىٰ من القول وكان الله بما يعملون محيطاً»[٧] «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين؛ وهو

---

١. اخرجه الكليني فى الكافى ج ١ ص ٧٦ ح ٢ والصدوق فى التوحيد ص ٢٩٦ ح ٢ لكن الحديث فى عدد من نسخ الكافى لا كلّها.
٢. نهج البلاغة ج ١ ص ١٦/ شرح خطبة ١.
٣. غافر ـــ ١٩.
٤. طه ـــ ٧.
٥. اخرج هذا المعنى على بن ابراهيم فى تفسيره ج ٢ ص ٥٩ وعبدالرزاق فى الجامع وعبدبن حميد فى مسنده عن قتادة وعبدبن حميد فى مسنده وابن المنذر عن الحسن البصرى وعكرمة عنهم الدر المنثور ج ٤ ص ٢٩٠.
٦. آل عمران ـــ ٢٩.
٧. نساء ـــ ١٠٨.

الّذي يتوفيّكُمْ بالّيل ويعلم ما جرحتم بالنّهار...»[١].

١٦. خطبة ١٠٧: ومن خطبة له عليه السّلام:

كُلُّ شَيْءٍ خاضِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَليلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ وَمَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ. وَمَنْ عاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ ماتَ فَإلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ. لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْواصِفينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلا يُفْلِتُكَ مَنْ اَخَذْتَ وَلا يَنْقُصُ سُلْطانَكَ مَنْ عَصاكَ، وَلا يَزيدُ فى مُلْكِكَ مَنْ اَطاعَكَ، وَلا يَرُدُّ اَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضاءَكَ، وَلا يَسْتَغْنى عَنْكَ مَنْ تَوَلّى عَنْ اَمْرِكَ. كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهادَةٌ. أَنْتَ الْاَبَدُ لا اَمَدَ لَكَ. وَاَنْتَ الْمُنْتَهىٰ لا مَحيصَ عَنْكَ. وَاَنْتَ الْمَوْعِدُ لا مَنْجى مِنْكَ اِلاّ اِلَيْكَ. بِيَدِكَ ناصِيَةُ كُلِّ دابَّةٍ، وَاِلَيْكَ مَصيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ. سُبْحانَكَ ما اَعْظَمَ ما نَرىٰ مِنْ خَلْقِكَ، وَما اَصْغَرَ عِظَمَهُ فى جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَما اَهْوَلَ ما نَرىٰ مِنْ مَلَكُوتِكَ وَما اَحْقَرَ ذلِكَ فى ما غابَ عَنّا مِنْ سُلْطانِكَ، وَما اَسْبَغَ نِعَمَكَ فِى الدُّنْيا، وَما اَصْغَرَها فى نَعيمِ الْآخِرَةِ.

«كلّ شيء خاضع له» هكذا في المصريّة، والصّواب: «خاشع له» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[٢] وخشوع كلّ شيء له بمعنى كونه تحت إرادته كالسّجود له. قال تعالى: «ولله يسجد من في السّموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال»[٣] «أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّؤا

١. الأنعام ــ ٥٩ و ٦٠.
٢. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٢٢٧ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٤٩ ايضاً «خاضع».
٣. الرعد ــ ١٥.

ظِلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون»[١] «ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابّة والملائكة وهم لايستكبرون»[٢].

«وكلّ شيء قائم به» «أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت..»[٣] «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده..»[٤].

«غني كلّ فقير» «هم الّذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون»[٥] «ووجدك عائلاً فأغنى»[٦] «..إن ترن أنا أقلّ منك مالاً وولداً فعسى ربّي أن يؤتين خيراً من جنّتك..»[٧].

«وعزّ كلّ ذليل» «..أيبتغون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعاً»[٨] «..ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لايعلمون»[٩].

«وقوّة كلّ ضعيف» «ألم يجدك يتيماً فآوى»[١٠].

«ومفزع كلّ ملهوف» «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوء..»[١١] «وما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضُرّ فإليه تَجْرُوْنَ»[١٢]. ويشهد لجميع الفقرات قوله تعالى: «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك

---

١. النحل ــ ٤٨.
٢. النحل ــ ٤٩.
٣. الرعد ــ ٣٣.
٤. فاطر ــ ٤١.
٥. المنافقون ــ ٧.
٦. الضحى ــ ٨.
٧. الكهف ــ ٣٩ و ٤٠.
٨. النساء ــ ١٣٩.
٩. المنافقون ــ ٨.
١٠. الضحى ــ ٦.
١١. النمل ــ ٦٢.
١٢. النحل ــ ٥٣.

ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كُلّ شيء قدير؛ تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب»[١].

«ومن» هكذا في المصريّة، والصّواب: «من» بدون واو كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[٢].

«تكلّم سمع نطقه، ومن سكت علم سرّه» «سواء منكم من أسرّ القول ومن جهربه ومن هو مستخف باللّيل وسارب بالنّهار»[٣] «وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ وأخفى»[٤].

«ومن عاش فعليه رزقه» «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقُها ويعلم مستقرّها ومستودَعها كلٌّ في كتاب مبين»[٥].

وقال الشّاعر:

إنّ الّذي شقّ فمي ضامن ٭ للرّزق حتّى يتوفّاني

«ومن مات فإليه منقلبه» «قل يَتَوَفّيكُمْ مَلَكُ الموتِ الّذي وُكِّلَ بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون»[٦].

«لم تَرك» الكاف مفعول «لم تر».

«العيون» كما ترى الجسمانيّات.

«فتخبر عنك» بكيفيّة أو كميّة.

---

١. آل عمران ــ ٢٦ و ٢٧.
٢. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٢٢٧ لكن يوجد الوا وفي شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٤٩.
٣. الرعد ــ ١٠.
٤. طه ــ ٧.
٥. هود ــ ٦.
٦. السجدة ــ ١١.

«بل كنت قبل الواصفين من خلقك» يعني أنّ شهادة العقول بكونك قبل الخلق دالّة على أنّ المخبر عنك إنّما هو القلوب الشّاهدة للغيوب لا العيون القاصرة عن رؤية أمر محجوب.

«لم تخلق الخلق لوحشة» «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون»[١].

«ولا استعملتهم لمنفعة» «ما أُريد منهم من رزق وما أُريد أن يطعمون؛ إنّ الله هو الرزّاق ذوالقوّة المتين»[٢].

«ولا يسبقك من طلبت» «..وإذا أراد الله بقوم سُوءًا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال»[٣] «أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا..»[٤].

«ولا يفلتك»: أي لا يخرج من تحت يدك.

«من أخذت» «..فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر»[٥] «فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله»[٦] «فلو لا إن كنتم غير مدينين؛ ترجعونها إن كنتم صادقين»[٧].

«ولا ينقص سلطانك من عصاك» «ولا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر إنّهم لن يضرّوا الله شيئاً..»[٨] «..يا أيّها النّاس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الْحَيٰوةِ الدّنيا ثمّ إلينا مرجعكم فننبّئكُمُ بما كنتم تعملون»[٩].

---

١. الذاريات ــ ٥٦.
٢. الذاريات ــ ٥٧ و ٥٨.
٣. الرعد ــ ١١.
٤. الانبياء ــ ٤٣.
٥. القمر ــ ٤٢.
٦. القصص ــ ٨١.
٧. الواقعة ــ ٨٦ و ٨٧.
٨. آل عمران ــ ١٧٦.
٩. يونس ــ ٢٣.

«ولا يزيد في ملكك من أطاعك» «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها..»[١] «.. ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيّ كريم»[٢].

«ولا يردّ أمرك» المراد أمره القدريّ لا التّكليفيّ.

«من سخط قضاءك» «.. وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً..»[٣] و«..يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذّكور؛ أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً..»[٤].

«ولا يستغني عنك من تولّى عن أمرك» والمراد أمره التّشريعيّ، ولذا لم يقل عنه مع تقدّم قوله: ولا يردّ أمرك «وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّ كأنْ لَمْ يَدْعُنا إلى ضرٍّ مسّه..»[٥] «وما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضرّ فإليه تجْأرُونَ؛ ثمّ إذا كشف الضرّ عنكم إذاً فريق منكم بربّهم يشركون»[٦].

«كلّ سرّ عندك علانية» «ألا أنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصّدور»[٧].

«وكلّ غيب عندك شهادة» «..عالم الغيب والشّهادة وهو الحكيم الخبير»[٨].

«أنت الأبد»: أي وجودك أبديّ.

---

١. فصلت ــ ٤٦.
٢. النمل ــ ٤٠.
٣. آل عمران ــ ٨٣.
٤. الشورى ــ ٤٩ و ٥٠.
٥. يونس ــ ١٢.
٦. النحل ــ ٥٣ و ٥٤.
٧. هود ــ ٥.
٨. الانعام ــ ٧٣.

«لا أمد»: أي لا نهاية.

«لك» كما للخلق حتّى السّماء والأرض والشّمس والقمر، وقال (ابن أبي الحديد): «أنت الأبد فلا أمد لك» هذا الكلام علويّ شريف لا يفهمه إلّا الرّاسخون في العلم، وفيه شمّة من قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله «لا تسبّوا الدهر فإنّ الدّهر هو الله»[١] وفي مناجاة الحكماء لمحة منه أيضاً وهو قولهم: أنت الأزل السّرمد، وأنت الأبد الّذي لا ينفد.[٢]

قلت: وهو كما ترى، فإنّ الطبيعيّين ينسبون الخلق إلى الدّهر فيعبّرون عن الله تعالى بالدّهر، وأمّا الأبد فلم ينسب أحد إليه أفعال الله، والنّهى عن سبّ الدّهر في الخبر إنّما هو لكون النّاس إذا نزلت بهم حادثة ينسبونها إلى الدهر ويسبُّونه، مع أنّ المبدأ لكلّ أمر هو الله تعالى، والكلام الّذي نسبه إلى الحكماء لا يعرف حجيّته، مع أنّه لو كان مأخوذاً من كلامه عليه السّلام فيه تجوز، والأصل إلى ا لأبد.

«وأنت المنتهى لا محيص» أي لا عدول.

«عنك» «وأن إلى ربّك المنتهى»[٣].

«وأنت الموعد» أي في القيامة.

«لا منجى منك إلّا إليك» الكلام بتمامه في المصريّة، وأما في (ابن ميثم، والخطيّة) فليس قوله «إلّا إليك» فيها لكن الأوّل ذكره في الشرح، وكأنّه أخذه من (ابن أبي الحديد).[٤]

---

١. اخرجه الشريف الرضى فى المجازات النبوية ص ٢٣٥ واخرجه باختلاف لفظى آخرون جمع بعض طرقه والفاظه السيوطى فى الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥.

٢. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٢٢٨.

٣. النجم ــ ٤٢.

٤. لفظ ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٢٢٧ «فلا منجى منك الا اليك» ولفظ ابن ميثم ج ٣ ص ٥٠ مثله بلا فاء قبل لا.

وكيف كان فالأصل فيه قوله تعالى: «.. وظنّوا ألّا ملجأ من الله إلّا إليه..»[١] لأنّه في معنى كلامه عليه السّلام فكما لاملجأ غيره كذلك لامنجى غيره.

«بيدك ناصية كلّ دابّة» «.. ما من دابّة إلّا هو آخذٌ بناصيتها إنّ ربّي علىٰ صراط مستقيم»[٢].

«وإليك مصير كلّ نسمة» أي ذي روح أوذي نفس «إليه مرجعكم جميعاً..»[٣].

«سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك» من السّماء والأرض والشّمس والقمر والنّجوم والجبال والبحار والأنهار والوحوش والطّيور.

«وما أصغر عظمه» هكذا في المصريّة، والصّواب «عظيمه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[٤].

«في جنب قدرتك» قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً»[٥] «إنّ يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد؛ وما ذلك على الله بعزيز»[٦].

وفي الخبر أنّ رجلاً جاء إليه عليه السّلام فقال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغّر الأرض ولا يكبّر البيضة. فقال: ويلك إنّ الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممّن يلطّف الأرض أو يعظّم البيضة.[٧]

---

١. التوبة ــ ١١٨.

٢. هود ــ ٥٦.

٣. يونس ــ ٤.

٤. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٢٢٧ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٥٠ ايضاً «عظمه».

٥. الكهف ــ ١٠٩.

٦. ابراهيم ــ ١٩ و ٢٠.

٧. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ١٣٠ ح ١٠ عن على (ع) واخرج معناه ايضاً فى التوحيد ص ١٣٠ ح ٩ عن على (ع) وروى هذا المعنى عن عيسى والصادق والرضا (ع) مر تخريجه فى عنوان ٥ من هذا الفصل.

«وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك في ماغاب عنّا من سلطانك»
«.. خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير..»[١] «له ما في السّموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثّرى»[٢] «..وسع كرسيّه السّموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلّي العظيم»[٣] «قل من ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم؛ سيقولون لله..»[٤] «.. وينزّل من السّماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمّن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار[٥]».

وفي الفقيه في باب وصف الصّلاة عن الصّادق عليه السّلام: صار التّسبيح أفضل من القراءة في الأخيرتين لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لمّا كان في الأخيرتين ذكر ما رآى من عظمة الله عزّ وجلّ فدهش فقال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله اكبر فلذلك صار التسبيح أفضل من القراءة»[٦].

«وما أسبغ» أي ما أكمل.

«نعمك فى الدّنيا» «.. وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..»[٧].

«وما أصغرها في نعيم» هكذا في المصريّة، والصّواب «في نعم» كما في الثّلاثة.[٨]

«الآخرة» «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون»[٩] وفي الخبر: في الجنّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا على خاطر خطر

---

١. الطلاق ــ ١٢.
٢. طه ــ ٦.
٣. البقرة ــ ٢٥٥.
٤. المؤمنون ــ ٨٦ و ٨٧.
٥. النور ــ ٤٣.
٦. اخرجه الصدوق ضمن حديث فى الفقيه ج ١ ص ٢٠٢ ح ١٠ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٣٢٢ ح ٢.
٧. لقمان ــ ٢٠.
٨. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٢٢٧ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٥٠ ايضاً «نعيم».
٩. السجدة ــ ١٧.

وإنّ نعمة أدنى أهل الجنّة سبعون ضعفاً لنعم الدّنيا جميعاً.[١]

١٧. خطبة ١٣١: ومن كلام له عليه‌السّلام:

وَانقادَتْ لَهُ الدُّنيا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِها؛ وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّماواتُ وَالأَرَضُونَ مَقالِيدَها، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالغُدُوِّ وَالآصالِ الأَشْجارُ النّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبانِها النّيرانَ المُضيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَها بِكَلِماتِهِ الثِّمارُ اليانِعَةُ.

«وانقادت له الدّنيا والآخرة بأزمّتها» كانقياد الخيول لراكبيها بأعنّتها. أمّا انقياد الدّنيا له تعالى بأزمّتها فلأنّه كما وصف نفسه: «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير؛ تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب»[٢].

وأمّا انقياد الآخرة له تعالى فأوضح فلايملك غيره يومئذ شيئاً: «.. لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار»[٣] «يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً؛ والأمر يومئذٍ لله»[٤] «..وخشعت الأصوات للرّحمن فلاتسمع إلّا همساً؛ يومئذٍ لاتنفع الشّفاعة

---

١. اخرجه الى قوله «خاطر خطر» البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٢١٧ ومسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢١٧٤ و ٢١٧٥ ح ٢ و ٣ و ٤ والترمذي في سننه ج ٥ ص ٣٤٦ ح ٣١٩٧ وابن ماجه في سننه ج ٢ ص ١٤٤٧ ح ٤٣٢٨ والدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٣٢ و ٣٣٥ واحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٦٩ و ٤٠٧ و ٤١٦ و ٤٦٢ و ٥٠٦ وابن ابي شيبة في مسنده وهناد واحمد كلاهما في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه وابن الانباري عنهم الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٦ عن ابي هريرة عن النبي (ص) وروى عن عدة طرق عن ابي‌سعيد الخدري وسهل بن سعد وابن‌عباس وابن‌مسعود والمغيرة بن شعبة وابي اليمان الهذلي وغيرهم واما فقرة «ان نعمة ادنى اهل الجنة» فقد روى معناه كثيراً ولم يسع المقام لذكر الطرق كلها.

٢. آل عمران ــ ٢٦ و ٢٧.

٣. غافر ــ ١٦.

٤. الانفطار ــ ١٩.

إلّا من أذن له الرّحمن ورَضِيَ له قولاً؛ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً؛ وعنت الوجوه للحيّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً»[١].

«**وقذفت**» أي ألقت.

«**إليه السماوات والأرضون مقاليدها**» جمع مقلد المفتاح، والأصل فيه قوله تعالى: «له مقاليد السموات والأرض..»[٢].

وقذف السّموات والأرض مقاليدها إليه تعالى كناية حسنة عن كمال سيطرته عليها كبيت مفتاحه بيدشخص يفتحه متى شاء ويغلقه متى شاء. فتى شاء تعالى جادت السّماء، ومتى شاء بخلت، ومتى شاء أخصبت الأرض ومتى شاء أجدبت، وقال تعالى في قصة نوح في ابتدائها: «ففتحنا أبواب السّماء بماء منهمر وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر»[٣] وفي انتهائها: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي..»[٤].

ثمّ الّذي وقفنا عليه في النّسخ «بأزقتها» و «مقاليدها»[٥] والظّاهر وقوع تصحيف وكون الأصل «بأزقتها» و «مقاليدهما» بلفظ التّثنية إرجاعاً للأوّل إلى الدّنيا والآخرة، وللثّاني إلى السّماوات والأرضون. فإنّ أوّل الثاني بكون السّماوات والأرضون بلفظ الجمع فلا يتأتى في الأوّل، لكون كلّ من الدّنيا والآخرة بلفظ المفرد وليسا في معنى الجمع حتى يعبّر عنها بلفظ الجمع نظراً إلى المعنى كقوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في ربّهم..»[٦]، مع أنّ الثّاني أيضاً يعبّر عنه بلفظ الاثنين كقوله تعالى: «أولم يرالّذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففتقنا هما..»[٧].

---

١. طه ــ ١٠٨ ــ ١١١.

٢. الزمر ــ ٦٣.

٣. القمر ــ ١١ و ١٢.

٤. هود ــ ٤٤.

٥. كذا في نهج البلاغة ج ٢ ص ١٦ وشرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٣٦١ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ١٥٢.

٦. الحج ــ ١٩.

٧. الانبياء ــ ٣٠.

«وسجدت له بالغدوّ» على فعول جمع الغدو على فعل كما قاله الليث وجمعه الآخر الغدوات، وأمّا الغدايا في قولهم: «إنّي لآتيه بالغدايا والعشايا» فلا يأتي جمعاً إلّا ازدواجاً مع العشايا.

«والآصال» جمع الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب.

وفي القرآن كلّما ذكر الأصيل ذكر مع بكرة، وكلّما ذكر الآصال ذكر مع الغدوّ كما أنّه كلّما ذكر الأوّلان نكّرا فقال: «بكرةً وأصيلاً» وكلّما ذكر الأخيران عرّفا فقال «بالغدوّ والآصال». الأوّل في أربع آيات في الفرقان والأحزاب والفتح والدّهر[1]، والثّاني في ثلاث في الأعراف والرّعد ونور.[2]

«الأشجار النّاضرة»: أي ذات الحسن والرّونق، والأشجار النّاضرة وأن تسجدله تعالى في كلّ حال حسب غيرها من الأشياء كما قال تعالى: «ألم تر أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشّمس والقمر والنّجوم والجبال والشّجر والدّوابُّ..»[3] إلّا أنّه عليه السّلام قيّد سجودها بالغدوّ والآصال لأنّ المراد بالسجود لها هنا سجود خاص بظهور طراوتها وصفاتها وانتشار شميمها فيهادون السّجود العامّ المراد به الدّخول تحت خضوع التّكوّن كما أراد عزّوجلّ فيها.

«وقدحت» بلفظ المجهول من قدحت النّار أي أوقدتها.

«له» أي لأمره.

«من قضبانها» القضبان جمع القضيب أي الغصن.

«النّيران» جمع النّار.

«المضيئة» أفرأيتم النّار الّتي تورون؛ ءَأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن

١. الفرقان ــ ٥ و الاحزاب ٤٢ و الفتح ــ ٩ و الدهر ــ ٢٥.
٢. الاعراف ٢٠٥ و الرعد ــ ١٥ والنور ــ ٣٦.
٣. الحج ــ ١٨.

المنشئون؛ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً لِلْمُقوين»[١] «الّذي جعل لكم من الشجر الأخضَر ناراً فإذا أنتم منه توقدون»[٢].

«وآتت» أي أعطت.

«أكلها» أي ما يؤكل منها مفعول مقدّم.

«بكلماته الثّمار اليانعة» وينع الثّمر نضجه. قال تعالى: «.. انظروا إلى ثمره إذا أثمروينعه إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون»[٣] وقوله عليه السّلام «بكلماته» إشارة إلى قوله تعالى: «تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها..»[٤] ونظير فقراته عليه السّلام في العنوان كلام السجّاد عليه السّلام من عترته في مناجاته الإنجيليّة: «فسبّحت له السّماوات وأكنافها، والأرض وأطرافها، والجبال وأعراقها، والشّجر وأغصانها، والبحار وحيتانها، والنّجوم في مطالعها، والأمطار في مواقعها، ووحوش الأرض وسباعها، ومدر الأنهار وأمواجها، وعذب المياه وأُجاجها، وهبوب الرّياح وعجاجها، وكلّ ما وقع عليه وصف وتسمية، أو يدركه حدّ يحويه ممّا يتصوّر في الفكر، أو يتمثّل بجسم أو قدر أو ينسب إلى عرض أو جوهر من صغير حقير أو خطير كبير مقرّاً له بالعبوديّة. خاشعاً معترفاً له بالوحدانيّة، طائعاً مستجيباً لدعوته، خاضعاً متضرّعاً لمشيّته متواضعاً»[٥].

١٨. خطبة ١٥: ومن خطبة له عليه السّلام:

اَلْحَمْدُ للهِ الدالِّ عَلىٰ وُجودِهِ بِخَلْقِهِ، وبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلىٰ اَزَلِيَّتِهِ، وَبِاَشْباهِهِمْ عَلىٰ اَنْ لاشَبَهَ لَهُ لاتَسْتَلِمُهُ الْمَشاعِرُ، وَلاتَحْجُبُهُ

---

١. الواقعة ــ ٧١ ــ ٧٣.

٢. يس ــ ٨٠.

٣. الانعام ــ ٩٩.

٤. ابراهيم ــ ٢٥.

٥. روى هذه القطعة فى ضمن المناجاة الانجيلية المجلسى فى بحار الانوار ج ٩٤ ص ١٥٩ عن كتاب انيس العابدين.

السَّواتِرُ لِافْتِراقِ الصّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْأَحَدِ لا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخالِقِ لا بِمَعْنى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لا بِأَداةٍ، وَالْبَصِيرِ لا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشّاهِدِ لا بِمُماسَّةٍ، وَالْبائِنِ لا بِتَراخِي مَسافَةٍ، وَالظّاهِرِ لا بِرُؤْيَةٍ، وَالْباطِنِ لا بِلَطافَةٍ، بانَ مِنَ الْأَشْياءِ بِالْقَهْرِ لَها، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْها، وَبانَتِ الْأَشْياءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ وَمَنْ قالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ. وَمَنْ قالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ. عالِمٌ إِذْ لا مَعْلُومٌ. وَرَبٌّ إِذْ لا مَرْبُوبٌ. وَقادِرٌ إِذْ لا مَقْدُورٌ.

أقول: رواه الكافي في إسناد عن الصّادق عليه السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام وفي آخر عن الكاظم عليه السّلام ورواه توحيد الصّدوق عن الرضا عليه السّلام. فروى الأوّل أوّلا: عن عليّ بن محمّد عن سهل عن شباب الصيرّ في عن عليّ بن سيف عن إسماعيل بن قتيبة قال: دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبدالله عليه السّلام فابتدأنا فقال: عجباً لأقوام يدّعون على أمير المؤمنين عليه السّلام ما لم يتكلّم به قطّ، خطب امير المؤمنين عليه السّلام النّاس بالكوفة فقال: الحمدلله الملهم عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيّته. الدالّ على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وباشتباههم على أن لا شبه له. المستشهد بآياته على قدرته. الممتنعة من الصّفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه. لا تشمله المشاعر، ولا تحجبه الحجب، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إيّاهم لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم، ولامكان ممّا يمتنع منه، ولافتراق الصّانع من المصنوع، والحادّ من المحدود، والربّ من المربوب. الواحد بلا تأويل عدد، والخالق لابمعنى حركة، والبصير لا بأداة، والسّميع لابتفريق آلة، والشّاهد لابمماسّة، والباطن لا باجتنان، والظّاهر البائن لابتراخي مسافة، أزله نهية لمجاول الأفكار، ودوامه ردع لطامحات العقول، قد حسر كنهه نوافذ الابصار، وقمع وجوده جوائل الأوهام. فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه

فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال أين فقد غيّاه، ومن قال علام فقد أخلى منه، ومن قال فيم فقد ضمّنه.[١]

ثمّ قال: ورواه محمّد بن الحسين عن صالح بن حمزة عن فتح بن عبدالله مولى بني هاشم. قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السّلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إليّ بخطه: الحمدلله، وذكر مثل ما رواه سهل ـ إلى قوله ـ وقع وجوده جوائل الأوهام. رواه في باب جوامع التّوحيد.[٢]

وروى الثّاني عن الدّقّاق عن الأسديّ عن البرمكيّ عن عليّ بن عبّاس بن جعفر بن محمّد الأشعريّ عن فتح بن يزيد الجرجانيّ، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرّضا عليه السّلام أسأله عن شيء من التّوحيد فكتب إليّ بخطّه، قال جعفر: وإنّ فتحاً أخرج إليّ الكتاب فقرأته بخطّ أبيّ الحسن عليه السّلام ـ إلخ ـ مع تفاوت يسير.[٣]

«الحمدلله الدالّ على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليّته، وبأشباههم على أن لاشبه له» استدلّ عليه السّلام على أصل وجوده تعالى ثمّ على أزليّته ثمّ على نفي الشّبه له بما ذكر.

قال الصّادق عليه السّلام: لم يكن بدّ من إثبات الصّانع لوجود المصنوعين والإضطرار منهم إليه أثبت أنّهم مصنوعون، وأنّ صانعهم غيرهم، وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التّركيب والتّأليف، وفيما يجرى عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقلهم من صغر إلى كبر، ومن سواد إلى بياض، ومن قوّة إلى ضعف.[٤]

«لاتستلمه» من استلم الحجر إذا لمسه.

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٣٩ ح ٥.

٢. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٤٠ ح ٦ وزاد فيه «اول الديانة به معرفته» الخ.

٣. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٥٦ ح ١٤.

٤. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٢٤٦ ح ١ ضمن احتجاج له (ع) وروى هذا الاحتجاج الكليني في الكافي ج ١ ص ٨٠ ح ٥ والطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣١ لكن ليس فيها هذه القطعة.

«المشاعر»: أي الحواسّ الظّاهرة، وهي السّامعة والباصرة والذائقة والشامّة. واللّامسة. قال الشّاعر:

والرّأس مرتفع فيه مشاعره * يهدى السّبيل له سمع وعينان[1]

«ولا تحجبه السّواتر» كما تستر البيت أستار الكعبة.

«لافتراق الصّانع والمصنوع» فلا يمكن أن يكون في الصّانع مشاعر مثل مشاعر المصنوعين.

«والحادّ والمحدود، والربّ والمربوب» فلا يمكن أن تحجبه السّواتر كالمحدود والمربوب.

«الأحد لابتأويل عدد» هكذا في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّية)[2] وأمّا ما في المصريّة «الأحد بلاتأويل عدد» فغلط.

وفي الخبر أنّ أعرابيّاً قام عليه السّلام يوم الجمل الى أمير المؤمنين (ع) فقال يا امير المؤمنين أتقول: إنّ الله واحد؟ ثمّ انجرّ الحديث إلى أن قال عليه السّلام: إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام. فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى، ووجهان يثبتان فيه. فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد. فهذا مالا يجوز لأنّ مالا ثانى له لا يدخل في باب الأعداد ــ الخبر.[3]

وأمّا ما في دعاء الصّحيفة: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد»[4] فالمراد به أنّه لا يطلق عليه من لفظ الأعداد إلّا الواحد، وإن لم يكن إطلاقه عليه بمعنى كونه أوّل الأعداد بل بمعنى أنّه لا ثاني له.

وأمّا قول ابن سينا ــ كما نقل عنه في استشكاله في كون موضوع علم الحساب العدد الحاصل في المادة بأنّ الحاسب يبحث عن العدد المفارق للمادة في

١. اورده لسان العرب ج ٤ ص ٤١٣/ مادة شعر والشاعر بلعاء بن قيس.
٢. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٤٢٢ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٢٢٨ ايضاً «بلاتأويل».
٣. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٨٣ ح ٣ ومعانى الاخبار ص ٥ ح ٢ والخصال ج ١ ص ٢ ح ١.
٤. الصحيفة الكامله السجّاديّة ص ١٥١/ دعاء ٢٨.

الخارج أيضاً لعروضه المجرّدات كالعقول والنّفوس، وذات الواجب إن قلنا: إنّ الواحد عدد[١]. فخطأ منه حسب كثير من أوهامه في أُصول الدّين.

«والخالق لابمعنى حركة ونصب» أي تعب «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٢].

«والسّميع لابأداة» أي أُذن وسامعة.

«والبصير لابتفريق» وأمّا ما في المصرية «والبصير بلاتفريق» فغلط.[٣]

«آلة» قد عرفت أنّ الكافي رواه «البصير لا بأداة والسّميع لا بتفريق آلة»[٤]

لكن الظّاهر صحّة ماهنا لتصديق التّوحيد له[٥] مع أنه لامعنى لتفريق الآلة في السّمع بخلافه في البصر. فالإنسان في إبصاره للأشياء يفرّق الآلة أي الحدقة مرّة إلى شيء وأُخرى إلى آخر، وسماعه لشيئين وإن كان بتوجّهه إلى هذا مرّة، وإلى ذاك أُخرى إلاّ أنّه ليس فيه تفريق آلة.

قال (ابن أبي الحديد): المراد بتفريق الآلة هينا الشّعاع الّذي باعتباره يكون الواحد منّا مبصراً. فإنّ القائلين بالشّعاع يقولون: إنّه يخرج من العين أجسام لطيفة هي الأشعة وتكون آلة للحيّ في ابصار المبصرات فيتفرق عليها، فكلّ جسم يقع عليه ذلك الشّعاع يكون مبصراً.[٦]

قلت: وعلى ما فسّرنا كلامه عليه السّلام لايستلزم صحّة القول بالشّعاع بل الأصحّ هو القول بالإنطباع، ويشهد له الأخبار الدالّة على أنّ الله تعالى أدخل

---

١. قاله ابن سينا في المقالة الثالثة في الهيات الشفاء ص ٣٣٥ من الفصل الثاني الى السادس بتفصيل وهذا مستنبط من كلامه.

٢. يس — ٨٢.

٣. لفظ شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٢٢ «لابتفريق» ولفظ شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٢٢٨ «بلاتفريق» ولفظ نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٠ «لابتفريق» ايضاً.

٤. مرّ في ابتداء هذا العنوان.

٥. التوحيد للصدوق ص ٥٦ ح ١٤.

٦. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٢٣.

العالم بكبره في سواد العين الّذي يكون بقدر عدسة.[١]

«**والشّاهد**» للأشياء.

«**لابمماسّة**» منه تعالى لها بل بعلمه وإحاطته بها.

«**والبائن**»: أي البعيد عن الأشياء.

«**لابتراخي**» تفاعل من الرخو مقابل الصّعب، والمراد البعد يقال تراخي السّماء إذا بعد نزول المطر.

«**مسافة**» والأصل في المسافة سفت الشيء إذا شممته كان الدّليل على الطّريق إذا كان في فلاة أخذ التراب فشمّه ليعلم أعلى قصد أم جور. قال روبة:

إذا الدّليل استاف أخلاق الطّرق[٢]

ثمّ كثر حتّى سمّوا البعد مسافة، والمسافة في قصر الصّلاة أربعة وعشرون ميلاً.

«**والظّاهر لابرؤية**» أحد له كظهور غيره من الأشياء.

«**والباطن لابلطافة**» كبطون غيره من الأشياء.

«**بان**» أي انفصل وبعد.

«**من الأشياء بالقهرلها والقدرة عليها**» جملة «بان ــ إلخ» تفسيروشرح لقوله «**والباطن لابتراخي مسافة**».

«**وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه**» الجملة من تتمة الأُولى فإنّه إذا كان تعالى بان من الأشياء كانت الأشياء بائنة منه لكن كلّ منها لابمعنى

---

١. مقصود الشارح حديث سؤال الديصانى هشام بن الحكم وجواب الصادق (ع) له اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٧٩ ح ٤ والصدوق فى التوحيد ص ١٢٢ ح ١ ومر متن الحديث فى عنوان ٥ من هذا الفصل.

٢. اورده اساس البلاغة ص ٢٢٥/ مادة سوف ولسان العرب ج ١ ص ١٦٥/ مادة سوف.

البينونة في الأشياء بعضها مع بعض.

«من وصفه فقد حدّه» ولا حدّ له.

«ومن حدّه فقد عدّه» وهو منزّه عن العدد.

«ومن عدّه فقد أبطل أزله» مع أنّه أزليّ لا آخر له فلا يجيء العدّ في أمده.

«ومن قال كيف» خبراً.

«فقد استوصفه» ومحال استيصافه، وبيان وصف له.

«ومن قال أين» خبراً.

«فقد حيّزه» أي جعله في حيّز وموضع. قال القطاميّ في امرأة خافت أن يصير ضيفها:

تحيّز منّي خشية أن أُضيفها ٭ كما انحازت الأفعى مخافة ضارب[1]

وفي الكافي بدل «فقد حيّزه»: «فقد غيّاه»[2] وفي التوحيد بدله «فقد أخلى منه»[3].

«عالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور» إذ الثّلاثة من صفات الّذات لا الفعل، وصفات الذات أبدية بلا ضدّ بخلاف صفات الفعل.

قال الكلينيّ: إنّ كلّ شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة فعل، وتفسير هذه الجملة أنّك تثبت في الوجود ما يريد وما لا يريد، وما يرضاه وما يسخطه، وما يحبّ وما يبغض ثم قال إنّا لا نجد في الوجود ما لا يعلم وما لا يقدر عليه.[4] قال الصّادق عليه السّلام لبكير بن أعين لمّا سأله هل علمه تعالى ومشيئته مختلفان أو متفقان؟: العلم ليس هو المشيئة، ألا ترى أنّك

---

١. اورده لسان العرب ج ٥ ص ٣٤٣/ مادة حيز.

٢. الكافي ج ١ ص ١٤٠ ح ٥.

٣. التوحيد للصدوق ص ٥٧ ح ١٤.

٤. قاله في الكافي ج ١ ص ١١١.

تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول: سأفعل إن علم الله.[١] وبالجملة كان ـ عزّوجلّ عالماً وربّاً وقادراً أبداً قبل الخلق وبعد الخلق.

١٩. خطبة ١٦١: ومن خطبة له عليه السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ خالِقِ الْعِبادِ، وَساطِحِ الْمِهادِ، وَمُسيلِ الْوِهادِ، وَمُخْصِبِ النِّجادِ، لَيْسَ لِاَوَّلِيَّتِهِ ابْتِداءٌ، وَلا لِاَزَلِيَّتِهِ انْقِضاءٌ. هُوَ الْاَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْباقي بِلا اَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ الْجِباهُ وَوَحَّدَتْهُ الشِّفاهُ. حَدَّ الْاَشْياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَها اِبانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِها لا تُقَدِّرُهُ الْاَوْهامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكاتِ، وَلا بِالْجَوارِحِ وَالْاَدَواتِ. لا يُقالُ لَهُ مَتىٰ، وَلا يُضْرَبُ لَهُ اَمَدٌ بِحَتّٰى. اَلظّاهِرُ لا يُقالُ مِمّا، وَالْباطِنُ لا يُقالُ فيما، لا شَبَحٌ فَيَتَقَضّىٰ، وَلا مَحْجُوبٌ فَيُحْوىٰ، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْاَشْياءِ بِالْتِصاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْها بِافْتِراقٍ. لا يَخْفىٰ عَلَيْهِ مِنْ عِبادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلا ازْدِلافُ رَبْوَةٍ، وَلا انْبِساطُ خُطْوَةٍ في لَيْلٍ داجٍ، وَلا غَسَقٍ ساجٍ. يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذاتُ النُّورِ فِي الْاُفُولِ وَالْكُرُورِ، وَتَقَلُّبِ الْاَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ اِقْبالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَاِدْبارِ نَهارٍ مُدْبِرٍ. قَبْلَ كُلِّ غايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ اِحْصاءٍ وَعِدَّةٍ. تَعالىٰ عَمّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفاتِ الْاَقْدارِ، وَنِهاياتِ الْاَقْطارِ، وَتَاَثُّلِ الْمَساكِنِ، وَتَمَكُّنِ الْاَماكِنِ. فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَاِلىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ. لَمْ يَخْلُقِ الْاَشْياءَ مِنْ اُصُولٍ اَزَلِيَّةٍ، وَلا اَوائِلَ اَبَدِيَّةٍ. بَلْ خَلَقَ ما خَلَقَ. فَاَقامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ ما صَوَّرَ فَاَحْسَنَ صُورَتَهُ. لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِناعٌ، وَلا لَهُ بِطاعَةِ شَيْءٍ انْتِفاعٌ. عِلْمُهُ بِالْاَمْواتِ الْماضينَ كَعِلْمِهِ بِالْاَحْياءِ الْباقينَ، وَعِلْمُهُ بِما فِي السَّماواتِ الْعُلىٰ كَعِلْمِهِ بِما فِي الْاَرَضينَ السُّفْلىٰ.

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٩ ح ٢ والصدوق في التوحيد ص ١٤٦ ح ١٦ ونقله الحسن بن سليمان في مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٠ في صدر حديث.

أقول: لايبعد أن يكون الأصل في الخطبة ما رواه توحيد الصّدوق مسنداً عن أبي المعتمر مسلم بن أوس، قال: حضرت مجلس عليّ عليه السّلام في جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللّون كأنّه من متهوّدة اليمن. فقال يا أميرالمؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا كأنّا نراه وننظر إليه. فسبّح عليّ عليه السّلام ربّه وعظّمه، وقال: الحمد لله الّذي هو أوّل بلا بدء ممّا، ولا باطن فيما، ولايزال مهما، ولا ممازج مع ما، ولاخيال وهما. ليس بشبح فيرى، ولا بجسم فيتجزّى، ولابذى غاية فيتناهى، ولا بمحدث فيبصر، ولابمستتر فيكشف، ولا بذى حجب فيحوى. كان ولا أماكن تحمله أكنافها، ولا حملة ترفعه بقوّتها ولا كان بعد أن لم يكن، بل حارت الأوهام أن تكيّف المكيّف للأشياء، ومن لم يزل بلامكان، ولايزول باختلاف الأزمان، ولاينقلب شأناً بعد شأن، البعيد من حدس القلوب، المتعالى عن الأشياء والضروب، الوتر علاّم الغيوب. فمعانى الخلق عنه منفيّة وسرائرهم عليه غيرخفيّة. المعرف بغير كيفيّة، لايدرك بالحواسّ، ولايقاس بالنّاس، ولا تدركه الأبصار، ولاتحيط به الأفكار، ولا تقدّره العقول، ولاتقع عليه الأوهام. فكلّ ما قدّره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، وكيف يوصف بالأشباح وينعت بالألسن الفصاح، من لم يحلل في الأشياء، فيقال هو فيها كائن، ولم ينأعنها فيقال هو عنها بائن، ولم يخل منها فيقال أين، ولم يقرب منها بالالتزاق، ولم يبعد عنها بالافتراق، بل هو فى الأشياء بلا كيفيّة، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وأبعد من الشبه من كلّ بعيد. لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولا من أوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق وأتقن خلقه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته. فسبحان من توحّد في علوّه، فليس لشيء منه امتناع، ولاله بطاعة أحد من خلقه انتفاع. إجابته للدّاعين سريعة، والملائكة له في السّماوات والأرض مطيعة، كلّم موسى تكليماً بلاجوارح وأدوات ولاشفة ولالهوات. سبحانه وتعالى عن الصّفات، فمن زعم أنّ إله الخلق محدود، فقد جهل الخالق المعبود ـ إلخ.[١]

فإنّهما مشتركتان في كثير من الفقرات واختلافهما في بعضها لايبعد أن يكون من اختلاف الرّوايات كما أنّ نقصها وزيادتها لايبعد أن يكونا من حيث

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٧٧ ح ٣٤ وقال بعد فقرة «فقد جهله الخالق المعبود»: «والخطبة طويلة اخذنا منها موضع الحاجة».

إنّ الرّضيّ رضوان الله عليه ينتخب من الخطب، وقد قال في هذه الخطبة: «ومنها أيّها المخلوق السّويّ» ــ إلخ[١] ــ وصرّح التّوحيد أيضاً بأنّ الخطبة طويلة أخذ منها موضع الحاجة.[٢]

«الحمدلله خالق العباد» «يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً..»[٣].

يمكن أن يراد بقوله عليه السّلام «العباد» البشر فقط، ويمكن أن يراد به الجنّ والإنس معاً لقوله تعالى: «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون»[٤] فالكلّ عباده بل مع الملائكة لقوله تعالى: «إنّ كلّ من في السّموات والأرض إلّا أتى الرّحمن عبداً؛ لقد أحصيهُم وعدّهم عدّاً؛ وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً»[٥].

«وساطح المهاد» أي الأرض الّتي جعلها للنّاس كالمهد للطّفل، قال تعالى: «ألم نجعل الأرض مهاداً»[٦] أو أي الأرض الّتي جعلناها ممهّدة ومهياة لانتفاع النّاس بها أيّ نوع أرادوا منها، قال تعالى: «والله جعل لكم الأرض بساطاً؛ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً»[٧] وقال عزّوجلّ: «والأرض فرشناها فنعم الماهدون»[٨] وقال عزّ اسمه: «وإلى الأرض كيف سُطحت»[٩].

هذا، وقالوا: إنّ قوله عليه السّلام «ساطح المهاد» كالآية الأخيرة لاينافي كرويّة الأرض.[١٠]

---

١. نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٧.
٢. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٧٧ ح ٣٤ وقال بعد فقرة «فقد جهله الخالق المعبود»: «والخطبة طويلة اخذنا منها موضع الحاجة».
٣. النساء ــ ١.
٤. الذاريات ــ ٥٦.
٥. مريم ــ ٩٣ ــ ٩٥.
٦. النبأ ــ ٦.
٧. نوح ــ ١٩ و ٢٠.
٨. الذاريات ــ ٤٨.
٩. الغاشية ــ ٢٠.
١٠. فى لسان العرب ج ١٥ ص ١١٦ و ١١٧/ مادة غدا عن الليث «يقال غدا غدُك وغدا غدوك ناقص وتام» وفى موضع آخر قال الليث «الغدو جمع مثل الغدوات والغدى جمع غدوة».

«ومسيل الوهاد»: أي الأمكنة المنخفضة.

حمدالله تعالى على إيجاده الأراضي المنخفضة الّتي تجري فيها سيول المطر، لأنّه لولاذلك لما حدثت هذه الأنهار، ولاحصلت منها البساتين والأشجار، والرّياحين والأزهار.

«ومخصب النّجاد» النّجاد جمع النّجد الموضع المرتفع عكس الوهد، والخصب ضدّ الجدب. حمد تعالى على إخصابه النّجاد بإنزال الأمطار عليها في مالم تجر الأنهار إليها، ولولاذلك لبقيت الأراضي المرتفعة و رؤوس الجبال والآكام معطّلة مجدبة.

«ليس لأوّليّته ابتداء، ولالأزليّته انقضاء» «هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن..» [١] وسئل الصّادق عليه السّلام عن الأوّل، والآخر في وصفه تعالى، فقال: الأوّل لاعن أوّل قبله ولاعن بدء سبقه والآخر لاعن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم أوّل آخر لم يزل ولايزول بلابدء ولانهاية. [٢]

«هو الأوّل لم يزل، والباقي بلا أجل» هما كالشّرح لسابقيها.

«خرّت له الجباه» الجباه جمع الجبهة. يمكن أن يراد بالجباه الجباه الظّاهرة، فيكون المراد جباه بني آدم، ويمكن أن يراد بها جباه الذلّة والمسكنة من جميع الخليقة استعارة، وهو الأظهر. قال تعالى: «أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّؤا ظلالُهُ عن اليمين والشّمائل سجّداً لله وهم داخرون» [٣] «ولله يسجد من في السّموات والأرض طوعاً وكَرْهاً وظِلالُهُم بالغُدُوِّ والآصال» [٤].

«ووحّدته الشّفاه» الشّفاه جمع الشّفة، والكلام فيه كسابقه فيمكن أن

---

١. الحديد ــ ٣.

٢. أخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١١٦ ح ٦ والصدوق في التوحيد ص ٣١٣ ح ١ ومعاني الاخبار ص ١٢ ح ١ عن ميمون البان عن الصادق (ع) وقد مر الحديث في عنوان ٥ من هذا الفصل.

٣. النحل ــ ٤٨.

٤. الرعد ــ ١٥.

يكون الكلام على الحقيقة، ويمكن أن يكون استعارة فيراد بالشفاه شفاه الاعتراف بلسان الحال من كلّ الحقيقة بربوبيته «.. وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم..»[1].

«حدّ الأشياء عند خلقه لها» أي جعلها محدودة فلنشو الحيوان والنبات حدّ.

«إبانة»: أي فصلا.

«له» تعالى.

«من شبهها» فلا يمكن أن يكون محدوداً، وفي خطبة أُخرى له عليه السّلام «إبانةً لها من شبهه وإبانة له من شبهها»[2].

«لاتقدّره الأوهام» أي لاتقدر الأفكار أن تعيّن له مقداراً.

«بالحدود والحركات» كما تكون للكواكب.

«ولا بالجوارح والأدوات» كما تكون للإنسان والحيوانات.

«لايقال له متى» لأنّها موضوعة للسّؤال عن الزّمان. قال امرؤالقيس:
متى عهدنا بطعان الكما ة والمجد والحمد والسّؤدد[3]
وقال جرير: متى كان حكم الله فى كرب النّخل.[4]
وهو تعالى منزّه عن المكان.
«ولا يضرب له أمد» أى مدّة.

«بحتّى» لأنّها موضوعة للانتهاء ولاانتهاء له تعالى.

«الظّاهر لايقال ممّا» كما تقول: ظهرت الشّمس من السّحاب.

---

١. الاسراء ــ ٤٤.

٢. هذه قطعة من خطبة اخرجها الكليني فى الكافى ج ١ ص ١٣٥ ح ١ والصدوق فى التوحيد ص ٤٢ ح ٣.

٣ و ٤. اورده لسان العرب ج ١٥ ص ٤٧٥/ مادة متى.

«والباطن لايقال في ما» كما تقول: بطن القمر في السحاب، و «ما» في «ممّا» و «في ما» كناية عن الشّيء غير المعيّن.

«لاشبح» يأتي الشّبح بمعنى الجسد كقولهم: أشباح بلا أرواح، وبمعنى الهباء كقولهم: أدقّ من شبح باطل. والظاهر أنّ المراد هنا الثاني لقوله عليه السّلام:

«فيتقضّى» أي فينقضي.

«ولا محجوب» كملوك الدُّنيا.

«فيحوى» بالأستار والكلل.

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق» كقرب جسم من جسم.

«ولم يبعد عنها بافتراق» كبعد شخص عن شخص.

«لايخفى عليه من عباده شخوص» من شخص بصره إذا فتحه، وجعل لايطرف.

«لحظة»: أي النّظر بمؤخّر العين، واللّحاظ بالفتح مؤخّر العين، واللّحاظ بالكسر مصدر لاحظ. قال تعالى: «يعلم خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصّدور»[1].

«ولا كرور» مصدر كرّ.

«لفظة» والأصل في اللفظ الحذف. يقال: لفظ اللقمة من فيه، سمّي اللفظ لفظاً لأنّه يحذف من الفم. قال تعالى: «ما يَلْفِظُ من قول إلّا لديه رقيب عتيد»[2] وقال عزّوجلّ «..ما يكون من نجوى ثَلٰثَةٍ إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ثمّ ينبّئهم بما عملوا

١. غافر ــ ١٩.
٢. ق ــ ١٨.

يوم القيامة..»[١].

«ولا ازدلاف» أى التقدّم والتقرّب.

قال الشّاعر:

وكلّ يوم مضى أوليلة سلفت ٭ فيها النّفوس إلى الآجال تزدلف[٢]

«ربوة» بالضّمّ والفتح والكسر الموضع المرتفع.

«ولا انبساط خطوة» بالفتح: المشي قدماً واحدة، وأمّا بالضّمّ فما بين قدمين مرّة أو أكثر.

«في ليل داج» أي مظلم، وعن الأصمعيّ معنى ليل داج ألبس كلّ شيء لقولهم: دجى الإسلام ــ إلخ[٣]ــ وقال الشّاعر: واللّيل داج كنفا جلبابه.[٤]

«ولا غسق» عطف على شخوص. قال الجوهريّ: الغاسق اللّيل إذا غاب الشّفق.[٥]

«ساج»: أى دام وسكن. قال تعالى: «واللّيل إذا سجى»[٦] وكيف يخفى عليه شيء وقد قال عزّوجلّ: «وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ تُفيضون فيه وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلّا في كتاب مبين»[٧] «سواء منكم من أسرّ القول ومن جهربه ومن هو مستخف باللّيل وسارب بالنّهار»[٨].

---

١. المجادلة ــ ٧.

٢. اورده اساس البلاغة ص ١٩٤/ مادة زلف.

٣. مرّ الكلام حول تخريجه فى عنوان ٧ من هذا الفصل.

٤. اورده اساس البلاغة ص ١٢٧/ مادة دجى.

٥. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٥٣٧ / مادة غسق.

٦. الضحى ــ ٢.

٧. يونس ــ ٦١.

٨. الرعد ــ ١٠.

«يتفيّأ»: أي يرجع.

«عليه»: أي على الّليل الداجي أو الغسق السّاجي.

«القمر المنير» «أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّؤا ظلالُهُ عن اليمين والشّمائل سجّداً لله وهم داخرون»[١].

«وتعقبه الشّمس ذات النّور في الأفول» أي الغروب.

«والكرور» أي الرّجوع والطّلوع. قال تعالى: «والشّمس وضُحٰيها؛ والقمر إذا تَليٰها؛ والنّهار إذا جَلّيٰها؛ والّليل إذا يَغْشٰيها»[٢] وقال عزّوجلّ: «والّليل إذا يغشى؛ والنّهار إذا تجلّى»[٣].

«وتقليب» وفي المصريّة «وتقلب» وهو غلط.[٤]

«الأزمنة والدّهور من إقبال ليل مقبل وإدبار نهار مدبر» وقال تعالى: «كلاّ والقمر؛ والّليل إذا أدبر؛ والصّبح إذا أسفر»[٥] ولعلّ وجه تخصيصه عليه السّلام الإقبال بالليل والإدبار بالنّهار مع أنّ لكلّ منهما إقبالاً وإدباراً كون الأُمور في الدّنيا على خلاف المراد في الأغلب.

«قبل كلّ غاية ومدّة» فلايمكن أن تكونا مضافتين إليه تعالى.

«وكلّ احصاء وعدة» فلايمكن أن يكونا منسوبين إليه جلّ وعلا.

«تعالى» أي ارتفع.

«عمّا ينحله» بالفتح أي يدّعيه.

---

١. النحل ــ ٤٨.
٢. الشمس ــ ١ ــ ٤.
٣. الليل ــ ١ و ٢.
٤. لفظ شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٥٨ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٢٩٧ ايضاً «تقلب».
٥. المدثر ــ ٣٢ ــ ٣٤.

«المحدّدون» له تعالى.

«من صفات الأقدار»: أي الأشياء الّتي لها مقدار.

«ونهايات الأقطار» من الطّول والعرض والعمق.

«وتأثل» أي اتخاذ.

«المساكن وتمكّن الأماكن» أي جعلها مكاناً له.

«فالحدّ لخلقه مضروب» وهو تعالى أجلّ من أن يحدّ.

«وإلى غيره منسوب» فمن نسبه إليه فقد أخطأ.

«لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة، ولا أوائل أبدية» هو مثل قوله عليه السّلام في خطبة له أخرى «لا من شيء خلق ما كان»[١]، وقال الكلينيّ بعد نقل ذاك القول: دفع عليه السّلام بقوله جميع حجج الثّنويّة وشبههم لأنّ أكثر ما يعتمد الثّنويّة في عدم حدوث العالم أن يقولوا لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء. فقولهم من شيء خطأ وقولهم من لا شيء مناقضة وإحالة، لأنّ من توجب شيئاً ولا شيء تنفيه، فأخرج اميرالمؤمنين عليه السّلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحّها. فقال: لا من شيء خلق ما كان. فنفى من إذ كانت توجب شيئاً، ونفى الشّيء إذ كان كلّ شيء مخلوقاً محدثاً لا من أصل احدثه الخالق كما قالت الثّنويّة: إنّه خلق من أصل قديم فلا يكون تدبير إلّا باحتذاء مثال[٢].

«بل خلق ما خلق فأقام حدّه» «الّذي خلق كلّ شيء ثمّ هدى»[٣].

«وصوّر ما صوّر فأحسن صورته» «..وصوّركم فأحسن صوركم وإليه

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٣١٤ ح ١.
٢. الكافي ج ١ ص ١٣٦.
٣. في طه ــ ٥٠ الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

المصير»[١] «الّذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين»[٢].

«ليس لشيء منه امتناع» «إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد؛ وما ذلك على الله بعزيز»[٣].

«ولاله بطاعة شيء انتفاع» «وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيٌّ حميد»[٤].

«علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين» «ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين»[٥].

«وعلمه بما في السّموات العُلىٰ كعلمه بما في الأرضين السّفلى» «ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كلّه..»[٦] وفي الخبر أنّ داود عليه السّلام لـمّا وقف الموقف بعرفة نظر إلى النّاس وكثرتهم فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلما قضى نسكه أتاه جبرئيل عليه السّلام فقال له: يا داود يقول لك ربّك لم صعدت الجبل، ظننت أنّه يخفى عليّ صوت من صوت، ثمّ مضى به إلى البحر إلى جدّة، فرسب به في الماء مسيرة أربعين صباحاً في البرّ، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة. فقال له: يا داود يقول لك ربّك: أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصّخرة في قعر هذا البحر. فظننت أنّه يخفى عليّ صوت من صوت.[٧]

---

١. التغابن ــ ٣.
٢. السجدة ــ ٧.
٣. فاطر ــ ١٦ و ١٧.
٤. ابراهيم ــ ٨.
٥. الحجر ــ ٢٤.
٦. هود ــ ١٢٣.
٧. اخرجه الكليني فى الكافي ج ٤ ص ٢١٤ ح ١١ واخرج قريباً منه الحسين بن سعيد فى الزهد ص ٦٤ ح ١٦٩ و ١٧٠ وبلا استناد الثعلبي فى العرائس ص ٢٧٦ والمسعودى فى اثبات الوصية ص ٥٦ ورواية الكليني عن الصادق (ع) ورواية الحسين بن سعيد عنه وعن الباقر (ع).

٢٠. خطبة ١٧٦: ومن خطبة له عليه‌السّلام:

لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلا يُغَيِّرُهُ زَمانٌ، وَلا يَحْوِيهِ مَكانٌ، وَلا يَصِفُهُ لِسانٌ، وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْماءِ، وَلا نُجُومِ السَّماءِ، وَلا سَوافِي الرّيحِ فِي الْهَواءِ، وَلا دَبيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفا، وَلا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ، يَعْلَمُ مِساقِطَ الأَوْراقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْداقِ.

«لا يشغله شأن»: أي عن شأن آخر كما هو شأن النّاس. فإذا اشتغل أحد بالخياطة لا يمكنه النّجارة، وإذا تكلّم مع زيد لا يستطيع التكلّم مع عمرو.

«ولا يغيّره زمان» كما يغيّر الخلق.

«ولا يحويه» أي لا يضمّه.

«مكان» كما يحوي الجسمانيّات، وفي الخبر: سأل يونس بن عبدالرّحمن الكاظم عليه‌السّلام عن عروج النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السّماء ثمّ إلى سدرة المنتهى ثمّ إلى حجب النّور، فخاطبه وناجاه هناك، والله لا يوصف بمكان. فقال عليه‌السّلام: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يجرى عليه زمان ولكنّه عزّ وجلّ أراد أن يشرّف به ملائكته وسكّان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه.[١]

«ولا يصفه لسان» «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً»[٢].

«ولا يعزب» أي لا يغيب ولا يبعد.

«عنه عدد قطر» بالكسر فالفتح جمع قطرة.

---

١. أخرجه الصدوق في التوحيد ص ١٧٥ ح ٥ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٣٢ ح ٢.
٢. الكهف ـ ١٠٩.

«الماء» من الأمطار والبحار. قال تعالى: «..وأحصى كلّ شيء عدداً»[١].

«ولا نجوم السّماء» «..والنّجوم مسخّرات بأمره..»[٢].

«ولا سوافى» جمع سافية من سفت الرّيح التّراب إذا ذرته.

«الرّيح في الهواء» والمراد ذرّات التّراب الّتى تثيرها الرّياح في الفضاء. قال تعالى: «..عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض ولاأصغر من ذلك ولاأكبرُ إلّا في كتاب مبين»[٣].

«ولا دبيب» وهو المشى على البطن.

«النّمل على الصفا» أي الصخرة الملساء «..وسع ربّنا كلّ شىء علماً..»[٤].

«ولا مقيل» أي مستقرّ. قال ابن رواحة:

اليوم نضربكم على تنزيله ❁ ضرباً يزيل الهام عن مقيله[٥]

«الذرّ» قال الجوهريّ: الذرّ جمع ذرّة وهى أصغر النّمل.[٦]

«في اللّيلة الظّلماء» «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين»[٧].

«يعلم مساقط الأوراق» «..وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في

١. الجن ــ ٢٨.
٢. النحل ــ ١٢.
٣. سبأ ــ ٣.
٤. الاعراف ــ ٨٩.
٥. اورده لسان العرب ج ١١ ص ٥٧٨/ مادة قيل.
٦. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٦٦٣/ مادة ذرر.
٧. هود ــ ٦.

ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلّا في كتاب مبين»[١].

«وخفيّ» عن اضافة الصّفة.

«طرف» بالفتح فالسّكون. قال الجوهريّ: طرف بصره يطرف طرفاً إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. الواحدة من ذلك طرفة، يقال: أسرع من طرفة عين، وفلان مطروف العين بفلان إذا كان لاينظر إلّا إليه.[٢]

«الأحداق» جمع الحدقة سواد العين الأعظم. قال تعالى: «يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصّدور»[٣].

٢١. خطبة ١٧٠: ومن خطبة له عليه‌السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذى لاتُوارى عَنْهُ سَماءٌ سَماءً، وَلا أَرْضٌ أَرْضاً.

في تسبيح الصّحيفة: سبحانك تسمع وترى ما تحت الثّرى، سبحانك أنت شاهد كلّ نجوى. سبحانك موضع كلّ شكوى. سبحانك حاضر كلّ ملأ، سبحانك عظيم الرّجاء. سبحانك ترى ما فى قعر الماء. سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار. سبحانك تعلم وزن السّماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشّمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرّة. سبحانك قدّوس قدّوس قدّوس،[٤] وقال تعالى: «يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها..»[٥] «..وهو معكم

١. الانعام ــ ٥٩.
٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٣٩٥/ مادة طرف.
٣. غافر ــ ١٩.
٤. ملحقات الصحيفة الكاملة السجادية ص ٣١٩/ دعاء ١.
٥. سبأ ــ ٢.

أينما كنتم والله بما تعملون بصير»[١] «..ومايعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين»[٢].

٢٢. خطبة ١٩٦: ومن خطبة له عليه السّلام:

يَعْلَمُ عَجيجَ الْوُحُوشِ فِى الْفَلَواتِ، وَمَعاصِى الْعِبادِ فِى الْخَلَواتِ، وَاخْتِلافَ النّينانِ فِى الْبِحارِ الْغامِراتِ، وَتَلاطُمَ الْماءِ بِالرِّياحِ الْعاصِفاتِ.

«يعلم عجيج» أي صياح.

«الوحوش» والمراد ما يعمّ السّباع.

«في الفلوات» أي البراري والمفازات، ومرّ خبر داود في ذلك.[٣]

«ومعاصي العباد في الخلوات» «و هو الّذي يتوفّيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضىٰ أجل مسمّى ثمّ إليه مرجعكم ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون»[٤] وفي دعاء الوتر: «فإن قلت: «نعم» فأين المهرب من عدلك، وإن قلت: «لم افعل» قلت ألم أكن الشّاهد عليك»[٥] وفي الخبر أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا أري ملكوت السّموات والأرض التفت فرآى رجلاً يزنى فدعا عليه فمات حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فاوحى تعالى إليه أنّ دعوتك مجابة فلاتدع على عبادي، ولوشئت لم أخلقهم ـ الخبر[٦].

---

١. الحديد ـ ٤.

٢. يونس ـ ٦١.

٣. مرّ فى عنوان ١٩ من هذا الفصل.

٤. الانعام ـ ٦٠.

٥. هذا دعاء فى تعقيب صلاة الوتر ويسمى بدعاء الحزين رواه الطبرسى فى مكارم الاخلاق ص ٢٩٦ عن السجاد(ع) ورواه الطوسى فى مصباح المتهجد ص ١٤٥ بلاغرو.

٦. اخرجه ابن مردويه عن على (ع) عن النبى (ص) واخرج ابوالشيخ وابن مردوية والبيهق فى شعب الايمان عنهم الدر المنثور ج ٣ ص ٢٤ عن معاذبن جبل عن النبى (ص) واخرجه صاحب تفسير ←

هذا، وفي اليتيمة: يحكى أنّه كان في جملة القضاة الّذين ينادمون الوزير المهلّبي ويجتمعون عنده في الأُسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتّبسّط في القصف والخلاعة ابن قريعة وابن معروف، والقاضي التنوخي، وما منهم إلّا أبيض اللّحية طويلها، وكذلك كان الوزير المهلّبي، فإذا تكامل الانس وطاب المجلس، ولذّ السماع، وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار، وتقلّبوا في أعطاف العيش بين الخفّة والطيش، ووضع في يد كلّ منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى مادونها مملوءًا شراباً قطر بليا أو عكبريا، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتّى تتشرب أكثره ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون أجمعهم، وعليهم المصبغات، ومخانق البرم والمنثور، ويقولون كلّما يكثر شربهم: «هرهر»، وإيّاهم عنى السّري بقوله:

مجالس ترقص القضاة بها ٭ إذا انتشوا في مخالق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا ٭ بشيمة حلوة من الشّيم
تخضب بالرّاح شيبة عبثا ٭ أنامل مثل حمرة النّعم
حتّى تخال العيون شيبته ٭ شيبة فعلان ضرّجت بدم

فإذا أصبحوا عادتهم في التوقّر والتحفّظ بأُبّهة القضاة وحشمة المشائخ الكبراء.[١]

قلت: ألم يكونوا سمعوا قوله تعالى: «يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لايرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً»[٢]. «..فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الّذي تقول والله يكتب ما يبيّتون..»[٣].

← العسكرى فيه ص ٢٣٤ والطبرسى فى الاحتجاج ج ١ ص ٣٥ عن النبى (ص) وأخرجه الكلينى فى الكافى ج ٨ ص ٣٠٥ ح ٤٧٣ وعلى بن ابراهيم فى تفسيره ج ١ ص ٢٠٦ والعياشى فى تفسيره ج ١ ص ٣٦٤ ح ٣٧ والصدوق فى علل الشرائع ج ٢ ص ٥٨٥ ح ٣١ عن الصادق (ع) وروى موقوفاً عن سلمان وعطاء وشهربن حوشب بطرق الدرالمنثور ج ٣ ص ٢٤ ونقلها الشارح هنا باختصار.

١. يتيمة الدهرج ٢ ص ٣٣٥.

٢. النساء ــ ١٠٨.

٣. النساء ــ ٨١.

«واختلاف النّينان» جمع النّون أي الحيتان بأنواعها الّتي لايعلمها إلّا خالقها واختلافها بالذّهاب والإياب في الماء، وفي توحيد المفضّل: تأمّل خلق السّمك ومشاكلته للأمر الّذي قدّر أن يكون عليه فإنّه خلق غيرذي قوائم لأنّه لايحتاج إلى المشي إذ كان مسكنه الماء، وخلق غير ذي رية لأنّه لايستطيع أن يتنفّس وهو منغمس في اللّجّة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاّح بالمجاذيف من جانبي السفينة، وكسى جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدّروع والجواشن لتقيه من الآفات. فأعين بفضل حسّ في الشّمّ لأنّ بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشمّ الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتبعه وإلّا فكيف يعلم به وبموضعه، واعلم أنّ من فيه إلى صماخه منافذ فهو يعبّ الماء بفيه، ويرسله من صماخيه فيتروّح إلى ذلك كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسّم هذا النّسيم.

فكّر الآن في كثرة نسله، وما خصّ به من ذلك، فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلة في ذلك أن يتّسع لما يغتذى به من أصناف الحيوان فإنّ أكثرها يأكل السّمك حتى أنّ السّباع في حافات الآجام عاكفة على الماء كي ترصد السّمك فإذا مرّبها خطفته. فلمّا كانت السّباع تأكل السّمك، والطّير يأكل السّمك والنّاس يأكلون السّمك والسّمك يأكل السّمك كان من التّدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة. فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السّمك ودوابّ الماء والأصداف والأصناف الّتي لاتُحصى ولاتعرف منافعها إلّا الشّيء بعد الشّيء يدركه النّاس بأسباب تحدث مثل القرمز، فإنّه لمّا عرف النّاس صبغه بأنّ كلبة تجول على شاطىء البحر فوجدت شيئاً من الصّنف الّذي يسمّى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر النّاس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً، وأشباه هذا ممّا يقف النّاس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان.[١]

«في البحار الغامرات» أي تغمر كلّ شيء دخلها و تغطّيه لكثرتها، فالبحار

١. توحيد المفضل ص ١٢٣.

ثلاثة أرباع الأرض. قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الإرب فيه فاعلم أنّه مكتنف ومضطرب مالا يحصى من أصناف السّمك ودوابّ البحر، ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتّى تستخرج من البحر، وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير، ثمّ هو بعد مركب للنّاس ومحمل لهذه التّجارات الّتي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصّين إلى العراق، ومن العراق إلى الصّين، فإنّ هذه التّجارات لو لم يكن لها محمل إلّا على الظّهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها، لأنّ أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرّض أحد لحملها، وكان يجتمع في ذلك أمران أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيّش بفضلها.[1]

«وتلاطم الماء بالرياح العاصفات» قال تعالى: «والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً»[2] أي الرياح الشديدة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً وقال جلّ وعلا: «.. حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان..»[3] الآية.

٢٣. خطبة ١٧٧: ومن كلام له عليه السّلام:

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلِبُ الْيَمانىّ فَقالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يا اَميرَ الْمُؤْمنينَ؟ فَقالَ عليه السَّلام: أَفَأَعْبُدُ ما لا أَرى؟ فَقالَ وَكَيْفَ تَراهُ فَقالَ: لاتُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشاهَدَةِ الْعِيانِ وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقائِقِ الْايمانِ، قَريبٌ مِنَ الْأَشْياءِ غَيْرُ مُلامِسٍ، بَعيدٌ مِنْها غَيْرُ مُبايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لابِرَوِيَّةٍ، مُريدٌ لابِهِمَّةٍ، صانِعٌ لابِجارِحَةٍ، لَطيفٌ لايُوصَفُ بِالْخَفاءِ، كَبيرٌ لايُوصَفُ بِالْجَفاءِ، بَصيرٌ لايُوصَفُ بِالْحاسَّةِ، رَحيمٌ لايُوصَفُ

---

١. توحيد المفضل ص ١٤٦.

٢. المرسلات ـــ ١ و ٢.

٣. يونس ـــ ٢٢.

بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِهِ.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السّلام» المفهوم من أسانيده أنّه من خطبة له عليه السّلام[1]. فروى الصّدوق في التّوحيد بروايتين وفي الأمالي برواية مسنداً عن الأصبغ، قال: لمّا بايع النّاس عليّاً عليه السّلام خرج إلى النّاس متعمّماً بعمامة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لابساً بردته صلّى الله عليه وآله متنعّلاً نعله صلّى الله عليه وآله وسلّم متقلّداً سيفه صلّى الله عليه وآله فصعد المنبر فجلس متمكّناً ثمّ شبّك أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال: يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني هذا سقط العلم، هذا لعاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، هذا مازقّني النّبيّ صلّى الله عليه وآله زقّاً زقّاً، سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله لوثنّيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتّى تنطق التوراة فتقول صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم حتّى ينطق الانجيل فيقول صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول صدق عليّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة والآية «يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب»[2]، ثمّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني فو الّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت مكّيّها ومدنيّها، سفريّها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، تأويلها وتنزيلها، لأخبرتكم.

---

١. المفهوم من رواية الديلمي في ارشاد القلوب ص ١٦٧ ح ٥ لحديث ذعلب انه كلام له (ع) ويؤيده ما روى الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٧ ح ٦ والصدوق في التوحيد ص ١٠٩ ح ٦ بلفظ «جاء حبرالى علي (ع)» وما رواه البرقي في المحاسن ص ٢٣٩ ح ٢١٦ بلفظ «جاء رجل من اليهود الى علي (ع)» وما رواه المفيد في الارشاد ص ١٢٠ والطبرسي في الاحتجاج ج ١ ص ٢٠٩ بلفظ «جاء رجل الى علي (ع)» وما رواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ١٥٧ بلفظ «سأل رجل علياً (ع)» لكن يؤيد كونه خطبة مضافاً الى رواية الصدوق المذكورة في رواية الكليني في الكافي ج ١ ص ١٣٨ ح ٤ والمفيد في الاختصاص ص ٢٣٦.

٢. الرعد ــ ٣٩.

فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب، فقال: لقدار تق ابن أبي‌طالب مرقاة صعبة لأُخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه. فقال له: هل رأيت ربّك؟ قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالّذي أعبد ربّاً لم أره. فقال: فكيف رأيته صفه لنا؟. قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إنّ ربّى لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بمجيئ ولا بذهاب، لطيف اللطافة لايوصف باللطف، عظيم العظمة لايوصف بالعظم، كبير الكبرياء لايوصف بالكبر، جليل الجلالة لايوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لايوصف بالرقّة، مؤمن لابعبادة، مدرك لابمجّسة، قائل لا باللفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كلّ شيء فلايقال شيء فوقه، وأمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لاكشيء من شيء خارج. قال فخرّ ذعلب مغشياً عليه. ثمّ قال: تاـ لله ماسمعت بمثل هذا الجواب والله لاعدت إلى مثلها ــ الخبر.[١]

لكن يمكن أن يقال: إنّه يصدق مع ذلك أن يجعل العنوان كلاماً، لانّه كان كلاماً خارجاً عن خطبته عليه‌السّلام في جواب ذعلب لما اعترض في الأثناء.

«وقد سأله ذعلب اليمانيّ» لم أقف في أسانيده على وصف ذعلب باليمانيّ، فقد رأيت خلوّ أسناد الصّدوق في التّوحيد والأماليّ عنه، ورواه الكافيّ في باب جوامع التّوحيد عن محمّد بن أبي‌عبدالله مرفوعاً عن الصّادق عليه‌السّلام قال: بينا أميرالمؤمنين عليه‌السّلام يخطب على منبر الكوفة إذقام إليه رجل يقال له ذعلب ذولسان بليغ في الخطب، شجاع القلب، فقال يا اميرالمؤمنين: هل رأيت ربّك ــ الخبر[٢]، باختلاف مع رواية الصّدوق، وفي الارشاد في باب مختصر من كلامه عليه‌السّلام في وجوب المعرفة بالله: روى أهل السّيرة وعلماء النّقلة أنّ رجلاً جاء

---

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٣٠٤ ح ١ و ص ٣٠٨ ح ٢ بروايتين والامالى ص ٢٨٠ ح ١/ مجلس ٥٥.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ١٣٨ ح ٤.

إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال له: يا اميرالمؤمنين خبّرني عن الله تعالى رأيته حين عبدته؟ فقال له اميرالمؤمنين عليه السّلام: لم أك بالّذي أعبد من لم أره. فقال له: فكيف رأيته حين رأيته؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، معروف بالدّلالات منعوت بالعلامات لايقاس بالنّاس، ولاتدركه الحواسّ. فانصرف الرّجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وتبعه في الإحتجاج[١]، وروى مضمون الخبر الكافي في باب إبطال الرؤية عن الباقر عليه السّلام واشتمل على أنّ رجلاً من الخوارج سأل الباقر عليه السّلام[٢] فالظّاهر وهم المفيد في نسبته إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام، ولعلّ المصنّف وقف على مستند آخر غيرسند الكلينيّ والصّدوق في الكتابين وكان مشتملاً على ذكر اليمانيّ[٣] لكن الظّاهر أنّ ذعلب اليمانيّ كان رجلاً آخر متأخّراً من الرّواة التبس على المصنّف هذا بذاك. فقال نفسه في خطبة ٢٣٢: روى ذعلب اليمانيّ عن أحمد بن قتيبة عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دحية قال: كنّا عند أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ إلخ[٤]، لكن نقله ابن أبي الحديد على ما في النّسخة «ذعلب اليماميّ»[٥].

«فقال: هل رأيت ربّك يا أميرالمؤمنين» وقد عرفت أنّ خارجياً سأل الباقر

---

١. اخرجه المفيد فى الارشاد ص ١٢٠ ورواه الطبرسى فى الاحتجاج ج ١ ص ٢٠٩ وبينهما اختلاف يسير لفظى.

٢. اخرج المضمون الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٩٧ ح ٥ والصدوق فى التوحيد ص ١٠٨ ح ٥ والامالى ص ٢٢٩ ح ٤/ مجلس ٤٧ ورواه الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢١ عن الباقر(ع) ورواه بلااشارة الى كون الرجل من الخوارج الديلمى فى ارشاد القلوب ص ١٦٧ ح ١ والطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٦ ورواه متردداً عن الباقر او الصادق (ع) الاربلى فى كشف الغمة ج ٢ ص ٤١٨.

٣. يؤيد هذا الاحتمال رواية الديلمى فى ارشاد القلوب التى كانت اوفق الروايات للفظ نهج البلاغة ولكونه اكمل متناً لايحتمل روايته عن نهج البلاغة بل المحتمل رواية كليهما عن مصدر واحد وفى لفظ الديلمى ايضاً «ذعلب اليمانى».

٤. لفظ نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٢٧ «روى اليمانى» بدون ذكر ذعلب ولفظ ابن ميثم فى شرحه ج ٤ ص ١١٤ «روى ابومحمد اليمانى».

٥. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ١٨٦.

عليه السّلام عن مثله.

«فقال: أفأعبد ما لا أرى» وروى المحاسن أنّ رجلاً من اليهود أتاه عليه السّلام فقال: يا على هل رأيت ربّك؟ فقال عليه السّلام: ما كنت بالذى أعبد إلهاً لم أره. ثمّ قال: لم تره العيون في مشاهدة الأبصار غير أنّ الإيمان بالغيب بين عقد القلوب.[١]

«فقال: وكيف تراه؟ فقال» هكذا في المصريّة، والصّواب قال: كيف تراه؟ قال» كما في (ابن أبي‌الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[٢]، ثمّ كلمة «قال» الثّانية زائدة توكيداً وإلّا يصير ما بعدها مقولها، ويبقى قوله «ومن كلام له عليه السّلام» خبراً بلا مبتدأ.

«لاتدركه العيون بمشاهدة العيان» وفي رواية الكلينيّ والصّدوق «لم تره العيون بمشاهدة الأبصار»[٣].

«ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» وإدراك القلوب فوق إدراك العيون، لعدم وقوع لبس في إدراكها، بخلاف إدراك العيون فيقع اللّبس فيها كثيراً، ولبعضهم «لئن لم ترك العين فقد أبصرك القلب»، وقال الصّدوق في توحيده: والأخبار الّتى ذكرها أحمدبن محمّد بن عيسى في نوادره، ومحمّد بن أحمدبن يحيى في جامعه في معنى الرّؤية صحيحة لا يردّها إلّا مكذّب بالحق أو جاهل به وألفاظه ألفاظ القرآن، ولكلّ خبر معنى ينفى التّشبيه والتّعطيل ويثبت التّوحيد، وقد أمرنا الأئمة عليهم السلام أن لانكلّم الناس إلّا على قدر عقولهم، ومعنى الرّؤية الواردة في الأخبار العلم، وذلك أنّ الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات، فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره في ثوابه وعقابه ما يزول به الشّكوك، ويعلم حقيقة قدرة الله تعالى، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: «لقد

١. اخرجه البرقى فى المحاسن ص ٢٣٩ ح ٢١٦.

٢. لفظ ابن ابى‌الحديد ج ٢ ص ٥٠٤ «فقال وكيف تراه قال» ولفظ ابن‌ميثم ج ٣ ص ٣٧٣، «فقال وكيف تراه فقال».

٣. الكافى ج ١ ص ٩٧ ح ٥ والتوحيد للصدوق ص ٣٠٥ ح ١ و ص ٣٠٨ ح ٢.

كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»[1]، فمعنى ماروى في الحديث أنه تعالى يرى أي يعلم علماً يقيناً كقوله تعالى: «ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظّل..»[2] وقوله تعالى: «ألم تر إلى الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه..»[3] وقوله تعالى: «ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت..»[4] وقوله تعالى: «ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل»[5] وأشباه ذلك من رؤية القلب، وليست من رؤية العين، وأمّا قوله تعالى: «.. فلمّا تجلّى ربّه للجبل..»[6]، فمعناه لمّا ظهر عزّوجلّ للجبل بآية من آيات الآخرة الّتي يكون بها الجبال سراباً والّتي ينسف بها الجبال نسفا، تدكدك الجبل فصار تراباً لأنّه لم يطق حمل تلك الآية وقد قيل إنّه بداله من نور العرش[7]، وأمّا قول موسى عليه السّلام: «..ربّ أرني أنظر إليك..»[8] فليس دالاً على تجويز موسى عليه السّلام رؤيته تعالى، فإنّه عليه السّلام قال ذلك لما سأله قومه رؤيته تعالى جهرة، فقال ذلك ليفهمهم امتناعها بجوابه تعالى «لن تراني» كما يشهد له قوله تعالى في موضع آخر: «يَسْئَلُكَ أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السّماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم..»[9] فإنّ القصّة في الآيتين واحدة، وقد صرّح في الثّانية بأنّ السّؤال له تعالى كان منهم فكان موسى عليه السّلام حاكياً عنهم.

هذا، والإماميّة والمعتزلة على امتناع رؤيته تعالى في الدّنيا والآخرة لقوله تعالى: «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير»[10] ولقوله تعالى

١. قـ ـ ٢٢.
٢. الفرقان ـ ٤٥.
٣. البقرة ـ ٢٥٨.
٤. البقرة ـ ٢٤٣.
٥. الفيل ـ ١.
٦. الاعراف ـ ١٤٣.
٧. التوحيد للصدوق ص ١١٩.
٨. الاعراف ـ ١٤٣.
٩. النساء ـ ١٥٣.
١٠. الانعام ـ ١٠٣.

لموسى عليه السّلام: «.. لن تراني..»[١] وذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته في الدّنيا منزّهاً عن الجهة والمكان والمقابلة وقالت المشبّهة والكراميّة برؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم جسماً ونسبوا إلى ابن عباس أنّه قال: إنّ الله اختصّ محمّداً بالرّؤية كما اختصّ موسى بالكلام[٢،٣]، وقال احمد بن خابط والفضل الحدثيّ وهما من أصحاب النظّام بحمل كلّ ما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله صلّى الله عليه وآله «إنكم سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ولا تضامّون في رؤيته»[٤] على رؤية العقل الأوّل الّذي هو أوّل مبدع وهو العقل الفعّال الّذي منه تفيض الصّور على الموجودات وإيّاه عنى النّبيّ صلى الله عليه وآله بقوله «أوّل ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر فقال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك؛ وبك أُعزّ وبك أُذلّ وبك أُعطي وبك أمنع»[٥] فهو الذي يظهر يوم القيامة وترتفع الحجب بينه وبين الصّور التي

---

١. الاعراف ــ ١٤٣.

٢. هذا اقتباس من قول المجلسي فى بحار الانوار ج ٤ ص ٥٩ و ٦٠ وخلاصة قول المفيد فى اوائل المقالات ص ٦٣ ان صحة رؤية الله تعالى قول المشبهة وبعض الصفاتية وعدم رؤيته قول جمهور الامامية وعامة متكلمى الامامية الامن شذمنهم وجميع المعتزلة وجمهور المرجئة وكثير من الخوارج والزيدية وبعض اهل الحديث.

٣. هذا المعنى اخرجه النسائى والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس واخرجه الحاكم فى المستدرك وابن مردوية وابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد فى مسنده عن الشعبي ان كعباً قاله بحضرة ابن عباس عنهم الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٤.

٤. اخرجه عدة عن ابى هريرة وابى سعيد الخدرى وابن رزين وصهيب وجابر بن عبدالله باختلاف يسير وجمع بعض طرقه والفاظه ابن الاثير فى جامع الاصول ج ١١ ص ١٦٨ ح ٨٠٩٨ والمتقى فى منتخب كنزالعمال ج ٦ ص ١٢٤ وشرح الحديث الشريف الرضى فى مجازات النبوية ص ٤٧ والشريف المرتضى فى تنزيه الانبياء ص ١٢٨.

٥. اخرجه بفرق يسير داود بن المحبّر فى كتاب العقل عنه هامش جامع الاصول ج ٤ ص ٤٢٢ والكراجكى فى كنز الفوائد ص ١٤ وكون العقل اول ما خلق الله اخرجه الصدوق فى الفقيه ج ٤ ص ٢٦٧ ورواه الطبرسى فى مكارم الاخلاق ص ٤٤٢ وكون العقل اول خلق من الروحانيين اخرجه البرقى فى المحاسن ص ١٩٦ ح ٢٢ والكلينى فى الكافى ج ١ ص ٢٠ ح ١٤ والصدوق فى الخصال ج ٢ ص ٥٨٨ ح ١٣ عن الصادق (ع) لكن اللفظ المشهور فى حديث العقل: «لما خلق الله العقل» الخ رواه عدّة عن النبى (ص) والباقر (ع) والصادق (ع) وموقوفاً عن الحسن البصرى لايسع ذكره المقام.

فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر، فأمّا واهب العقل فلايرى البتّة[١] ولايشبه إلّا مبدع بمبدع إلى غير ذلك من مذا هبهم البدعيّة التي نقلها الملل، والرّجلان وإن نفيا عنه رؤية البصر وهو حقّ إلّا أنّهما جعلا له شريكاً وتعالىٰ الله عمّا يشركون.

«قريب من الأشياء غير ملامس» قال تعالى في وصف قربه: «..ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»[٢] وقال عزّوجلّ: «وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان..»[٣].

«بعيد منها غير مباين» فالبعد بالبينونة صفة الأجسام.

«متكلّم لابروّية» كالإنسان يتروّى أوّلاً في المعاني ثمّ يتكلّم بالألفاظ.

«مريد لاهمّة» بالإضمار في نفسه.

«صانع لابجارحة» كالإنسان يصنع شيئاً بيده.

«لطيف لايوصف بالخفاء» كأرواح ذوي الأرواح.

«كبير لايوصف بالجفاء» كأجساد ذوي الأجساد الجسيمة.

«بصير لايوصف بالحاسّة» أي الباصرة.

«رحيم لايوصف بالرّقّة» للقلب.

«تعنو» أي تخضع وتذلّ.

«الوجوه لعظمته» «وعنت الوجوه للحيّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً»[٤].

«وتجب» أي تضطرب.

«القلوب من مخافته» «والّذين يؤتون ما آتوا قلوبهُم وجلةٌ أنّهم إلى ربّهم

---

١. الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٦٣.
٢. ق ــ ١٦.
٣. البقرة ــ ١٨٦.
٤. طه ــ ١١١.

راجعون»[1].

«ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب»[2].

٢٤ـ خطبة ١٨٣: ومن خطبة له عليه‌السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي لاتُدْرِكُهُ الشَّواهِدُ وَلاتَحْويهِ الْمَشاهِدُ، وَلاتَراهُ النَّواظِرُ، وَلا تَحْجُبُهُ السَّواتِرُ. الدّالِّ عَلىٰ قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَ بِاشْتِباهِهِمْ عَلىٰ أنْ لاشِبْهَ لَهُ. الَّذي صَدَقَ فى ميعادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبادِهِ، وَقامَ بِالْقِسْطِ فى خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فى حُكْمِهِ. مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأشْياءِ عَلىٰ أزَلِيَّتِهِ، وَبِما وَسَمَها بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلىٰ قُدْرَتِهِ، وَبِما اضْطَرَّها اِلَيْهِ مِنَ الْفَناءِ عَلىٰ دَوامِهِ واحِدٌ لابِعَدَدٍ، دائِمٌ لابِأمَدٍ، وَقائِمٌ لابِعَمَدٍ، تَتَلَقّاهُ الْأذْهانُ لابِمُشاعَرَةٍ وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرائى لابِمُحاضَرَةٍ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأوْهامُ بَلْ تَجَلّىٰ لَها بِها، وَبِها امْتَنَعَ مِنْها، وَاِلَيْها حاكَمَها، لَيْسَ بِذى كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهاياتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسيماً، وَلابِذى عِظَمٍ تَناهَتْ بِهِ الْغاياتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسيداً بَلْ كَبُرَ شَأْناً وَعَظُمَ سُلْطاناً.

أقول: قد عرفت في أوّل الكتاب[3] أنّ نسخنا من هنا إلى خطبة المتّقين؛ بينها سبع خطب مختلفة مع نسخة (ابن أبي‌الحديد) وقد عرفت تصريح (ابن ميثم) بالإختلاف من الأوّل.

«الحمدلله الّذى لاتدركه الشّواهد» الشّواهد جمع الشّاهدة، والشّاهدة الحاسّة

١. المؤمنون ــ ٦٠.
٢. آل‌عمران ــ ٨.
٣. مرّ فى مقدمة المؤلف.

فيكون المعنى لاتدركه الحواسّ الظّاهرة، السّامعة، والباصرة، والذآئقة، والشّامّة، واللّامسة، فإنّها تدرك المحسوسات.

«ولا تحويه» قال الجوهريّ: حواه يحويه حيّاً أي جمعه.[١]

«المشاهد»: أي المحاضر: قالوا: مشاهد مكّة مواطن يحضرها النّاس، وإنّه تعالى شاهد كلّ ملأ، ولا يحويه مشهد.

«ولا تراه النّواظر» النّواظر جمع النّاظرة أي القوّة الباصرة. قال تعالى: «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير»[٢].

«ولا تحجبه السّواتر» بخلاف باقي الأشياء حتّى الشّمس، فإنّها مع كونها أظهر من كلّ شيء وبها يظهر كلّ شيء تحجب بغمام بل بقتام.

«الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه» وإلّا لزم التّسلسل المحال، وزاد الإحتجاج: «وبحدوث خلقه على وجوده».[٣]

«وباشتباههم على أن لاشبه له» أي لمّا امتنع عند العقل مشابهة الصّانع والمصنوع ونرى في جميع الأشياء التّشابه نعلم أنّه تعالى هو الّذي ليس له شبه.

«الّذي صدق في ميعاده» «إنّ وعدالله حقّ فلاتغرنكم الحيٰوة الدّنيا..»[٤].

«وارتفع عن ظلم عباده» «إنّ الله لايظلم النّاس شيئاً ولكنّ النّاس أنفسهم يظلمون»[٥] والظّالم إنّما يظلم إمّا لاحتياجه وإمّا لجهله كما أنّ المخلف لوعده إنّما يخلف إمّا لعجزه عن الوفاء به أو لجهله بقبحه، وهو تعالى منزّه عن الحاجة والعجز والجهل. نعم يمكن صفحه عن وعيده، وفي الدّعاء: يا من إذا

---

١. صحاح اللغة للجوهرى ج ٦ ص ٢٣٢٢/ مادة حوى.
٢. الانعام ــ ١٠٣.
٣. الاحتجاج الطبرسى ج ١ ص ٢٠٤ وروى الاحتجاج الخطبة بتمامها.
٤. لقمان ــ ٣٣.
٥. يونس ــ ٤٤.

وعدوفا وإذا تواعد عفا.[١]

«وقام بالقسط»: أي العدل.

«في خلقه» شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط..»[٢].

«وعدل عليهم في حكمه»«ويؤت كلّ ذي فضل فضله..»[٣] «..إنّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أُنثى..»[٤] «..وما كان الله ليضيع أيمانكم..»[٥] «..إنّا لا نضيع أجر المصلحين..»[٦] «..ولا نضيع أجر المحسنين..»[٧] «..فإنّ الله لا يُضيع أجر المحسنين»[٨] «يستبشرون بنعمةٍ من الله وفضل وأنّ الله لا يُضيعُ أجر المؤمنين»[٩] «إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً»[١٠].

«مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته» قال الرّضا عليه السّلام: خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على عرشه وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ولكنّه تعالى خلقها في ستة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة.[١١]

---

١. الفقرتان جاءتا ضمن دعاء رواه المجلسي في بحار الانوار ج ٩٤ ص ١٣٢ عن الكتاب العتيق الغروي عن السجاد (ع) وجاء قريب منه في دعاء رواه الطبرسي في مكارم الاخلاق ص ٢٩٥ عن الباقر و الصادق (ع) متردداً.

٢. آل عمران ــ ١٨.

٣. هود ــ ٣.

٤. آل عمران ــ ١٩٥.

٥. البقرة ــ ١٤٣.

٦. الاعراف ــ ١٧٠.

٧. يوسف ــ ٥٦.

٨. هود ــ ١١٥.

٩. آل عمران ــ ١٧١.

١٠. الكهف ــ ٣٠.

١١. اخرجه الصدوق في العيون ج ١ ص ١١٠ ح ٣٣ ضمن حديث وروى معناه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٤١٢ عن علي (ع).

«وبما وسمها» أي جعل لها علامة من وسمه إذا أثّر فيه بسمة وكيّ.

«به من العجز على قدرته» فحيث إنّ كلّهم عاجزون، ومعلوم أنّ في الوجود قادراً على ما يشاء يعلم أنّه هو القادر. قال تعالى: «.. إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلُبهُم الذبّاب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطّالبُ والمطلوب»[١] «.. إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد؛ وما ذلك على الله بعزيز»[٢].

«وبما اضطرّها إليه من الفناء» أي مستشهد به أيضاً.

«على دوامه» فحيث نرى جميع الخلق فانين، ومعلوم أنّه يجب أن يكون في الوجود مفن دائم الوجود نعلم ونفهم من فنائهم دوامه تعالى، قال تعالى: «.. كلّ شيء هالكٌ إلّا وجهَهُ..»[٣] «كلّ من عليها فان؛ ويبقى وجه ربّك ذوالجلال والإكرام»[٤].

«واحد لابعدد» أي أحد لاثاني له.

«دائم لابأمد» أي مدّة وانتهاء، وكلّ شيء سواه تعالى حتّى الأرض والسّماء، والشّمس والقمر، والجبال والبحار، الّتي يضرب النّاس بها الأمثال في الدوام له أمد ومدّة. قال تعالى «.. وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى..»[٥].

«وقائم لابعمد» كلّ قائم سواه تعالى على ساق يعتمد عليه كالإنسان، وأقسام الحيوان أو على عمد يستند إليه كالأبنية والأخبية، وهو تعالى قائم بوجوب ذاته.

---

١. الحج ـــ ٧٣.
٢. ابراهيم ـــ ١٩ و٢٠.
٣. القصص ـــ ٨٨.
٤. الرحمن ـــ ٢٦ و٢٧.
٥. الزمر ـــ ٥.

«تتلقاه الأذهان» أي العقول.

«لا بمشاعرة» فإنّ كثيراً من الأشياء تتلقّاه الأذهان من المشاعر الظّاهريّة وهو عزّوجلّ لايتلقى إلّا من البراهين العقليّة.

«وتشهد له المرائي لابمحاضرة» هكذا في النّسخ[1]، ويمكن أن يكون «المرائى» مصحف «المرايا» جمع المرآة، فيكون المعنى أنّ المرايا تشهد لما حاضرها بالتّقابل بالوجود لانتقاشها فيها، وأمّا الباري تعالى فتشهد لوجوده مرايا العقول من غير حضور ومقابلة، ويحتمل أن يكون «المرائي» جمع «المرأى» اسم مكان بمعنى المنظر، وهو النّاظر كما قاله (ابن ميثم)[2] فيكون المعنى أنّ رؤيته تعالى لمّا كانت بالقلب لا بالنّواظر لايحتاج إلى أن يكون حاضراً للنّاظر، ولا يخلو من بعد، وأمّا ما قال (ابن أبي الحديد)[3] من أنّه من قولهم: فلان هو حسن في مرآة عيني يقول إنّ جنس الرّؤية يشهد بوجود الباري تعالى من غير محاضرة منه للحواسّ في غاية البعد، وأمّا ما قاله (الخوئى)[4] تبعاً للمجلسيّ[5] من أنّه جمع المرئي، بلفظ المفعول، أي المرئيات تشهد بوجوده تعالى من غير محاضرة منه، فلا وجه له، فإنّ الشاهد لشيء إنّما يكون الرائي لا المرئي، والمرئيات وإن تشهد له تعالى إلّا أنّه ليس من حيث كونها مرئية بل من حيث كونها أشياء.

«لم تحط به الأوهام» لقصرها عن الإحاطة به.

«بل تجلّى لها» هكذا في المصريّة الأخيرة، وفي المصريّة الأولى «بل تجلّى

١. كذا فى نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٥ وشرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ١٩٤ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٢١.

٢. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٢٥.

٣. شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ١٩٦.

٤. شرح الخوئى ج ٥ ص ١٢٧.

٥. بحار الانوار ج ٤ ص ٢٦١ وجعله المجلسى احتمالاً ثانياً واحتماله الاول كونه جمع مرآة بفتح الميم من قولهم هو حسن فى مرآة عينى.

بها» وكلتاهما ناقصتان، والصواب ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[١] بلفظ «بل تجلّى لها بها». هذا من حيث إحراز ما في النهج لكن الظّاهر وقوع تحريف فيه، وأنّ الأصل: «بل تجلّى للعقول بها» كما يشهد له قوله عليه السّلام في الآتي[٢] «بها تجلّى صانعها للعقول».

وحينئذ يكون معنى قوله عليه السّلام بعده «وبها امتنع منها، وإليها حاكمها» أنّ بالعقول وحكمها أنّه تعالى لا يدرك بالأوهام امتنع من الأوهام أن تدركه وأنّ إلى العقول حاكم تعالى الأوهام لوتدعى معرفته تعالى حتّى تحكم العقول بعجزها عن إدراك جلاله. فيكون الضّمير في «بها» راجعاً إلى «العقول» وفي «منها» راجعاً إلى «الأوهام» وفي إليها» أيضاً راجعاً إلى «العقول» وفي «حاكمها» راجعاً إلى «الأوهام»، وأمّا على ما في النّهج من إرجاع الضّمائر كلّها إلى الأوهام كما يقتضيه السّياق فيحتاج المعنى إلى تكلّف بأن يكون المراد من الأوهام المعنى الأعم لها من المتعارف، ومن معنى العقول كما احتمله المجلسيّ.[٣]

«ليس بذي كبر امتدّت به النهايات» أي الطّول والعرض والعمق.

«فكبّرته تجسيماً» حسب شأن أشياء نهاياتها ممتدّة.

«ولا بذي عظم تناهت به الغايات» في إبعاده.

«فعظّمته تجسيداً» وتجعل جسده ضخيماً.

«بل كبر شأناً وعظم سلطاناً» يعني أنّ الكبر والعظمة بالنّسبة إليه تعالى كبر الشّأن، وعظم السّلطان، وإنّما كبر الجسم وعظم الجسد في غيره تعالى. قال تعالى في كبره: «عالم الغيب والشّهادة الكبيرُ المتعال»[٤] وقال عزّوجلّ في عظمه: «فسبّح باسم ربّك العظيم»[٥].

---

١. لفظ شرح ابن ابي الحديد ج ٣ ص ١٩٤ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٢١ «بل تجلى لها وبها».
٢. يأتي في متن الخطبة في عنوان ٢٥.
٣. بحارالانوار ج ٤ ص ٢٦٢.
٤. الرعد ــ ٩.
٥. الواقعة ــ ٩٦.

٢٥. خطبة ١٨٤: ومن خطبة له عليه‌السّلام في التّوحيد وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم مالا تجمعه خطبة:

ما وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلا حَقيقَتَهُ أصابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلا إيّاهُ عَنى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلا صَمَدَهُ مَنْ أشارَ إلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ، كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قائِمٍ في سِواهُ مَعْلُولٌ. فاعِلٌ لا بِاضْطِرابِ آلَةٍ، وَمُقَدِّرٌ لا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ. غَنِيٌّ لا بِاسْتِفادَةٍ. لا تَصْحَبُهُ الأوْقاتُ، وَلا تَرْفِدُهُ الأدَواتُ. سَبَقَ الأوْقاتَ كَوْنُهُ. وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ. وَالإبْتِداءَ أزَلُهُ. بِتَشْعيرِهِ الْمَشاعِرَ عُرِفَ أنْ لا مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضادَّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أنْ لا ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقارَنَتِهِ بَيْنَ الأشْياءِ عُرِفَ أنْ لا قَرينَ لَهُ. ضادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ. مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعادِياتِها. مُقارِنٌ بَيْنَ مُتَبايِناتِها مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَباعِداتِها [مُفَرِّقٌ بَيْنَ متدانياتِها] لا يُشْمَلُ بِحَدٍّ[١]، وَلا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإنَّما تَحُدُّ الأدَواتُ أنْفُسَها، وَتُشيرُ الآلاتُ إلى نَظائِرِها. مَنَعَتْها مُنْذُ الْقِدْمِيَّةَ، وَحَمَتْها قَدُ الأزَلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْها لَوْلا التَّكْمِلَةَ، بِها تَجَلّى صانِعُها لِلْعُقُولِ، وَبِها امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ. لا يَجْري عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْري عَلَيْهِ ما هُوَ أجْراهُ، وَيَعُودُ فيهِ ما هُوَ أبْداهُ، وَيَحْدُثُ فيهِ ما هُوَ أحْدَثَهُ، إذَنْ لَتَفاوَتَتْ ذاتُهُ، وَلَتَجَزَّأ كُنْهُهُ، وَلامْتَنَعَ مِنَ الأزَلِ مَعْناهُ، وَلَكانَ لَهُ وَراءٌ إذْ وُجِدَ لَهُ أمامٌ، وَلالْتَمَسَ التَّمامَ إذْ لَزِمَهُ النُّقْصانُ، وَإذَنْ لَقامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَليلاً بَعْدَ أنْ كانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ، وَخَرَجَ بِسُلْطانِ الإمْتِناعِ مِنْ أنْ يُؤَثِّرَ فيهِ ما يُؤَثِّرُ في غَيْرِهِ. الَّذي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ وَلا يَجُوزُ عَلَيْهِ الأُفُولُ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصيرَ مَحْدُوداً. جَلَّ عَنِ اتِّخاذِ الأبْناءِ، وَطَهُرَ عَنْ

---

١. قال الشارح ومن بعض النسخ «مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لايشمل بحد».

مُلامَسَةِ النِّساءِ. لاتَنالُهُ الأَوْهامُ فَتُقَدِّرَهُ، وَلاتَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلاتُدْرِكُهُ الْحَواسُّ فَتُحِسَّهُ وَلاتَلْمِسُهُ الأَيْدى فَتَمَسَّهُ. لايَتَغَيَّرُ بِحالٍ، وَلا يَتَبَدَّلُ بِالأَحْوالِ، وَلا تُبْلِيهِ اللَّيالِى وَالأَيّامُ، وَلايُغَيِّرُهُ الضِّياءُ وَالظَّلامُ، وَلا يُوصَفُ بِشَىْءٍ مِنَ الأَجْزاءِ، وَلا بِالْجَوارِحِ وَالأَعْضاءِ، وَلا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْراضِ، وَلا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأَبْعاضِ، وَلا يُقالُ لَهُ حَدٌّ وَلانِهايَةٌ، وَلاانْقِطاعٌ وَلاغايَةٌ وَلا أَنَّ الأَشْياءَ تَحْوِيهِ، فَتُقِلَّهُ أَوْتُهْوِيَهُ، أَوْأَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْيُعَدِّلَهُ، وَلَيْسَ فِى الأَشْياءِ بِوالِجٍ، وَلاعَنْها بِخارِجٍ. يُخْبِرُ لابِلِسانٍ وَلَهَواتٍ، وَيَسْمَعُ لابِخُرُوقٍ وَأَدَواتٍ. يَقُولُ وَلايَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضِبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، يَقُولُ لِمَنْ أَرادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ. لابِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلا بِنِداءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّما كَلامُهُ سُبْحانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ، وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كائِناً، وَلَو كانَ قَدِيماً لَكانَ إِلهاً ثانِياً، لايُقالُ كانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِىَ عَلَيْهِ الصِّفاتُ الْمُحْدَثاتُ، وَلا يَكُونُ بَيْنَها وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلالَهُ عَلَيْها فَضْلٌ. فَيَسْتَوِى الصّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكافَأُ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلائِقَ عَلى غَيْرِ مِثالٍ خَلا عَنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلى خَلْقِها بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَها مِنْ غَيْرِ اشْتِغالٍ، وَأَرْساها عَلى غَيْرِ قَرارٍ، وَأَقامَها بِغَيْرِ قَوائِمَ، وَرَفَعَها بِغَيْرِ دَعائِمَ، وَحَصَّنَها مِنَ الأَوَدِ وَالإِعْوِجاجِ، وَمَنَعَها مِنَ التَّهافُتِ وَالإِنْفِراجِ، أَرْسى أَوْتادَها، وَضَرَبَ أَسْدادَها، وَاسْتَفاضَ عُيُونَها وَخَدَّ أَوْدِيَتَها. فَلَمْ يَهِنْ ما بَناهُ، وَلا ضَعُفَ ما قَوّاهُ. هُوَالظّاهِرُ عَلَيْها بِسُلْطانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْباطِنُ لَها بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعالِى عَلى كُلِّ شَىْءٍ مِنْها بِجَلالِهِ وَعِزَّتِهِ،وَلايُعْجِزُهُ شَىْءٌ مِنْها طَلَبَهُ، وَلا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْها فَيَسْبِقَهُ، وَلايَحْتاجُ إِلى ذِى مالٍ فَيَرْزُقَهُ،

خَضَعَتِ الأشياءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لايَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطانِهِ اِلَى غَيْرِهِ فَيَمْتَنِعَ مِنْ نَفعِهِ وَضَرِّهِ،وَلا كُفْءَ لَهُ فَيُكافِئَهُ وَلانَظيرَ لَهُ فَيُساوِيَهُ، هُوَالْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِها، حَتّى يَصِيرَ مَوْجُودُها كَمَفْقُودِها.

وَلَيْسَ فَناءُ الدُّنيا بَعْدَ ابْتِداعِها بِاَعْجَبَ مِنْ اِنشائِها وَاخْتِراعِها، وَكَيْفَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوانِها مِنْ طَيْرِها وَبَهائِمِها، وَما كانَ مِنْ مُراحِها وَسائِمِها، وَأَصْنافِ اَسْناخِها وَاَجْناسِها، وَمُتَبَلِّدَةُ اُمَمِها وَاَكْياسِها، عَلَى اِحْداثِ بَعُوضَةٍ. ما قَدَرَتْ عَلَى اِحْداثِها؛ وَلا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ اِلَى اِيجادِها، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُها فى عِلْمِ ذلِكَ وَتاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُواها وَتَناهَتْ وَرَجَعَتْ خاسِئَةً حَسِيرَةً. عارِفَةً بِاَنَّها مَقْهُورَةٌ. مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ اِنشائِها. مُذْعِنَةً بِالْضَعْفِ عَنْ اِفْنائِها.

وَاِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَناءِ الدُّنيا وَحْدَهُ لاشَيْءَ مَعَهُ كَما كانَ قَبْلَ اِبْتِدائِها كَذلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنائِها بِلا وَقْتٍ وَلا مَكانٍ، وَلا حينٍ وَلا زَمانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذلِكَ الآجالُ وَالأَوْقاتُ، وَزالَتِ السِّنُونَ وَالسّاعاتُ. فَلا شَيْءَ اِلاَّ الْواحِدُ الْقَهّارُ الَّذي اِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ. بِلاقُدْرَةٍ مِنها كانَ اِبْتِداءُ خَلْقِها، وَبِغَيْرِ امْتِناعٍ مِنها كانَ فَناؤُها، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الاِمْتِناعِ دامَ بَقاؤُها. لَمْ يَتَكاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنها اِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنها خَلْقُ ما خَلَقَهُ وَبَراهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْها لِتَشْدِيدِ سُلْطانٍ، وَلا لِخَوْفٍ مِنْ زَوالٍ وَنُقْصانٍ وَلاَ لِلاِسْتِعانَةِ بِها عَلَى نِدٍّ مُكاثِرٍ، وَلاَ لِلاِحْتِرازِ بِها مِنْ ضِدٍّ مُثاوِرٍ، وَلا لِلاِزْدِيادِ بِها فِي مُلْكِهِ، وَلا لِمُكاثَرَةِ شَرِيكٍ فى شِرْكِهِ، وَلا لِوَحْشَةٍ كانَتْ مِنْهُ فَأَرادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ اِلَيْها.

ثُمَّ هُوَيُفْنِيها بَعْدَ تَكْوِينِها لالِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فى تَصْرِيفِها وَتَدْبِيرِها، وَلا لِراحَةٍ واصِلَةٍ اِلَيْهِ، وَلا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنها عَلَيْهِ لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقائِها

فَيَدْعُوهُ اِلىٰ سُرْعَةِ اِفْنائِها. لٰكِنَّهُ سُبْحانَهُ دَبَّرَها بِلُطْفِهِ، وَاَمْسَكَها بِاَمْرِهِ، وَاَتْقَنَها بِقُدْرَتِهِ. ثُمَّ يُعيدُها بَعْدَ الْفَناءِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ اِلَيْها، وَلَا لِاِسْتِعانَةٍ بِشَيْءٍ مِنها عَلَيْها، وَلَا لِاِنْصِرافٍ مِنْ حالِ وَحْشَةٍ اِلىٰ حالِ اِسْتِئْناسٍ، وَلَا مِنْ حالِ جَهْلٍ وَعَمًى اِلىٰ حالِ عِلْمٍ وَالْتِماسٍ، وَلا مِنْ فَقْرٍ وَحاجَةٍ اِلىٰ غِنًى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضِعَةٍ [ضَعَةٍ.خ] اِلىٰ عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.[1]

أقول: ورواه تحف العقول مع اختلاف إلى فقرة «ولتحوّل دليلاً».

قول المصنّف «وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة».

قلت: وبعد هذه الخطبة في الجامعيّة خطبة الأشباح المتقدّمة.[2]

قوله عليه السّلام «ما وحدّه من كيّفه» لأنّ من كيّفه فقد ثنّاه.

«ولا حقيقته أصاب من مثّله» لأنّه ليس كمثله شيء. فمن مثّله أخطأه تعالى وأصاب غيره.

هذا، وفي ميزان الذهبي في أبي السّعادات أحمد بن منصور قال: من وضعه حديث يقول فيه وبين يدي الربّ لوح فيه أسماء من يثبت الصّورة والرؤية والكيفيّة فيباهي بهم الملائكة.[3]

قلت: فتكنيته بأبي السّعادات من قبيل ما قيل بالفارسيّة «برعكس نهند نام زنگى كافور»[4] وإلّا فهو أبو الشّقاوات.

«ولا إيّاه عنى» اي قصد.

«من شبّهه» «وما قدروا الله حقّ قدره..»[5].

---

١. تحف العقول ص ٦١ روايته يشبه بعضها بخطبة ١ وبعضها بخطبة ١٨٤ من نهج البلاغة لكن الاختلاف كثير.

٢. تقدم في عنوان ٨ من هذا الفصل ورقه ٨٩.

٣. ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ١٥٩.

٤. اورده دهخدا في امثال وحكم ج ١ ص ٤٢٣ وترجمة المثل «يسمون الزنجيّ كافوراً بالعكس».

٥. الانعام ــ ٩١.

«ولا صمده»: أي قصده.

«من أشار إليه» عن الباقر عليه السّلام أنّ الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشّاهد المدرك. فقالوا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمّد إلى إلهك الّذي تدعو إليه حتّى نراه وندركه ولا ناله فيه. فأنزل الله تعالى «قل هو الله أحد» ــ الخبر[1]، وحاصله أنّه الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواسّ.

«وتوهّمه» عطف على «أشار إليه» ولكن في تحف العقول «ولا إيّاه أراد من توهّمه»[2] وهو الأصحّ.

«كلّ معروف بنفسه» أي بذاته.

«مصنوع» وليس بالصّانع.

«وكلّ قائم في سواه معلول» والباري تعالى قائم بذاته، وزاد التّحف: «باطن لا بمداخلة، ظاهر لا بمزايلة، متجلّ لا باشتمال رؤية، لطيف لا بتجسّم»[3].

«فاعل لا باضطراب آلة» كالنّاس «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[4].

«ومقدّر» «فالق الإصباح وجعل اللّيل سكناً والشّمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم»[5] «والشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم»[6] «..وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم»[7]

---

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٨٨ ح ١.

٢. تحف العقول ص ٦٢.

٣. تحف العقول ص ٦٣.

٤. يس ــ ٨٢.

٥. الانعام ــ ٩٦.

٦. يس ــ ٣٨.

٧. فصلت ــ ١٢.

«.. وخلق كلّ شيءٍ فقدّره تقديراً»[١] «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر»[٢].

«لايجول»: أي جولان.

«فكرة» كالنّاس بل بايجاده على طبق الحكمة.

«غنيّ لا باستفادة» شيء كالنّاس «.. ولله خزائن السّموات والأرض ولكنّ المنافقين لايفقهون»[٣].

«لاتصحبه الأوقات» لكونه جاعل الأوقات.

«ولا ترفده»: أي لاتعينه.

«الأدوات» جمع الأداة أي الآلات، وكيف ترفده تعالى وهو موجدها.

«سبق الأوقات» بالنّصب.

«كونه»: أي وجوده، فالأوقات عبارة عن اللّيل والنّهار والشّهور والسّنين وهي لاتوجد إلّا من طلوع الشّمس وغروبها وقطع الشّمس والقمر بروجهما وهو تعالى سابق عليهما.

«والعدم» بالنّصب أيضاً.

«وجوده» بالرّفع، وإنّما سبق العدم وجود خلقه.

«والابتداء» أيضاً بالنّصب.

«أزله» بالرّفع، وإنّما يكون ابتداء لشيء لم يكن أزليّاً.

«بتشعيره المشاعر عرف أن لامشعر له» زاد في رواية التحف: **«وبتجهيره**

---

١. الفرقان ــ ٢.

٢. القمر ــ ٤٩.

٣. المنافقون ــ ٧.

الجواهر علم أن لاجوهر له، وبانشائه البرايا علم أن لامنشيء له.»[1]

والمشاعر: الحواسّ، قال بلعاء:

والرّأس مرتفع فيه مشاعره ＊ يهدى السّبيل له سمع وعينان[2]

«وبمضادّته بين الأمور عرف ان لاضدّله وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لاقرين له».

«ضادّ النور بالظّلمة» قال تعالى: «الحمدلله الّذي خلق السّموات والأرض وجعل الظّلمات والنّور. .»[3].

وجعل كلاّمن الضدّين ذاحكمة في نظام العالم وصلاح بنيآدم فإنّه لوكان النّهار ولم يكن ليل كم كان يدخل على النّاس كما في عكسه كالنّور والظّلمة.

«والوضوح بالبهمة» فجعل علم الحرث والغرس واتّخاذ الأنعام واستخراج المعادن واضحاً جليّاً في جميع الأدوار، وعند جميع الأجيال، وجعل علم الآجال والرّزايا والبلايا المقدرة مبهماً خفيّاً وإلّا لتنغص عيش الإنسان، ولم يتمتّع بشيء من النّعم.

«والجمود بالبلل، والحرور بالصّرد» «أي البرد فجعل كلّا منها ذاحكمة فلولم يجعل جمود الخريف وبلل الرّبيع، وحرور الصّيف وصرد الشّتاء لما وجد كثيرمن المصالح وتولد كثيرمن المفاسد، وقالوا يؤجّل العنّين سنة في فسخ أمرأته العقد لعلّه يرفع عجزه بأحد الفصول الأربعة، ثمّ بعد السنة للمرأة الفسخ إذا لم يرفع مرضه إذ علم أنّ العلّة لم تكن البلل والجمود والحرور والصّرد؛[4] كما أنّه تعالى خلق

---

١. تحف العقول ص ٦٤.

٢. اورده لسان العرب ج ٤ ص ٤١٣/ مادة شعر.

٣. الانعام ـ ١.

٤. تأجيل العنين سنة مروىّ وافق به اخرج الرواية للحميرى فى قرب الاسناد ص ٥٠ والطوسى فى التهذيب ج ٧ ص ٤٣١ ح ٣٠ والاستبصار ج ٣ ص ٢٤٩ ح ٤ ورواه القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ج ٢ ص ٢٣١ ح ٨٦٩ عن على (ع) واخرجه احمدبن محمدبن عيسى فى النوادر عنه البحار ج ١٠٣ ص ٣٦٤ ح ١٧ والكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٤١١ ح ٧ والطوسى بروايتين فى التهذيب ج ٧ ←

الذكر والأنثى في البشر وغيره، وإلّا لما حصل نسل.

هذا، وفي المروج عن يموت بن المزارع ابن اخت الجاحظ في ذكر علّته الّتي مات فيها: وكان يطلى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدّة حرارته، والنّصف الآخر لوقرض بالمقاريض ما شعر به من خدره وبرده.[1]

«مؤلّف بين متعادياتها. مقارن بين متبايناتها» قال تعالى: «ألم تر أنّ الله يُزجي سحاباً ثمّ يؤلّف بينه ثمّ يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله..»[2].

«مقرّب بين متباعداتها» بجعل أسباب لذلك، وفي توحيد المفضّل: لوكان فرج الرّجل مسترخياً كيف كان يصل إلى قعر الرّحم حتّى يفرغ النّطفة فيه، ولو كان منعظاً أبداً كيف كان الرّجل يتقلّب في الفراش أو يمشي بين النّاس وشيء شاخص أمامه. ثمّ يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشّهوة في كلّ وقت من الرّجال والنّساء جميعاً فقدرالله جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لايبد وللبصر في كل وقت ولايكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه قوّة الإنتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه من دوام النّسل وبقائه.[3]

«لايشمل بحدّ، ولايحسب بعدّ» وفي التّحف: **«أحد لابتأويل عدد. صمد**

←

ص ٤٢٩ ح ٢٠ وص ٤٣١ خ ٢٧ والاستبصار ج ٣ ص ٢٤٩ ح ١ وص ٢٥١ ح ٣ عن الباقر(ع) واخرجه احمدبن محمدبن عيسى فى النوادر عنه البحار ج ١٠٣ ص ٣٦٦ ح ٢٦ والكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٤١١ ح ٥ والطوسى فى الاستبصار ج ٣ ص ٢٤٩ ح ٣ ورواه القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ج ٢ ص ٢٣٢ ح ٨٧٠ عن الصادق (ع) واخرجه الطوسى فى التهذيب ج ٧ ص ٤٣١ ح ٢٩ عن ابى الصباح والظاهر انه حدثه عن الصادق (ع) واخرجه صاحب فقه الرضا (ع) عنه البحار ج ١٠٣ ص ٣٦٢ ح ١٠ واخرجه الصدوق فى المقنع ص ٢٦ بلاعزو ورواه موقوفاً ابن حجر فى بلوغ المرام ص ٢١٢ ح ١٠٤١ عن عمر ومالك فى الموطأ ص ٥٢٨/ عن سعيدبن المسيب واما الفتوى فتقلها العلامة الحلى فى المختلف ص ٥٥٥ عن الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسى وابن زهرة وبتفصيل عن ابن الجنيد ونقله الوزير فى الافصاح ج ٢ ص ٣٤٠ عن مالك وابى حنيفة والشافعى واحمد.

١. مروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ١٠٩.

٢. النور ـــ ٤٣.

٣. توحيد المفضل ص ٦٩.

لابتبعيض بدد.»[١]

«**وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها**» الظّاهر وقوع سقط في الكلام لعدم ذكر حكم للأدوات والآلات قبل حتى يقال بعد «وإنّما» ــ إلخ ــ ويشهد للسّقط أنّ في التّحف[٢] وخطبة الرّضا عليه السّلام[٣] ومجالس الشّيخ[٤] قبل هذا الكلام: «له معنى الرّبوبيّة إذ لامربوب، وحقيقة الإلهيّة إذلامألوه، ومعنى العالم ولامعلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السّمع ولامسموع. ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائية. كيف ولا تغيبه مذ، ولاتدنيه قد، ولا تحجبه لعل، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع» لكنّ في الأخير بدل قوله: «ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة»: «ولا من حيث أحدث استفاد معنى المحدث».

وحينئذ يكون معنى قوله: «**وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**» أنّ هذه الأدوات والآلات أي مذ، وقد، ولعلّ، ومتى، وحين، ومع إنّما تعيّن الحدّ لأنفسها من الممكنات، وتشير إلى نظائرها من المخلوقات، ولايمكن أن تحدّ البارى تعالى وتشير إليه ــ جلّ وعلا.

هذا، وزاد التّحف بعد «**إلى نظائرها**» «وعن الفاقة تخبر الأداة، وعن الضدّ يخبر التضادّ، وإلى شبهه يؤول الشّبيه، ومع الأحداث أوقاتها، وبالأسماء تفترق صفاتها، ومنها فصّلت قرائنها، وإليها آلت أحداثها»[٥].

«**منعتها منذ**» تخفف «منذ» فيقال «مذ». قال: «وما زلت أبغى المال مذأنا يافع»[٦]. مع أنّ التحف بدّلها بها.[٧]

---

١. تحف العقول ص ٦٣.

٢. تحف العقول ص ٦٥.

٣. هذه خطبة للرضا (ع) خطبها عند المأمون والفاظه نحو رواية تحف العقول عن على (ع) روى هذه الخطبة الصدوق فى التوحيد ص ٣٤ ح ٢ وفى العيون ج ١ ص ١٢٥ والطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٨ والفقرة فى التوحيد ص ٣٨ والعيون ص ١٢٥ والاحتجاج ج ٢ ص ٤٠٠.

٤. امالى ابن على الطوسى ج ١ ص ٢٣/ جزء ١ ورواية ابن على ايضاً عن الرضا (ع).

٥ و ٦. تحف العقول ص ٦٦.

٧. اورده السيوطى ونسبه الى الاعشى فى شواهد المغنى ج ٢ ص ٧٥٧ ونقل فيه ج ٢ ص ٥٧٦ عن ابن ←

«القدميّة» هكذا في المصرية، والصواب «القدمة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[1].

«وحمتها» أى منعتها «قد» في اللّسان: قال الخليل: هى (أى قد) جواب لقوم ينتظرون الخبر أو لقوم ينتظرون شيئاً تقول: «قدمات فلان» ولو أخبره وهو لاينتظره لم يقل: «قدمات»، ولكن يقول: «مات فلان» وقيل: هى جواب قولك: «لمّا يفعل» فيقول. قد فعل. قال النّابغة:

أفدا لترحل غير أنّ ركابنا * لمّا تزل برحالنا وكأن قد

أي وكأن قد زالت، فحذف الجملة ثم قال ايضاً، وتكون «قد» مع الأفعال الآتية بمنزلة ربّما. قال الهذليّ:

قد أترك القرن مصفراً أنامله * كأنّ أثوا به مجّت بفرصاد

ثمّ قال أيضاً: وتكون «قد» بمنزلة «ما» فينفى بها سمع بعض الفصحاء يقول «قد كنت في خير فتعرفه»[2] وفي القاموس: لقد ستّة معان التّوقع «قد يقدم الغائب»، وتقريب الماضى من الحال «قد قام زيد»، والتّحقيق «قد أفلح من زكّاها»، والنّفى «قد كنت في خير فتعرفه» بنصب تعرف، والتّقليل «قد يصدق الكذوب»، والتّكثير «قد أترك القرن مصفراً أنامله»[3]

«الأزليّة» له تعالى.

«وجنّبتها لولا» الّتى تثبت النّقص فتقول: «نعم الرّجل فلان لولا فيه الشّيء الفلانيّ» وقال الشّاعر:

فلولاحصين غيبه أن أسوءه * وإنّ بنى سعد صديق ووالد

«التّكملة» أي كماله تعالى في ذاته، وجعل اللّسان التّكملة كالتّكميل

اسحاق بلفظ «اذ أنا يافع» وليس بشاهد حينئذ ونقل سيبويه فى الكتاب ج ١ ص ٢٣٩ بيتاً قريباً منه.

١. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢٠٦ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٣ ص ١٤٦ ايضاً «القدمية».

٢. لسان العرب ج ٣ ص ٣٤٦ و ٣٤٧/ مادة قدد.

٣. القاموس المحيط ج ١ ص ٣٢٦/ مادة قدد.

خطأ.[١]

هذا، وفي التحف بدل «وجنّبتها لولا التكملة»: «ونفت عنها لولا الجبريّة»[٢]

ثمّ إنّ (ابن أبي الحديد) قال: إنّ بعضهم نصب «القدمة» و «الأزليّة» و «والتكملة» على أنّها مفعول ثان، والأوّل الضّمائر المتصلة بالأفعال والفاعل «منذ» و «قد» و «لولا»، فيكون المعنى أنّ إطلاق «منذ» على الآلات والأدوات يمنعها عن كونها قديمة، واطلاق «لولا» عليها يمنعها من التّكملة. قال: وبعضهم رفع «القدمة» و «الأزليّة» و «التكملة» على الفاعليّة، وتكون الضّمائر مفعولاً أوّلاً و «منذ» و «قد» و «لولا» مفعولاً ثانياً، ويكون المعنى أنّ قدم البارى وأزليّته وكماله منعت الأدوات، والآلات من اطلاق «منذ» و «قد» و «لولا» عليه سبحانه.[٣]

وقال (ابن ميثم) بعد نقلها والرّواية الأولى أولى لوجودها في نسخة الرّضي[٤] بخطّه. قلت: والتحقيق أنّ الأفعال الثلاثة ليس لها إلّا مفعول واحد، وإنّما تتعدّى إلى مفعول آخر بواسطة «من» و «عن» وليستا في الكلام وإنّ «منذ» و «قد» و «لولا» بدل بعض من الضّمائر في «منعتها» و «حمتها» و جنّبتها» فيتعيّن كون «القدمة» و «الأزليّة» و «التّكملة» بالرّفع فواعل لأفعالها فقد عرفت من رواية التحف أنّ قبل قوله عليه السّلام «وإنّما تحدّ الأدوات» كان قوله عليه السّلام «ولا تغيبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعلّ، ولا توقّته متى، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع» وحينئذ فالأدوات والآلات عبارة عن «منذ» و «قد» و «لولا».

وفي كلام للحسين عليه السّلام: لا تحلّه في، ولا توقّته إذ، ولا تؤامره إن.[٥]

«بها تجلّى صانعها للعقول» قالت الشرّاح: معنى الجملة أنّ بمشاعرنا وخلقه

---

١. كذا قال ابن منظور فى لسان العرب ج ١١ ص ٥٩٨ / مادة كمل وقال بقوله ابن الحاجب فى متن الشافية ورضى الدين فى شرحه شرح الشافيه ج ١ ص ١٦٣ و ١٦٤.

٢. تحف العقول ص ٦٦.

٣. شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢٠٦ نقله بالمعنى.

٤. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٥٩.

٥. اخرجه ابن شعبة فى تحف العقول ص ٢٤٥ ضمن حديث طويل عن الحسين (ع).

تعالى إيّاها، وتصويره لها تجلّى صانعها لعقولنا بالعلم والقدرة[١]، فجعلوا الضّمير في «بها» للمشاعر مع أنّ الظّاهر أنّ الضّمير للأُمور والأشياء في قوله عليه السّلام «وبمضادّته بين الأمور» و «بمقارنته بين الأشياء» بعد قوله عليه السّلام: «وبتشعيره المشاعر».

ويشهد له أنّ قبل الفقرة في خطبة الرّضا عليه السّلام: «افترقت فدلت على مفرّقها، وتباينت فأعربت عن مباينها»[٢] فإنّ الضّمير في «افترقت» و «تباينت» للأُمور والأشياء قطعاً.

ويمكن أن يكون الضّمير في «بها» للتّشعير والمضادّة والمقارنة في الفقرات الثّلاث المتقدّمة.

«وبها امتنع عن نظر العيون» قال بعضهم: أي وبمشاعرنا استنبطنا استحالة كونه مرئياً بالعيون لأنّا بالمشاعر والحواسّ كملت عقولنا، وبعقولنا استخرجنا الدّلالة على أنّه لاتصحّ رؤيته.[٣]

وقال بعضهم: أي بايجاده المشاعر مدركة لحاسّة البصر ظهر امتناعه عن نظر العيون. قلت: وكلاهما كما ترى، والصّواب كون الضّمير في «وبها» راجعاً إلى العقول المذكورة قبله أي بالعقول وحكمها امتنع عن نظر العيون.[٤]

ويشهد له أيضاً أنّ التّحف زاد بعد الفقرة: «وإليها تحاكم الأوهام»[٥] ولاريب أنّ الضّمير في «وإليها» راجع إلى العقول، مع أنّه لو كان الضمير راجعاً إلى مرجع الأوّل لما احتاج إلى تكراره، وكان يقول: «وامتنع عن نظر العيون».

مع أنّك قد عرفت أنّ الضّمير الأوّل أيضاً غير راجع إلى المشاعر.

«لايجري عليه السّكون والحركة وكيف يجرى عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو

---

١. قال هذا المعنى ابن ابى الحديد فى شرحه ج ٣ ص ٢٠٧ وابن ميثم فى شرحه ج ٤ ص ١٥٩ والخوئى فى شرحه ج ٥ ص ١٥٣.

٢. التوحيد للصدوق ص ٣٩ والعيون للصدوق ج ١ ص ١٢٥ والاحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ٤٠٠.

٣. القائل ابن ابى الحديد فى شرحه ج ٣ ص ٢٠٦ والنقل بالمعنى ونقل ايضاً عنه ابن ميثم فى شرحه ج ٤ ص ١٦٠ مشيراً اليه ببعض الشارحين ويمكن نقل كليهما من شارح اقدم.

٤. القائل ابن ميثم فى شرحه ج ٤ ص ١٥٩ والنقل بالمعنى.

٥. تحف العقول ص ٦٦.

أبداه ويحدث فيه ما هو أحدثه إذن لتفاوتت ذاته ولتجزّأ كنهه» زاد التّحف [١] وخطبة الرّضا [٢] عليه السّلام قبله فقرات وفي آخرها «فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه».

«ولامتنع من الأزل معناه» زاد التّحف [٣]، وخطبة الرّضا عليه السّلام [٤] «ولما كان للبارىء معنى غير المبروء».

«ولكان له وراء إذ وجد له أمام» إذهما من الأمور الإضافية.

«ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان» كما هو شأن كلّ ساكن يتحرّك.

«وإذن لقامت آية المصنوع فيه» زادا قبله [٥] [٦] «كيف يستحقّ الأزل من لايمتنع من الحدث، وكيف ينشىء الأشياء من لايمتنع من الإنشاء» وزاد الأوّل [٧] «وكيف يستأهل الدّوام من تنقله الأحوال والأعوام».

«ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه» حسب دلالة المصنوع على الصّانع، والبناء على الباني.

«وخرج» مستأنفة، ولا يبعد أن يكون «وخرج» محرّف «قد خرج» فالفرق بينها في الخطّ قليل.

«بسلطان الامتناع من أن يؤثّر فيه ما يؤثّر في غيره» إذن لتساوى مع باقي الأشياء، «.. ليس كمثله شيء..» [٨].

«الّذي لايحول ولايزول، ولايجوز عليه الأفول»: أي الغيبة بشهادة العقول، أنّ كلّ آفل لايمكن أن يكون ربّاً، ولذا كان الخليل عليه السّلام لمّا رأى أُفول الكوكب والقمر والشّمس أنكر على عابديها بأفولها، وقال لهم: إنّي بريء ممّا

---

١ و ٣ و ٥ و ٧. تحف العقول ص ٦٧.

٢ و ٤ و ٦. التوحيد للصدوق ص ٤٠ والعيون للصدوق ج ١ ص ١٢٥ و ١٢٦ والاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٤٠٠.

٨. الشورى ــ ١١.

تعبدون من دونه تعالى.[1]

«ولم يلد» هكذا في المصريّة، والصّواب «لم يلد» بدون واو كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّية)[2] ولأنّ المقام مقام الفصل.

«فيكون مولوداً» كما هو شأن المتوالدة.

«ولم يولد فيصير محدوداً» فإنّ كلّ مولود محدود.[3]

«جلّ عن اتّخاذ الأبناء» ردّ على اليهود في قولهم (عزير ابن الله) وعلى النّصاري في قولهم «المسيح ابن الله»[4] وعلى الوثنيّين في قولهم «إنّ الملائكة بنات الله»[5]. قال تعالى: «وقالوا اتّخذ الرّحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون»[6].

وورد أنّ اليهود والنّصارى حضروا عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله للمحاجّة. فقال لليهود: ما الّذي دعاكم إلى القول بأنّ عزير ابن الله قالوا لأنّه أحيا لبني إسرائيل التّوراة بعد ما ذهبت، ولم يفعل به هذا إلّا لأنّه ابنه. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: فكيف صار عزير ابن الله دون موسى، وهو الّذي جاءهم بالتّوراة ورئي منه من المعجزات ما قد علمتم، ولئن كان عزير ابن الله لأظهر من إكرامه بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوّة أولى وأحقّ، ولئن كان هذا المقدار من الكرامة لعزير يوجب أنّه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى يوجب له منزلة أجلّ من البنوّة، لأنكم إن كنتم إنّما تريدون بالبنوّة الدّلالة على سبيل ما تشاهدون في دنياكم هذه من ولادة الأُمّهات الأولاد بوطىء آبائهم لهنّ، فقد كفرتم بالله وشبّهتموه بخلقه وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأنّ له خالقاً صنعه وابتدعه. قالوا: لسنا نعني هذا فإنّ هذا

---

١. ما نقل عن الخليل (ع) مقتبس من قوله تعالى في الانعام ــ ٧٥ ــ ٧٨.
٢. كذا في شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢٠٧ لكن في شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٧ ايضاً «ولم يلد».
٣. الفقرتان مأخوذتان من قوله تعالى «لم يلد ولم يولد» الاخلاص ــ ٣.
٤. قول اليهود في عزير والنصارى في المسيح (ع) جاء في قوله تعالى التوبة ــ ٣٠.
٥. هذا مفهوم عن قوله تعالى في النحل ــ ٥٧ والزخرف ــ ١٦ والطور ــ ٣٩ والانبياء ــ ٢٦ ــ ٢٩.
٦. الانبياء ــ ٢٦.

كفر كما قلت، لكنّا نعني أنّه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة كما يقول بعض عظمائنا لمن يريد إكرامه وابانته بالمنزلة من غيره «يا بنيّ» و «إنّه ابني» لاعلى إثبات ولادته منه، لانّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبيّ ولانسب له بينه وبينه.

وكذلك لمّا فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتّخذه إبناً على الكرامة لاعلى الولادة فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله فهذا ما قلته لكم إنّه إن وجب على هذا القول أن يكون عزير ابنه فإنّ هذه المنزلة بموسى أولى، وإنّ الله يفضح كلّ مبطل باقراره ويغلب على حجّته إن ما احتججتم به يؤدّيكم إلى ما هو أكثر ممّا ذكرته، لأنكم قلتم إنّ عظيماً من عظمائكم يقول لأجنبيّ لانسب بينه وبينه يا بنيّ لاعلى طريق الولادة فقد تجدون هذا العظيم يقول لأجنبي آخر «هذا أخي» ولآخر «هذا شيخي وأبي» ولآخر «هذا سيّدي» و «يا سيّدى» على سبيل الإكرام وإنّ من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذن يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله وشيخاً له أو أباً وسيّداً لأنّه قد زاده في الإكرام ممّا لعزير فبهتوا.

ـ إلى أن قال ـ ثم أقبل على النّصارى وقال لهم: وأنتم قلتم إنّ القديم عزّوجلّ اتّحد بالمسيح ابنه ما الّذي أردتموه بهذا القول. فإن أردتم بأنّ القديم صار محدثاً فقد أبطلتم لأنّ القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً، وإن أردتم أنّ المحدث صار قديماً فقد أحلتم لأنّ المحدث أيضاً محال أن ينقلب فيصير قديماً، وإن أردتم بقولكم «اتّحد به» أنّه اختصّه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى، وبحدوث المعنى الّذي اتّحد به من أجله، فقالوا لمّا أظهر الله على يده من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتّخذه ولداً على جهة الكرامة.

فقال لهم الرسول صلّى الله عليه وآله فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى وأعاده، فقال رجل منهم: قولنا «عيسى بن الله» كقولك «ابراهيم خليل الله» فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: إنّما سمّاه الله تعالى خليلاً لما قال لجبرئيل لمّا لقيه في الهواء: لاحاجة لي إلاّ إليه، والخليل من الخلّة وهي الفاقة، وذلك لايوجب تشبيهاً بخلقه، والخلّة يمكن أن تسلب والولادة لايمكن أن تسلب، ثمّ يجب على قولكم أن يجوز أن يقال ذلك لموسى.

فقال بعضهم: في الكتب المنزلة أنّ عيسى قال «اذهب إلى أبي» فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله إن كنتم تعملون بذاك الكتاب ففيه «اذهب إلى أبي وأبيكم» فقولوا: إنّ جميع مخاطبيه أيضاً كانوا أبناء الله وما يدريكم لعلّه عنى «اذهب إلى آدم ونوح» برفعه الله إليه وجمعه بينه وبينهما وهما أبواه وأبواهم، فكستوا.[1]

«وطهر عن ملامسة النّساء» «ولم يكن له كفواً أحد»[2] «أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم»[3] «وأنّه تعالى جدّ ربّنا ما اتّخذ صاحبة ولا ولداً»[4].

«لاتناله الأوهام» أي الخيالات.

«فتقدّره» أي تعيّن له مقداراً بتخمينها.

«ولا تتوهّمه الفطن» بالكسر فالفتح جمع الفطنة.

«فتصوّره» أي تعيّن له صورة بحدسها.

«ولا تدركه الحواسّ» جمع الحاسّة والمراد السّامعة والباصرة والشّامّة واللّامسة.

«فتحسّه» أي تجعله من محسوساتها.

«ولا تلمسه الأيدي فتمسّه» ذكر الأيدي بعد الحواسّ من ذكر الخاصّ بعد العامّ، وأمّا الخبر «يده بيدالله يرفعه»[5] فاستعارة.

---

١. اخرجه صاحب تفسير العسكري فيه ص ٢٤٤ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ١ ص ٢٣ والنقل بتلخيص وتصرف.
٢. الاخلاص ـ ٤.
٣. الانعام ـ ١٠١.
٤. الجن ـ ٣.
٥. اخرجه الشريف الرضي في نهج البلاغة ج ٤ ص ٦/ حكمة ١٩ ولفظه «يدالله بيده يرفعه».

«لا يتغيّر بحال» كالإنسان يكون أوّلاً طفلاً، ثمّ شاباً، ثمّ شيخاً.

«ولا يتبدّل بالأحوال» هكذا في المصريّة، والصّواب «في الأحوال» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة).[1]

«ولا تبليه» أي لا تجعله بالياً.

«اللّيالي والأيّام» كما تبليان الإنسان والحيوان والنّبات.

«ولا يغيّره الضّياء والظّلام» فهو متجلّ بالوجود في الظّلام كالضّياء، ومستور بالكنه في الضّياء كالظّلام.

«ولا يوصف بشيء من الأجزاء» حتّى الأجزاء العقليّة فعلمه وقدرته عين ذاته.

«ولا بالجوارح والأعضاء» وأمّا قوله تعالى «.. يد الله فوق أيديهم..»[2] فهو استعارة.

«ولا بعرض من الأعراض» كأبيض يصير أسود أو أحمر أو أخضر أو أصفر، وسليم يصير سقيماً.

«ولا بالغيريّة والأبعاض» فليست سميعيّته غير بصيريّته كما أنّ السّمع ليس بعضاً منه، ولا البصر بعضاً منه كما هو كذلك في خلقه.

وفي خبر الصّادق عليه السّلام مع الزّنديق: ليس قولي: «إنّه سميع بصير» أي يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، إنّه شيء والنّفس شيء آخر، وإنّما أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً وافهاماً لك إذ كنت سائلاً. فأقول: إنّه سميع بكلّه لا أنّ الكلّ منه له بعض ولكنّي أردت إفهامك والتّعبير عن نفسي.[3]

---

١. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٣ ص ٢٠٧ ولكن في شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٧ ايضاً «بالاحوال».

٢. الفتح ــ ١٠.

٣. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٩ ح ٢ والصدوق بطريقين في التوحيد ص ١٤٤ ح ١٠ وص ←

«ولا يقال له حدّ ولا نهاية» فكلّ ذي روح له حد ونهاية في حياته الطبيعية.

«ولا انقطاع ولا غاية» كما ليس له أوّل وبداية.

«ولا أنّ الأشياء تحويه» أي تجمعه وتستولى عليه.

«فتقلّه»: أي ترفعه يقال: أقلّ الجرّة إذا أطاق رفعها.

«أو تهويه» أي تخفضه.

«أو أنّ شيئاً يحمله فيميله أو يعدّله» أي ليس محمولاً على شيء حتّى يميله أو يعدّ له على ظهره من غير ميل.

«وليس» هكذا في المصرية، والصّواب «ليس» بدون واو كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّية).[1]

«في الأشياء بوالج» أي داخل.

«ولا عنها بخارج» فإنّ ذلك صفة مخلوقه بل كما قال هو تعالى: «يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها..»[2].

«يخبر لا بلسان ولهوات» اللّهوات جمع اللّهاة: اللّحمة في أقصى سقف الفم.

«ويسمع لا بخروق» أي خروق الآذان.

«وأدوات» يتركّب منها السّامعة.

روى الفتح الجرجانيّ عن الهاديّ عليه السّلام قال: سميّ ربّنا سميعاً

---

٢٤٥ ج ١ وروى هذا الحديث الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٢ لكن توجد فيه هذا القطعة وقد مر فى عنوان ٢ من هذا الفصل.

١. كذا فى شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٧ لكن يوجد الواو فى شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢٠٨.

٢. سبأ ــ ٢.

لابخرت فيه يسمع به الصّوت، ولايبصر به كما أنّ خرتنا الّذي به نسمع لانقوى به على البصر، ولكنّه أخبر أنّه لايخفى عليه شيء من الأصوات، وهكذا البصر لابخرت منه أبصر كما أنّا نبصر بخرت منّا لاننتفع به في غيره.[١]

«يقول ولايلفظ» أي لايكون قوله خارجاً من فم.

ومن أمثالهم «أسمح من لافظة»[٢] قيل: المراد باللّافظة العنز، إنّها تشلى للحلب وهي تجترّ فتلفظ بجرّتها، وتقبل فرحاً منها بالحلب، وقيل: المراد بها الطّيور الّتي تزقّ فراخها لأنّها تخرج ما في جوفها وتطعمها، وقيل: المراد بها الديك لأنّه يلفظ الحبّ من منقاره لدجاجة، وقيل: المراد بها الرّحى لأنّها تلفظ ماصبّ فيها، وقيل: المراد بها البحر لأنّه يلفظ بالعنبر والجوهر.

«ويحفظ» كلّ شيء.

«ولايتحفّظ» بالقوّة الحافظة مثلنا.

«ويريد» شيئاً.

«ولايضمر» في النّفس مثلنا.

«يحبّ ويرضى من غير رقّة» له تحصل في القلب مثلنا.

«ويبغض» وفي الكافي عن الصّادق عليه‌السّلام: ما من شيء ممّا أحلّه الله عزّوجلّ أبغض إليه من الطّلاق، وإنّ الله يبغض المطلاق الذوّاق.[٣]

---

١. اخرجه ضمن حديث طويل الكليني في الكافي ج ١ ص ١٢١ ح ٢ عن علي بن محمد مرسلاً عن ابي الحسن الرضا (ع) واخرجه الصدوق في التوحيد ص ١٨٨ ح ٢ والعيون ج ١ ص ١٢١ ح ٥٠ باسناده عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا (ع) ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٣٩٧ بلااسناد عن الرضا (ع) لكن ليس في رواية الطبرسي هذه القطعة واما قول الشارح الفتح الجرجاني عن الهادي (ع) فسهو وهو حديث آخر.

٢. اورده الميداني في مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٥٣ والزمخشري في المستقصى ج ١ ص ١٧١.

٣ رواه الكليني في الكافي ج ٦ ص ٥٤ ح ٢ وصاحب تحفة الاخوان عنه المستدرك ج ٣ ص ٢/ باب ١ ح ٣ وروى معناه كثيراً.

«ويغضب» في الخبر: لا يغضب تعالى كغضبه لظلم الضّعيفين النّساء والأطفال.[١]

وروى الكافي عن الباقر والصّادق عليهما السّلام عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: صدقة السّر تطفىء غضب الربّ.[٢]

«من غير مشقّة» أي غضبه ليس كغضبنا بتأثّر وانقلاب في النّفس يوجب المشقّة. قال الباقر عليه السّلام في قوله سبحانه: «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى»[٣] أنّ غضبه هو عقابه لا أنّه استفزّه شيء.[٤]

«يقول لمن» هكذا في المصريّة والصّحيح «لما» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة).[٥]

«أراد كونه» أي وجوده.

«كن فيكون» أي فيوجد.

---

١. اخرج هذا المعنى الحميرى فى قرب الاسناد ص ٤٤ والكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٥١١ ح ٣ والبيهقى فى شعب الايمان عنه الجامع الصغير ج ١ ص ٨ والصدوق فى الفقيه ج ٣ ص ٢٤٨ ح ١ والخصال ج ١ ص ٣٧ ح ١٣ وغيرهم.

٢. اخرجه صاحب مسند زيد فيه ص ١٩٩ وابن الاشعث سننه ص ٥٦ والصدوق فى الفقيه ج ٢ ص ٣٨ ح ٨ ومعانى الاخبار ص ٢٦٤ ح ١ والطوسى فى التهذيب ج ٤ ص ١٠٥ ح ٣٣ والطبرانى وابن ابى الدنيا فى قضاء الحوائج والبيهقى فى شعب الايمان والاصبهانى فى الترغيب عنهم الدر المنثور ج ١ ص ٣٥٤ وابن عساكر فى التاريخ عنه الجامع الصغير ج ١ ص ٩١ ورواه القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٤١ والراوندى فى النوادر عنه البحار ج ٩٦ ص ١٨١ ح ٢٧ عن النبى (ص) ورواه الصدوق فى ثواب الاعمال ص ١٧٢ ح ١ والاربلى فى كشف الغمة ج ٢ ص ٢٨٩ عن السجاد (ع) والاهوازى فى الزهد ص ٣٦ ح ٩٤ عن الباقر (ع)، والصدوق فى ثواب الاعمال ص ١٧٢ ح ١ عن الصادق (ع) واما الكلينى فأخرجه بروايتين فى الكافى ج ٤ ص ٧ ح ١ وص ٨ ح ٣ عن الباقر (ع) عن النبى (ص) ومعنى الحديث روى كثيراً.

٣. طه ــ ٨١.

٤. اخرج هذا المعنى الصدوق فى التوحيد ص ١٦٨ ح ١ ومعانى الاخبار ص ١٨ ح ١ ورواه الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢٢ عن الباقر (ع).

٥. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢٠٨ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٨ ايضاً «لمن».

«لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع» كما في أقوال النّاس بعضهم مع بعض. فإنّ كلامهم أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع، وليس كلامه تعالى ــ والمراد كلامه التكوينيّ ــ كذلك ليس فيه صوت يقرع ولا نداء يسمع، بل هو فعله وخلقه كما قال.

«وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثّله» فله تعالى صفات ذات كالعلم والقدرة، وصفات فعل كالمشيئة والإرادة وكلامه مع خلقه.

«لم يكن» أي ذاك الفعل الّذي أنشأه ومثّله.

«من قبل ذلك» أي أنشأه تعالى.

«كائناً»: اي موجوداً.

«ولو كان قديماً» أي وجد قبل.

«لكان إلهاً ثانياً» مع الله تعالى وقلنا: إنّ مراده عليه السّلام كلامه تعالى التّكويني وأمّا كلامه التّكليفيّ مع ملائكته ورسله فبايجاده الكلمات. في خبر عن الرّضا عليه السّلام في موسى (ع): لمّا كلّمه الله تعالى، وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّوجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمأة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمأة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى عليه السّلام إلى الطّور، وسأل الله تعالى أن يكلّمه، ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى وسمعوا كلامه من فوق وأسفل، ويمين وشمال، ووراء وأمام، لأنّ الله عزّوجلّ أحدثه في الشجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها، حتّى سمعوه من جميع الوجوه ــ الخبر[1].

---

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ١٢١ ح ٢٤ وضمن حديث طويل فى العيون ج ١ ص ١٥٩ ح ١ ورواه الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٤٢٩ عن الرضا (ع) وروى معناه المرتضى فى تنزيه الانبياء ص ١٧٥ بلاعزو.

وفي كتاب أخطب خوارزم عن ابن عمر قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وقد سئل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال: بلغة عليّ بن أبي‌طالب. فألهمني أن قلت: أخاطبتني أنت أم عليّ؟ فقال: يا محمّد أنا شيء لا كالأشياء. لا أقاس بالنّاس، ولا أوصف بالأشياء. خلقتك من نوري، وخلقت عليّاً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك، فلم أجد إلى قلبك أحبّ من عليّ بن أبي‌طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك.[1]

ويمكن أن يكون قوله عليه‌السّلام «**وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثّله**» إشارة إلى كلامه التّكليفيّ الّذي قلنا، لكن مع وقوع تحريف فيه، وأنّ الأصل «**وأمّا كلامه سبحانه فقول منه أنشأه ومثّله**» وحينئذ فقوله بعد «**لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان لكان إلهاً ثانياً**» معناه أنّ كلامه تعالى لمّا كان صفة فعله ليس بقديم، ولو كان قديماً وهو غيره صار إلهاً ثانياً، وفي خبر أبي بصير عن الصّادق عليه‌السّلام قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟ قال: فقال: إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة كان‌الله تعالى ولا متكلّم.[2]

ومن كلامه عليه‌السّلام يظهر بطلان مذاهب الحنابلة، والكراميّة، والأشاعرة. قالت الحنابلة: إنّ كلامه تعالى حروف وأصوات قديمة، وقالت الكراميّة: إنّ كلامه تعالى صفة له مؤلّفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته، وقالت الأشاعرة كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته قديمة.[3]

هذا، وفي ملل الشّهرستانيّ في ذكر انفرادات الجبائي وابنه ابي‌هاشم قال: إنّهما حكما بكونه تعالى متكلّماً بكلام يخلقه في محلّ، وحقيقة الكلام عندهما اصوات مقطعة وحروف منظومة، والمتكلّم من فعل الكلام لا من قام به الكلام، إلّا ان الجبائي خالف اصحابه خصوصاً بقوله يحدث الله تعالى عند كلّ قارىء كلاماً لنفسه في محلّ القراءة وذلك حين ألزم أنّ الّذي يقرؤه القاريء ليس

---

١. اخرجه الخوارزمى فى المناقب ص ٣٧.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ١٠٧ ح ١ والصدوق فى التوحيد ص ١٣٩ ح ١ وقريباً منه ابوعلى الطوسى فى اماليه ج ١ ص ١٧٠/ جزء ٦.

٣. نقل هذه المقالات الفاضل السيورى فى ارشاد الطالبين ص ٢١٩ لكن نسبة المقالة المذكورة الى الكرامية باطلاقها مشكل كما يظهر لك من الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٩٩ ــ ١٠٣.

بكلام الله، والمسموع منه ليس من كلام الله، فالتزم هذا المحال من إثبات أمر غيرمعقول ولا مسموع وهو اثبات كلامين في محلّ واحد.[١]

«لا يقال كان بعد أن لم يكن» يعني أنّ قولنا «كان» في «كان الله سميعاً بصيراً»[٢] و«كان الله عليماً حكيما»[٣] بمعنى الإستمرار لا بمعنى «صار» وإلّا لزمت بواطل:

أحدها «فتجرى عليه الصّفات المحدثات» قال (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وروي «صفات المحدثات»[٤]: أي بالإضافة، وكيف كان فوجه جريان المحدثات عليه حينئذ إنّ شيئاً لم يكن ثمّ كان محدثاً.

وثانيها «ولا يكون بينها» أي المحدثات.

«وبينه» تعالى.

«فصل» لكونه مثلها في السّبق بالعدم.

وثالثها «ولا له عليها فضل» بدوام الوجود.

«فيستوي الصّانع والمصنوع» في كونه معدوماً أوّلاً.

«ويتكافأ المبتدع» قال (ابن ميثم): وفي نسخة الرّضيّ «المبدع» بفتح الدّال.[٥]

«والبديع» أي الله تعالى. قال عزّوجلّ: «بديع السّموات والأرض..»[٦].

«خلق الخلائق على غيرمثال خلا» أي مضى.

---

١. الملل والنحل ج ١ ص ٧٤.

٢. النساء ــ ١٣٤.

٣. النساء ــ ١٧ و ٩٢ و ١٠٤ و ١١١ و ١٧٠ والفتح ــ ٤.

٤. نقل ابن ابى الحديد هذه الرواية فى شرحه ج ٣ ص ٢١٠ لكن لم نجدها فى شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٧٣ وسائر الصفحات.

٥. شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٧٤.

٦. البقرة ــ ١١٧.

«عن غيره» كيـف لا، ولم يكن موجوداً غيره تعالى فكيف يكون منـه له مثال.

«ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه» فلم يكن خلق حتّى يستعين بهم في خلقه.

«وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال» بإمساكها عن فعل آخر كأحدنا إذا أمسك شيئاً يشتغل بـه عن شيء آخر «إنّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده..»[1]

«وأرساها» أي أثبتها.

«على غير قرار» لها فإنّها تتحرّك في الفضاء وتدور.

«وأقامها بغير قوائم» جمع القائمة.

«ورفعها» في الفضاء كباقي الكرات.

«بغير دعائم» جمع الدّعامة أي العماد لها.

«وحصّنها» بالتّشديد أي أحكمها.

«من الأود» أي الميل والانحناء عن مدارها.

«والإعوجاج» بالخروج عن مركزها.

«ومنعها من التّهافت» أي التّساقط قطعة قطعة.

«والإنفراج» اي الإنكشاف. قال: له فرجة كحل العقال.[2]

---

١. فاطر ـــ ٤١.

٢. اورده اساس البلاغة ص ٣٣٧/ مادة خرج ولسان العرب ج ٢ ص ٣٤١/ مادة خرج والشاعر اميّة ابن ابي الصلت والبيت بتمامه في عنوان ٣٥ من هذا الفصل.

«أرسى» أي أثبت.

«أوتادها» وهي جبالها قال تعالى: «والجبال أرسيها»[١].

«وضرب أسدادها» حتى لايختلط شيء منها بشيء آخر. قال تعالى: «مرج البحرين يلتقيان؛ بينهما برزخ لايبغيان»[٢] «أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً، ءَإلهٌ مع الله بل أكثرُهُم لايعلمون»[٣].

«واستفاض» يقال: فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال.

«عيونها»: أي ينابيعها «أخرج منها ماءها ومرعيها»[٤].

«وخدّ» أي شقّ وحفر.

«أوديتها» جمع الواديّ، وفي اللّسان عن ابن سيدة: الوادي كلّ مفرج بين الجبال والتّلال والآكام سمّى بذلك لسيلانه يكون مسلكاً للسّيل ومنفذاً. قال ابوالربيس التّغلبي:

لاصلح بيني فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كنا بنجد وما * قرقر قمر الواد بالشاهق[٥]

وقوله عزّوجلّ: «ألم تر أنّهم في كلّ واديهيمون»[٦] ليس يعنى أودية الأرض إنّما هو مثل لشعر الشعراء كما تقول: أنا لك في واد، وأنت لى في واد، أي يقولون في الذم ويكذبون، وفي المدح ويكذبون، وجمع الوادي أوداء وأودية وأوداية. قال: «واقطع الابجر والأوداية».[٧]

١. النازعات ــ ٣٢.
٢. الرحمن ــ ١٩ و ٢٠.
٣. النمل ــ ٦١.
٣. النازعات ــ ٣١.
٤. لسان العرب ج ١٥ ص ٣٨٤/ مادة ودى.
٥. الشعراء ــ ٢٢٥.
٦. لسان العرب ج ١٥ ص ٣٨٥/ مادة ودى.

«فلم يهن» أي لم يضعف.

«ما بناه» «والسّماء بنيناها بأيد وإنّا لموسعون؛ والأرض فرشناها فنعم الماهدون»[١].

«ولاضعف ما قوّاه» «وبنينا فوقكم سبعاً شداداً؛ وجعلنا سراجاً وهّاجاً»[٢]؛ «ءأنتم أشدّ خلقاً أم السّماءُ بَنٰيها؛ رفع سَمْكَها فسوّيها؛ وأغطش ليلها وأخرج ضُحٰيهَا؛ والأرض بعد ذلك دَحٰيهَا»[٣].

«هو الظّاهر عليها» الضّمير في «عليها» راجع إلى «الأرض» في قوله: «وأنشأ الأرض» أو إلى «الخلائق» في قوله: «خلق الخلائق» والأوّل أقرب لفظاً، والثّاني معنى.

«بسلطانه وعظمته» يتصرّف فيها ما يشاء كيف يشاء.

«وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته» «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»[٤].

«والعالى على كلّ شيء منها بجلاله وعزّته» «.. والله غالب على أمره ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون»[٥].

«ولايعجزه شيء منها طلبه» ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء»[٦] «ولا يؤده حفظهما وهو العليّ العظيم»[٧].

---

١. الذاريات ــ ٤٨.
٢. النبأ ــ ١٢ و١٣.
٣. النازعات ــ ٢٧ــ ٣٠.
٤. ق ــ ١٦.
٥. وسف ــ ٢١.
٦. الاحقاف ــ ٣٢.
٧. البقرة ــ ٢٥٥.

«ولا يمتنع» شيء.

«عليه فيغلبه» ذلك الشيء. قال تعالى: «فلولا إنّ كنتم غير مدينين؛ ترجعونها إن كنتم صادقين»[١].

«ولا يفوته السّريع منها» كما يفوتنا كثير من الأشياء السّريعة.

«فيسبقه» فلا يلحقه «.. يا أيّها النّاس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدّنيا ثمّ إلينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون»[٢] وفي الخبر أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا أري ملكوت السّموات والأرض فالتفت ثلاثاً ورأى رجالاً يزنون فدعا عليهم فماتوا أوحى تعالى إليه إنّي خلقتهم على أصناف عبد يعبد غيري فلن يفوتني ــ الخبر.[٣]

«ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه» «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون؛ ما أُريد منهم من رزق وما أُريد أن يطعمون؛ إنّ الله هو الرزّاق ذوالقوّة المتين»[٤].

«خضعت الأشياء له، وذلّت مستكينة لعظمته» «قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين؛ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواء للسّائلين؛ ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين؛ فقضيهُنّ سبع سموات في يومين وأوحىٰ في كلّ سماءٍ أمرها وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيحَ وحِفظاً ذلك تقديرُ العزيز العليم»[٥].

«لا يستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فيمتنع من نفعه وضرّه» فهرب موسى

١. الواقعة ــ ٨٦ و ٨٧.
٢. يونس ــ ٢٣.
٣. روى بطرق عديدة عن النبي (ص) وعن الصادق (ع) وعن سلمان وعطاء وشهربن حوشب مر تخريجه في عنوان ٢٢ من هذا الفصل.
٤. الذاريات ــ ٥٦ ــ ٥٨.
٥. فصلت ــ ٩ ــ ١٢.

عليه السلام من مصر لمّا خاف أن يقتله فرعون فورد ماء مدين وامتنع من أن تناله يدفرعون[١]، وهرب النّبيّ صلّى الله عليه وآله من مشركي مكّة لمّا أرادوا قتله، فلمّا ورد المدينة أمن من أذاهم[٢]، وكثير من النّاس إذا لم يرضوا بسلطانهم يخرجون من مملكته فيمتنعون من نفعه وضرّه وأمّا هو تعالى فالأرض والسّماء في سلطانه والبرّ والبحر من مملكته «قل من ذا الّذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أوأراد بكم رحمة..»[٣] «قل إنّي لاأملك لكم ضرّاً ولارشداً؛قل إنّي لن يُجيرَني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلتحَداً»[٤].

«ولاكُفْءَله فيكافئه» كيف وهو الخالق وغيره مخلوق.

«ولانظير له فيساويه» «..ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير»[٥].

«هو المفني لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها» «كلّ من عليها فان؛ ويبقىٰ وجه ربّك ذوالجلال والاكرام»[٦].

«وليس فناء» هكذا في النّسخ[٧]، والظّاهر أنّ الأصل «افناء».

«الدّنيا بعد ابتداعها» وخلقها.

«بأعجب من إنشائها واختراعها» كيف لا والإيجاد أصعب من الإخراب فاستبعاد من استبعد إخراب هذه الأفلاك من قصر نظره وضعف بصره.

«وكيف» لايكون الإنشاء والإفناء مختصّين به تعالى.

---

١. جاءت القصة فى اوائل سورة القصص.

٢. القصة مشهورة فى كتب السيرة والتاريخ واشار اليها فى قوله تعالى التوبة ــ ٤٠.

٣. الاحزاب ــ ١٧.

٤. الجن ــ ٢١ و ٢٢.

٥. الشورى ــ ١١.

٦. الرحمن ــ ٢٦ و ٢٧.

٧. كذا فى نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٤ وشرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢١١ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٩.

«لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها» البهائم جمع البهيمة، وفي اللّسان البهيمة: كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البرّ والماء ثم نقل عن الزّجاج: كلّ حيّ لا يميز بهيمة.[١]

«وما كان من مُراحها» بالضمّ، والمراد به ما أُريح من تعب الرّعى كالحمير والبغال والخيل.

«وسائمها» والمراد بالسائم ما ترعى كالأغنام وما من قبيلها، فالتقابل واقع بين المراح والسائم مثل الطير والبهائم، ولقد وقع (ابن أبي الحديد) وكثير منهم هنا في حيص وبيص وخبط وخلط.

«وأصناف أسناخها» أي أُصولها.

«وأجناسها» أي أنواعها فالضأن والمعز متّحدان بالأصل مختلفان بالنّوع.

«ومتبلّدة» من البلادة ضدّ الذّكاوة والكياسة، وقولهم بيضة البلد في الذمّ كقول حسّان في نفسه، وابن الفريعة: أمسى بيضة البلد[٢]، بكسر اللّام الوصف من البلادة، والمراد بالبلد فيه النّعامة فن أمثالهم «أحمق من نعامة»[٣]، قالوا: إنّها تنتشر للطعم فربّما رأت بيض نعامة قد انتشرت لمثل ما انتشرت هي له فتحضن بيضها وتنسى بيض نفسها. قال ابن هرمة:

كتاركة بيضها بالعراء * وملبسة بيض أُخرى جناحا[٤]

وقالوا أيضاً: أذلّ من بيضة البلد[٥]، وفسّر أُم البيض في قول الشّاعر:

وأتانا يسعى تفرس أمّ الـ * بيض شدأ وقد تعالى النّهار[٦]

١. لسان العرب ج ١٢ ص ٥٦/ مادة بهم.

٢. اورده لسان العرب ج ٧ ص ١٢٦ / مادة بيض وصدره «راى الجلابيب قد عزّو وقد كثروا» واحتمل ابن منظور كون البيت لرجل آخر يهجو حسّان.

٣. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ١ ص ٢٢٥ والزمخشرى فى المستقصى ج ١ ص ٨٥.

٤. اورده فى مجمع الامثال ج ١ ص ٢٢٥ والمستقصى ج ١ ص ٨٥ ونسبه الزمخشرى الى ابى دؤاد.

٥. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ١ ص ٢٨٥ والزمخشرى فى المستقصى ج ١ ص ١٣٢.

٦. اورده لسان العرب ج ١٢ ص ٣٢/ مادة أمم ونسبه الى ابى دؤاد.

بالنّعامة، وأمّا في المدح كقول أُخت عمروبن عبدود فيه عليه السّلام: «وكان يدعى أبوه بيضة البلد»[١]. فالبلد فيه بالفتح واحد البلاد كما أنّ البيضة في الأوّل بيضة الطيّر، وفي الثّاني بيضة الحديد الّتي يقال لها بالفارسيّة «كلاه خود»[٢] وقد خلطوا بينهما فقالوا: بيضة البلد يأتي للمدح والذم، والحقيقة ما عرفت.

هذا، وقد يأتي التبلّد في قبال التجلّد إذا كان تبلّده عارضياً من شدّة المصيبة. قال الشّاعر:

ألا لا تلمه إن يتبلداً ٭ فقد غلب المحزون أن يتبلّداً[٣]

«أممها» قال الجوهري: كلّ جنس من الحيوان أُمّة[٤]، وفي الحديث «لولا أنّ الكلاب أُمّة من الأمم لأمرت بقتلها»[٥].

قلت: لم خصّ الأُمّة بالحيوان وقد قال تعالى: «وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أُمم أمثالكُم..»[٦].

«وأكياسها»: أى أذكيائها، ومن أمثالهم «أكيس من قشّة»[٧] وهي جر

١. هذا شطر من بيتين مرّ فى شرح خطبة الرضى قد اشرنا الى اختلاف الفاظ الروايات وهذا اللفظ لابن ابى الحديد فى شرحه ج ١ ص ٧.

٢. «كلاه‌خود» آلة حربية حديدية تستعمل لوقاية الرأس فى العربية «البيضة» أو «الخوذة» والاخير معرب «خود» ايضاً.

٣. لسان العرب ج ٣ ص ٩٦/ مادة بلد.

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ١٨٦٤ / مادة أمم.

٥. هذا صدر حديث اخرجه الترمذى بطريقين فى سننه ج٤ ص٧٨ و٨٠ ح ١٤٨٦ و١٤٨٩ والنسائى فى سننه ج ٧ ص ١٨٥ وابوداود فى سننه ج ٣ ص ١٠٨ ح ٢٨٤٥ وابن‌ماجه فى سننه ج ٢ ص ١٠٦٩ ح ٣٢٠٥ والدارمى فى سننه ج ٢ ص ٩٠ واحمد فى مسنده ج ٥ ص ٥٤ و٥٦ بطريقين عن عبدالله بن مغفل عن النبى (ص) واخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير عنه منتخب كنزالعمال ج ٦ ص ١٤٥ ورواه من الشيعة بلااسناد ابوالفتوح فى تفسيره عن عبدالله بن مغفل عن النبى (ص) والاحسائى فى غوالى اللئالى عن النبى (ص) عنها المستدرك ج ٣ ص ٦٥ باب ٣٢ ح ٢ وشرحه ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص ١٣٣ والسندى فى حاشية سنن النسائى ج ٧ ص ١٨٥.

٦. الانعام ــ ٣٨.

٧. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ٢ ص ١٦٩ والزمخشرى فى المستقصى ج ١ ص ٢٩٧. قال الميدانى: «وهى جروالقرد ثم قال يضرب مثلاً للسوار خاصة».

والقرد كما أنّ من أمثالهم «أبلد من ثور ومن سلحفاة»[١].

«على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها» «.. إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له..»[٢].

«ولا عرفت كيف السّبيل إلى ايجادها» «أفرأيتم ما تمنون ءَأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون»[٣].

«ولتحيّرت عقولها في علم ذلك» كيف لا ولا وقفت بعد على حقيقة الروح وعرفانها فضلاً عن علم ايجادها.

«وتاهت» أي ضلّت.

«وعجزت قواها، وتناهت» أي بلغت إلى النّهاية.

«ورجعت خاسئة» من خسأ البصر كلّ وأعيا.

«حسيرة» من حسر بصره إذا كلّ وانقطع من طول النّظر، والأصل في كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «.. ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور؛ ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير»[٤].

«عارفة بأنّها مقهورة» أي مغلوبة.

«مقرّة بالعجز عن انشائها» فكيف تقدر على ايجاد الرّوح فيها، وكيف تقدر على ايجاد السّامعة والباصرة والذّائقة والشّامّة واللّامسة فيها، بل والعاطفة وقوى أُخر غير محصورة.

---

١. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ١ ص ١١٩ والزمخشرى فى المستقصى ج ١ ص ٢٨.

٢. الحج ـــ ٧٣.

٣. الواقعة ـــ ٥٨ و ٥٩.

٤. الملك ـــ ٣ و ٤.

«مذعنة» أي معتقدة.

«بالضّعف عن إفنائها» والمراد إفناء نوعها.

«وإنّ الله» هكذا في المصريّة، والصّواب «وإنّه» كما في (ابن أبي‌الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[1].

«سبحانه يعود بعد فناء الدّنيا وحده لاشيء معه كما كان» وحده لا شيء معه.

«قبل ابتدائها كذلك يكون» وحده لا شيء معه.

«بعد فنائها» حتّى ملك الموت أيضاً لا يبقى. روى الكافيّ في نوادر جنائزه عن يعقوب الأحمر قال: دخلنا على الصّادق عليه‌السّلام نعزيّه بإسماعيل فترّحم عليه ثمّ قال: إنّ الله عزّوجلّ نعى إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله نفسه فقال: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون»[2] وقال عزّوجلّ: «كلّ نفس ذائقة الموت..»[3] ثمّ أنشأ يحدّث فقال، إنّه يموت أهل الأرض حتّى لايبقى أحد، ثمّ يموت أهل السّماء حتّى لايبقى أحد إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل قال: فيجيء ملك الموت حتّى يقوم بين يدى الله فيقال له: من بقى وهو أعلم. فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل. فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا ــ إلى أن قال: ــ فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت. فيقال له: مت يا ملك الموت فيموت، ثمّ يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه ويقول: أين الّذين كانوا يدّعون معي شريكاً أين الّذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر؟[4]

---

١. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢١١ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٩ ايضاً «وان الله».
٢. الزمر ــ ١.
٣. آل عمران ــ ١٨٥.
٤. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٢٥٦ ح ٢٥ واحمد بن محمد بن عيسى فى النوادر عنه البحار ج ٦ ص ٣٢٩ ح ١٤.

«بلا وقت» من ليل أو نهار.

«ولا مكان» أرض أوسماء.

«ولاحين ولا زمان» شهر أو سنة.

«عدمت عند ذلك» أي فناء العالم.

«الآجال» للأشياء.

«والأوقات» للأُمور لعدم وجود شمس و قمر.

«والسّنون» هكذا في المصريّة، والصّواب «وزالت السّنون» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[1].

«والسّاعات» الّتي هي أجزاء اللّيل والنّهار.

«فلاشيء إلّا الواحد القهّار» «.. لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار»[2].

«الّذي إليه مصير جميع الأُمور» وتدبيرها.

«بلا قدرة منها» الظّرف الأوّل خبر كان قدّم لكونه مهمّا في القصد، والظّرف الثّاني متعلّق بالأوّل.

«كان ابتداء خلقها» كيف لا ولم تكن شيئاً حتّى تكون ذات قدرة.

«وبغير امتناع منها» مثل سابقه في التركيب.

«كان فناؤها» ولو كان فيها استعداد البقاء.

«ولو قدرت على الإمتناع» من الفناء.

---

١. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٣ ص ٢١١ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٩.

٢. غافر ــ ١٦.

«دام» هكذا في المصريّة، والصّواب «لدام» كما في (ابن أبي‌الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[1]

«بقاؤها» بالإمتناع مى الفناء.

«لم يتكاءده»: أي لم يشقّ عليه.

«صنع شيء منها إذ صنعه» «وما ذلك على الله بعزيز»[2].

«ولم يؤده» بدون «واو» أي لم يثقل عليه.

«منها خلق ما خلقه وبرأه»: أى خلقه عن غير مثال.

«ولم يكوّنها» أي لم يوجدها.

«لتشديد سلطان» كسلاطين الدّنيا يصنعون أُموراً لتشديد سلطانهم، ومنهم المعتصم جمع من الأتراك أربعة آلاف فألبسهم ــ كما في المروج ــ أنواع الدّيباج والمناطق المذهبة والحلية المذهّبة وأبانهم بالزّى عن سائر جنوده وقد كان اصطنع قوماً من حوف مصرومن حوف اليمن وحوف قيس فسمّاهم المغاربة، واستعدّ رجال خراسان من الفراغنة وغيرهم من الأشروسية، فكثر جيشه حتّى اضطرّ إلى الخروج عن بغداد لما ينال الناس من جيشه، فانتقل إلى محل سامراء وبناها.[3]

«ولا لخوف من زوال ونقصان» كالنّاس يبنون القلاع لتصونهم من الزّوال والنّقصان.

«ولا للاستعانة بها على ندّ» أي مثل ونظير.

«مكاثر» له.

---

١. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢١١ وبلالام فى شرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٤٩.

٢. ابراهيم ــ ٢٠.

٣. مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٤٦٥ والنقل بالمعنى.

«ولا للاحتراز بها» أي التوقّي.

«من ضدّ مثاور» أي مواثب. بنى المنصور تحت قصره نفقاً يخرج إلى خارج البلد لكي يفرّ إذا غلبه عدو.

«ولا للازدياد بها في ملكه» كملوك الدّنيا في بنائهم للبلاد.

«ولا لمكاثرة شريك في شركه» كأهل الدّنيا في تكاثرهم بالأموال والأولاد في ما بينهم.

«ولا لوحشة كانت منه» إذ كان وحده.

«فأراد أن يستأنس إليها» ويرفع وحشته بها.

«ثمّ هو» تعالى.

«يفنيها بعد تكوينها» وإيجادها.

«لا لسأم» أي ملال.

«دخل عليه في تصريفها» وتغييرها من حال إلى حال.

«وتدبيرها» بما يكون صلاحها.

«ولا لراحة واصلة إليه» من إفنائها.

«ولا لثقل شيء منها عليه» وقت بقائها.

«لم يملّه» أي لم يجعله ملولا.

«طول بقائها فيدعوه» ملله.

«إلى سرعة إفنائها» حتّى لا يزداد ملله.

«لكنّه سبحانه دبّرها» حين ابقائها.

«بلطفه» «.. الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى»[١].

«وأمسكها بأمره» لكيلا تضمحلّ.

«وأتقنها» أي أحكمها.

«بقدرته» فلم يكن فيها انقطاع دون ما أُريد منها.

«ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها» كمن يخرب بيته ثمّ يعيده لحاجته إلى سكناه.

«ولا لاستعانة بشيء منها عليها» كالنّاس في أسباب أعمالهم.

«ولا لانصراف من حال وحشة» حين الفناء.

«إلى حال استئناس» بها بعد إعادتها.

«ولا من حال جهل وعمى» في إفنائها.

«إلى حال علم» هكذا في المصريّة، والصّواب «إلى علم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة).[٢]

«والتماس» أي تبصّر.

«ولا من فقر وحاجة» من فنائها.

«إلى غنى وكثرة» بإعادتها.

«ولا من ذلّ وضعة» أي انحطاط من انعدامها.

«إلى عزّ وقدرة» بعد إيجادها.

---

١. طه ــ ٥٠.

٢. في شرح إبن ابي الحديد ج ٣ ص ٢١٢ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ١٥٠ ايضاً «الى حال علم».

٢٦. خطبة ١٩٣: ومن خطبة له عليه‌السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى اَظْهَرَ مِنْ آثارِ سُلْطانِهِ، وَجَلالِ كِبْرِيائِهِ، ما حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَراتِ هَماهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.

الحمدلله الّذي أظهر من آثار سلطانه» في تصرّفه في العالم وفي نفوس بني آدم بماشاء و كيف شاء.

«وجلال كبريائه» من خلقه السّماء والأرض والشّمس والقمر والنّجوم والجبال والبحار وأصناف الخلق.

«ما حيّر» وأدهش.

«مقل» بالضمّ فالفتح جمع مقلة، شحمة العين الّتي تجمع البياض والسّواد:

«العيون» هكذا في المصرية، والصّواب«العقول» كما في (ابن أبي‌الحديد وابن ميثم، والخطّية)[1].

«من عجائب قدرته» ومنها ما بيّنه في قوله عزّوجلّ: «إنّ في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع النّاس وما أنزل الله من السّماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرّياح والسّحاب المسخّر بين السّماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»[2].

وقال الصّادق عليه‌السّلام للمفضّل في ما بينه من حكم الباريّ تعالى: واعلم يا مفضّل إنّ اسم هذا العالم بلسان اليونانيّة الجاري المعروف عندهم

---

١. في شرح ابن ابي‌الحديد ج ٢ ص ٥٣٨ وشرح ابن‌ميثم ج ٣ ص ٤٣١ ايضاً «العيون».
٢. البقرة ــ ١٦٤.

«قوسموس»[1] وتفسيره الزّينة، وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة، أفكانوا يسمّونه بهذا الإسم إلّا لما رأوا فيه من التّقدير والنّظام فلم يرضوا أن يسمّوه تقديراً ونظاماً حتى سمّوه زينة ليخبروا أنّه مع ما هو عليه من الصّواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء.[2]

وقال الرّضا عليه السّلام: خلق الله الخلق على أنواع شتّى، ولم يخلقهم نوعاً واحداً لئلا يقع في الأوهام أنّه عاجز، فلايقع في وهم أحد صورة إلّا وقد خلق تعالى عليها خلقاً، ولايقول قائل: هل يقدرالله على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلّا وجد ذلك في خلقه عزّوجلّ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنّه على كلّ شيء قدير.[3]

«وردع» أي كفّ.

«خطرات» ممّا يخطر بالبال.

«هماهم» جمع الهمهمة، ترديد الصّوت في الصّدر.

«النّفوس عن عرفان كنه صفته» جلّ وعلا فإذا كان الإنسان لايعرف كنه كثير ممّا أظهر من آثار سلطنته من الشّمس والقمر والنّجوم والسّماء وغيرها ممّا يشاهدها كيف يعرف كنه صانعها، وفي الحلية قال أحمدبن أبي‌الحواري: حدّثني أحمدبن داود قال اجتمع بنوإسرائيل فأخرجوا من كلّ عشرة واحداً. ثمّ أخرجوا من كلّ مأة واحداً. ثمّ أخرجوا من كلّ ألف واحداً حتّى أخرجوا سبعة خيار بني‌إسرائيل. فقال: أدخلونا في بيت وطيّنوا علينا، ولاتخرجونا حتّى نعرف ربّنا ففعلوا، فمات أوّل يوم واحد، وفي اليوم الثّاني آخر، ثمّ مات في اليوم الثالث

١. «قوسموس» معرب «Κοσμος» اليونانية ذكر (Liddell) و (Scott) فى معجم اليونانية [Greek = English Lexicon / صفحة ٧٨٢]من معانى الكلمة «الترتيب الجيّد ــ النظم الجيّد» و «الزينة ــ الحلية» و «العالم ــ الكائنات» وقالا اول من استعمل هذه الكلمة فى معنى «العالم» فيثاغورس فى فلسفته لنظم العالم وترتيبه الكامل.

٢. توحيد المفضل ص ١٧٦.

٣. اخرجه الصدوق فى علل الشرائع ج ١ ص ١٤ ح ١٣ بفرق يسير.

آخر، فقال شابّ و كان أصغرهم: أخرجونا قد عرفته. قال ففتحوا فأخرجوهم. فقال لهم: قد عرفته. قالوا وأيّ شيء عرفت. قال: عرفت أنه لايُعرف. فإن شئتم فدعونا حتّى نموت عن آخرنا وإن شئتم أخرجونا.[1]

٢٧. خطبة ١٥٣: ومن خطبة له عليه السّلام: يذكر فيها بديع خلقة الخفّاش.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذى انْحَسَرَتِ الْاَوْصافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَساغاً اِلىٰ بُلُوغِ غايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَاللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمّا تراهُ الْعُيونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْديدٍ، فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْاَوْهامُ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً[2]،خَلَقَ الْخَلْقَ عَلىٰ غَيْرِ تَمْثيلٍ وَلَا مَشْوَرَةِ مُشيرٍ، وَلَا مَعُونَةِ مُعينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطاعَتِهِ، فَأَجابَ وَلَمْ يَدْفَعْ، وَانْقادَ وَلَمْ يُنازِعْ:

«الحمدلله الّذي انحسرت» أي كلّت وانقطعت.

«الأوصاف عن كنه معرفته» كيف لاتنحسر عن كنه معرفته، وقد انحسرت عن كنه كثير من خلقه.

«وردعت» أي كفّت.

«عظمته العقول» عن فهمه.

«فلم تجد مساغاً» أي جوازاً، والأصل فيه «ساغ الشراب» إذا سهل مدخله في الحلق.

«إلى بلوغ غاية ملكوته» قال تعالى: «قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولوجئنا بمثله مدداً»[3] وقال الصّادق

---

١. حلية الاولياء لابى نعيم ج ١٠ ص ١٢.

٢. قال الشارح وفى نسخ «ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلاً».

٣. الكهف ــ ١٠٩.

عليه السّلام: فقالوا ولم لايدرك تعالى بالعقل؟ قيل: لأنّه فوق مرتبة العقل، كما لايدركَ البصر ما هو فوق مرتبته. فإنّك لورأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أنّ رامياً رمى به. فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل، لأنّ العقل هو الّذي يميّزه، فيعلم أنّ الحجر لايذهب علواً من تلقاء نفسه. أفلا ترى كيف وقف البصر على حدّه فلم يتجاوزه، فكذلك يقف العقل على حدّه من معرفة الخالق فلا يعدوه، ولكن يعقله بعقل أقرّأنّ فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس، وعلى حسب هذا أيضاً نقول: إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته ــ الى أن قال: ــ فإن قالوا أوليس قد نصفه فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم. قيل لهم: كلّ هذه صفات إقرار، وليست صفات إحاطة فإنّا نعلم أنّه حكيم، ولا نعلم بكنه ذلك منه، وكذلك قدير و جواد، وسائر صفاته كما قد نرى السّماء، فلا ندري ما هو جوهرها ونرى البحر ولاندرى أين منتهاه[1].

«هوالله الملك» هكذا في المصريّة وكلمة «الملك» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[2].

«الحقّ المبين» «يومئذ يوفّيهم الله دينهم الحقّ ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين»[3].

«أحقّ وأبين ممّا تراه العيون» لأنّ ما تراه العيون قد يقع فيه الخطأ، وأمّا هو تعالى فتحقّقه بالعقل الّذي استحال أن يخطىء.

قال الصادق عليه السّلام بعد ما مرّ في مامرّ: فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتّى كأنّه غيرمعلوم. قيل لهم: هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به، وهو من جهة أُخرى أقرب من كلّ قريب، إذا استدلّ عليه بالدّلائل الشّافية، فهو من جهة كالواضح لايخفى على أحد،

---

١. توحيد المفضل ص ١٧٦.

٢. في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٣٣ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٢٥٢ ايضاً توجد كلمة الملك.

٣. النور ــ ٢٥.

وهو من جهة كالغامض لايدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهده ومستور بذاته.[١]

«لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّهاً، ولم تقع عليه الأوهام فيكون ممثّلاً» قال الصّادق عليه السّلام: فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مبائناً لكلّ شيء متعالياً عن كل شيء. قيل لهم: الحقّ الّذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه. فأوّلها أن ينظر أموجود هو أم ليس بموجود، والثّاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره، والثّالث أن يعرف كيف هو وما صفته، والرّابع: أن يعلم لماذا هو ولأيّ علّة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حقّ معرفته غير أنّه موجود فقط، فإذا قلنا «وكيف» و«ما هو» فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به، وأمّا «لماذا هو» فساقط في صفة الخالق، لأنّه جلّ ثناؤه علّة كلّ شيء، وليس شيء بعلّة له، ثمّ ليس علم الإنسان بأنّه موجود يوجب له أن يعلم ما هو وكيف هو، كما أنّ علمه بوجود النّفس لايوجب أن يعلم ماهى وكيف هى، وكذلك الأمور الرّوحانية اللّطيفة.[٢]

«خلق الخلق على غير تمثيل، ولامشورة مشير، ولامعونة معين» كيف لاولم يكن شيء حتّى يخلق على تمثيله، ولم يكن أحد حتّى يكون مشيراً له أو معيناً.

«فتمّ خلقه بأمره» إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٣].

«وأذعن» أي اعترف بلسان الحال.

«لطاعته فأجاب ولم يدفع، وانقاد ولم ينازع» بحصوله على وفق مراده. قال تعالى: «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين؛ فقضيهُنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم»[٤].

---

١. توحيد المفضل ص ١٨٠.

٢. توحيد المفضل ص ١٧٩.

٣. يس ـ ٨٢.

٤. فصلت ـ ١١ و ١٢.

٢٨. خطبة ١٨٩: ومن خطبة له عليه السّلام:

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْفاشى حَمْدُهُ، وَالْغالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعالِى جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلىٰ نِعَمِهِ التُّؤامِ، وَآلائِهِ الْعِظامِ، الَّذى عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفا، وَعَدَلَ فى كُلِّ ما قَضىٰ، وَعَلِمَ ما يَمْضى وَما مَضىٰ، مُبْتَدِعِ الْخَلائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحِكَمِهِ، بِلا اقْتِداءٍ وَلا تَعْليمٍ، وَلا احْتِذاءٍ لِمِثالِ صانِعٍ حَكيمٍ، وَلا اِصابَةِ خَطَاءٍ، وَلا حَضْرَةِ مَلاٍ .

الحمدلله الفاشى» أي المنتشر.

«حمده» قال تعالى: «تسبّح له السّموات السّبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم..» [١]، «وله الحمد في السّموات والأرض وعشيّاً وحين تُظهرون» [٢]، «يسبّح لله ما في السّموات وما في الأرض الملك القدّوس العزيز الحكيم» [٣].

«والغالب جنده» «وإنّ جندنا لهم الغالبون» [٤] «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز» [٥].

«والمتعالى جدّه» أي عظمته، والأصل فيه قوله تعالى حكاية عن الجنّ: «وأنّه تعالى جدّ ربّنا ما اتّخذ صاحبة ولا ولداً» [٦].

«أحمده على نعمه التّوأم» جمع توأم أي المتواترة. قال الشاعر:

قالت لنا ودمعها توأم ٭ كالدرّ إذ أسلمه النّظام

---

١. الاسراء ــ ٤٤.
٢. الروم ــ ١٨.
٣. الجمعة ــ ١.
٤. الصافات ــ ١٧٣.
٥. المجادلة ــ ٢١.
٦. الجن ــ ٣.

على الّذين ارتحلوا السّلام[١]

والظّاهر كونه استعارة، والأصل فيه: الولدان التوأمان.

«وآلائه»: أي نعمائه. قال الجوهريّ: الآلاء النعم واحدها ألا بالفتح، وقد يكسر ويكتب بالياء مثاله معي وأمعاء[٢]، وقال الفيروزآباديّ: واحدها إلىٌ وألوٌ وألىٌ وألىً وإلىً[٣]. قلت: ولم أقف على استعمال مفرد للآلاء أصلاً، ولنا جموع لا يستعمل مفرد لها.

«العظام» وكلّ نعمة منه تعالى عظيمة، وإنّما فيها عظيم وأعظم.

«الّذي عظم حلمه فعفا» «ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة..»[٤] «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير»[٥].

«وعدل في كلّ ما قضى» «إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي..»[٦] «.. وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم..»[٧] وقال جابر الجعفيّ للباقر عليه السّلام: نرى من الأطفال من يولد ميّتاً، ومنهم من يسقط غير تامٍّ ومنهم من يولد أعمى أو أخرس أو أصمّ، ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط على الأرض، ومنهم من يبقى إلى الإحتلام، ومنهم من يعمّر حتّى يصير شيخاً. فكيف ذلك وما وجهه؟. فقال عليه السّلام: إنّ الله أولى بما يدبّره من أمر خلقه منه وهو الخالق والمالك لهم، فمن منعه التّعمير فإنّما منعه ما ليس له، ومن عمّره فإنّما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضّل

١. اورده لسان العرب ج ١٢ ص ٦١/ مادة تأم.

٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ٦ ص ٢٢٧٠/ ماده ألى.

٣. القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٠٠/ مادة الا.

٤. فاطر ــ ٤٥.

٥. الشورى ــ ٣٠.

٦. النحل ــ ٩٠.

٧. الشورى ــ ١٥.

بما أعطى وعادل في ما منع.[١]

«وعلم ما يمضي وما مضى» قال تعالى: «ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين»[٢].

«مبتدع الخلائق بعلمه» قال الصدوق: من الدّليل على أنّ الله تبارك وتعالى عالم أنّ الأفعال المختلفة التّقدير المتضادّة التّدبير، المتفاوتة الصّنعة. لا تقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممّن لايعلمها، ولا يستمرّ على منهاج منتظم ممّن يجهلها، ألا ترى أنّه لايصوغ قرطاً يحكم صنعته، ويضع كلّاً من دقيقه وجليله موضعه من لايعرف الصّياغة، ولا أن ينتظم كتابة يتبع كلّ حرف منها ما قبله من لايعلم الكتابة، والعالم ألطف صنعة وأبدع تقريراً ممّا وصفناه، فوقوعه من غير عالم بكيفيته قبل وجوده أبعد وأشدّ استحالة.[٣]

«ومنشئهم بحكمه» «ولقد علمتم النّشأة الأولى فلو لاتذكّرون»[٤] «..هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها..»[٥] «وهو الّذي أنشأكم من نفس واحدة..»[٦].

«بلا اقتداء» لغيره.

«ولا تعليم» من سواه.

«ولااحتذاء» يقال حذوت النّعل بالنّعل، إذا قدّرت كلّ واحدة على صاحبتها.

«لمثال صانع حكيم» لعدم وجود لغيره.

---

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٣٩٧ ح ١٣ فى صدر حديث.

٢. الحجر ـــ ٢٤.

٣. التوحيد للصدوق ص ١٣٧.

٤. الواقعة ـــ ٦٦.

٥. هود ـــ ٦١.

٦. الانعام ـــ ٩٨.

«ولا إصابة» أحد.

«خطأً» له في خلقه «.. ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور؛ ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير»[١].

واجتهد الطّبيعيّون في إصابة خطأ في الخليقة فعابوا بجهلهم الشّعر النّابت على الرّكبة، وعلى الابطين، وكون بطن الإنسان مصمتاً لايمكن فتحه لعلاجه، ووجود الموت والفناء، ووجود الآفات الحادثة في بعض الأحيان مثل الوباء واليرقان والجراد وقلّة المطر وكثرته والزّلازل وغيرها، مع أنّ ذلك عين الصّواب ومحض الحكمة كما شرحه الصّادق عليه‌السّلام للمفضّل في توحيده.

«ولا حضرة ملأ» وقت خلقه ما خلق «وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرّحمن إناثاً أشهدوا خلقهم..»[٢] «وما أشهدتهم خلق السّموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متّخذ المضلّين عضداً»[٣].

٢٩ • خطبة ١٨٠: ومن خطبة له عليه‌السّلام: روى عن نوف البكاليّ. قال: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أميرالمؤمنين عليه‌السّلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزوميّ ــ الى أن قال[٤] ــ فقال عليه‌السّلام:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي اِلَيْهِ مَصائِرُ الْخَلْقِ، وَعَواقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلىٰ عَظيمِ اِحْسانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهانِهِ، وَنَوامي فَضْلِهِ وَامْتِنانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضاءً، وَلِشُكْرِهِ أَداءً، وَاِلىٰ ثَوابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزيدِهِ مُوجِباً، وَنَسْتَعينُ بِهِ اِسْتِعانَةَ راجٍ لِفَضْلِهِ. مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، واثِقٍ بِدَفْعِهِ

١. الملك ــ ٣ و ٤.
٢. الزخرف ــ ١٩.
٣. الكهف ــ ٥١.
٤. بقية قول نوف كذا: «وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفى رجلية فعلان من ليف وكأنّ جبينه ثفنة بعير» نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠٣.

مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمانَ مَنْ رَجاهُ مُوقِناً، وَأَنابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلاذَ بِهِ راغِباً مُجْتَهِداً، لَمْ يُولَدْ سُبْحانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشارَكاً، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُثاً هالِكاً، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلا زَمانٌ، وَلَمْ يَتَعاوَرْهُ زِيادَةٌ وَلا نُقْصانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِما أَرانا مِنْ عَلاماتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضاءِ الْمُبْرَمِ، وَمِنْ شَواهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّماواتِ مُوَطَّداتٍ بِلا عَمَدٍ، قائِماتٍ بِلا سَنَدٍ، دَعاهُنَّ فَأَجَبْنَ طائِعاتٍ مُذْعِناتٍ غَيْرَ مُتَلَكِّئاتٍ، وَلا مُبْطِئاتٍ، وَلَوْلا إِقْرارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَإِذْعانُهُنَّ لَهُ بِالطَّواعِيَةِ، لَما جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، وَلا مَسْكَناً لِمَلائِكَتِهِ، وَلا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَها أَعْلاماً يَسْتَدِلُّ بِها الْحَيْرانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجاجِ الْأَقْطارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهْمامُ سَجَفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلا اسْتَطاعَتْ جَلابِيبُ سَوادِ الْحَنادِسِ أَنْ تَرُدَّ ما شاعَ فِي السَّماواتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ. فَسُبْحانَ مَنْ لا يَخْفى عَلَيْهِ سَوادُ غَسَقٍ داجٍ، وَلا لَيْلٍ ساجٍ فِي بِقاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئاتِ، وَلا فِي يَفاعِ السُّفْعِ الْمُتَجاوِراتِ وَما يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّماءِ، وَما تَلاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمامِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُها عَنْ مَسْقَطِها عَواصِفُ الْأَنْواءِ وَانْهِطالُ السَّماءِ وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّها، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّها، وَما يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِها، وَما تَحْمِلُ الْأُنْثى فِي بَطْنِها، الْحَمْدُ لِلّهِ الْكائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَماءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلا يَشْغَلُهُ سائِلٌ، وَلا يَنْقُصُهُ نائِلٌ، وَلا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلا يُوصَفُ بِالْأَزْواجِ، وَلا يَخْلُقُ بِعِلاجٍ، وَلا يُدْرَكُ بِالْحَواسِّ، وَلا يُقاسُ بِالنّاسِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسى تَكْلِيماً، وَأَراهُ مِنْ آياتِهِ عَظِيماً، بِلا جَوارِحَ وَلا أَدَواتٍ، وَلا نُطْقٍ وَلا لَهَواتٍ، بَلْ إِنْ كُنْتَ صادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ.

فَصِف جِبْرائيلَ وَميكائيلَ وَجُنُودَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبينَ في حُجُراتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ اَنْ يَحُدُّوا اَحْسَنَ[1] الْخالِقينَ، فَاِنَّما يُدْرَكُ بِالصِّفاتِ ذَوُو الْهَيْئاتِ وَالاَدَواتِ، وَمَنْ يَنْقَضي اِذا بَلَغَ اَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَناءِ، فَلا اِلٰهَ اِلاّ هُوَ، اَضاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلامٍ، وَاَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

قول المصنّف: «روى عن نوف البكاليّ» قال (ابن أبي الحديد) قال صاحب الصّحاح: نوف البكاليّ بفتح الباء كان حاجب عليّ عليه السّلام[1]. قلت: لم يقل صاحب الصّحاح إنّ بكال بفتح الباء فهذا نصّه: نوف البكاليّ. قال الثّعلب: هو منسوب إلى بكالة قبيلة ـ إلى أن قال: ـ وبنو بكال من حمير منهم نوف البكاليّ صاحب عليّ عليه السّلام[2]، ولو كان الصّحاح قال: إنّه بالفتح لغلّطه القاموس حيث إنّه قال: إنّه ككتاب[3]، وإنّما قال ابن برّي محشّي الصّحاح ـ كما نقل عنه في اللّسان ـ قال المهلبي: بكالة (بكسر الباء) قبيلة من اليمن والمحدّثون يقولون: نوف البكاليّ بفتح الباء والتّشديد[4]، وكيف كان فقال الجوهريّ والفيروزآباديّ: إنّ «بكيلا» من همدان، و «بكالا» من حمير لكن الصّواب كون بكال أيضاً من همدان. فروى الطّبريّ في ذكر خبر الخوارج خبراً في سنده جبربن نوف أبي الودّاك الهمدانيّ[5]، وقد صرّح المغرب أنّ جبراً بن نوف البكاليّ[6]، والرّاويّ عن جبربن هذا كان أعرف به فوصفه بالهمدانيّ، واختار ما قلنا ابن دريد في جمهرته مع تردّد. فقال: بنوبكيل، وبنوبكال بطنان من العرب أحسبهما من همدان أو يكون بكال من حمير وبكيل من همدان منهم نوف البكالي

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥٠٩.
٢. كذا فى صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٦٣٨/ مادة بكل فيها ايضاً مثل مانقله ابن ابى الحديد.
٣. القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٣٩/ مادة بكل.
٤. لسان العرب ج ١١ ص ٦٣/ مادة بكل.
٥. تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٥٧/ سنة ٣٧.
٦. المغرب ص ٢٤٣/ مادة ودك.

صاحب عليّ عليه السّلام[١] بل قال به الفيروزآباديّ أيضاً في مادّة «خير» بالخاء والياء المثنّاة. فقال ثمة: خيربن نوف من همدان[٢]، لكن الظّاهر وهمه في جعل الابن خيراً بل هو جبر بالجيم والموحدة كما عرفته من المغرب.

هذا، والمفهوم من خليفة كونه من كهلان فعنون الإستيعاب عمرو البكاليّ، ونقل عن خليفة في الصّحابة هو من بني بكال بن دعمي بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن كهلان.[٣و٤]

«قال خطبنا هذه» هكذا في المصريّة، والصّواب «بهذه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة)[٥].

«الخطبة» الظاهر أنّ هذه الخطبة كانت آخر خطباته عليه السّلام فقال نوف في آخرها: فما دارت الجمعة حتّى ضربه الملعون.

«بالكوفة أميرالمؤمنين عليه السّلام» هكذا في المصريّة، والصّواب «أميرالمؤمنين عليه السّلام بالكوفة» كما في (ابن أبي الحديد، والخطّية) لكن ليس في نسخة (ابن ميثم) لفظ «بالكوفة» رأساً.[٦]

«وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزوميّ» وهو ابن أُخته عليه السّلام أمّ هاني وروى الكشّي عن الصّادق (ع): «كان مع أميرالمؤمنين (ع)

---

١. جمهرة اللغة ج ١ ص ٣٢٥.
٢. لفظ القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٥/ مادة خير «و والدنوف بن همدان» وفي بعض نسخ «وولدنوف بن همدان» والاقيانوس شرح القاموس ج ١ ص ٨٤٩ خال من هذا وفي تاج العروس ج ١١ ص ٢٤٥ ايضاً «ولدنوف بن همدان» نقله عن ابن الجواني النسابة.
٣. الاستيعاب لابن عبدالبرج ٢ ص ٥٣٣.
٤. وقال ابن منظور في لسان العرب ج ١١ ص ٦٣/ مادة بكل «بنوبكيل هي من همدان ثم قال وبنوبكال (بكسر الباء) من حمير منهم نوف البكالي صاحب علي (ع)» واقول همدان المذكور كراراً من ولد كهلان وهو من ولد قحطان.
٥. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٠٨ لكن في شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٨٠ ايضاً بدون الباء.
٦. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٠٨ لكن يوجد في شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٨٠ ايضاً «بالكوفة».

من قريش خمسة نفر وكانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية فامّا الخمسة محمد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أمّه اسماء بنت عميس وكان معه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص المرقال وكان معه جعدة بن هبيرة المخزوميّ وكان أمير المؤمنين عليه السّلام خاله وهو الّذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنّما لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لوكان لك خالك مثل خالى لنسيت أباك [١] ــ الحديث، وروى صفّين نصر بن مزاحم أنّه عليه السّلام لمّا ورد الكوفة من البصرة نزل على جعدة[٢]، وروى الطّبريّ أنّه عليه السّلام لمّا ضرب تقدّم جعدة فصلّى بالنّاس الغداة.[٣،٤]

«الحمد لله الّذي إليه مصائر الخلق» «.. وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير»[٥].

«وعواقب الأمر» «.. ألا إلى الله تصير الأمور»[٦] «.. ولله عاقبة الأمور»[٧] «فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون»[٨] «له ملك السّموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور»[٩].

«نحمده على عظيم إحسانه» قال ــ عزّوجلّ ــ: «خلق الإنسان؛ علّمه البيان»[١٠] «خلق الإنسان من علق ــ إلى ــ علّم الانسان مالم يعلم»[١١] «ألم نجعل له عينين؛ ولساناً وشفتين؛ وهديناه النّجدين»[١٢]!

١. اختيار رجال الكشي ص ٦٣ ح ١١١.
٢. وقعة صفين ص ٥.
٣. تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١١١/ سنة ٤٠.
٤. لم يتعرض الشارح بشرح قول نوف: «وعليه مدرعة من صوف» الخ.
٥. التغابن ــ ٣.
٦. الشورى ــ ٥٣.
٧. الحج ــ ٤١.
٨. يس ــ ٨٣.
٩. الحديد ــ ٥.
١٠. الرحمن ــ ٣ و ٤.
١١. علق ــ ٢ ــ ٥. ١٢. البلد ــ ٨ ــ ١٠.

«ونيّر برهانه» «ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون»[١]. «..أفي الله شكّ فاطر السّموات والأرض»[٢] «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون؛ ومن آياته خلق السّموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين، ومن آياته منامكم باللّيل والنّهار وابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون؛ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السّماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون؛ ومن آياته أن تقوم السّماء والأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون»[٣].

«ونوامي» من إضافة الصّفة.

«فضله وامتنانه» على كلّ شخص وكلّ نوع. قال تعالى: «ألم نجعل الأرض مهاداً؛ والجبال أوتاداً؛ وخلقناكم أزواجاً؛ وجعلنا نومكم سباتاً؛ وجعلنا الليل لباساً؛ وجعلنا النّهار معاشاً؛ وبنينا فوقكم سبعاً شداداً؛ وجعلنا سراجاً وهّاجاً؛ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجاً؛ لنخرج به حبّاً ونباتاً؛ وجنّات ألفافاً»[٤].

«حمداً يكون لحقّه قضاء ولشكره أداء» أي بالإجمال كقولنا: الحمدلله كما هو أهله[٥]، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله وكقولنا: لاأُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٦]، وأمّا حمده التّفصيلي فخارج عن طوق البشر لعدم

١. الروم ــ ٢٠.
٢. ابراهيم ــ ١٠.
٣. الروم ــ ٢١ ــ ٢٥.
٤. النبأ ــ ٦ ــ ١٦.
٥. هذا التحميد رواه ابن فهد فى عدة الداعى عنه بحارالانوار ج ٩٣ ص ٢١٦ ح ٢١ عن النبى (ص) والصدوق فى ثواب الاعمال ص ٢٨ ح ١ عن الصادق (ع).
٦. هذا الثناء اخرجه ضمن حديث صاحب مصباح الشريعة فيه ص ٥٦ والدارقطنى فى الافراد عنه منتخب كنزالعمال ج ١ ص ٣٤٨ وغيرهما عن النبى (ص) مرّ تخريجه فى العنوان الاول من هذا الفصل.

إحصاء نعمه ومننه.

«وإلى ثوابه مقرّباً» «.. كذلك نجزي من شكر»[١] «..ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين»[٢].

«ولحسن مزيده موجباً» «..لئن شكرتم لأزيدنكم..»[٣].

«ونستعين به استعانة راج لفضله، مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطّول» بفتح الطاء، أي المنّ، يقال: «تطوّل عليه»، أي منّ.

«مذعن» أي مقرّ.

«له بالعمل والقول» جعل عليه السّلام في قوله «ونستعين به» ـ الخ ـ استعانته به تعالى استعانة متّصف بالصّفات الخمس ليعلم أنّه لا ينبغي الإستعانة إلّا به تعالى كما قال عزّوجلّ مؤدّباً لهم «وإيّاك نستعين»[٤].

«ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً» بأنّه هو محلّ الرجاء لاغيره.

«وأناب» أي أقبل وتاب.

«إليه» تعالى.

«مؤمناً» أي معتقداً بأنّه تعالى اهل ذلك.

«وخنع» أي خضع.

«له مذعناً» أي مقرّاً.

---

١. القمر ـ ٣٥.
٢. آل عمران ـ ١٤٥.
٣. ابراهيم ـ ٧.
٤. فاتحة الكتاب ـ ٥.

«وأخلص له موحّداً» «.. وادعوه مخلصين له الدّين كما بدأكم تعودون»[١].

«وعظّمه ممجّداً» «..ومن يعظّم شعائرالله فإنّها من تقوى القلوب»[٢] «..ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه..»[٣].

«ولاذ» أي لجأ.

«به راغباً مجتهداً» أي ساعياً. جعل عليه السّلام ايمانه في قوله «ونؤمن به» ـ الخ ـ إيمان متّصف بالصّفات الستّ ليفهم أنّه الإيمان المطلوب. قال تعالى: «يا أيّها الّذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الّذي نزّل على رسوله والكتاب الّذي أنزل من قبل..»[٤].

«لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً» لأنّ والد العزيز عزيز ولو بسببه. قال الشّاعر: كما علا برسول الله عدنان.[٥]

«ولم يلد فيكون مورثاً» هكذا في المصريّة، والصواب «موروثاً» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[٦].

«هالكاً» فليس الموروث إلّا هالكاً.

«ولم يتقدّمه وقت ولازمان» الظّاهر كون الوقت خاصّاً والزّمان عامّاً، فإنّ الوقت يأتي للزّمان المعيّن كثيراً. قال تعالى: «..إنّ الصّلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»[٧] ولايصحّ كتاباً مزمناً، ومن ذلك يظهر لك ما في قول (ابن

---

١. الاعراف ـ ٢٩.
٢. الحج ـ ٣٢.
٣. الحج ـ ٣٠.
٤. النساء ـ ١٣٦.
٥. اورده ابن ابي الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٦٧ والشاعر علي بن العباس بن جريج مرّ بتمامه في شرح خطبة الرضي.
٦. في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥١٠ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٨١ ايضاً «مورثاً».
٧. النساء ـ ١٠٣.

أبي الحديد) من كونهما مترادفين[١]، وقول (ابن ميثم) بكون الأوّل جزء الثّاني.[٢]

«ولم يتعاوره» أي لم يعترضه.

«زيادة ولانقصان» فإنّهما من عوارض الجسمانيّات.

«بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم» «الّذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السّماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى؛ كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لأُولى النّهى»[٣] «ألم تر أنّ الله أنزل من السّماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لأُولى الألباب»[٤].

«ومن» هكذا في المصريّة، والصواب «فمن» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة).[٥]

«شواهد خلقه» أي من شواهد ظهوره لعقول خلقه.

«خلق السّماوات موطّدات» أي مثبتات.

«بلا عمد» قال تعالى: «الله الّذى رفع السّموات بغير عمد ترونها..»[٦،٧].

«دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات» أي معترفات.

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥١٠.
٢. سرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٨٥.
٣. طه ـــ ٥٣ و ٥٤.
٤. الزمر ـــ ٢١.
٥. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥١٠ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٨١ ايضاً: «ومن».
٦. الرعد ـــ ٢.
٧. لم يتعرض الشارح بشرح فقرة «قائمات بلاسند».

«غيرمتلكّئات» أي معتلات.

«ولا مبطئات» أي ولاغير مسرعات. قال تعالى: «..فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» [1] والمراد من اجابتها اجابتها بلسان الحال لاالمقال، ونظيره في كلام العرب كثير. قال الشّماخ:

كانّي كسرت الرجل أخفتَ سوقها * أطاع له مرزا متين حديق

فجعل الحديث مطيعاً للعير لما تمكن من رعيه.

«ولو لا اقرار هنّ له بالرّبوبية واذعانهنّ له» هكذا في المصريّة (ابن ميثم) [2] وليست كلمة «له» في (ابن أبي الحديد، والخطّيّة) [3].

«بالطّواعية» أي الطّاعة.

«لما جعلهنّ موضعاً لعرشه» ولاينافي ذلك قوله تعالى: «وكان عرشه على الماء» [4]، فقبله «وهو الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام..» [5] فالمراد أنّ العرش كان على الماء قبل خلق السّموات، ويأتي تصريح الخبر بذلك. [6]

«ولامسكناً للملائكته» روى عن الرّضا عليه السّلام أنّ الله تعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السّموات والأرض، وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله تعالى، ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة، فيعلم أنّه على كلّ شيء قدير، ثمّ رفع العرش بقدرته، ونقله فجعله فوق السّموات السّبع ـ الخبر [7].

وقال شيخنا المفيد: فأمّا العرش الّذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك وهو عرش خلقه الله تعالى في السّماء السّابعة، وتعبّد الملائكة بحمله وتعظيمه كما

---

١. فصلت ـ ١١.

٢. شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٨١.

٣. لفظ شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥١٠ ايضاً «كذلك».

٤.و ٥. هود ـ ٧.

٦. مقصوده الخبر المروى عن الرضا (ع) الذى يأتي في شرح الفقرة الآتية.

٧. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٣٢٠ ح ٢ والعيون ج ١ ص ١١٠ ح ٣٣.

خلق سبحانه بيتاً في الأرض، وأمر البشر بقصده وزيارته، والحجّ إليه وتعظيمه، وقد جاء الحديث أنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السّماء الرّابعة بيتاً سمّاه الضّراح، وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطّواف حوله، وخلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت الضّراح[1]، وروى عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال لو ألقى حجر من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور، ولو ألقى حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام[2]، ولم يخلق الله عرشاً لنفسه ليستوطنه تعالى الله عن ذلك لكنّه خلق عرشاً أضافة إلى نفسه تكرمة له وإعظاماً، وتعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا ليسكنه.[3]

«ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصّالح من خلقه» والأصل في كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «..إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح يرفعه..»[4] والصّعود والرّفع إلى السّماوات صعود ورفع إلى الله تعالى فلا تنافي.

«جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها الحيران في مختلف فجاج» بالضمّ قال الفيروزآباديّ: هو الطّريق الواسع بين جبلين.[5]

«الأقطار» قال تعالى: «وهو الّذي جعل لكم النّجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر..»[6] وقال الصّادق عليه السّلام: «فكّر في هذه النجوم الّتى تظهر في بعض السّنة وتحتجب في بعضها كمثل الثّريّا والجوزاء والشّعريين وسهيل فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها النّاس، ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من

---

١ و ٢. لم اجد الخبرين بهذا اللفظ لكن ثمّة اخبار عديدة بهذا المعنى الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧ و ١١٨ وبحار الانوار ج ٥٨ ص ٥٥/ باب ٧ والأقوى أنّ المفيد اخذ لفظه من مشائخ الحديث لكن جرّد الخبرين عن السند.

٣. تصحيح الاعتقاد للمفيد ص ٢٩.

٤. فاطر ــ ١٠.

٥. القاموس المحيط ج ١ ص ٢٠٢/ مادة فجج.

٦. الانعام ــ ٩٧.

طلوع الثريّا والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا احتجبت، فصار ظهور كلّ واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدلّ كلّ منها عليه على حدته، وما جعلت الثريّا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً إلّا لضرب من المصلحة، وكذلك جعلت بنات النّعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنّها بمنزلة الأعلام الّتي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطّريق المجهولة، وكذلك إنّها لاتغيب ولاتتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة، وفيهما مآرب أُخرى علامات ودلالات على اوقات كثيرة من الأعمال كالزّراعة والغراس، والسّفر في البرّ والبحر، وأشياء ممّا يحدث في الازمنة من الأمطار والرياح، والحرّ والبرد، وبها يهتدى السائرون فى ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللّجج الهائلة، مع ما في تردّدها في كبد السّماء»[1].

«لم يمنع ضوء» مفعول مقدّم.

«نورها» أي نور النّجوم.

«ادهمام» أي ظلمة.

«سجف» أي ستور.

«اللّيل المظلم» قال الصّادق عليه السّلام في إدامة قوله «وجعل فيها (أي في النّجوم) جزءاً يسيراً من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر، ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التّجافي في جوف اللّيل، فإن لم يكن شيء من الضّوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه، فتأمّل اللّطف والحكمة في هذا التّقدير حين جعل للظّلمة دولة ومدّة لحاجة إليها، وجعل خلالها شيء من الضّوء للمآرب الّتى وصفنا»[2].

«ولا استطاعت جلابيب» أي ملاحف. قالت إمرأة من هذيل ترثي قتيلاً:

---

١. توحيد المفضل ص ١٣٤.
٢. توحيد المفضل ص ١٣٦.

تمشى النّسور إليه وهى لاهية ٭ مشى العذارى عليهنّ الجلابيب[١]

«سواد الحنادس» أي الظّلم الشّديدة.

«أن تردّ ماشاع في السّماوات من تلألؤ نور القمر» فيوجد مع الظّلام نور. قال الصّادق العمل عليه السّلام للمفضّل: «فكّر في انارة القمر في ظلمة اللّيل والإرب في ذلك فإنّه مع الحاجة إلى الظّلمة لهدوء الحيوان، وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون اللّيل ظلمة داجية لاضياء فيها، فلا يمكن فيه شي ء من العمل لأنّه ربّما احتاج النّاس إلى العمل باللّيل لضيق الوقت عليهم في بعض الأعمال في النّهار، ولشدّة الحرّ وإفراطه، فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتّى كحرث الأرض، وضرب اللّبن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للنّاس على معائشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وأُنساً للسّائرين، وجعل طلوعه في بعض اللّيل دون بعض، ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط النّاس في العمل انبساطهم بالنّهار، ويمتنعوا من الهدوء والقرار، فيهلكهم ذلك، وفي تصرّف القمر خاصّة في مهله ومحاقه، وزيادته ونقصانه، وكسوفه من التّنبيه على قدرة الله تعالى خالقه، المصرّف له هذا التصريف لصلاح العالم، ما يعتبر به المعتبرون».[٢]

«فسبحان من لايخفى عليه سواد غسق» في الصّحاح: الغسق أوّل ظلمة اللّيل، والغاسق اللّيل إذاغاب الشّفق، وقوله تعالى: «ومن شرّ غاسق إذا وقب»[٣] قال الحسن: اللّيل اذا دخل، ويقال: إنّه القمر.[٤]

«داج» قال الأصمعيّ: دجا اللّيل إنّما هو ألبس كلّ شي ء، وليس هو من الظّلمة ومنه قولهم، دجى الإسلام أى قوى[٥]. قلت: ويمكن أن يكون منه قولهم: وإنّه لفى عيش داج. قالوا: أي عيش خفض.

---

١. اورده لسان العرب ج ١ ص ٢٧٢/ مادة جلب.

٢. توحيد المفضل ص ١٣١.

٣. الفلق ـ ٣.

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٥٣٧/ مادة غسق.

٥. قد مرّ الكلام حول تخريجه فى عنوان ٧ من هذا الفصل.

«ولاليل ساج» أي سكن ودام من قوله تعالى: «والّيل إذا سجى»[١] ومنه البحر السّاجى. قال الأعشى:

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم * وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا[٢]

«في بقاع الأرضين المتطاطئات» أي المنهبطات.

«ولا ف يفاع» أي ارتفاع من أيفع الغلام فهو يافع على خلاف الأصل.

«السّفع» بالضمّ سواد شرب حمرة، ومنه قيل للأثافى السفع.

«المتجاورات» والمراد بالسّفع المتجاورات هنا الجبال أو الأكم والأطلال.

«وما يتجلجل» قال الجوهريّ: جلجلة: صوت الرّعد ايضاً، والمجلجل السّحاب الّذي فيه صوت الرّعد.[٣]

«به الرّعد في أفق السّماء» قيّده بالأُفق غالبي.

«وما تلاشت» قال (ابن أبي الحديد): أهمل بناء تلاشت كثير من أئمة اللغة وهي صحيحة وقد جاءت ووردت، قال ابن الأعرابيّ: لشا الرّجل إذا اتضع وخسّ بعد رفعة[٤]، وإذا صحّ أصلها صحّ استعمال النّاس تلاشى الشّيء بمعنى اضمحلّ، وقال القطب الرّاونديّ: تلاشى مركّب من لاشيء، ولم يقف على أصل الكلمة.[٥] قلت: لم يتفطّن (ابن أبي الحديد) أنّ لشا الرجل الّذي ذكره ابن الأعرابي أيضاً أصله من لاشيء، والمراد أنّه كان شيئاً ثمّ صار لاشيئاً، ومثل تلاشى قولهم: أيش وقولهم: بلاش، فإنّ الأصل في الأوّل أيّ شيء، وفي الثّاني بلاشيء، وكذلك قولهم: لوحش فإنّه مخفف لاأوحش، وليس لنا في اللّغة أيش، وبلش، ولحش، كما ليس لشى، ونظيرها في الفارسية

١. الضحى ــ ٢.
٢. اورده لسان العرب ج ١٤ ص ٣٧١/ مادة سجى.
٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٦٥٩/ مادة جلجل.
٤. نقله عن ابن الاعرابى ابن منظور فى لسان العرب ج ١٥ ص ٢٤٦/ مادة لشا.
٥. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥١٢.

قولهم في الفارسيّة «نفرين» في مقابل «آفرين» فإنّه مخفّف «نه آفرين» ومعنى «آفرين» حييت، ومعنى «نفرين» لاحييت.

«عنه بروق الغمام» أي السّحاب.

«وما تسقط» عطف على سواد. مثل **«وما يتجلجل»** و **«وما تلاشت»** أي لايخفى عليه ماتسقط.

«من ورقة» قال تعالى: «..وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين»[1]:

«تزيلها عن مسقطها» أي مكان سقوطها.

«عواصف» صفة لرياح مقدرة، أي شدائد، والإضافة فيه بمعنى اللّام.

«الأنواء» جمع النّوء بالفتح، وفي الصّحاح النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كلّ ساعته إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كلّ نجم منها إلى انقضاء السّنة ما خلا الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوماً. قال أبوعبيد: ولم نسمع في النّوء أنّه السّقوط إلّا في هذا الموضع، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها، وقال الأصمعيّ: إلى الطّالع منها في سلطانه فتقول مطر بالنّوء كذا.[2]

«وانهطال السّماء» أي تتابع المطر.

«ويعلم مسقط القطرة» أي قطرة المطر.

«ومقرّها» في سيلانها.

«ومسحب الذّرّة» أي دبيبها، والذرّة أصغر النّمل.

---

١. الانعام ــ ٥٩.

٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٧٩/ مادة نوء.

«ومجرّها» أي مكان تجرّ قوتها إليه.

«وما يكفي البعوضة» أي البق.

«من قوتها» قال تعالى: «وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين»[١].

«وما تحمل الأنثى في بطنها» «.. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلّا بعلمه وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ ولا يُنْقَصُ من عُمْرِهِ إلّا في كتاب إنّ ذلك على الله يسير»[٢] «..ويعلم ما في الأرحام..»[٣] «الله يعلم ما تحمل كلّ أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد و كلّ شيء عنده بمقدار»[٤].

«الحمدلله الكائن قبل أن يكون كرسيّ» الّذي قال فيه: «..وسع كرسيّه السّموات والأرض..»[٥].

«أو عرش» الّذي قال فيه: «..وهو ربّ العرش العظيم»[٦] «وفي اعتقادات الصّدوق: اعتقادنا في الكرسيّ أنّه وعاء جميع الخلق والعرش والسموات والأرض، وكلّ شيء خلق الله في الكرسيّ في وجه آخر هو العلم، وقد سئل الصّادق عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «وسع كرسيّه السّموات والأرض»[٧] قال هو علمه[٨]، وفيه: اعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم، وسئل الصّادق عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ «الرّحمن على العرش استوى»[٩] فقال: استوى من كلّ شيء فليس شيء اقرب

١. هود ــ ٦.
٢. فاطر ــ ١١.
٣. لقمان ــ ٣٤.
٤. الرعد ــ ٨.
٥ و٧. البقرة ــ ٢٥٥.
٦. التوبة ــ ١٢٩.
٨. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٣٢٧ ح ١ ومعانى الاخبار ص ٣٠ ح ٢ والهداية ص ٤٦.
٩ طه ــ ٥.

إليه من شيء.[۱] فأمّا العرش الّذي هو حمل جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة لكلّ واحد منهم ثمانية أعين كلّ عين طباق الدّنيا[۲] واحد منهم على صورة بنى آدم فهو يسترزق الله لولد آدم، وواحد منهم على صورة الثّور يسترزق الله تعالى للبهائم كلّها، وواحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسّباع، وواحد منهم على صورة الدّيك يسترزق الله للطّيور، فهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية[۳]، وأمّا العرش الّذي هو العلم فحملته أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين، فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام، وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم.[٤] (قال الصّدوق): هكذا روى بالأسانيد الصّحيحة عن الائمة فى العرش وحملته.[٥]

«أوسماء» «قل من ربّ السّموات السّبع..»[٦].

«أو أرض» «وهو الّذي في السّماء إله وفي الأرض إله..»[٧].

«أو جانّ أو إنس» «خلق الإنسان من صلصال كالفخار؛ وخلق الجانّ

---

۱. اخرجه الصدوق باربع طرق فى التوحيد ص ۳۱۵ ح ۱ و ۲ و ٤ و ۷ ومعانى الاخبار ص ۲۹ ح ۱ والهداية ص ٤٦ والكلينى بثلاث طرق فى الكافى ج ۱ ص ۱۲۷ و۱۲۸ ح ٦ و ۷ و ۸ وعلى بن ابراهيم فى تفسيره ج ۲ ص ٥٩.

۲. هذا المعنى اخرجه الصدوق فى الخصال ج ۲ ص ٤۰۷ ح ٤ عن الصادق (ع).

۳. هذا المعنى اخرجه الصدوق فى الخصال ج ۲ ص ٤۰۷ ح ٥ عن الصادق (ع) وعلى بن ابراهيم فى تفسيره ج ۱ ص ۸٥ عن على (ع) وروى موقوفاً بطرق عديدة عن وهب بن منبه وابى مالك ومكحول وعروة جمعها السيوطى فى الدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۸ وج ۳ ص ۲۹۸ وج ٥ ص ۳٤٦ و۳٤۷ وج ٦ ص ۲٦۱ لكن كلّ من عدا الصدوق روى بدل الديك النسر.

٤. هذا المعنى رواه البحرانى فى البرهان ج ٤ ص ۹۱ ح ٦ وص ۳۷۷ ح ٤ وشرف الدين فى تأويل الآيات عنه البحار ج ٥۸ ص ۳٥ ح ٥٦ عن الباقر (ع) والكاشانى فى الشافى ج ۱ ص ٥۷ عن الكاظم (ع) وعلى بن ابراهيم فى تفسيره ج ۲ ص ۳۸٤ بلاعزو واخرج قريباً منه الكلينى فى الكافى ج ۱ ص ۱۳۲ ح ٦ عن الصادق (ع) وعلى بن ابراهيم فى تفسيره ج ۲ ص ۲٥٥ بلا عزو.

٥. الاعتقادات للصدوق ص ۱۰ و ۱۱.

٦. المؤمنون ــ ۸٦.

۷. الزخرف ــ ۸٤.

من مارج من نار»[1] ومعلوم تقدّم الخالق على المخلوق، والرّبّ على المربوب، والمالكْ على المملوك.

«لايدرك بوهم» لعجز الوهم عن إدراكه.

«ولا يقدّر بفهم» لأجليته تعالى عن ذلك «سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون»[2].

«ولايشغله سائل» عن سائل آخر كباق المسئولين.

«ولا ينقصه نائل» أي عطاء كباق المعطين.

«ولاينظر بعين» كذوى الأرواح.

«ولا يحدّ بأين» كالجسمانيّات فلا تطلق لفظة «أين» عليه تعالى. قال (ابن أبي الحديد) بعد قوله عليه السّلام «ولايحدّ بأين»: ولفظة أين في الأصل مبنيّة على الفتح فإذا نكّرتها صارت إسماً متمكّناً كما قال الشّاعر:

ليت شعري وأين منّي ليت * إنّ ليتاً وإنّ لوّاً عناء[3]

قلت: في ما قال أوّلاً أنّ أين في قوله عليه السّلام «ولا يحدّ بأين» أريد به لفظه فهو اسم متمكّن لاأنّه نكّر، وإنّما يقال في مثل «صه» إنّه قد ينكّر فيدخله تنوين التّنكير لاهنا، وثانياً أنّ البيت الّذي استشهد به «أين» فيه على أصله مبنىّ على الفتح، وإنّما «ليت» و «لو» أُريد بهما فيه اللفظ فصارا اسمين وأُعربا لا أين كما هو مدّعاه.

«ولا يوصف بالأزواج» وقال الله: «لا تتّخذوا إلهين اثنين إنّما هو إله واحد فإيّاي فارهبون»[4].

---

١. الرحمن ــ ١٤ و ١٥.

٢. الصافات ــ ١٨٠.

٣. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥١٣.

٤. النحل ــ ٥١.

«ولا يخلق بعلاج» كالبشر «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[١].

«ولا يدرك بالحواسّ» «.. قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني..»[٢].

«ولا يقاس بالنّاس» «.. ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير»[٣].

«الّذي كلّم موسى تكليماً، وأراه من آياته عظيماً» من جعل عصاه حيّة تسعى، وجعل يده بيضاء من غير سوء وغيرهما، قال تعالى: «وهل أتاك حديث موسى، إذرأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النّار هدى؛ فلمّا أتاها نودي يا موسى؛ إنّي أنا ربّك فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى؛ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ــ إلى ــ وما تلك بيمينك يا موسى؛ قال هي عصاي أتوكّؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى؛ قال ألقها يا موسى؛ فألقاها فإذا هي حيّة تسعى؛ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى؛ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاءَ من غير سوء آية أخرى؛ لنريك من آياتنا الكبرى»[٤].

«بلا جوارح» أي بلا أعضاء يفعل شيئاً بها.

«ولا أدوات» أي أسباب و آلات.

فإنّ النّاس قد يفعلون أفعالاً بأيديهم وجوارحهم بلا توسّط أسباب وآلات، وقد يفعلون بتوسّطها وهو تعالى منزّه عن جميع ذلك.

«ولا نطق ولا لهوات» لهوات جمع لهاة، الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم، وقوله عليه السّلام «بلا جوارح ولا أدوات» متعلّق بقوله «وأراه من آياته عظيماً» وقوله «ولا نطق ولا لهوات» متعلّق بقوله «الّذي كلّم موسى تكليماً» على خلاف اللّف،

---

١. يس ــ ٨٢.
٢. الاعراف ــ ١٤٣.
٣. الشورى ــ ١١.
٤. طه ــ ٩ ــ ٢٣.

وكان تكليمه تعالى مع موسى بلانطق ولا لهوات، وإنّما أوجد الصّوت في الجهات السّتّ فكان يسمعه من كلّ جهة.

«بل إن كنت صادقاً أيها المتكلّف لوصف ربّك فصف جبرائيل وميكائيل، وجنود الملائكة المقرّبين» يشرح ماهيتهم وتركيبهم وقواهم، وسيأتي كلامه عليه السّلام في العجز عن وصف عزرائيل في كيفيّة قبضه للأرواح [1] فإذا لم يستطع وصف خلقه فعدم إمكان وصفه تعالى أولى.

وفي خبر قدوم الجاثليق مع مأة من النّصارى بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإرشاده إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام: قال الجاثليق له عليه السّلام: أخبرني عن وجه الرّبّ تعالى فدعا عليّ عليه السّلام بنار وحطب فأضرمه فلمّا اشتعلت قال عليّ (ع): أين وجه هذه النار؟ قال النصراني: هي وجه من جميع حدودها. قال عليّ عليه السّلام: هذه النّار مدبّرة مصنوعة لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها «ولله المشرق و المغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله..» [2،3].

«في حجرات القدس مرجحنّين» كمقشعرّين أي خاضعين، وفي المثل «إذا ارجحنّ شاصياً فارفع يداً» [4] يعني إذا خضع لك فاكفف عنه.

«متولّهة» أي متحيّرة.

«عقولهم إن يحدّوا أحسن الخالقين» لعدم إمكان ذلك لهم.

«فإنّما يدرك بالصّفات ذو والهيئات والأدوات» وهو تعالى منزّه عن أن يكون له هيئة أو أداة.

«ومن» بمعنى الّذي عطف على «ذوو».

---

١. يأتي فى عنوان ٣٠ من هذا الفصل.

٢. البقرة ــ ١١٥.

٣. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ١٨٢ ح ١٦ ضمن حديث.

٤. اورده الزمخشرى فى المستقصى ج ١ ص ١٢٢ وقال يضرب فى العفوعن العدو عند ذله واستكانته.

«ينقضي إذا بلغ أمد حدّه» أي غاية أجله.

«بالفناء» متعلّق بقوله «ينقضي» وهو تعالى باق أبد الآباد فكيف يمكن إدراكه بالصّفات.

«فلا إله إلّا هو» بلا شريك.

«أضاء بنوره» أي بنهاره.

«كلّ ظلام» من البرّ والبحر والمنكشف والمسقف، والأرض والسّماء.

«وأظلم بظلمته» أي بليله.

«كلّ نور» من كوكب وقمر وسراج ونار لعدم إغنائها إغناء كاملاً. قال تعالى: «واللّيل إذا يغشى؛ والنّهار إذا تجلّى»[١] أي يغشى اللّيل كلّ شيء، ويتجلّى بالنّهار كلّ شيء ولا يقدر أحد أن يظلم نوره أو يضيء ظلامه، وفسّر الشرّاح قوله عليه السّلام: «بنوره» و «بظلمته» بمعان مختلفة، والأظهر ما عرفت.

٣٠. خطبة ــ ١١٠: ومن خطبة له عليه السّلام ذكر فيها ملك الموت:

هَلْ تَحُسُّ بِهِ إِذا دَخَلَ مَنْزِلاً، أَمْ هَلْ تَراهُ إِذا تَوَفّىٰ أَحَداً، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ في بَطْنِ أُمِّهِ، أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوارِحِها، أَمِ الرُّوحُ أَجابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّها أَمْ هُوَ ساكِنٌ مَعَهُ فى أَحْشائِها، كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟!

«هل تحسّ» بالفتح.

«به إذا دخل منزلاً» قال الصّادق عليه السّلام: ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلّا وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات.[٢]

---

١. الليل ــ ١ و ٢.
٢. اخرجه الكليني فى الكافي ج ٣ ص ٢٥٦ ح ٢٢.

«أم هل تراه إذا توفّى» بلفظ المعلوم.

«أحداً» «قل يتوفاكم ملك الموت الّذي وكّل بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون»[١]. «فلولا إذا بلغت الحلقوم؛ وأنتم حينئذ تنظرون؛ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون»[٢].

«بل كيف يتوفّى الجنين ـ إلى ـ في أحشائها» روى الصّدوق عن الصّادق عليه السّلام أنّه قيل لملك الموت: كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟ فقال: أدعوها فتجيبني. قال فقال ملك الموت (ع): إنّ الدّنيا بين يديّ كالقصعة بين يدي أحدكم، يتناول منها ماشاء، والدّنيا عندي كالدّرهم في كفّ أحدكم يقلّبه كيف يشاء.[٣]

«كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله» هو نظير قوله عليه السّلام في سابقه «بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلّف لوصف ربّك فصف جبرائيل وميكائيل» ـ إلخ، بل الإنسان عاجز عن وصف نفسه وروحه «ويسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي..»[٤] فكيف لايعجز عن وصف ربّ لوكان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته ولو جئ بمثله مدداً.

٣١. من خطبة ـ ١٦٥:

(منها) اَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فى ظُلُماتِ الْاَرْحامِ وَمُضاعَفاتِ الْاَسْتارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ، وَوُضِعْتَ فى قَرارٍ مَكينٍ، اِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَاَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فى بَطْنِ اُمِّكَ جَنيناً، لاتُحيرُ دُعاءً وَلاتَسْمَعُ نِداءً، ثُمَّ اُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ اِلىٰ دارٍ لَمْ

١. السجدة ـ ١١.
٢. الواقعة ـ ٨٣ ـ ٨٥.
٣. اخرجه الصدوق فى الفقيه ج ١ ص ٨٠ ح ١٢.
٤. الاسراء ـ ٨٥.

تَشهَدْها، وَلَمْ تَعرِفْ سُبُلَ مَنافِعِها، فَمَنْ هَداكَ لِاجْتِرارِ الْغَذاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحاجَةِ مَوْضِعَ طَلَبِكَ وَإِرادَتِكَ، هَيْهاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفاتِ ذَوِي الْهَيْئَةِ وَالأَدَواتِ، فَهُوَ عَنْ صِفاتِ خالِقِهِ أَعْجَزُ، وَمِنْ تَناوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

«أيها المخلوق» والمراد نوع الإنسان.

«السّويّ» أي المستقيم من بين ذوى الأرواح. قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل انظر إلى ماخصّ به الإنسان في خلقه تشريفاً، وتفضيلاً على البهائم، فإنّه خلق ينتصب قائماً ويستوى جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما فلوكان مكبوباً على وجهه كذوات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.[١]

«والمنشأ» «وهوالّذي أنشأكم من نفس واحدة..»[٢] «..هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها..»[٣].

«المرعيّ» من قبل ربّه في نشوئه.

«في ظلمات الأرحام» «..يخلقكم في بطون أُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث..»[٤].

«ومضاعفات الأستار» ستر البطن، وستر الرّحم، وستر المشيمة. قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: تصوير الجنين في الرّحم حيث لاتراه عين، ولاتناله يد تدبّره حتّى يخرج سوّياً مستوفياً جميع مافيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح، والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللّحم

١. توحيد المفضل ص ٥٨.
٢. الانعام ــ ٩٨.
٣. هود ــ ٦١.
٤. الزمر ــ ٦.

والشّحم والمخّ والعصب والعروق والغضاريف، فإذا اخرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه، وهو ثابت على شكل وهيئة لاتتزايد، ولاتنقص إلى أن يبلغ أشدّه إن مدّ في عمره أو يستوفى مدّته قبل ذلك، هل هذا إلّا من لطيف التّدبير والحكمة.[١]

«بدئت من سلالة من طين، ووضعت في قرار مكين» الأصل فيه قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين؛ ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين»[٢] وسلالة من قولهم سللت الشّيء من الشّيء إذا استخرجته منه، وهو خلاصته، و«من طين» متعلّق بقوله «سلالة».

«إلى قدر معلوم وأجل مقسوم» من ستّة أشهر إلى تسعة أشهر، أيّام الحمل ومدّة تحوّلات النطفة إلى نفخ الروح فيه، كما قال عزّوجلّ: «ثمّ خلقنا النّطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين»[٣].

«تمور» اي تتحرّك. قال الأعشي:

كأنّ مشيتها من بيت جارتها ٭ مور السّحابة لاريث ولاعجل[٤]

«في بطن أمّك جنيناً» «..وإذا أنتم أجنّة في بطون أمّهاتكم..»[٥].

«لاتحير» أي لاتجيب، ومنه المحاورة.

«دعاء» إذا دعاك أحد.

«ولاتسمع نداء» إذا نوديت. قال الصّادق عليه السّلام فى ذكر خلق الانسان: فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرّحم، وهو محجوب في ظلمات

١. توحيد المفضل ص ٥٧.
٢. المؤمنون ــ ١٢ و ١٣.
٣. المؤمنون ــ ١٤.
٤. اورده لسان العرب ج ٥ ص ١٨٦/ مادة مور.
٥. النجم ــ ٣٢.

ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه الماء والنّبات، فلا يزال ذلك غذاءه حتّى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه، وقوى أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء، هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ ازعاج، وأعنفه حتّى يولد ، فإذا ولد صرّف ذلك الدم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثديها، وانقلب الطّعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدّم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمّظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثدي أُمّه كالإداوتين المعلّقتين لحاجته، فلا يزال يغتذي باللّبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء، ليّن الأعضاء حتّى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوى بدنه، طلعت له الطّواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطّعام فيلين عليه، ويسهل له إساغته، فلا يزال كذلك حتّى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشّعر في وجهه فكان ذلك علامة الذّكر، وعزّ الرجل الّذي يخرج به من حدّ الصبا وشبه النّساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشّعر لتبقى لها البهجة والنضارة الّتي تحرّك الرجال لما فيه دوام النّسل وبقاؤه.

اعتبر يا مفضّل في ما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة هل ترى مثله يمكن أن يكون بالإهمال. أفرأيت لولم يجر إليه ذلك الدّم وهو في الرّحم ألم يكن سيذوى ويجف كما يجف النّبات إذا فقد الماء، ولولم يزعجه المخاض عند استحكامه، ألم يكن سيبقى في الرّحم كا لموؤود في الأرض، ولولم يوافقه اللّبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه، ولا يصلح عليه بدنه، ولولم تطلع له الأسنان في وقتها، ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام، وإساغته أو يقيمه على الرّضاع فلا يشتدّ بدنه، ولا يصلح لعمل، ثمّ كان يشغل أُمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد، ولولم يخرج الشّعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصّبيان والنّساء، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً.[١]

«ثمّ اخرجت من مقرّك» من الرّحم.

---

١. توحيد المفضل ص ٤٨.

«إلى دار لم تشهدها» وهي هذا العالم.

«ولم تعرف سبل منافعها» «والله أخرجكم من بطون أُمّهاتكم لاتعلمون شيئاً..»[١]. قال الصّادق عليه السّلام: ولو كان المولود يولد فهما عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته، ولبقي حيراناً تائه العقل إذا رأى مالم يعرف وورد عليه مالم يرمثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير، إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم.

واعتبر ذلك بأنّ من سبي من بلد إلي بلد، وهو عاقل يكون كالوا له الحيران فلا يسرع في تعلّم الكلام، وقبول الأدب كما يسرع الّذي يسبى صغيراً غير عاقل. ثمّ لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصّباً بالخرق مسجّى في المهد، لأنّه لايستغني عن هذا كلّه لرقّة بدنه، ورطوبته حين يولد. ثمّ كان لايوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل، فصار يخرج إلى الدنيا غبيّاً غافلاً عمّا فيه أهله، فيلق الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثمّ لايزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، حتى يألف الأشياء ويتمرّن ويستمرّ عليها، فيخرج من حدّ التأمّل لها، والحيرة فيها إلى التّصرّف والإضطراب إلي المعاش بعقله وحيلته ـ وإلى الاعتبار والطّاعة والسّهو والغفلة والمعصية.[٢]

«فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمّك وعرّفك عند الحاجة موضع طلبتك وإرادتك» ولولاهدايته تعالى وعرفانه لوكان عقلاء العالم مجمعين على أن يهدوه لعجزوا.

هذا، وفي حيوان الجاحظ أنّ طاعوناً جارفاً جاء في البصرة على أهل دار فلم يشكّ أهل تلك المحلّة أنّه لم يبق فيها صغير ولا كبير، وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو، ولايقوم على رجليه، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلّة إلي باب تلك الدّار، فسدّوه فلمّا كان بعد ذلك بأشهر تحوّل فيها بعض ورثة

---

١. النحل ـ ٧٨.

٢. توحيد المفضل ص ٥١.

القوم. ففتح الباب فلمّا أفضى إلي عرصة الدّار إذا هو بصبيّ يلعب مع إجراء كلبة قد كانت لأهل الدّار فراعه ذلك، فلم يلبث أن أقبلت كلبة فلمّا رأها الصبي حبأ إليها، فأمكنته من اطبائها، فمصّها فظنّوا أنّ الصّبي لما بقي في الدّار، وصار منسيّاً واشتدّ جوعه ورآى إجراء الكلبة تستقي من أطبائها، حبأ إليها فعطفت عليه فلمّا سقته مرّة أدامت ذلك له، وأدام هو الطلب، والّذي ألهم هذا المولود مصّ إبهامه ساعة يولد، ولم يعرف كيف الإرتضاع هو الّذي هداه إلى الارتضاع من اطباء الكلبة.[١،٢]

٣٢. خطبة ــ ١٥٨: ومن خطبة له عليه السّلام:

أَمْرُهُ قَضاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضاهُ اَمانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِى بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ. اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلىٰ ما تَأْخُذُ وَتُعْطى، وَعَلىٰ ما تُعافِى وَتَبْتَلِى، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ اِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلَأُ ما خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ ما أَرَدْتَ حَمْداً لايُحْجَبُ عَنْكَ، وَلايَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْداً لايَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلايَفْنى مَدَدُهُ، فَلَسْنا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، اِلّا أَنّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَىٌّ قَيُّومٌ، لاتَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلانَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ اِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمارَ، وَاَخَذْتَ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ، وَمَا الَّذى نَرىٰ مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظيمِ سُلْطانِكَ، وَما تَغَيَّبَ عَنّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ اَبْصارُنا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنا دُونَهُ، وَحالَتْ سُتُورُ الْغَيْبِ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ.

«أمره قضاء» لامردّ له «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٣].

---

١. الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٥٥ والنقل بتصرف فى اللفظ.

٢. لم يتعرض الشارح لشرح قونه «هيهات ان من يعجز» الخ.

٣. يس ــ ٨٢.

«وحكمة» ولولم يهتد إليها الأفهام. فقالت الملائكة في خلق آدم: «.. أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال إنّي أعلم مالا تعلمون»[١] وكم من أمر خفيت حكمته أوّلاً وظهرت أخيراً «..فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السّموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون»[٢].

«ورضاه» تعالى عن العبد.

«أمان» عن عذابه.

«ورحمة» منه تعالى.

«يقضي» بين عباده.

«بعلم» فيقضي حقّاً.

«ويعفو» عمّن يستحقّ العقوبة.

«بحلم» «ولو يؤاخذ الله النّاس بظلمهم ما ترك عليها من دابّة..»[٣].

«اللّهمّ لك الحمد على ما تأخذ وتعطي» لأنّ كلاّ منهما على حسب المصلحة، وفي الخبر: قال موسى عليه السّلام: يا ربّ رضيت بما قضيت تميت الكبير، وتبقي الصّغير. فقال تعالى: يا موسى أما ترضاني لهم رازقاً وكفيلاً. قال: بلى يا ربّ فنعم الوكيل أنت ونعم الكفيل.[٤]

«وعلى ما تعافي وتبتلي» لأنّ ابتلاءه من الحكمة، وفي الخبر: أوحى تعالى إلى موسى عليه السّلام ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، فإنّي إنّما

---

١. البقرة ــ ٣٠.
٢. البقرة ــ ٣٣.
٣. النحل ــ ٦١.
٤. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٣٧٤ ح ١٨.

ابتليه لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأزوى عنه ما هو شرّ له لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي[١]، وإذا كان أمره تعالى عن حكمة وقضاه بعلم وعفوه عن حلم يجب حمده تعالى على كلّ فعل منه تعالى كما قال عليه السّلام، ولكن كثيراً من العامّة قالوا: إنّ له تعالى أن يفعل كلّ ما شاء، لامن حيث الحكمة بل من حيث قدرته كالسّبع القويّ. قال الغزّالي: إنّ السّبع يخاف لالجناية سبقت إليه بل لصفته وبطشه وهيبته، ولأنّه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإنّ قتلك لم يرقّ قلبه، وإن خلاّك لم يخلّك شفقة عليك، وإبقاء على روحك، بل أنت أخسّ عنده من أن يلتفت إليك، بل إهلاك ألف مثلك، وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة، وإذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته، وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ــ ولله المثل الأعلى ــ ولكن من عرفه عرفه بالمشاهدة الباطنه الّتي هي أقوى وأوثق من المشاهدة الظّاهرة أنّه صادق في قوله «هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي وهؤلاء إلى النّار ولا أبالي ــ إلخ[٢]ــ، وما أجهل قوم يصفون إلههم هكذا، تعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

«حمداً يكون أرضى الحمد لك ــ إلى حمداً لاينقطع عدده، ولايفنى مدده» وفي دعاء تحميد الصّحيفة: «حمداً نعمّر به في من حمده من خلقه، ونسبق به من سبق إلى رضاه وعفوه. حمداً يضيء لنا به ظلمات البرزخ، ويسهل علينا به سبيل المبعث، ويشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد، يوم تجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لايظلمون يوم لايغني مولًى عن مولًى شيئاً ولاهم ينصرون، حمداً يرتفع منّا إلى أعلى علّيين في كتاب مرقوم يشهده المقرّبون، حمداً تقرّبه عيوننا إذا برقت الأبصار، وتبيضّ به وجوهنا إذا اسودّت الأبشار، حمداً نعتق به من أليم نارالله إلى كريم جوارالله، حمداً نزاحم به ملائكته المقرّبين، ونضامّ به أنبياءه المرسلين، في دار المقامة الّتي لاتزول، ومحلّ كرامته الّتي لاتحول».[٣]

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ٢ ص ٦١ ح ٧ وابوعلي الطوسي في اماليه ج ١ ص ٢٤٣/ جزء ٩.
٢. قاله الغزالي في احياء العلوم ج ٤ ص ١٣٩ والنقل بتصرف يسير.
٣. الصحيفة الكاملة السجادية ص ٢٥/ دعاء ١.

أيضاً: «والحمدلله بكلّ ما حمده به أدنى ملائكته إليه، وأكرم خليقته عليه وأرضى حامديه لديه، حمداً يفضل سائر الحمد كفضل ربّنا على جميع خلقه. ثمّ له الحمد مكان كلّ نعمة له علينا، وعلى جميع عباده الماضين والباقين»[١].

«فلسنا نعلم كنه عظمتك» قال السّجاد عليه السّلام: لواجتمع أهل السّماء والأرض على أن يصفوا الله بعظمته ما قدروا.[٢]

«إلّا أنّا نعلم أنّك حيّ قيّوم لاتأخذك سنة ولانوم» كما وصف نفسه عزّوجلّ في قوله: «الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لاتأخذه سنة ولانوم..»[٣] وسئل الرضا عليه السّلام عن أدنى المعرفة فقال: الإقرار بأنّه لا إله غيره، ولاشبه له ولانظير، وأنّه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنّه ليس كمثله شيء.[٤]

«لم ينته إليك نظر» من نبيّ أو ملك.

«ولم يدركك بصر» من جنّ أو إنس والنظر أعمّ من أن يكون بالبصر.

«أدركت الأبصار» «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير».[٥]

«وأحصيت الأعمار» هكذا في المصريّة، و«الأعمال» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦]، قال تعالى حكاية عن العباد يوم التّناد: «..ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً..»[٧].

---

١. الصحيفة الكاملة السجادية ص٢٨/ دعاء ١.
٢. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٠٢ ح ٤ والنقل بتصرف يسير.
٣. البقرة ـــ ٢٥٥.
٤. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٨٦ ح ١ والصدوق في التوحيد ص٢٨٣ ح ١ والعيون ج ١ ص١٠٩ ج ٢٩.
٥. الانعام ـــ ١٠٣.
٦. في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٤٤٧ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٢٧٧ ايضاً «الاعمار».
٧. الكهف ـــ ٤٩.

«وأخذت بالنّواصي والأقدام» قال تعالى: «..ما من دابّة إلّا هو آخذٌ بناصيتها إنّ ربيّ على صراط مستقيم»[١] واحتمل (الخوئي)[٢] أن يكون كلامه عليه السّلام إشارة إلى قوله ــ عزّوجلّ ــ «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنّواصي والأقدام»[٣] وهو كما ترى.

«وما الّذي نرى من خلقك ــ إلى ــ وحالت ستور» هكذا في المصريّة والصّواب «سواتر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة).[٤]

«الغيب بيننا وبينه أعظم» وفي الخبر أنّ في السّماوات السّبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمأة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله تعالى، والماء إلى ركبهم ــ الخبر ــ.[٥]

٣٣. من كتاب ــ ٣١:

وَاعْلَمْ يا بُنَيَّ اَنَّهُ لَوْ كانَ لِرَبِّكَ شَريكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وَسُلْطانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعالَهُ وَصِفاتَهُ، وَلكِنَّهُ اِلهٌ واحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ، لايُضادُّهُ فى مُلْكِهِ اَحَدٌ، وَلا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، اَوَّلٌ قَبْلَ الْاَشْياءِ بِلا اَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْاَشْياءِ بِلانِهايَةٍ عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحاطَةِ قَلْبٍ أَوْبَصَرٍ، فَإِذا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَما يَنْبَغى لِمِثْلِكَ اَنْ يَفْعَلَهُ فى صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظيمِ حاجَتِهِ اِلىٰ رَبِّهِ فى طَلَبِ طاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَاِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ اِلّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ اِلّا عَنْ قَبيحٍ.

---

١. هود ــ ٥٦.
٢. شرح الخوئى ج ٤ ص ٢٣٨.
٣. الرحمن ــ ٤١.
٤. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٤٤٧ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٢٧٧ ايضاً «ستور».
٥. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٢٨١ ح ٩.

قوله عليه السّلام «واعلم يابنيّ أنّه لوكان لربّك شريك ـ إلى ـ ولعرفت أفعاله وصفاته» برهان عقلي على وحدة الصّانع فكلّ رسول جاء من ربّ واحد، فلوكان ربّ آخر موجوداً لأرسل أيضاً رسلاً، وكلّ ما عرفنا من آثار الملك والسّلطان لم نعرفها من غير إله واحد فلوكان إله آخر لخلق سماوات أُخر، وأرضاً أُخرى كما نرى لغير ملكنا ملوكاً آخرين لهم ممالك، وكلّ ما عرفنا من أفعال الإله وصفاته لم نعرفهما من غير خالق واحد. فلوكان خالق آخر لعرّفنا صفاته بأنّ صفاتي هكذا غير صفات ذاك الخالق، مثلاً عرّف عبدالملك أخلاقه بأنّه ليس كعثمان، ولا كمعاوية، ولا كيزيد الثّلاثة قبله من عشيرته.

والإستدلال بالبرهان العقليّ على توحيده تعالى في القرآن أيضاً كثير كقوله تعالى: «قل لوكان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه؛ وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً»[١] وكقوله تعالى: «أم اتّخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون؛ لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون»[٣]، وكقوله تعالى: «ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون»[٢] وكقوله تعالى: «قل أرأيتم شركاءكم الّذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السّموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه بل إن يعد الظّالمون بعضهم بعضاً إلّا غروراً»[٤] وكقوله تعالى: «أمّن خلق السّموات والأرض وأنزل لكم من السّماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرهاءَ إله مع الله بل هم قوم يعدلون، أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ءإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون؛ أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوءَ ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلاً ما تذكّرون؛ أمّن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ومن يرسل الرّياح بُشراً بين يدي رحمته ءإله مع الله تعالى الله عمّا يشركون؛ أمّن يبدؤ الخلق ثمّ

١. الاسراء ــ ٤٢ و ٤٣.
٢. الانبياء ــ ٢١ و ٢٢.
٣. المؤمنون ــ ٩١.
٤. فاطر ــ ٤٠.

يعيده ومن يرزقكم من السّماء والأرض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين». [١]

«ولكنه إله واحد» بعد ثبوت عدم شريك له.

«كما وصف نفسه» في قوله: «قل هوالله أحد» [٢] وقد عرفت البرهان على عدم إمكان تعدّده، ولمّا قال الحباب بن المنذر يوم السّقيفة لقريش، **إن أبيتم فمنّا أمير ومنكم أمير**. قال عمر: هيهات لايجتمع سيفان في غمد **واحد** [٣]، وكان ابن عبّاس في وقعة الحرّة في الطّائف فسأل عن أمير أهل المدينة فقيل له: عبدالله بن مطيع على قريش، وعبدالله بن حنظلة على الأنصار. فقال: أميران هلك القوم [٤]، ولمّا خرج عبدالملك لقتال مصعب أغلق عمروبن سعيد الأشدق باب دمشق فرجع عبدالملك، وصالحه على كون عمر وخليفته، وأنّ له مع كلّ عامل عاملاً وأن يكون بيده بيت المال، ثمّ بعث إليه يوماً احبّ أن أخلو بك لأشاورك في أمور فلمّا وقع عنده أمر بأخذه فاخذو أمر أخاه أن يقتله، وخرج للصّلاة فرجع ورأى أنّه لم يقتله فشتمه وأخذ الحربة بيده، وقال له: لو علمت أنك تبقى ويصلح لي ملكي لفديتك بدم النّاظر، ولكن قلّما اجتمع فحلان في ذود إلّا عدا أحدهما على الآخر، ورفع الحربة فقتله [٥]، وقال المنصور لقتيبة بن مسلم: ما تقول في قتل أبي‌مسلم قال: لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا. [٦] قال: حسبك يا أبا أميّة. [٧]

---

١. النمل ــ ٦٠ ــ ٦٤.
٢. الاخلاص ــ ١.
٣. رواه الطبرى فى تاريخه ج ٢ ص ٤٥٧/ سنة ١١ وابن‌قتيبة فى الامامة والسياسة ج ١ ص ٧ والجوهرى فى السقيفة ص ٦٢.
٤. نقله ابن عبد ربه العقد االفريد ج ٥ ص ١٢٩.
٥. نقل القصة الطبرى فى التاريخ ج ٤ ص ٥٩٩/ سنة ٦٩ والمسعودى فى مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٤ وابن‌قتيبة فى الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٦ بفرق يسير.
٦. الانبياء ــ ٢٢.
٧. ذكر قصة قتل ابى مسلم جمع منهم الطبرى فى التاريخ ج ٦ ص ١٢٧/ سنة ١٣٧ بتفصيل لكن لم اجد فى كلامهم ذكر قتيبة بن مسلم.

«لايضادّه في ملكه أحد» كما يضادّ ملوك الدّنيا كثيراً كثيراً.

«ولا يزول أبداً ولم يزل» أي أنّه أبديّ سرمديّ.

«أوّل قبل الأشياء بلا أوّليّة، وآخر بعد الأشياء بلانهاية» «هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم»[١].

«عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر» قال الجواد عليه السّلام: أوهام القلوب أدقّ من ابصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند، والبلدان الّتي لم تدخلها ولم تدركها ببصرك وأوهام القلوب لاتدركه فكيف أبصار العيون.[٢]

«فإذا عرفت ذلك» أنّه إله واحد لايضاده في ملكه أحد، وأنّه لايزول ولم يزل، وأنّه أوّل قبل الأشياء بلا أوّلية له، وآخر بعدها بلانهاية له، وربوبيّته أجلّ من أن يحيط به بصر أو قلب.

«فافعل كما ينبغي لمثلك» مسكين تقتله الشّرقة، وتؤلمه البقة، وتنتنه العرقة مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل.

«أن يفعله في صغر خطره» أي خسّة قيمته.

«وقلّة مقدرته» فلم يقدر على عمل أمر صغير إذا لم يكن مقدّراً.

«وكثرة عجزه» في أُموره، ولو كان ملكاً.

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرّياح بما لاتشتهي السّفن[٣]

---

١. الحديد ــ ٣.

٢. اخرجه الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٩ ح ١١ والصدوق في التوحيد ص١١٣ ح١٢ ورواه الطبرسي في الاحتجاج ج ٢ ص ٤٤٢ عن ابي هاشم الجعفري عن الجواد (ع) وروى معناه عن عدة طرق اخرجته في عنوان ١ من هذا الفصل.

٣. اورده التفتازاني في المطول ص ١٢٦/ احوال المسند اليه والشاعر ابوالطيب المتنبي.

«وعظيم حاجته إلى ربّه» آناً فآناً، وفي دعاء الثّمالي «لا الّذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الّذي أساءَ واجترأ عليك وكم يرضك خرج عن قدرتك». [1]

«في طلب طاعته» بتوفيقه.

«والخشية» هكذا في المصريّة، والصواب «والرّهبة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة) [2] أي الخوف.

«من عقوبته» فلا تقوم لها السّماوات والأرض فكيف مثل الإنسان الضّعيف.

«والشّفقة» أي الخوف.

«من سخطه» أي غضبه. فغضبه إهلاك من غضب عليه.

«فإنّه لم يأمرك إلّا بحسن، ولم ينهك إلّا عن قبيح» فيجب عقلاً إطاعته في أوامره لكونها وفق صلاحه، وفي زواجره لترتّب المفاسد عليها.

٣٤. حكمة ـ ٢٥٠: وقال عليه السّلام:

عَرَفْتُ اللهَ سُبْحانَهُ بِفَسْخِ الْعَزائِمِ وَحَلِّ الْعُقُود.

أقول: قال (ابن أبي الحديد): هذا فصل يتضمّن كلاماً دقيقاً يذكره المتكلّمون في الخاطر الّذى يخطر عن غيرموجب لخطوره، فإنّه لا يجوز أن يكون الإنسان أخطره بباله وإلّا لكان ترجيحاً من غير مرجح لجانب الوجود. على جانب العدم، فلابدّ أن يكون المخطر له بالبال شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان وذاك

---

١. هذه من الوائل دعاء ابى حمزة رواه الطوسى عن ابى حمزه الثمالى عن السجاد (ع) فى مصباح المتهجد ص ٥٢٤.

٢. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٢٨ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٢ ايضاً «الخشية».

الشيء هو الشيء المسمّى بصانع العالم.

ثمّ قال: ويقال: إنّ عضد الدّولة وقعت في يده قصّة وهو يتصفّح القصص فأمر بصلب صاحبها، ثمّ اتبع الخادم خادماً آخر يقول له: قل للمطهّر ـ وكان وزيره ـ لايصلبه ولكن اخرجه من الحبس فاقطع يده اليمنى، ثمّ اتبعه خادماً ثالثاً فقال: بل تقول له يقطع أعصاب رجليه، ثمّ اتبعه خادماً آخر فقال له: ينقله إلى القلعة بسيراف في قيوده فيجعله هناك، فاختلف دواعيه في ساعة واحدة أربع مرّات.[1]

قلت: والظّاهر أنّ الخبر الّذى روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «ما من آدميّ إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله»[2] في معنى كلامه عليه السّلام: «**عرفت الله بفسح العزائم وحلّ العقود**» بأن يكون معناه أنّه تعالى يتصرّف في قلوب عبيده كيف شاء بعزمها على أمر وعقدها له فيفسخها ويحلّها، وبالعكس كتصرّف من أخذ خاتماً بين إصبعيه فيه، ويشهد له قوله تعالى: «.. واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه وأنّه إليه تحشرون»[3] والحديث القدسيّ «لا تقضوا أوقاتكم بسبّ الملوك فإنّ قلوبها بيدي أجعلها رحيماً عليكم»[4] وأمّا قول المصنّف في مجازاته النّبويّة: إنّ معنى قلبه بين إصبعين من أصابع الله هو أنّ الإصبع بمعنى النّعمة، والأثر الجميل كقول الرّاعيّ:

ضعيف العصا بادى العروق ترى له ٭ عليها إذا ما أجدب النّاس إصبعاً

أي ما من آدمي إلّا وقلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين: إحديهما ما منّ الله عليه من معرفة خالقه ورازقه، والأُخرى ما امتنّ عليه من تحسين خلقه

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٣٥٠.

٢. اخرجه ابن ماجه فى سننه ج ١ ص ٧٢ ح ١٩٩ واحمد فى مسنده ج ٤ ص ١٨٢ والحاكم فى المستدرك والطبرانى فى معجمه الكبير والدار قطني فى الصفات عنهم منتخب كنزالعمال ج ١ ص ١١٤ و١١٦ عن النواس بن سمعان عن النبى (ص) وروى ايضاً عن طريق انس بن مالك وعبدالله بن عمر وام سلمة عن النبى (ص) واخرجه الصدوق فى علل الشرائع ج ٢ ص ٦٠٤ ح ٧٥ عن الباقر (ع) وشرحه الشريف الرضى فى المجازات النبوية ص ٣٤٦ والشريف المرتضى فى اماليه ج ٢ ص ٢/ مجلس ٢٢ وتنزيه الانبياء ص ١٢٥ وابن قتيبة فى تأويل المختلف ص ٢٠٨ ولفظ الكتاب للرضى.

٣. الانفال ـ ٢٤.

٤. اخرجه الصدوق فى اماليه ص ٢٩٩ ح ٩/ مجلس ٥٨ والنقل بالمعنى

وتوسيع رزقه.[١] فكما ترى، فإنّ الموضوع في النعمتين اللّتين قالها نفس الإنسان لاقلبه فإن صحّ في الأولى جعل القلب موضوعاً بتكلّف ففي الثّانية غيرصحيح مع أنّ الأُولى غيرصحيحة في نفسها، فكم آدميّ لم يرزق معرفة خالقه ورازقه بل هم أكثر من العارفين بربّهم، مع أنّ الخبر تضمن أنّه ما من آدميّ إلّا وهو كذا، وأيضاً فرق بين قولهم: لفلان عليّ إصبع، وقولهم: أمرى بين إصبعيه. فالأوّل بمعنى أنّ له عندى نعمة، وأمّا الثّاني فبمعنى أمري بيده، ومثله الخبر، وكيف كان ففي عيون ابن قتيبة: أتى رجل يزيد بن أبي مسلم برقعة يسأله أن يرفعها إلى الحجّاج فنظر فيها يزيد فقال: ليست هذه من الحوائج الّتي ترفع إلى الأمير. فقال الرّجل: فإنيّ أسألك أن ترفعها فلعلّها توافق قدراً فيقضيها وهو كاره. فادخلها وأخبره بمقالته. فنظر في الرّقعة، وقال له قل للرّجل: إنّها وافقت قدراً، وقد قضيناها، ونحن له كارهون.[٢]

وفي أغاني أبي الفرج. قال أحمد بن خلّاد: حدّثني أبي قال: كنت أُكلّم بشّار الشّاعر وأردّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد فكان يقول: لاأعرف إلّا ما عاينته أو عاينت مثله، وكان الكلام يطول بيننا. فقال لي يوماً: ما أظنّ الأمر يا أباخالد إلّا كما تقول: وأنّ الّذي نحن فيه خذلان، ولذلك أقول:

طبعت على ما فيّ غير مخيّر * هواي ولو خيّرت كنت المهذّبا
أُريدفلااعطى وأُعطىٰ فلم أرد * وقصّر علمي أن أنال المغيّبا
فأُصرف عن قصدي وعلمي مقصّر * وأمسي وما أُعقبت إلّا التعجّبا[٣]

٣٥. حكمة ـ ٣٥١: وقال عليه السّلام:

عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاءِ يَكُونُ الرَّخاءُ.

---

١. المجازات النبوية ص ٣٤٦ ح ٢٦٨ وبين اللفظ المنقول ولفظ المجازات فرق كثير.
٢. عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ١٣٠ والنقل بتصرف يسير.
٣. الاغاني ج ٣ ص ٢٢٧.

هو أحد الشّواهد والأدلّة أيضاً على وجود الباري تعالى. فالفرج والرّخاء للشّخص لئلا يهلك كدفع الآفات عن العالم لئلا يفني دليل على وجود صانع حكيم رؤوف رحيم، وضع للإنسان شدّة كما للعالم آفة حكمة، ويرفعها بعد حين رأفة ورحمة، وقد صنّف في حكايات من فرّج عنهم بعد غاية الشدّة كتب ومنها كتاب لأبي الحسن المدائنيّ، وكتاب لحسين بن سعد الدهستانيّ، وكتاب لابن أبي الدنيا البغداديّ، وكتاب لمحسن بن عليّ التنوخيّ.

وفي تاريخ بغداد في يعقوب بن داود السّلمي الّذي استوزره المهديّ ثمّ غضب عليه لاطلاقه علوياً أمره بقتله فحبسه في المطبق، قال يعقوب: حبسني المهديّ في بئر وبنيت عليّ قبّة، فمكثت فيها خمس عشرة حجّة مضى صدر من خلافة الرّشيد، وكان يدلى إليّ في كلّ يوم رغيف وكوز من ماء، وأوذن بأوقات الصّلوات، فلمّا كان في رأس ثلاث عشرة حجّة أتاني آت في منامي. فقال:

حنا على يوسف رب فأخرجه ٭ من قعر جبّ وبيت حوله غمم

فحمدت الله وقلت: أتى الفرج فمكثت حولاً لا أرى شيئاً. ثمّ أتاني ذلك الآت بعد حول. فقال:

عسى الكرب الّذى أمسيت فيه ٭ يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفكّ عان ٭ ويأتي أهله النائي الغريب

فلمّا أصبحت نوديت فظننت أنّي أُوذن بالصلوة فدلّي لي حبل أسود وقيل لي: أشدد به وسطك ففعلت فأخرجوني فلمّا قابلت الضّوء غشى بصري. فانطلقوا بي فأدخلوني على الرّشيد ـ إلى أن قال: ـ فقال لي الرّشيد: والله ما شفّع فيك أحد غير أنّي حملت اللّيلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك إيّاي على عنقك فرثيت لك،[1] وفي المعجم أنشد لإبراهيم الصّولي:

ربما تجزع النّفوس من الأمـ ٭ ـر له فرجة كحلّ العقال

ونكت بقلمه ثمّ قال:

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ٭ ذرعاً وعندالله منها المخرج
كملت فلمّا استحكمت حلقاتها ٭ فرجت وكنت أظنّها لاتفرج[2]

---

١. تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٦٤ والنقل بتصرف.

٢. معجم الادباء للحموى ج ١ ص ١٨٦.

٣٦. خطبة ـ ٨١: ومن خطبة له عليه السّلام عجيبة:

اَلحَمْدُ لِلّهِ الَّذى عَلا بِحَولِهِ وَدَنا بِطَوْلِهِ، مانِح كُلِّ غَنيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكاشِفِ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَأزْلٍ، اَحْمَدُهُ عَلىٰ عَواطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوابِغ نِعَمِهِ، وَاُؤمِنُ بِهِ أوَّلاً بادِياً وَاَسْتَهْديهِ قَريباً هادِياً، وَاَسْتَعينُهُ قادِراً قاهِراً، وَأتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كافِياً ناصِراً.

أقول وروى أمالي الشيخ مسنداً عن ابن عبّاس. قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال: «الحمدلله الّذى لايحويه مكان، ولايحدّه زمان، علابطوله، ودنا بحوله، سابق كلّ غنيمة وفضل، وكاشف كلّ عظيمة وأزل، أحمده على جود كرمه، وسبوغ نعمه، وأستعينه على بلوغ رضاه، والرّضا بما قضاه، وأومن به إيماناً، وأتوكّل عليه إيقانا، وأشهد أن لا إله إلّا الله الذي رفع السّماء فبناها، وسطح الأرض فطحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، لايؤده خلق، وهو العليّ العظيم» ـ الحديث.[١]

قول المنصف: «ومن خطبة له عجيبة» هكذا في المصريّة ولكن في (ابن أبي الحديد) «ومن خطبة له عليه السّلام وتسمّى بالغرّاء وهي من الخطب العجيبة»[٢] وفي (ابن ميثم) «ومن خطبة له عليه السّلام وهي من الخطب العجيبة وتسمّى الغرّاء»[٣] وفي خطّية مصحّحة تاريخها سنة ـ ١٠٧٥ ـ «ومن خطبة له عليه السّلام عجيبة تسمّى الغرّاء» وهذا الاختلاف عجيب، ولعلّ في النّسخ تصحيفاً، وكيف كان فمن اتّفاق الثّلاثة على فقرة «وتسمّى الغرّاء» يعلم سقوطها من المصريّة إلّا أنّ قول المصنّف في آخر الخطبة: ومن النّاس من يسمّي هذه الخطبة الغرّاء لايناسب ثبوتها، ولعلّه نسي قوله في الأوّل، وكيف كان فقال (ابن أبي الحديد) بعد ذكر نكات في ألفاظ العنوان ومعانيها: «وهذه اللّطائف والدّقائق من معجزاته عليه السّلام».[٤]

---

١. اخرجه ابوجعفر الطوسى فى اماليه ج ٢ ص ٢٩٦/ مجلس ٢٠.
٢. لفظ ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٨٥ «وتسمّىٰ بالغراء وهى من الخطب العجيبة».
٣. لفظ ابن ميثم ج ٢ ص ٢٣٠ «وهى من الخطب العجيبة».
٤. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٨٦.

«الحمدلله الّذي علا بحوله» أي بقوّته. قال (ابن ميثم): وقد أثنى عليه السّلام على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات أربعة من نعوت جلاله: الأوّل كونه عليّاً، وإذ ليس المراد به العلوّ المكانيّ لتقدّسه عن الجسميّة كما سبق، فالمراد العلوّ المعقول له باعتبار كونه مبدأ كلّ موجود، ومرجعه فهو العليّ المطلق الّذي لا أعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه، ولمّا عرفت أنّ معنى الدّنوّ إلى كلّ موجود صدر عن قدرته وقوّته لا جرم جعل للحوقه له مبدأ هو حوله.[1]

«ودنا بطوله» أي بمنّه. قال (ابن ميثم): لمّا عرفت أنّ معنى الدنوّ والقرب في حقّه تعالى ليس مكانيّاً ايضاً كان اعتباراً تحدثه عقولنا له تعالى من قرب إفاضة نعمه على قوابلها، وقربه من إبصار البصائر في صورة نعمة نعمة منها، ولذلك جعل طوله مبدأ لدنوّه.[2]

«مانح» أي معطيّ.

«كلّ غنيمة» «.. ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدّنيا فعندالله مغانم كثيرة..»[3].

«وفضل» «. ويؤت كلّ ذي فضل فضله..»[4].

«وكاشف كلّ بلية وأزل» اي ضيق. قال (ابن ميثم) «مانح» و «كاشف» إشارة إلى كلّ نعمة صدرت عنه تعالى على قابلها فبدؤه جوده ورحمته سواء كانت وجوديّة كالصّحة والمال والعقل وغيرها، أو عدمية كدفع البأساء والضرّاء، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «وما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضّرّ فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضرّ عنكم..» الآية[5] وقوله تعالى: «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوء ويجعلكم خلفاء الأرض..»[6،7].

---

١. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٣١

٢ و ٧. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٣١.

٣. النساء ــ ٩٤.

٤. هود ــ ٣.

٥. النحل ــ ٥٣. ٦. النمل ــ ٦٢.

قلت: وكلامه عليه السّلام من الأوّل إلى هنا في ثنائه عليه تعالى باعتبارات بيّنها عليه السّلام من حوله تعالى وطوله، وما نحيته وكاشفيته نظير قوله تعالى: «سبّح اسم ربّك الأعلى؛ الّذى خلق فسوّى؛ والّذي قدّر فهدى؛ والّذي أخرج المرعى؛ فجعله غُثاء أحوى» [1] فأمر تعالى بوجوب تسبيحه والثّناء عليه باعتبارات بيّنها من خلقه فتسويته، وتقديره فهدايته، وإخراجه المرعى.

«أحمده على عواطف» من إضافة الصّفة.

«كرمه» مفرد بمعنى الجمع.

«وسوابغ» أي كوامل.

«نعمه» «.. وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..» [2] قال (ابن ميثم): قوله عليه السّلام «أحمده» ــ الى قوله «نعمه» تنبيه للسامعين على مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد، وهو كرمه، قال بعض الفضلاء الكريم هو الّذي إذا قدر عفا، وإذا وعدوفا، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولايبالي كم أعطى ولالمن أعطى، وإن رفع إلى غيره حاجة لايرضى، وإذا جفا عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذبه والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشّفعاء. فمن اجتمعت له هذه الإعتبارات حقيقة من غير تكلّف فهو الكريم المطلق، وليس ذلك إلّا الله تعالى، والأجمع الأمنع في رسم هذا الاعتبار يعود إلى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كلّ من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله، وعواطف كرمه هي نعمه وآثاره الخيريّة الّتي تعود على عباده مرّة بعد أخرى، ونعمه السّابغة الّتي لاقصور فيها عن قبول قابلها. [3]

«وأومن به أوّلاً بادياً» أي ظاهراً. أوّلاً بادياً حالان من الضّمير في «به» كقوله عليه السّلام بعد: قريباً هادياً، وقادراً قاهراً، وكافياً ناصراً، والكلّ للثّبوت

---

١. الاعلى ــ ١ ــ ٥.

٢. لقمان ــ ٢٠.

٣. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٣١.

كقوله تعالى: «.. قائماً بالقسط..»[1] بمعنى أنّه يجب الإيمان به تعالى لكونه أوّلاً ومبدأً لجميع الأشياء، ولكونه تعالى ظاهراً جليّاً بآثاره، وخلائقه عند جميع العقلاء، وأمّا قول (ابن أبي الحديد) أوّلاً منصوب على الظّرفية كأنّه قال: قبل كلّ شيء[2]، فبلا معنى فأيّ شيء يقول في قوله عليه السّلام «بادياً» والظّاهر أنّه جعله ظرفاً لقول الصّحاح، تقول: ما رأيته مذعام أوّلُ، ومذعام أوّلَ.[3] فمن رفع الأوّل جعله صفة لعام كأنّه قال أوّل من عامنا ومن نصبه جعله كالظّرف كأنّه قال مذعام قبل عامنا.

«وأستهديه قريباً هادياً» والاستهداء من البعيد ولو كان هادياً أو القريب غير الهادي بلاثمر، ولا يجمعهما حقيقة غيره تعالى فيجب الإستهداء منه.

«وأستعينه قادراً قاهراً» هكذا في المصريّة، والصواب «وأستعينه قاهراً قادراً» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخوئي والخطيّة)[4]. قال (ابن ميثم): استعانته طلب المعونة منه على ما ينبغي من طاعته، وسلوك سبيله، والقاهر هو الّذى لا يجري في ملكه بخلاف حكمه، بل كلّ موجود مسخّر تحت حكمه وقدرته، وحقير في قبضته، والقادر هو الّذي إذا شاء فعل وإذا لم يشأ لم يفعل وإن لم يلزم أنّه لايشأ فلايفعل كما سبق بيانه، وظاهر أنّه باعتبار هذين الوصفين مبدأ للاستعانة.[5]

«وأتوكّل عليه كافياً ناصراً» قال (ابن ميثم): التوكّل كما علمت يعود إلى اعتماد الإنسان في ما يرجو أو يخاف على غيره، والكافي اعتبار كونه معطياً لكلّ قابل من خلقه ما يكفي استحقاقه من منفعة، ودفع مضرّة، والنّاصر هو اعتبار إعطائه النّصر لعباده على أعدائهم بإفاضة هدايته وقوّته، وظاهر أنّه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدأ لتوكّل عباده عليه، وإلقاء مقاليد أمورهم إليه.[6]

---

١. آل عمران ــ ١٨. ٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٨٦.

٣. صحاح اللغة الجوهري ج ٥ ص ١٨٣٨/ مادة أول.

٤. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٨٥ وشرح الخوئي ج ٢ ص ٢٤٠ لكن في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٣٠ ايضاً «قادراً قاهراً».

٥ و٦. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٢٣٢.

قلت: ولذا قال نوح عليه السّلام لقومه: «.. يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكّلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثمّ اقضوا إليّ ولا تُنظِرُون»[١] ومثله قال الحسين عليه السّلام يوم الطّف لأهل الكوفة كما رواه أبو مخنف.[٢]

٣٧. حكمة ـ ١٣. وقال عليه السّلام:

مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ اُتيحَ: «أي قدّر» لَهُ الأَبْعَدُ.

أقول: هو أيضاً إحدى آيات الله تعالى، فمن ضيّعه الأقرب لولم يقدّر له الأبعد لهلك، ونرى أنّ كثيراً من المؤمنين الّذين يتبرّأ منهم أقاربهم، ويدعونهم يقدّر الله لهم من يخدمهم من الأباعد كما أنّ موسى عليه السّلام لمّا ألقته أمّه في اليمّ أخذه عدوّه وربّاه.[٣]

٣٨. حكمة ـ ٨٤: وقال عليه السّلام:

بِقيَّةُ السَّيْفِ أبقى عَدداً وَأكْثرُ وَلَداً.

أقول: الأصل في العنوان أنّ الحضين بن المنذر كتب إليه عليه السّلام ـ كما في العقد ـ أنّ السّيف أكثر في ربيعة. فوقّع عليه السّلام في جوابه: بقيّة السّيف أنمى عدداً.[٤]

وفي بيان الجاحظ قال عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ: بقية السّيف أنمى عدداً وأكرم ولداً، ووجد النّاس ذلك بالعيان الّذي صار إليه ولده من نهك السّيف،

١. يونس ـ ٧١.
٢. رواه الطبرى فى تاريخه ج ٤ ص ٣٢٢/ سنة ٦١ عن ابى مخنف لكن ليس فى كتاب مقتل الحسين المنسوب الى ابى مخنف.
٣. القصة مذكورة فى قوله تعالى طه ـ ٣٩.
٤. العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٦.

وكثرة الذّرء وكرم النّجل[١]، وقال (ابن أبي الحديد): قال شيخنا ابوعثمان (يعني الجاحظ): ليته عليه السّلام لما ذكر الحكم ذكر العلّة ثمّ قال قد وجدنا مصداق قوله أولاده، وأولاد الزّبير، وبني المهلّب وأمثالهم.[٢]

قلت: أمّا العلّة فالعناية الإلهيّة بجبران من وقع عليه ظلم فضر حيث كان فيهم السّلطنة، وكانوا أعداء ربيعة فأكثروا من إفنائهم. ثمّ الّذي وجدت في كتاب الجاحظ الإقتصار على ولده[٣]، وأمّا جمعه معهم ولد الزّبير وولد المهلّب كما نقل ففي غير محلّه، حيث إنّ الزّبير إنّما قتل جمع من ولده أيّام نهوض عبدالملك فقط، فقتل مع عبدالله بن الزّبير إبناه الزّبير وعروة، وأخوه المنذر، وابن أخيه عمرو بن عروة، وقتل مع مصعب أخيه ابنه عيسى كما أنّ المهلّب قتل جمع من ولده أيّام خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبدالملك.

وأمّا ولده عليه السّلام فكان القتل فيهم في كلّ زمان في مدة سلطنة بني أُميّة وسلطنة بني العبّاس، سوى وقعة الطّفّ الّتي أرادوا فيها استيصالهم حتّى قتلوا رضيعهم وأرادوا قتل عليلهم، حتّى صنّف في مقاتلهم كتب كثيرة بالخصوص، ومنها مقاتل الطّالبيّين لأبي الفرج الاصبهانيّ الأمويّ، ومع ذلك ولده عليه السّلام أكثر من جميع طوائف قريش حتّى مع العبّاسيين مع بني هاشم، وقد كانوا كثروا أيام سلطنتهم، وقد كان المأمون أمر بإحصائهم لـمّا أراد جعل عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام ولي عهده فكانوا ثلاثة وثلاثين ألفاً صغيراً وكبيراً. فقال المأمون للنّاس أنّه نظر في ولد العبّاس وولد عليّ عليه السّلام فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى عليه السّلام ــ نقل ذلك الطّبريّ والمسعوديّ[٤]، بل لا معروف من جميع قريش منذ قرون، وفي كلّ

---

١. البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٥٥.

٢. شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٢٧٩.

٣. قال الجاحظ فى البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٥٥ «قال المهلب ليس انمى من بقية السيف فوجد الناس تصديق قوله فيا نال اولاده من السيف وصار فيهم من النماء وقال على بن ابى طالب بقية السيف انمى عدداً واكرم ولداً ووجد الناس ذلك بالعيان الذى صار اليه من ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجل» فقال فى صفحة ٣٥٦ «ولم يظهر من عدد القتلى مثل الذى يظهر فى آل ابى طالب وآل الزبير وآل المهلب».

٤. قال الطبيرى فى التاريخ ج ٧ ص ١٣٢/ سنة ٢٠٠ والمسعودى فى المروج ج ٣ ص ٤٤٠ ولفظ ←

قرن كلّ صقع مشحون من ولده عليه السّلام، وذلك من آيات الله الخاصّة فيه عليه السّلام.

قال محمّد بن محمّد بن النّعمان في إرشاده: ومن آيات الله تعالى فيه عليه السّلام أنّه لم يمن أحد في ولده وذريّته بمثل ما مني عليه السّلام في ذرّيته، وذلك أنّه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبيّ، ولا إمام، ولا ملك زمان، ولا برّ ولا فاجر كالخوف الّذي شمل ذرّيّة أمير المؤمنين عليه السّلام، ولا لحق أحداً من القتل والطّرد عن الدّيار والأوطان والإخافة والإرهاب ما لحق ذرّيّة أمير المؤمنين عليه السّلام وولده، ولم يجر على طائفة من النّاس من ضروب النّكال ما جرى عليهم من ذلك. فقتلوا بالفتك والغيلة والإحتيال، وبنى على كثير منهم، وهم أحياء البنيان، وعذّبوا بالجوع والعطش حتّى ذهبت أنفسهم على الهلاك، وأحوجهم ذلك إلى التمزّق في البلاد، ومفارقة الديار والأهل والأوطان، وكتمان نسبهم عن أكثر النّاس، وبلغ بهم الخوف إلى الإستخفاء عن أحبّائهم فضلاً عن الأعداء، وبلغ هربهم من أوطانهم إلى أقصى الشّرق والغرب، والمواضع النّائية عن العمارة، وزهد في معرفتهم أكثر النّاس، ورغبوا عن تقريبهم، والإختلاط بهم مخافة على أنفسهم وذراريهم من جبابرة الزّمان، وهذه كلّها أسباب تقتضي انقطاع نظامهم واجتثاث أصولهم، وقلّة عددهم، وهم مع ما وصفناه أكثر ذرّيّة من الأنبياء والصّالحين والأولياء، بل أكثر من ذراري كلّ أحد من النّاس قد طبقوا بكثرتهم البلاد، وغلبوا في الكثرة على ذراري أكثر العباد.

هذا مع اختصاص مناكحهم في أنفسهم دون البعداء، وحصرها في ذوي أنسابهم دينة من الأقرباء، وفي ذلك خرق العادة على ما بيّناه، وهو دليل الآية الباهرة في أمير المؤمنين عليه السّلام كما وصفناه وبيّناه وهذا ما لا شبهة فيه.[١]

قلت: وكثرة أولاد أمير المؤمنين عليه السّلام مع قتلهم وحبسهم وطردهم في كلّ زمان ومكان شاهدة لتصديق وعد الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله

المسعودى «واحصى فى هذا السنة ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفاً مابين ذكروأنثى» وروى قول المأمون للناس فى الرضا (ع) الطبرى فى التاريخ ج ٧ ص ١٣٩/ سنة ٢٠١ والمسعودى فى المروج ج ٣ ص ٤٤١.

١. الارشاد للمفيد ص ١٦٤.

الكوثر. كما أنّ انقراض جماهير قريش الشّانئين للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليه السّلام دليل لتصديق وعيدالله تعالى شانئه صلّى الله عليه وآله لكونه أبتر بالخصوص مضافاً إلى وعيده تعالى الظالمين عموماً بقطع دابرهم في قوله تعالى: «فقطع دابر القوم الّذين ظلموا والحمدلله ربّ العالمين»[1] وممّا يشهد لقوله عليه السّلام في كون بقيّة السّيف أكثر عدداً عناية منه تعالى ببقاء النوع الإنساني في غير الظّالمين فبعد الحربين العالميّتين كانت النساء في أروبا[2] كما قالوا؛ لم يلدن غير البنين لفناء رجال كثيرين مِنْهُنَّ.

٣٩. حكمة ــ ١٣٩: وقال عليه السّلام:

تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَؤُونَةِ.

أقول هو أيضاً أحد الأدلة على وجود الخالق الرّازق، وذلك أمر مشاهد بالعيان. فالإنسان إذا كان وحده يكون رزقه بقدره نوعاً، وإذا صار ذا زوجة يزداد في رزقه بقدرها، وإذا صار ذا أولاد يزداد في رزقه بقدرهم بمعنى أنّه لايمكن أن يرزق أقلّ، وإلّا فقد يرزق من وحده بقدر مؤونة عدّة.

والمراد ما إذا تعرض للرّزق أو لم يكن له حيلة، وإلّا ففي الخبر: من جلس في بيته ودعا للرّزق مع تمكّنه يكون ممّن لايستجاب لهم.[3] قال (ابن أبي الحديد): كان على بعض الموسرين رسوم لجماعة من الفقراء يدفعها إليهم كلّ سنة فاستكثرها فأمر كاتبه بقطعها. فرآى في المنام كأنّ له أموالاً كثيرة في داره تصعدها أقوام من الأرض إلى السّماء وهو يجزع من ذلك، فيقول: يا رب رزقي

---

١. الانعام ــ ٤٥.

٢. لم يختص هذا الحرب باروبابل قلمّا يوجد بلد لم تسر اليها الفتنة فى العالم.

٣. هذا المعنى اخرجه الحميرى فى قرب الاسناد ص٣٨ والكلينى بخمس طرق فى الكافى ج ٢ ص ٥١١ ح ٢ و ٣ وج ٥ ص ٦٥ ح ١ وج ٥ ص ٧٧ ح ١ والصدوق فى الفقيه ج ٢ ص ٣٩ ح ١٠ وبطريقين فى الخصال ص ١٦٠ ح ٢٠٨ وص ٢٩٩ ح ٧١ والطوسى فى التهذيب ج ٦ ص ٣٢٢ ح ٨ واماليه ج ٢ ص ٢٩٢/ مجلس ١٩ والكراجكى فى كنز الفوائد ص ٢٩١ وابن ادريس فى السرائر عنه الوسائل ج ٤ ص ١١٦٠ ح ٤ وجمع آخر.

رزقي، فقيل له: إنّما رزقناك هذه لتصرفها في ما كنت تصرفها فيه. فإذا قطعت ذلك رفعناها منك، وجعلناها لغيرك. فلمّا أصبح أمر كاتبه بإعادة تلك الرسوم أجمع.[١]

قلت: وفي تاريخ بغداد أنّ الواقديّ كتب رقعة إلى المأمون يذكر فيها غلبة الدّين وغمّه بذلك. فوقّع المأمون على ظهرها. فيك خلّتان السّخاء والحياء. فأمّا السّخاء فهو الّذي أطلق ما ملكت، وأمّا الحياء فهو الّذي منعك من اطّلاعنا على ما أنت عليه وقد أمرنا بكذا وكذا. فإن كنّا أصبنا إرادتك في بسط يدك فإنّ خزائن الله مفتوحة وأنت كنت حدّثتني وأنت على قضاء الرّشيد عن محمّد بن إسحاق عن الزهريّ عن أنس أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال للزّبير: إنّ باب الرّزق مفتوح بباب العرش ينزّل الله على العباد أرزاقهم على قدر نفقهاتهم. فمن قلّل قلّل له، ومن كثّر كثّر له ــ قال الواقديّ: وكنت قد أنسيت هذا الحديث فكان تذكرته إيّاي احبّ إليّ من جائزته ــ قال الرّاويّ بلغني أنّ الجائزة كانت مأة ألف درهم ــ فكان الحديث أحبّ إليه من مأة ألف.[٢]

٤٠ . حكمة ــ ١٤٤: وقال عليه السّلام:

يَنْزِلُ الْصَبْرُ عَلىٰ قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلىٰ فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ.

«ينزل الصّبر على قدر المصيبة» نزول الصبر على قدر المصيبة أيضاً هو إحدىٰ آياته تعالى وحكمه وألطافه على عبيده كنزول المعونة عليهم على قدر مؤونتهم، وفي توحيد المفضّل ــ بعد ذكر نعمة الحافظة، وأنّه لولاها لاختلّ حال النّاس ــ وأعظم من النّعمة على الإنسان في الحفظ النّعمة في النّسيان، فإنّه لولا النّسيان لماسلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدّنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجاء غفلة من سلطان، ولا فترة من

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٣٠٩.

٢. تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩ والنقل بتصرف يسير.

حاسد. أفلاترى كيف جعل في الانسان الحفظ والنّسيان وهما مختلفان متضادّان، وجعل له في كلٍّ منهما ضرب من المصلحة، وما عسى أن يقول الّذين قسّموا الأشياء بين خالقين متضادّين في هذه الأشياء المتضادّة المتباينة، وقد تراها تجتمع على ما فيه الصّلاح والمنفعة[1]، وروى الكافيّ عن الصّادق عليه السّلام أيضاً أنّ الميّت إذا مات بعث الله تعالى ملكاً إلى أوجع أهله، فمسح على قلبه، فأنساه لوعة الحزن، ولولا ذلك لم تعمر الدّنيا.[2]

وعنه عليه السّلام أيضاً: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ تطوّل على عباده بثلاث: ألقى عليهم الرّيح بعد الرّوح، ولولا ذلك ما دفن حميم حميماً، وألقى عليهم السّلوة، ولولا ذلك لانقطع النّسل، وألقى على هذه الحبّة الدابّة، ولولا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكنزون الذّهب والفضّة.[3]

«ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره» وفي المصريّة بدل «أجره» «عمله» وهو تصحيف[4]، وكيف كان روى الفقرة تحف العقول عنه عليه السّلام[5]، ولكن رواه الكافيّ عن الصّادق عليه السّلام عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله[6] ولاغرو فإنّ النّبيّ والوصيّ ـ صلوات الله عليهما وعلى آلهما ـ كانا كنفس واحدة، وموجبيّته للحبط لكشفه عن عدم رضاء العبد بقضاء ربّه فلابدّ أن يحبط أجره.

---

١. توحيد المفضل ص ٧٨.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٢٢٧ ح ١ والصدوق فى الفقيه ج ١ ص ١١٢ ح ٢١.

٣. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٢٢٧ ح ٢ والصدوق فى الفقيه ج ١ ص ١١٨ ح ٨ وعلل الشرائع ج ١ ص ٢٩٩ ح ١ والخصال ج ١ ص ١١٢ ح ٨٧ واخرج معناه ايضاً الصدوق فى علل الشرائع ج ١ ص ٢٩٩ ح ٢.

٤. لفظ شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٣١٠ وشرح ابن ميثم ج ٥ ص ٣١٩ «اجره» ايضاً.

٥. روى ابن شعبة فى تحف العقول ص ٢٢١ هذا اللفظ: «ومن ضرب بيده على فخذه عند المصيبة حبط اجره والصنيعة لاتكون صنيعة الاعند ذى حسب اودين والله ينزل الصبر على قدر المصيبة».

٦. فقرة «ينزل الصبر على قدر المصيبة» اخرجه الحميرى فى قرب الاسناد ص ٥٥ وابن عدى فى الكامل وابن لال عنهما الجامع الصغيرج ١ ص ٧٨ ورواه الراوندى فى لب اللباب عنه المستدرك ج ١ ص ١٤٠ ح ٣٧ عن النبي (ص) واخرجه ابن شعبة فى تحف العقول ص ٢٢١ عن على (ع) واخرجه الصدوق فى الفقيه ج ٤ ص ٢٩٨ ح ٨٠ عن الصادق (ع) باختلاف يسير وفقرة «من ضرب يده على ←

٤١. حكمة ــ ١٥: وقال عليه السّلام:

تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقادِيرِ حَتّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ.

يَغْلِبُ الْمِقْدارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتّى تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ.

وقد مضى هذا المعنى في ما تقدم برواية تخالف بعض هذه الألفاظ.

أقول: وحكاه الجهشياريّ في وزرائه بلفظ آخر فقال: دخل يحيى البرمكيّ على الرّشيد لما ابتدأت حاله في الفساد وهو خال فرجع فعرف خبره. فقال لبعض الخدم: ألحق يحيى وقل له: خنتني فاتّهمتني، فأبلغه الرّسول فقال له: قل للرّشيد: إذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة. والله ما انصرفت عن خلوتك إلّا تخفيفاً عنك. قال وهذا كلام لعليّ بن أبي طالب ــ كرّم الله مثواه ــ «إذا انقضت المدّة كان الهلاك في العدّة» قال: وسرق هذا المعنى ابن الرّومي: فقال:

غلط الطّبيب عليّ غلطة مورد ٭ عجزت محالته عن الأصدار
والنّاس يلحون الطّبيب وإنّما ٭ غلط الطّبيب إصابة المقدار[١]

ورواه إرشاد المفيد مع الأصل فيه، وأنّ أصل المعنى ليزدجرد آخر ملوك فارس، فقال: سأل أميرالمؤمنين عليه السّلام شاهزنان بنت كسرى حين أُسرت ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظت عنه أنّه كان يقول «إذا غلب الله على أمر ذلّت المطامع دونه، وإذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة» فقال عليه السّلام: ما أحسن ما قال أبوك **«تذلّ الأمور للمقادير حتّى يكون الحتف في التّدبير»**[٢] وممّا يشهد للمعنى ما في عيون القتيبيّ: إنّ أبامسلم لما قدم المدائن في

←

فخذه عند مصيبة حبط اجره» اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٢٢٤ ح ٤ عن النبى (ص) واخرجه ابن شعبة فى تحف العقول ص ٢٢١ عن على (ع) واخرجه الصدوق فى الفقيه ج ٤ ص ٢٩٨ ح ٨٠ والخصال ص ١٩١ ح ٢٦٥ عن الصادق (ع) واخرجه الكلينى فى الكافى ج ٣ ص ٢٢٥ ح ٩ عن الكاظم (ع) واخرجه صاحب فقه الرضا عنه البحار ج ٨٢ ص ٧٩ ح ١٦ عن الرضا (ع) وينحصر الجمع بين الفقرتين برواية الفقيه.

١. الوزراء للجهشيارى ص ٢٢٧ والنقل بتصرف يسير.

٢. الارشاد للمفيد ص ١٥٩.

اليوم الّذي قتل فيه جعل يضرب بالسّوط معرفة برذونه ويقول بالفارسية كلاماً معناه «ما تغني المعرفة إذا لم تقدر على دفع المحتوم»، ثمّ قال: جارة ذيلها تدعو «ياويلها بدجلة أو حولها كأنّا بعد ساعة قد صرنا في دجلة».[1]

وما في تاريخ الطّبريّ: قال أبومسلم لنيزك: إنّي والله ما رأيت طويلاً أعقل منك، فما ترى في إتياني المنصور فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ماقالوا؟ قال: لا أرى أن تأتيه وأرى أن تأتي الرّي فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والرّي لك وهم جندك ما يخالفك أحد ـ إلى أن نقل قول أبي مسلم ـ رأيت أنّ أوجّه أبااسحاق إلى المنصور، فيأتيني برأيه فإنّه ممّن أثق به، فوجّهه فلمّا قدم تلقّاه بنوهاشم بكلّ ما يحبّ وقال له المنصور: اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان، وأجازه فرجع أبواسحاق إلى أبي‌مسلم، فقال له: ما أنكرت شيئاً رأيتهم معظّمين لحقّك ـ إلى أن قال: ـ فقال له: نيزك: قد أجمعت على الرّجوع؟ قال: نعم، وتمثّل:

ما للرّجال مع القضاء محالة ٭ ذهب القضاء بحيلة الأقوام[2]

ويشهد له ما في المروج: ذكر المدائنيّ والعتبي وغيرهما أنّ مروان حين نزل على الزاب جرّد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشّام والجزيرة وغيرهم مأة ألف فارس على مأة الف قارح، فلمّا كان يوم الوقعة وأشرف عبدالله بن عليّ في المسوّدة، وفي أوائلهم البنود-السّود يحملها الرّجال على الجمال البخت، وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب، قال مروان لمن قرب منه: أما ترون رماحهم كأنّهم النّخل غلظاً، أما ترون إلى أعلامهم فوق هذه الإبل كأنّها قطع من الغمام سود. فبينا هو كذلك إذطار من أفرجة هنالك قطعة من الغرابيب سود فاجتمعت على أوّل رايات عبدالله بن عليّ واتّصل سوادها بسواد تلك الرّايات والبنود ومروان ينظر فتطير من ذلك، فقال: أما ترون السّواد قد اتّصل بالسّواد و كان الغرابيب كالسحب سواداً، ثمّ نظر إلى أصحابه المحاربين، وقد استشعروا الجزع والفزع والفشل فقال: إنّها لعدّة وما تنفع العدّة إذا انقضت

---

١. رواه ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ١ ص ٢٦ والنقل بتصرف يسير.

٢. تاريخ الطبرى ج ٦ ص ١٣٢/ سنة ١٣٧.

المدّة.[١]

وما في تاريخ الطّبريّ: كان مروان لما لقيه أهل خراسان لايدبّر شيئاً إلّا كان فيه الخلل والفساد، كان يوم انهزم واقفاً والناس يقتتلون إذ أمر بالأموال فاخرجت فقال للنّاس: اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم، فجعل ناس يصيبون من ذلك المال، فارسلوا إليه أنّ النّاس قد مالوا على هذا المال ولانأمنهم أن يذهبوا به، فأرسل إلى ابنه عبدالله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك ، فاقتل من أخذمن ذلك المال وامنعهم، فمال عبدالله برايته وأصحابه فقال النّاس الهزيمة فانهزموا.[٢]

وفي أذكياء ابن الجوزيّ ـ باب في من احتال فانعكس عليه مقصوده ـ ونقل أُموراً ومنها عن عليّ بن المحسن عن أبيه قال: حدّثنا جماعة من أهل جند سابور وفيهم كتّاب وتجّار وغيرذلك أنّه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمأة شابّ من كتّاب النّصارى وهو ابن أبي‌الطيب القلانسيّ، فخرج إلى بعض شأنه في الرّستاق، فأخذته الأكراد وعذّبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم، وكتب إلى أهله انفذوا إليّ أربعة دراهم أفيون واعلموا أنّي أشربها فتلحقني سكتة، فلاتشكّ الأكراد أنّي متّ فيحملوني إليكم، فإذا حصلت عندكم فادخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني وسوّكوني بالايارج، فإنّي أفيق وكان سمع أنّ من شرب أفيونا اسكت، فإذا ادخل الحمّام وضرب وسوّك بالايارج برأ، فلم يعلم مقداراً لشربه، فشرب أربعة دراهم، فلم يشكّ الأكراد في موته، فلفّوه في شيء وانفذوه إلى أهله، فلمّا حصل عندهم أدخلوه الحمّام وضربوه وسوّكوه، فما تحرّك وأقام في الحمّام أيّاماً، ورآه أهل الطّب فقالوا: قد تلف كم شرب؟ قالوا: أربعة دراهم. فقالوا: هذا الوشوى في جهنّم ما عاش. إنّما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أووزن درهم أو حواليه. فأمّا هذا فقد مات. فلم يقبل أهله ذلك فتركوه في الحمّام حتّى أراح وتغيّر فدفنوه وانعكست الحيلة عليه.

---

١. مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٠.
٢. تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٩٠/ سنة ١٣٢.

ومنها روى أنّ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ كان في حبس الحجّاجَ وكان يعذّبه، وكان كلّ من مات في الحبس رفع خبره إلى الحجّاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله. فقال بلال للسجّان: خذمنّي عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي إلى الحجّاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف الحجّاج خبري وإن شئت أن تهرب معي فعلت وعليّ غناك أبداً، فأخذ السجّان المال ورفع اسمه في الموتى. فقال الحجّاج مثل هذا لايجوز أن يخرج إلى أهله حتّى أراه هاته، فعاد إلى بلال، فقال: اعهد. قال: وما الخبر؟ قال: إنّ الحجّاج قال كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميّتاً قتلني وعلم أنّي أردت الحيلة عليه، ولابدّ أن أقتلك خنقاً فبكى بلال وسأله أن لايفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى فأخذه السجّان وخنقه وأخرجه إلى الحجّاج فلمّا رآه ميّتاً قال سلّمه إلى أهله فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم وجعلت الحيلة عليه.[1]

ثمّ معلوم بعد جمعنا بين العنوانين أنّ قول المصنّف في الثّاني «وقد مضى هذا المعنى» إشارة إلى ذكره في الأوّل باختلاف في بعض ألفاظه.

٤٢. حكمة ٧: وقال عليه‌السّلام:

اعْجَبُوا لِهٰذَا الْإِنسانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ فِي خُرْمٍ.

أقول: وكذا يجب أن يتعجّب من محالّها، ومن طعوم فيها. أمّا الأوّل ففي توحيد المفضّل: انظر الآن يا مفضّل إلى هذه الحواسّ الّتي خصّ بها الإنسان في خلقه، وشرّف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرّأس كالمصابيح فوق المنارة، ليتمكّن من مطالعة الأشياء ولم تجعل في الأعضاء الّتي تمتهن كاليدين والرّجلين فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها ويؤثّر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء الّتي وسط البدن كالبطن والظّهر فيعسر تقلّبها

---

١. رواه ابن الجوزى فى الاذكياء ص ١١٠ والنقل بتصرف يسير.

واطلاعها نحو الأشياء، فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرّأس أسنى المواضع للحواسّ، وهو بمنزلة الصّومعة لها فجعل الحواسّ خمساً تلق خمساً لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعة، وخلق السّمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب، وكذلك سائر الحواسّ.[1]

وأمّا الثّاني فروى أبونعيم في حليته عن عمروبن جميع قال: دخلت على جعفربن محمّد أنا وابن أبي ليلى وأبوحنيفة. فقال لابن أبي‌ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمرالدين. قال: لعلّه يقيس الدّين برأيه. قال: نعم: فقال جعفر لأبي حنيفة: ما اسمك؟ قال: نعمان. قال: يا نعمان هل قست رأسك بعد؟ قال: كيف أقيس رأسي. قال: ما أراك تحسن شيئاً هل علمت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين، والحرارة في المنخرين، والعذوبة في الشفتين؟ قال: لاقال: ما أراك تحسن شيئاً قال: فهل علمت كلمة أوّلها كفر وآخرها ايمان؟ فقال ابن أبي‌ليلى: يا ابن رسول‌الله أخبرنا بهذه الأشياء الّتى سألته عنها. فقال: أخبرنى أبي عن جدّي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ‌الله تعالى بمنّه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنّهما شحمتان، ولولاذلك لذابتا، وإنّ الله تعالى بمنّه وفضله ورحمته على ابن‌آدم جعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدّوابّ، فإنّ دخلت الرأس دابّة والتمست إلى الدّماغ فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج، وإنّ‌الله تعالى بمنّه وفضله ورحمته على ابن‌آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بها الرّيح ولولا ذلك لأنتن الدّماغ، وإنّ‌الله تعالى بمنّه وكرمه ورحمته لابن‌آدم جعل العذوبة في الشّفتين يجد بها استطعام كلّ شيء ــ الخبر[2].

«اعجبوا لهذا الانسان» قال (ابن‌ميثم) نبّه عليه‌السّلام على لطف خلق

---

١. توحيد المفضل ص ٥٨.
٢. اخرجه ابونعيم فى حلية الاولياء ج ٣ ص ١٩٦ ورواه ابن شهر آشوب فى المناقب ج ٤ ص ٢٥٢ والطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٥٨.

الإنسان ببعض أسرار حكمة الله تعالى فيه وغايته من ذلك الإستدلال على حكمة صانعه ومبدعه، وذكر أربعة من محالّ النظر والاعتبار، وهي آلة البصر والكلام والسّمع والتنفّس، وخصّها بالذّكر لكونها مع ضعفها ضروريّة في وجود الإنسان على شرفه وعلوّ رتبته في المخلوقات، ولا يقوم إلّا بها ليكون ذلك محلّ التعجّب واعتبار لطف الصّانع الحكيم.[١]

«ينظر بشحم» قال (ابن ميثم): أراد بالشّحم الّذي ينظر به الرّطوبة المسمّاة في عرف الأطبّاء بالبيضة أو الرّطوبة الجليديّة، فإنّ العين مركبّة من سبع طبقات وثلاث رطوبات كلّ منها يختصّ في عرفهم باسم.[٢]

وقال (ابن أبي الحديد): قيل: أمّا الإبصار فقد اختلف فيه فقيل انّه بخروج شعاع من العين يتّصل بالمرئي، وقيل: إنّ القوّة المبصرة الّتي في العين تلاقي بذاتها المرئيات فتبصرها، وقال قوم: بل يتكيّف الهواء بالشّعاع البصريّ من غير خروج فيصير الهواء باعتبار تكيّفه بالشعاع به آلة للعين في الإدراك وقال المحقّقون من الحكماء: إنّ الإدراك البصري هو بانطباع أشباح المرئيات في الرطوبة الجليدية من العين عند توسط الهواء الشّفاف المضيئ كما تنطبع الصّورة في المرآة.[٣]

قلت: ويصدّق الأخير أخبارهم عليه السّلام فورد أنّ الدّيصانيّ قال لهشام بن الحكم: أيقدر ربّك إذا كان قادراً أن يدخل الدنيا كُلّها في البيضة لايكبّر البيضة ولا يصغّر الدنيا. فراجع هشام في ذلك الصادق عليه السّلام فقال عليه السّلام له: كم حواسّك؟ قال: خمس. قال: أيّها أصغر؟ قال: النّاظر: قال: وكم قدر النّاظر؟ قال: مثل العدسة أو أقلّ. فقال له: انظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى. فقال: أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وجبالاً وأنهاراً. فقال عليه السّلام: إنّ الّذي قدر أن يدخل الّذي تراه العدس أو أقلّ قادر على أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لايصغّر الدنيا ولا يكبّر البيضة.[٤]

---

١. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٤٢.
٢. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٤٣.
٣. شرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٢٤٤.
٤. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ١ ص ٧٩ ح ٤ والصدوق فى التوحيد ص ١٢٢ ح ١ وحديث البيضة جاء بالفاظ اخرى عن عيسى وعلى والرضا (ع) مر تخريجه فى عنوان ٥ من هذا الفصل.

«ويتكلّم بلحم» قال (ابن ميثم): وعنى عليه السّلام باللّحم اللّسان، فإنّه لحم أبيض رخوّ تلتفّ به عروق صغار كثيرة فيهادم، ولذلك يتبيّن أحمر وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة، وتحته فوهتان يسيل منها اللّعاب ينتهيان إلى لحم غددى رخوّ موضوع فى أصله يسمّى مولّد اللّعاب، وبهاتين الفوهتين يبقى للّسان وما حوله النّداوة الطّبيعيّة.[١]

قلت: وفي توحيد المفضل: أطل الفكر يا مفضّل في الصّوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان. فالحنجرة كالأُنبوبة لخروج الصّوت واللّسان والشّفتان والأسنان لصياغة الحروف و النّغم. ألا ترى أنّ من سقطت أسنانه لم يقم السّين، ومن سقطت شفته لم يصحّح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الرّاء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم. فالحنجرة تشبه قصبة المزمار، والرّئة تشبه الزّق الّذي ينفخ فيه لتدخل الرّيح، والعضلات الّتي تقبض على الرّئة ليخرج الصّوت كالأصابع الّتي تقبض على الزق حتّى تجرى الرّيح في المزامير، والشّفتان والأسنان الّتى تصوغ الصّوت حروفاً ونغماً كالأصابع الّتي تختلف في فم المزمار. فتصوغ صفيره ألحاناً غير أنّه وإن كان مخرج الصّوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإنّ الزمار في الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت ـ إلى أن قال: ـ تأمل يا مفضّل ما أنعم الله به على الإنسان من هذا المنطق الّذي يعبّر به عمّا في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة الّتي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً.[٢]

قلت: ولكون نعمة اللّسان بتلك المثابة في تمييز الإنسان من الحيوان قال الرّحمن ـ جلّ وعلا ـ في مقام الإمتنان: «خلق الإنسان؛ علّمه البيان».[٣]

«ويسمع بعظم» قال (ابن ميثم): وأراد بالعظم الذي يسمع به العظم المسمّى الحجريّ وهو عظم صلب فيه مجرى الأُذن كثير التّعاريج، والعطفات، يمرّ كذلك إلى أن يلقى العصبة النّابتة من الدّماغ الّتي هي مجرى الرّوح الحامل للقوّة

١. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٤٣.
٢. توحيد المفضل ص ٦٢ و ٧٩.
٣. الرحمن ـ ٣ و ٤.

السّامعة ــ إلخ[1].

قلت: وفي توحيد المفضّل: وكذلك من عدم السّمع يختلّ في أمور كثيرة فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذّة الأصوات واللّحون المشجية المطربة، وتعظم المؤونة على النّاس في محاورته حتّى يتبرّ موابه، ولايسمع شيئاً من أخبار النّاس وأحاديثهم حتّى يكون كالغائب وهو شاهد، وكالميّت وهو حيّ.[2]

وفي أذكار السّجدتين «سَجَدْتُ وجهي للّذي خلقه وشقّ سمعه وبصره».[3]

«ويتنفّس في خرم» بالضّمّ وهو ثقب الأنف. قال (ابن ميثم): وفي هذه وأمثالها من بدن الإنسان وسائر الحيوان عبرة لمن اعتبر، وكمال شهادة بوجود الصانع الحكيم لها، ومن نظر في تشريح بدن الإنسان حضرته شواهد من الحكم الإلهية يحار فيها لبّه ويدهش فيها عقله، وقرأ الصّادق عليه السّلام قوله تعالى: «..وخلق الإنسان ضعيفاً»[4] ثمّ قال: كيف لايكون ضعيفاً وهو ينظر بشحم، ويسمع بعظم، وينطق بلحم.[5]

٤٣ • حكمة ــ ٣٠٢: وقال عليه السّلام:

«ما اَلْمُبْتَلَى الَّذى قَدِ اِشْتَدَّ بِهِ الْبَلاءُ بِاَحْوَجَ اِلَى الدُّعاءِ مِنَ الْمُعافى الَّذى لايَأْمَنُ الْبَلاءُ.

أقول: هو أيضاً إحدىٰ آياته تعالى. روى الكافي عن سيف بن ليث قال: خلّفت إبناً لي عليلاً بمصر عند خروجي عنها، وإبناً لي آخر أسنّ منه كان وصيّي

١. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٤٣.
٢. توحيد المفضل ص ٦٠.
٣. هذا الذكر اخرجه الكليني في الكافي ج ٣ ص ٣٢١ ح ١ والطوسي في التهذيب ج ٢ ص ٧٩ ح ٦٣ ورواه القاضي النعمان في دعائم الاسلام ج ١ ص ١٦٤ عن الصادق (ع).
٤. النساء ــ ٢٨.
٥. شرح ابن ميثم ج ٥ ص ٢٤٣.

وقيّمي على عيالي، وفي ضياعي. فكتبت إلى أبي محمّد عليه السّلام أسأله الدّعاء لابني العليل. فكتب عليه السّلام اليّ: قدعوفي ابنك المعتلّ، ومات الكبير وصيّك وقيّمك، فاحمدالله ولاتجزع فيحبط أجرك، فورد عليّ الخبر أنّ ابني قدعوفي من علته ومات الكبير يوم ورد جواب ابي محمّد (ع).[1]

وروى العيون عن محمّد بن داود قال: كنت أنا وأخي عند الرّضا عليه السّلام فأتاه من أخبره أنّه قد ربط ذقن محمّد بن جعفر فمضى ابوالحسن (ع) ومضينا معه واذا لحياه قد ربطا، وإذا إسحاق بن جعفر وولده وجماعة آل أبي طالب يبكون. فجلس أبوالحسن عليه السّلام عند رأسه ونظر في وجهه فتبسّم. فنقم من كان في المجلس عليه، فقال بعضهم: إنّما تبسّم شامتاً بعمّه. قال: وخرج ليصليّ في المسجد، فقلنا له: قد سمعنا فيك من هؤلاء ما نكره حين تبسّمت. فقال أبوالحسن (ع) إنّما تعجّبت من بكاء إسحاق وهو يموت والله قبله ويبكيه محمّد. قال: فبرئ محمّد ومات إسحاق[2]، وقال الشّاعر:

كم مريض عاش من بعد يأس ٭ بعد موت الطّبيب والعوّاد
قد يصاد القطا فينجو سليماً ٭ ويحلّ القضاء بالصيّاد

أيضاً:

أكان الجبان يرى أنّه ٭ يدافع عند الفرار الأجل
فقد يدرك الحادثات الجبان ٭ ويسلم منها الشّجاع البطل

٤٤ • من خطبة ـ ١٩٧: بعد ذكر الصّلاة والزّكاة وأداء الأمانة:

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ لاٰيَخْفىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبادُ مُقْتَرِفُونَ فى لَيْلِهِمْ وَنَهارِهِمْ

---

١. اخرجه الكليني فى الكافى ج ١ ص ٥١١ ح ١٨ ورواه ابن شهرآشوب فى المناقب ج ٤ ص ٤٣٣ والاربلى فى كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٤ عن سيف بن الليث وروى معناه الاربلى فى كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٢ والراوندى فى الخرائج عنه بحارالانوار ج ٥٠ ص ٢٦٩ ح ٣١ وص ٢٧٤ ح ٤٤ كلاهما عن على بن يزيد وحجاج بن يوسف العبدى.

٢. اخرجه الصدوق فى العيون ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٦ واخرجه معناه هو فى العيون ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٧ برواية اخرى والطبرى فى دلائل الامامة ص ١٧١ ورواه ابن شهرآشوب فى المناقب ج ٤ ص ٣٤٠ ونقله عن دلائل الامامة ابن طاووس فى فرج المهموم ص ٢٣١.

لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وَأَحاطَ بِهِ عِلْماً، أَعْضاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَواتُكُمْ عِيانُهُ.

«إنّ الله سبحانه وتعالى» هكذا في المصرية، وكلمة «وتعالىٰ» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة). [١]

«لايخفى عليه ما العباد مقترفون» أي مكتسبون للذّنب «.. يعلم ما تكسب كلّ نفس..». [٢]

«في ليلهم ونهارهم» «سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ باللّيل وسارب بالنّهار»[٣].

«لطف به خبراً» «يا بني إنّها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السّموات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير»[٤].

«وأحاط به علماً» «.. وقد أحطنا بما لديه خبراً»[٥].

«أعضاؤكم شهوده» استشهد له بقوله تعالىٰ «ويوم يُحشر أعداءُ الله إلى النّار فهم يوزعون؛ حتّى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون؛ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أول مرّة وإليه ترجعون؛ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون»[٦].

---

١. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥٤٩ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٤٦٢ ايضاً «سبحانه وتعالى».
٢. الرعد ــ ٤٢.
٣. الرعد ــ ١٠.
٤. لقمان ــ ١٦.
٥. الكهف ــ ٩١.
٦. فصلت ــ ١٩ ــ ٢٢.

وبما في تفسير القمّيّ في قوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون»[١] قال: إذا جمع الله تعالى الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه، فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا ربّ ملائكتك يشهدون لك ثمّ يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلك شيئاً، وهو قوله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم..»[٢] فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون.[٣]

«وجوارحكم جنوده» فإذا كانت جوارح النّاس شهوده يصحّ أن يقال إنّها إيضاً جنوده «.. ولله جنود السّموات والأرض..».[٤]

«وضمائركم عيونه» أي جواسيسه «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور»[٥].

«وخلواتكم عيانه» «ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصّدور»[٦].

٤٥. حكمة ـ ٢٧٣: وقال عليه السّلام:

اِعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً اَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وَاِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ اَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارِفُ لِهٰذَا،الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النّاس

---

١. يس ـ ٦٥.
٢. المجادلة ـ ١٨.
٣. تفسير علي بن ابراهيم القمي ج ٢ ص ٢١٦.
٤. الفتح ـ ٤.
٥. غافر ـ ١٩.
٦. هود ـ ٥.

رٰاحَةً فى مَنْفَعَةٍ، وَالتّٰارِكُ لَهُ الشّٰاكُّ فيهِ اَعْظَمُ النّٰاسِ شُغُلاً فى مَضَرَّةٍ، وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمىٰ، وَرُبَّ مُبْتَلىً مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوىٰ. فَزِدْ اَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فى شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهىٰ رِزْقِكَ.

أقول: ورواه ابن شعبة الحرّانيّ في تحف عقوله، وزاد بعد قوله «ما سمّي له في الذكر الحكيم»: «إنّه لن يزداد امرء نقيراً بحذقه، ولن ينتقص نقيراً بحمقه» و بدّل قوله «فزدأيّها المستمع في شكرك» بقوله «فأفق أيّها المستمع من سكرك»[1].

ورواه الكافيّ في باب الإجمال في الطلب مع زيادات واختلافات يسيرة[2]، وكيف كان فهو أيضاً من آياته تعالى، وإنّ الأمر ليس بيد الخلائق، وإنّه لايقع إلّا ما أراد الخالق.

«اعلموا علماً يقيناً» لايختلجكم فيه شك.

«أنّ الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته» وتدابيره.

«واشتدّت طلبته» وسعيه.

«وقويت مكيدته» وفطانته.

«أكثر» مفعول لقوله «لم يجعل».

«ممّا سمّيّ» وعيّن.

«له في الذكر الحكيم» وهو لفظ القرآن. قال تعالى: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم»[3] والظّاهر أنّ المراد به في كلامه عليه السّلام اللّوح

---

١. تحف العقول ص ١٥٥ ولفظه «ما كتب له فى الذكر الحكيم ايهاالناس انه لن يزداد امرؤ نقيراً بحذقه ولن ينتقص نقيراً بحمقه».

٢. الكافى للكلينى ج ٥ ص ٨١ ح ٩.

٣. آل‌عمران ــ ٥٨.

المحفوظ الّذي فيه مقدرات الخلق، وكيف كان نرى ما قاله عليه السّلام بالمشاهدة والعيان فكثير من النّاس ممّن لهم فطانة زائدة يدبّرون تدبيرات لزيادة أرزاقهم ولايتيسر لهم إلّا ما قدّرالله تعالى لهم.

وروى الكافيّ عن الباقر عليه السّلام قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع: ألا إنّ الرّوح الأمين نفث في روعي أنّه لاتموت نفس حتّى تستكمل رزقها. فاتّقوا الله عزّوجلّ وأجملوا في الطّلب، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسّمها حراماً، فمن اتّقى الله تعالى وصبر أتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب السّتر وعجّل فأخذه من غير حلّه، قصّ به من رزقه الحلال، وحوسب عليه يوم القيامة.[1]

وروي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام: كم من متعب نفسه مقترّ عليه، ومقتصد في الطّلب قد ساعدته المقادير.[2]

وروي عن الثّمالي قال: ذكر عند عليّ بن الحسين عليه السّلام غلاء السّعر. فقال: وما عليّ من غلائه إن غلا فهو عليه، وإن رخص فهو عليه.[3]

وعن الصّادق عليه السّلام: لو كان العبد في حجر لأتاه الله برزقه فأجملوا في الطّلب.[4]

«ولم يحل» تعالى.

---

١. اخرجه الكليني فى الكافى ج ٥ ص ٨٠ ح ١ وبفرق يسير علاءبن رزين فى اصله ص ١٥٣ وعاصم بن حميد فى اصله ص ٢٣ والاسكافى فى التمحيص ص ٥٢ ح ١٠٠ والكليني بثلاث روايات فى الكافى ج ٢ ص ٧٤ ح ٢ وج ٥ ص ٨٠ ح ٣ وج ٥ ص ٨٣ ح ١١ والصدوق فى اماليه ص ٢٤١ ح ١/ مجلس ٤٩ والمفيد فى المقنعة ص ٩٠ والطوسى فى التهذيب ج ٦ ص ٣٢١ ح ١ ورواه ابوالقاسم الكوفى فى الاخلاق عنه المستدرك ج ٢ ص ٤١٨ باب ١٠ ح ١٣ والديلمى فى اعلام الدين عنه المستدرك ج ٢ ص ٤١٨ باب ١٠ ح ١٠.

٢. اخرجه الكليني فى الكافى ج ٥ ص ٨١ ح ٦ والاسكافى فى التمحيص ص ٥٣ ح ١٠١ والصدوق فى الفقيه ج ٤ ص ٢٧٦ ضمن وصيته (ع) لابن الحنفية.

٣. اخرجه الكليني فى الكافى ج ٥ ص ٨١ ح ٧ والصدوق فى الفقيه ج ٣ ص ١٧٠ ح ١٣ والتوحيد ص ٣٨٨ ح ٣٤ والطوسى فى التهذيب ج ٦ ص ٣٢١ ح ٢.

٤. اخرجه الكليني فى الكافى ج ٥ ص ٨١ ح ٤ والاسكافى فى التمحيص ص ٥٣ ح ١٠٣.

«بين العبد في ضعفه» في بدنه.

«وقلّة حيلته» في أُموره.

«وبين أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم» من الرّزق بل الغالب كون رزقهم أكثر. قال الصّادق عليه السّلام: إنّ الله تعالى وسّع في أرزاق الحمق ليعتبر العقلاء، ويعلموا أنّ الدّنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة.[1]

«والعارف لهذا» أي العارف بأنّه لاينال إلّا ما قدّر له.

«العامل به» على طبق علمه.

«أعظم النّاس راحة في منفعة» حيث انّه يعلم أن ما قدّر له يأتيه بلاتعب. قال الصّادق عليه السّلام: إذا فتحت بابك، وبسطت بساطك، فقد قضيت ما عليك.[2]

«والتّارك له الشاكّ فيه» بظنّه أنّ الرّزق بجدّه وجهده.

«أعظم النّاس شغلاً في مضرّة» حيث انّه يكدّ ليله ونهاره ويسلب راحته، ولايحصل له إلّا ما قدّر له.

«وربّ منعم عليه مستدرج» أي مأخوذ تدريجاً، والأصل فيه قوله تعالى: «والّذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون»[3].

«بالنّعمى» فكانت سبب غرّته، فلولم يكن منعماً عليه كان له أولى. قال

---

١. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٨٢ ح ١٠ والاسكافى فى التمحيص ص ٥٣ ح ١٠٢ والصدوق فى علل الشرائع ج ١ ص ٩٢ ح ١ والطوسى فى التهذيب ج ٦ ص ٣٢٢ ح ٥ ورواه الورّام فى تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٤ عن الصادق (ع).

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٧٩ ح ١ والصدوق فى الفقيه ج ٣ ص ١٠٠ ح ٤٢ والطوسى فى التهذيب ج ٦ ص ٣٢٣ ح ٧ واخرج معناه ايضاً الصدوق فى الفقيه ج ٣ ص ١٠٠ ح ٤١ كلهم عن الصادق (ع).

٣. الاعراف ــ ١٨٢.

تعالى: «أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين؛ نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون»[١].

«وربّ مبتلى مصنوع له» من الله تعالى.

«بالبلوى» أي بالابتلاء. روى التّوحيد عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: قال تعالى: «إنّ من عبادي المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلّا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك»[٢].

«فزد أيها المستمع ــ إلى ــ وقف عند منتهى رزقك» ولا تطمع في الزّيادة عليه سفاهة، وقد عرفت ما بدلّ التّحف الجملة[٣]، ورواها الكافيّ: فاتّق الله أيها السّاعي من سعيك، وقصّر من عجلتك، وانتبه من سنة غفلتك، وتفكّر في ماجاء عن الله تعالى على لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله.[٤]

٤٦ • حكمة ــ ٨٤: ومن خطبة له عليه السّلام:

قَدْ عَلِمَ السَّرائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمائِرَ لَهُ الْإحاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلىٰ كَلِّ شَيْءٍ.

«قد علم السّرائر» «..والله يعلم إسرارهم»[٣] «ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجويٰهم..»[٥].

«وخبر» بالفتح أي علم.

---

١. المؤمنون ــ ٥٥ و ٥٦.

٢. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٤٠٠ ح ١ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٢ ح ٧ واخرجه معناه الكلينى فى الكافى ج ٢ ص ٩٠ ح ٤.

٣. مرّ فى بدء هذا العنوان من تحف العقول ص ١٥٦.

٤. الكافى للكلينى ج ٥ ص ٨٢ ح ٩ وفى بعض نسخ الكافى «فافق ايها الساعى».

٥. محمد ــ ٢٦.

٦. التوبة ــ ٧٨.

«الضّمائر» «.. فإنّه يعلم السرّ وأخفى»[١] «.. وهو معهم إذ يبيّتون مالا يرضى من القول..»[٢].

«له الإحاطة بكلّ شيء» «ولله ما في السّموات وما في الأرض وكان الله بكلّ شيء محيطاً»[٣].

«والغلبة لكلّ شيء» «.. والله غالب على أمره ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون»[٤] أراد نمرود وفرعونُ منع تولّد إبراهيم وموسى عليهما السّلام وأراد إخوة يوسف دفعه عمّا قدّر له من الرّفعة[٥]، فصاروا مغلوبين في قبال أمره تعالى.

«والقوّة على كلّ شيء» «.. ولو يرى الّذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً..»[٦].

٤٧. خطبة ــ ٩٩: ومن خطبة له عليه السّلام أخرى:

الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ اوَّلٍ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ. بِاَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ اَنْ لا اَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ اَنْ لا آخِرَ لَهُ، وَاَشْهَدُ اَنْ لا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ شَهادَةً يُوافِقُ فِيها السِّرُّ الإِعْلانَ، وَالقَلْبُ اللِّسانَ.

---

١. طه ــ ٧.
٢. النساء ــ ١٠٨.
٣. النساء ــ ١٢٦.
٤. يوسف ــ ٢١.
٥. قصة منع تولد ابراهيم لم تجئ فى القرآن لكن اخرجها على بن ابراهيم فى تفسيره ج ١ ص ٢٠٧ والكلينى فى الكافى ج ٨ ص ٣٦٦ ح ٥٥٨ والصدوق فى كمال الدين ج ١ ص ١٣٨ ح ٧ ورواه الراوندى فى قصص الانبياء عنه البحار ج ١٢ ص ٤٢ ح ٣١ مسنداً عن الصادق (ع) واخرجه المسعودى فى اثبات الوصية ص ٢٩ مرسلاً عن العالم (ع) ورواه موقوفاً أو بلا استناد الطبرى فى التاريخ ج ١ ص ١٦٣ ــ ١٦٥ والمسعودى فى مروج الذهب ج ١ ص ٥٦ والثعلبى فى العرائس ص ٧٣ و ٧٤ والطبرسى فى مجمع البيان ج ٤ ص ٣٢٥ وأما قصة منع تولد موسى (ع) فجاءت فى القرآن طه ــ ٣٨ ــ ٤٠ والقصص ــ ٤ ــ ٩ واما قصة اخوة يوسف (ع) فجاءت مفصلةً فى القرآن فى سورة يوسف.
٦. البقرة ــ ١٦٥.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السّلام أخرى» هكذا في المصريّة ولامعنى لكلمة «أخرى»، فإنّ كلّ خطبة من الكتاب غير سابقتها، وفيها نقص. ففي (ابن أبي الحديد)[1] «ومن خطبة له عليه السّلام، وهي من الخطب الّتي تشتمل على ذكر الملاحم» وكذا (ابن ميثم)[2] بدون قوله «وهي من الخطب الّتي» ومثل (ابن ميثم) الخطّيّة لكن فيها «الملحمة» بدل «الملاحم».

«قوله عليه السّلام: الأوّل قبل كلّ أوّل، والآخر بعد كلّ آخر» روى توحيد الصّدوق أنّ الصّادق عليه السّلام سئل عن قوله تعالى: «هو الأوّل والآخر»، فقال: الأوّل لا عن أوّل كان قبله، ولا عن بدء سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم أوّله آخر لم يزل ولا يزال، بلا بدء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال خالق كلّ شيء.[3]

«بأوّليّته وجب أن لا أوّل له» أى بأوّليته قبل جميع الأشياء وجب أن لا يكون له أوّل، فيكون شيء قبله.

«وبآخريّته أن لا آخر له» هكذا في المصريّة، والصواب ما في (ابن أبي الحديد)[4] «وبآخريّته وجب أن لا آخر له»، وفي توحيد الصّدوق أيضاً عن ابن أبي يعفور: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن قوله تعالى: «هو الأوّل والآخر» وقلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره. فقال: إنّه ليس شيء إلّا يبيد أو يتغيّر أو يدخله الغير والزّوال أو ينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة إلّا ربّ العالمين. فإنّه لم يزل ولا يزال واحداً، هو الأوّل قبل كلّ شيء وهو الآخر على ما لم يزل. لا تختلف عليه الصّفات والأسماء ما يختلف على غيره، مثل

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٩٢.

٢. شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٩.

٣. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٣١٣ ح ١ ومعانى الاخبار ص ١٢ ح ١ والكلينى فى الكافى ج ١ ص ١١٦ ح ٦ عن ميمون البان عن الصادق (ع) وقد مر فى عنوان ٥ و١٩ من هذا الفصل.

٤. كذا فى شرح ابن بى الحديد ج ٢ ص ١٩٢ ولفظ شرح ابن ميثم ج ٣ ص ٩ نحو الطبعة المصرية.

الإنسان الّذي يكون تـراباً و مرّة لحماً ومرّة دماً، ومرّة رفاتاً ورميماً وكالتّمر الّذي يكـون مـرّة بـلحاً، ومرّة بسراً، ومـرّة رطباً، ومرّة تـمراً، فيتبدّل عـليه الأسماء والصّفات والله عزّوجلّ بخلاف ذلك.[1]

«وأشهـد أن لا إله إلّا الله شهادة يوافق فيها السّرّ الإعلان» لا كشهادة اليهود «وإذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن».[2]

«والقلب اللّسان» لا كشهـادة المنافقين «إذاجاءك المنافقون قالوانشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون»[3] «.. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم..»[4].

٤٨. من خطبة ــ ١٨١:

فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحانَهُ ما عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ. فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ اِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُوا اِلَيْهِ فَرِضاهُ فيما بَقِيَ واحِدٌ، وَسَخَطُهُ فيما بَقِيَ واحِدٌ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضىٰ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلىٰ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَاِنَّما تَسيرُونَ في أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قالَهُ الرِّجالُ مِنْ قَبْلِكُمْ. قَدْ كَفاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْياكُمْ وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصاكُمْ بِالتَّقْوىٰ، وَجَعَلَها مُنْتَهىٰ رِضاهُ.

---

١. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٣١٤ ح ٢ والكليني في الكافي ج ١ ص ١١٥ ح ٥ وقد مرّ في عنوان ١ من هذا الفصل.

٢. البقرة ــ ١٤.

٣. المنافقون ــ ١.

٤. الفتح ــ ١١.

وَحاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ الَّذى اَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَنَواصيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فى قَبْضَتِهِ، اِنْ اَسْرَرْتُمْ، عَلِمَهُ وَاِنْ اَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ. قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِراماً، لايُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلايُثْبِتُونَ باطِلاً.

«فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه» «قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير؛ تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب»[1] «ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله..»[2] «الله الّذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً»[3] «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً»[4] «وما قدروا الله حقّ قدره والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يوم القيامة والسّمواتُ مطويّاتٌ بيمينه..»[5] «..إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد؛ وما ذلك على الله بعزيز»[6].

«فإنّه لم يخف» من أخفى.

«عنكم شيئاً من دينه» فقد قال تعالى في كتابه: «..اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً..»[7] والمراد الإكمال بالكتاب والعترة معاً. فقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في المتواتر عنه: إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا على

---

١. آل عمران ـ ٢٦ و ٢٧.
٢. البقرة ـ ١١٥.
٣. الطلاق ـ ١٢.
٤. الكهف ـ ١٠٩.
٥. الزمر ـ ٦٧.
٦. ابراهيم ـ ١٩ و ٢٠.
٧. المائده ـ ٣.

الحوض.[١]

«ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلّا وجعل له» أي لما رضيه أو كرهه.

«علماً» أي علامة.

«بادياً» أي ظاهراً، أي من سنّته.

«وآية» بمعنى أو آية.

«محكمة» غير متشابهة من كتابه.

«تزجر عنه» أي عن ذاك الشّيء الّذي كرهه.

«أو تدعو إليه» أي إلى ذاك الشيء الّذي رضيه، وقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله في حجّة وداعه «يا أيّها النّاس والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقرّبكم من النّار ويباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه»[٢].

«فرضاه في ما بقي» من الزّمان أو من النّاس.

«واحد» فالنّاس عنده سواء.

---

١. اسناد هذا الحديث يزيد على المئات عن طرق اهل السنة والامامية والزيدية اقتصر على ما اخرجه وصححه مسلم فى صحيحه ج ٤ ص ١٨٧٣ و١٨٧٤ ح ٣٦ و٣٧ باربع طرق والحاكم فى مستدرك الصحيحين عنه احياء الميت ص ١١ ح ٦ عن زيد بن ارقم عن النبى (ص) واخرجه صاحب صحيفة الرضا (ع) فيه ص ٥٩ ح ٨٣ وصاحب مسند زيد بن على فيه ص ٤٠٤ والقاضى الصعدى فى درر الاحاديث ص ٥٢ عن الرضا (ع) وزيد بن على والهادى الى الحق عن على (ع) عن النبى (ص) وجمع بعض طرقه الصدوق فى كمال الدين ج ١ ص ٢٣٤ ـــ ٢٤١ والسيوطى فى احياء الميت ص ١١ الى ٤٨.

٢. هذا صدر خطبة الكلينى رواها فى الكافى ج ٢ ص ٧٤ ح ٢ وعاصم بن حميد فى اصله ص ٢٣ ورواه ابوالقاسم الكوفى فى الاخلاق عنه المستدرك ج ٢ ص ٤١٩ ح ١٣ والديلمى فى اعلام الدين عنه المستدرك ج ٢ ص ٤١٨ ح ١٠.

«وسخطه في ما بقي واحد» لكون حلاله وحرامه على حالهما إلى الأبد.

«واعلموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم» من الأُمم الماضية أو ممّن كان في عصر الرّسول صلّى الله عليه وآله.

«ولن يسخط» أي لن يغضب.

«عليكم بشيء رضيه ممّن كان قبلكم» لكون حكم الجميع واحداً.

«وإنّما تسيرون في أثر بيّن» من الدّين «.. قد تبيّن الرّشد من الغيّ..»[١].

«وتتكلّمون برجع قول قد قاله الرّجال من قبلكم» قال (ابن أبي الحديد): يعني كلمة التّوحيد لا إله إلّا الله قد قالها الموحّدون من قبل هذه الملّة لا تقليداً بل بالنّظر والدّليل فقولوها أنتم كذلك.[٢]

قلت: لم أفهم كيفيّة دلالة **«رجع القول»** على ما قال، وإنّما المستفاد من مورد آية «.. ولو ترى إذ الظّالمون موقوفون عند ربّهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الّذين استضعفوا للّذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين؛ قال الّذين استكبروا للّذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذجائكم بل كنتم مجرمين؛ وقال الّذين استضعفوا للّذين استكبروا بل مكر اللّيل والنّهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله..»[٣] كون رجع القول تكراراً لمجاوبة بين فريقين، ولعلّ الرّجع هنا بمعنى النّفع كما قيل في قوله تعالى: «والسّماء ذات الرّجع»[٤].

«قد كفاكم مؤونة دنياكم» «في السّماء رزقكم وما توعدون؛ فوربّ السّماء والأرض إنّه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون»[٥].

---

١. البقرة ــ ٢٥٦.
٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٢٣.
٣. سبا ــ ٣١ــ ٣٣.
٤. الطارق ــ ١١.
٥. الذاريات ــ ٢٢ و ٢٣.

«وحثّكم على الشّكر» «ولقـد آتينا لقمان الحكمة أن اشكرلله ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غنيّ حميد»[١] «.. لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد»[٢]

«وافترض من ألسنتكم الذّكر» صادراً عن القلب «..واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون»[٣] «واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدّو والآصال ولاتكن من الغافلين»[٤].

«وأوصاكم بالتّقوى» «..ولقد وصيّنا الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتّقوا الله..»[٥].

«وجعلها منتهى رضاه» من عباده «..إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم..»[٦].

«وحاجته من خلقه» «يا أيّها الّذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون»[٧] «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّيكم به لعلّكم تتّقون»[٨].

«فاتّقوا الله الّذي أنتم بعينه» «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد»[٩] «وهو الّذي يتوفّيكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمّى..»[١٠].

---

١. لقمان ــ ١٢.
٢. ابراهيم ــ ٧.
٣. الجمعة ــ ١٠.
٤. الاعراف ــ ٢٠٥.
٥. النساء ــ ١٣١.
٦. الحجرات ــ ١٣.
٧. البقرة ــ ١٨٣.
٨. الانعام ــ ١٥٣.
٩. ق ــ ١٦.
١٠. الانعام ــ ٦٠.

«ونواصيكم بيده» «.. ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم»[١].

«وتقلّبكم في قبضته» «.. والله يعلم متقلبكم ومثواكم»[٢] «.. فلا يغررك تقلّبهم في البلاد»[٣].

«إن أسررتم علمه» «.. يعلم السرّ في السّموات والأرض..»[٤] «.. تسرّون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم..»[٥] «.. يخرج الخبء في السّموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون»[٦].

«وإن أعلنتم كتبه» «وكلّ صغير وكبير مستطر»[٧] «..ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين»[٨] «ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد»[٩].

«قد وكّل بكم» هكذا في المصريّة، والصّواب «بذلك» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة)[١٠].

«حفظة كراماً» «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتّى إذا جاء أحدكم الموتُ توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون»[١١]!

١. هود ـ ٥٦.
٢. محمد ـ ١٩.
٣. غافر ـ ٤.
٤. الفرقان ـ ٦.
٥. الممتحنة ـ ١.
٦. النمل ـ ٢٥.
٧. القمر ـ ٥٣.
٨. يس ـ ١٢.
٩. ق ـ ١٨.
١٠. في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٢٢ وشرح ابن ميثم ج ٣ ص ٣٩٨ ايضاً «بكم».
١١. الانعام ـ ٦١.

«لايسقطون حقاً ولايثبتون باطلاً» لا ككتّاب الأُمراء والملوك يثبتون الباطل على النّاس ويسقطون الحقّ لهم، قال تعالى: «وإنّ عليكم لحافظين؛ كراماً كاتبين؛ يعلمون ما تفعلون»[1] «إذ يتلقى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد»[2] «.. ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولايظلم ربّك أحداً»[3].

٤٩. من خطبة ــ ١٩٣:

وَاعْلَمُوا عِبادَاللهِ اَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ. وَاَحصىٰ اِحسانَهُ اِلَيْكُمْ. فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا اِلَيْهِ، وَاسْتَمْنِحُوهُ فَما قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجابٌ، وَلا اُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بابٌ، وَاِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكانٍ، وَفى كُلِّ حينٍ وَاَوانٍ، وَمَعَ كُلِّ اِنْسٍ وَجانٍّ، لايَثْلِمُهُ الْعَطاءُ، وَلايَنْقُصُهُ الْحِباءُ، وَلايَسْتَنْفِدُهُ سائِلٌ، وَلايَسْتَقْصيهِ نائِلٌ، وَلايَلْويهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلايُلْهيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلاتُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقابٍ، وَلاتُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ وَلا تَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَاٰى، وَعَلافَدَنا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدانَ وَلَمْ يُدَنْ. لَمْ يَذْرَاَ الْخَلْقَ بِاحْتِيالٍ، وَلاَ اسْتَعانَ بِهِمْ لِكَلالٍ.

«واعلموا عباداللهِ أنّه لم يخلقكم عبثاً» «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون»[4].

---

١. الانفطار ــ ١٠ ــ ١٢.

٢. ق ــ ١٧.

٣. الكهف ــ ٤٩.

٤. المؤمنون ــ ١١٥.

«ولم يرسلكم هملاً» كإبل بلاراع «أيحسب الإنسان أن يترك سدى؛ ألم يك نطفة من منّي يمنى؛ ثمّ كان علقة فخلق فسوّى؛ فجعل منه الزّوجين الذّكر والأنثى؛ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى»[١].

«علم مبلغ نعمه عليكم وأحصى إحسانه إليكم» وإنّما الخلق لايعلمون مبلغ نعمه ولا يحصون مقدار إحسانه. قال تعالى: «.. وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها..»[٢].

«فاستفتحوه» فإنّه القادر على فتح أبواب النّعم عليكم.

«واستنجحوه» فهو القادر لانجاح حوائجكم.

«واطلبوا إليه» مطالبكم كلّها وجزئيها، وفي الخبر: أُوحى إلى موسى: اطلب منّى جميع حوائجك حتّى علف شاتك وملح خبزك.[٣]

«واستمنحوه» وروى «استميحوه»[٤] وَكلّ منهما بمعنى اطلبوا العطاء منه تعالى «.. واسألوا الله من فضله إنّ الله كان بكلّ شيء عليماً»[٥].

«فما قطعكم عنه حجاب» كالملوك والأُمراء.

«ولا أغلق عنكم دونه باب» كأهل الدنيا.

«وإنّه لبكلّ مكان» قال رجلان من علماء اليهود له عليه السّلام: أين ربّك؟ فقال عليه السّلام لهما ـ ضارباً لهما مثلاً ـ أقبل ملك من المشرق وملك من المغرب، وملك من السّماء، وملك من الأرض. فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي، وقال صاحب المغرب

---

١. القيامة ـ ٣٦ ـ ٤٠.
٢. ابراهيم ـ ٣٤.
٣. رواه ابن فهد فى عدة الداعى عنه الجواهر السنية ص ٦١ والنقل بالمعنى.
٤. نقل هذه الرواية ابن ابى الحديد فى شرحه ج ٢ ص ٥٣٩.
٥. النساء ـ ٣٢.

لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي، وقال الخارج من الأرض للنّازل من السّماء: من أين أقبلت؟ قال من عند ربّي، وقال النّازل من السّماء للخارج من الأرض: من أين أقبلت؟ قال: من عند ربّي.[1]

«وفي كلّ حين» أي زمان عطف على لبكلّ.

«وأوان» أي وقت، لأنّه خالق الاوقات والأزمنة كما أنّه خالق الأمكنة.

«ومع كلّ إنس وجان» «.. ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك، ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ثم ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكلّ شيء عليم»[2].

«لا يثلمه» أي لا يورد عليه خللاً يقال «في الإناء ثلم» إذا انكسر من شفته شيء.

«العطاء» كما يثلم الخلق.

«ولا ينقصه» بالفتح هنا متعد ويأتي لازماً يقال «نقص الشيء ونقصته».

«الحباء» أي العطاء، وكيف يثلمه عطاء، وينقصه حباء، وهو الّذي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

«ولا يستنفده» أي لا يجعل ما عنده فانياً يقال «نفد الشيء» إذا أفنى.

«سائل» «.. ولله خزائن السّموات والأرض..»[3].

«ولا يستقصيه» أي لا يبلغ أقصاه.

---

١. اخرجه الصدوق ضمن حديث طويل في التوحيد ص ١٨٠ ح ١٥ عن علي (ع).

٢. المجادلة ــ ٧.

٣. المنافقون ــ ٧.

«نائل» أي عطاء كالنوال.

«ولا يلويه» أي لا يميله.

«شخص عن شخص» آخر كالنّاس.

«ولا يلهيه» آخر كالخلائق.

«ولا تحجزه» أي لا تمنعه.

«هبة» لأحد.

«عن سلب» عن آخر «.. يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذّكور؛ أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً..»[١].

«لا توهه» أي لا تغفله.

«رحمة» لأحد.

«عن عقاب» لآخر «.. إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم»[٢] فإن قيل: إنّ غيره تعالى قد يهب لواحد، ويسلب آخر، ويغضب على رجل، ويرحم آخر، ويعاقب شخصاً، ويترحم على آخر. فأيّ امتياز له تعالى. قلت: غيره تعالى يفعل ما ذكر على التّعاقب على حسب حال تعرض له من حصول رقة أو ثورة أو غيرهما، وهو تعالى يفعل جميع ذلك في وقت واحد بدون حصول تأثّر له.

«ولا تجنّه» بالفتح والضّمّ. قال الجوهريّ: جننت الميّت وأجننته أي واريته.[٤]

---

١. الشورى ــ ٤٩ و ٥٠.

٢. آل‌عمران ــ ٢٦.

٣. فصلت ــ ٤٣.

٤. صحاح اللغة للجوهري ج ٥ ص ٢٠٩٣/ مادة جنن.

«**البطون عن الظّهور، ولا تقطعه الظهور عن البطون**» قال (ابن أبي الحديد): الظّهور والبطون مصدران تقول: ظهر ظهوراً، وبطن بطوناً.[١] قلت: ويحتمل أن يكونا جمع الظّهر والبطن، ويكون المراد أنّ الخلائق إذا وردوا في بطون الأشياء تكون ظهورها عنهم مستورة وبالعكس، والخالق ليس كذلك، بل بطون الأشياء وظهورها عنده سواء.

«**قرب**» «وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان»[٢].

«**فنأى**» أي بعد «.. ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً..»[٣].

«**وعلا**» «سبّح اسم ربّك الأعلى؛ الّذي خلق فسوّى؛ والّذي قدر فهدى؛ والّذي أخرج المرعى»[٤].

«**فدنا**» أي قرب «..و نحن أقرب إليه من حبل الوريد»[٥].

«**وظهر فبطن**» «هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم»[٦].

«**وبطن فعلن**» «قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السّموات والأرض»[٧] وروى توحيد الصّدوق عن أحمد بن محسن الميثميّ، قال كنت عند أبي منصور

---

١. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٥٣٩ والنقل بالمعنى.
٢. البقرة ــ ١٨٦.
٣. الاعراف ــ ١٤٣.
٤. الاعلى ــ ١ ــ ٤.
٥. ق ــ ١٦.
٦. الحديد ــ ٣.
٧. ابراهيم ــ ١٠.

المتطبّب فقال: أخبرني رجل من أصحابي، قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء، وعبدالله بن المقفّع في المسجد الحرام. فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق ــ وأو مأ بيده إلى موضع الطّواف ــ ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيّة إلّا ذلك الشّيخ الجالس ــ يعني جعفر بن محمّد عليه السّلام ــ فأمّا الباقون فرعاع وبهائم فقال له ابن ابي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أرعندهم. فقال ابن أبي العوجاء: لابدّ من اختبار ما قلت فيه منه. فقال له ابن المقفّع: لاتفعل فإنّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك. فقال: ليس ذا رأيك ولكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت. فقال له ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت على هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزّلل، ولاتثن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال وسِمْه مالَك أو عليك. قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفّع فرجع إلينا، وقال يا ابن المقفّع: ما هذا ببشر وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهراً، ويتروّح إذا شاء باطناً فهو هذا. فقال له: وكيف ذاك؟ فقال: جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني. فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، وهو على ما يقولون ــ يعني أهل الطّواف ــ فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم أنتم وهم.

فقلت له: يرحمك الله: وأيّ شيء تقول، وأيّ شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلّا واحد. قال: فكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بأنّ للسّماء إلهاً وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد.

قال: فاغتنمتها منه. فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتّى لايختلف منهم إثنان، ولم احتجب عنهم، وأرسل إليهم الرّسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به.

فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نُشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحتّك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد

بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إبائك، وإبـاءك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاك بعد يأسك، ويأسك بعد رجاك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك، ومازال يعدّ عليّ قدرته الّتي هي في نفسي الّتي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر إلهه فيما بيني وبينه.[١]

«ودان» أي جزى «فلو لا إن كنتم غير مدينين؛ ترجعونها إن كنتم صادقين»[٢].

«ولم يدن» بلفظ المجهول، أي ولم يجزه أحد. قال تعالى: «لا يسئل عمّا يفعل وهم يسئلون»[٣].

«لم يذرأ» الذّرء الخلق المتفرّق الكثير كما في قوله تعالى: «وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه..»[٤] «وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً..»[٥] «.. جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه..»[٦].

«الخلق» أي مخلوقاته.

«باحتيال» وحيلة «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[٧].

«ولا استعان بهم» أي بخلقه.

«لكلال» أي عيّ ومسّ تعب. قال تعالى: «ولقد خلقنا السّموات

---

١. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ١٢٥ ح ٤ والكليني في الكافي ج ١ ص ٧٤ ح ٢ وقد مرّ الحديث في عنوان ٤ من هذا الفصل.

٢. الواقعة ــ ٨٦ و ٨٧.

٣. الانبياء ــ ٢٣.

٤. النحل ــ ١٣.

٥. الانعام ــ ١٣٦.

٦. الشورى ــ ١١.

٧. يس ــ ٨٢.

والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب»[١].

٥٠ من خطبة ـ ٨٩:

وَقَدَّرَ الأَرزاقَ فَكَثَّرَها، وَقَلَّلَها وَقَسَّمَها عَلى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ. فَعَدَلَ فيها لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرادَ بِمَيْسُورِها وَمَعْسُورِها، وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّها وَفَقيرِها ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِها عَقابيلَ فاقَتِها، وَبِسَلامَتِها طَوارِقَ آفاتِها، وَبِفُرَجِ أَفْراحِها غُصَصَ أَتْراحِها، وَخَلَقَ الآجالَ فَأَطالَها وَقَصَّرَها، وَقَدَّمَها وَأَخَّرَها وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبابَها؛ وَجَعَلَهُ خالِجاً لِأَشْطانِها، وَقاطِعاً لِمَرائِرِ أَقْرانِها.

«وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها» «.. الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له..»[٢].

«وقسّمها على الضّيق والسّعة» «.. نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيٰوة الدّنيا..»[٣].

«فعدل فيها» لأنّ تقديره تعالى وتقسيمه عزّوجلّ على وفق الحكمة، وفي الخبر: من منعه تعالى منعه ما ليس له، ومن أعطاه فإنّما أعطاه ما ليس له. فهو المتفضّل بما أعطى والعادل في ما منع، ولا يفعل إلّا ما كان حكمة وصواباً، ومن وجد في نفسه حرجاً في شيء ممّا قضى فقد كفر.[٤]

«ليبتلي» أي يمتحن.

---

١. ق ـ ٣٨.

٢. العنكبوت ـ ٦٢.

٣. الزخرف ـ ٣٢.

٤. اخرجه الصدوق في ذيل حديث في معنى لفظ «الجواد» في العيون ج ١ ص ١١٦ ح ٤١ ومعاني الاخبار ص ٢٥٦ ح ١ والخصال ص ٤٣ ح ٣٦.

«من أراد بميسورها ومعسورها» أي يمتحن بعضاً بالميسور، وبعضاً بالمعسور، وروى التّوحيد عن أنس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث قال: قال تعالى: وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلّا بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لايصلح إيمانه إلّا بالغناء ولو أفقرته لأفسده ذلك.[1]

«وليختبر» أي يمتحن.

«بذلك الشّكر والصّبر من غنيّها وفقيرها» هل يشكر غنيّها، وهل يصبر فقيرها، وفي الكافيّ عن الكاظم عليه السّلام يقول تعالى: إنّي لم أغن الغنيّ لكرامة به عليّ، ولم أفقر الفقير لهوان به عليّ وممّا ابتليت به الأغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّة.[2]

«ثمّ قرن بسعتها عقابيل» جمع عقبول، وهي قرح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض، والمراد هنا الشدائد.

«فاقتها» فقالوا: الفقر الموت الأحمر، ولاشيء أمرّ منه.

«وبسلامتها طوارق» والأصل في الطروق الإتيان ليلاً، وهنا كناية عن البغتة.

«آفاتها» فحكمته اقتضت جعل الدّنيا كذلك لئلّا يخلد النّاس إليها وينسوا إلههم.

«وبفرج» بالضمّ فالفتح جمع فرجة.

«أفراحها» ومسارّها.

«غصص» الأصل في الغصّة اعتراض الطّعام في الحلق.

---

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٤٠٠ ح ١ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٢ ح ٧ والكلينى فى الكافى ج ٢ ص ٩٠ ح ٤ وقد مر فى عنوان ٤٥ من هذا الفصل.

٢. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٢٠ والاسكافى فى التمحيص ص ٤٧ ح ٦٩.

«أتراحها» جمع الترح ضدّ الفرح، ولم تر في الدّنيا فرحاً لا يخلطه ترح والحكمة ما مرّ.

«وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخرّها» بدون أن يطلع عليها أحداً، والجاهل والعالم في ذلك سواء حتّى الأطبّاء. قال تعالى: «هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلكم تعقلون»[١].

«ووصل بالموت أسبابها» أي أسباب الآجال، والمراد الأمراض والآفات.

«وجعله» أي الموت.

«خالجاً» أي جاذباً.

«لأشطانها» أي حبالها الطّويلة.

«وقاطعاً لمرائر» جمع مريرة، حبل اشتدّ فتله.

«أقرانها» أي حبالها، وإضافة مرائر إليه من إضافة الصّفة «ولكلّ أمّة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون»[٢].

فيه بعد ما مرّ:

عالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمائِرِ الْمُضْمِرينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخافِتِينَ، وَخَواطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيماتِ الْيَقينِ، وَمَسارِقِ ايماضِ الْجُفُونِ، وَما ضَمِنَتْهُ أَكْنانُ الْقُلُوبِ، وَغَياباتُ الْغُيُوبِ، وَما أَصْغَتْ لِاسْتِراقِهِ مَصائِخُ الأَسْماعِ، وَمَصائِفُ الذَّرِّ، وَمَشاتِي الْهَوامِّ، وَرَجْعِ الْحَنينِ مِنَ الْمُولَهاتِ، وَهَمْسِ الأَقْدامِ، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلائِجِ غُلُفِ

١. غافر ـــ ٦٧.
٢. الاعراف ـــ ٣٤.

الآكمام، وَمُنقَمَعِ الوُحُوشِ مِنْ غِيرانِ الجِبالِ وَأَوْدِيَتِها، وَمُختَبأ البَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجارِ وَأَلْحِيَتِها وَمَغْرِزِ الأَوْراقِ مِنَ الأَفْنانِ، وَمَحَطِّ الأَمْشاجِ مِنْ مَسارِبِ الأَصْلابِ وَناشِئَةِ الغُيُومِ وَمُتَلاحِمِها. وَدُرُورِ قَطْرِ السَحابِ في مُتَراكِمِها، وَما تَسْفِي الأَعاصِيرُ بِذُيُولِها، وَتَعْفُو الأَمْطارُ بِسُيُولِها، وَعَوْمِ بَناتِ الأَرْضِ في كُثْبانِ الرِّمالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَواتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَناخِيبِ الجِبالِ وَتَغْرِيدِ ذَواتِ المَنْطِقِ في دَياجِيرِ الأَوْكارِ، وَما أَوْعَبَتْهُ الأَصْدافُ وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْواجُ البِحارِ، وَما غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْذَرَّ عَلَيْهِ شارِقُ نَهارٍ، وَما اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْباقُ الدَّياجِيرِ، وَسُبُحاتُ النُّورِ، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَما هِمِ كُلِّ نَفْسٍ هامَّةٍ، وَما عَلَيْها مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ ساقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ ناشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلالَةٍ، لَمْ يَلْحَقْهُ في ذلِكَ كُلْفَةٌ، وَلا اعْتَرَضَتْهُ في حِفْظِ ما ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عارِضَةٌ، وَلا اعْتَوَرَتْهُ في تَنْفِيذِ الأُمُورِ وَتَدْبِيرِ المَخْلُوقِينَ مَلالَةٌ، وَلا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ ما هُوَ أَهْلُهُ.

عالم السّرّ» «.. يعلم السّرّ وأخفى»[١].

«من ضمائر المضمرين» «وإنّ ربّك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون»[٢].

«ونجوى المتخافتين» «ألم تر أنّ الله يعلم ما في السّموات وما في الأرض ما

١. طه ــ ٧.
٢. النمل ــ ٧٤.

يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكلّ شيء عليم»[١].

«وخواطر رجم الظّنون» ممّا لا حقيقة له، ولا وجود له إلّا في الخيال. قال الجوهريّ: الرّجم أن يتكلّم الرّجل بالظّنّ. قال تعالى: «.. رجماً بالغيب..»[٢] يقال: صار فلان رجماً لا يوقف على حقيقة أمره.[٣]

«وعقد» بالضّمّ فالفتح جمع عقدة.

«عزيمات اليقين» أي قطع يطابق الواقع.

«ومسارق» جمع مسرق يقال «هو يسارق النّظر» إذا اهتبل غفلته.

«ايماض» من أو مضت المرأة إذا ساقت النّظر.

«الجفون» من العيون، والأصل في كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور»[٤].

«وما ضمنته» أي جعلته في ضمنها.

«أكنان» جمع الكنّ بمعنى السّترة.

«القلوب» «وربّك يعلم ماتكنّ صدورهم وما يعلنون»[٥].

«وغيابات» جمع الغيابة يقال «غيابة الجب» أي قعره.

---

١. المجادلة ــ ٧.

٢. الكهف ــ ٢٢.

٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ١٩٢٨/ مادة رجم.

٤. غافر ــ ١٩.

٥. القصص ــ ٦٩.

«**الغيوب**» جمع الغيب خلاف الشّهود، والأصل في الغيب المطمئنّ من الأرض، قال لبيد في بقرة أكل السّبع ولدها:

وتسمّعت رزّ الأنيس فراعها ∗ عن ظهر غيب والأنيس سقامها[١]

والغيب ماغاب من العين يقال «شاة ذات غيب» إذا كانت ذات شحم لتغيبه عن العين. قال تعالى: «..فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنّى أعلم غيب السّموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»[٢].

«**وما أصغت**» أي استمعت.

«**لاستراقه**» من استرق السّمع، أي استمع مستخفياً كأنّه يسرق الخبر.

«**مصائخ الأسماع**» والمصائخ جمع المصيخة مافيها قوّة السّماع ،والأسماع جمع السمع أي الآذان السّمعية. قال تعالى: «ولقد جعلنا في السّماء بروجاً وزيّناها للنّاظرين؛ وحفظناها من كلّ شيطان رجيم، إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهاب مبين»[٣].

«**ومصائف الذّرّ**» الذّرّ جمع ذرّة أصغر النّمل، ومصائفها مواضعها في الصّيف.

«**ومشاتي الهوامّ**» الهوامّ جمع الهامّة. قال الجوهريّ: لايقع اسم الهامّة إلّا على المخوف من الأحناش، ومشاتيها مواضعها في الشّتاء[٤].

«**ورجع الحنين**» قال الجوهريّ: حنين النّاقة صوتها في نزاعها إلى ولدها.[٥]

«**من المولهات**» جمع المولهة أي الّتي فرّق بينها وبين ولدها فهي عليه والهة.

---

١. اورده لسان العرب ج ١ ص ٦٥٥/ مادة غيب.

٢. البقرة ــ ٣٣.

٣. الحجر ــ ١٦ ــ ١٨.

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ٢٠٦٢ مادة همم.

٥. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ٢١٠٤/ مادة حنن.

«وهمس الأقدام» أي أخفى صوتها. قال تعالى: «.. فلا تسمع إلّا همساً»[١].

«ومنفسح الثمرة» أي متّسعها.

«من ولائج» جمع الوليجة أي مداخل.

«غلف» بضمّتين جمع غلاف.

«الأكمام» جمع الكمّ بالكسر وعاء الطّلع وغطاء النّور. قال: بوائج في أكمامها لم تفتّق[٢]، وأما الكمّ بالضّمّ فهو كمّ القميص، وليس بمراد هنا.

«ومنقمع» أي مختفى.

«الوحوش» أي حيوانات البرّ.

«من غيران» بالكسر جمع غار كالكهف في الجبل.

«الجبال وأوديتها» جمع الوادي، وفي المصباح: الوادي كلّ منفرج بين جبال أو اكام يكون منفذاً للسّيل.[٣]

«ومختبأ» أي مختفى.

«البعوض» قال الجوهريّ: البعوض البق.[٤]

«بين سوق» بالضّمّ جمع ساق.

«الأشجار وألحيتها» بفتح الهمزة جمع اللّحاء قشر الشّجر.

---

١. طه ـ ١٠٨.

٢. اورده لسان العرب ج ١٢ ص ٥٢٦/ مادة كمم ونسبه الى الشمّاخ وصدره «قضيت اموراً ثم غادرت بعدها».

٣. المصباح المنيرج ٢ ص ٣٧٢/ مادة ودى.

٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٣ ص ١٠٦٦/ مادة بعض.

«ومغرز» من غرزت الشّيء بالإبرة.

«الأوراق» جمع الورق، والمراد ورق الشجر.

«من الأفنان» جمع الفنّ غصن الشّجر.

«ومحطّ» أي محلّ نزول.

«الأمشاج» أي نطفة الرّجل والمرأة، جمع المشيج مثل يتيم وأيتام، يقال نطفة أمشاج لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها. قال تعالى: «إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج..»[1].

«من مسارب» جمع مسرب أي مجرى.

«الأصلاب» قال تعالى: «يخرج من بين الصّلب والتّرائب»[2].

«وناشئة» قال الجوهريّ: النّشأ أوّل ما ينشأ من السّحاب.[3]

«الغيوم» جمع الغيم، يقال غامت السّماء إذا أطبق بها السّحاب.

«ومتلاحمها» أي متضاعفها.

«ودرور» أي سيلان.

«قطر السّحاب في متراكمها» أي مجتمعها وركوب بعضها بعضاً.

«وما تسفي» من سفت الرّيح التّراب إذا ذرته.

«الأعاصير» جمع الأعصار وهو ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السّماء كأنّه عمود. قال تعالى: «.. فأصابها إعصار فيه نار..»[4].

١. الانسان ــ ٢.

٢. الطارق ــ ٧.

٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٧٧/ مادة نشأ.

٤. البقرة ــ ٢٦٦.

ويقال: هو ريح تثير سحاباً ذات رعد و برق.

«بذيولها» الّتي تلاقي الأرض.

«وتعفو» من عفت الرّيح المنزل درسته.

«الأمطار بسيولها» أي السّيول الحاصلة منها.

«وعوم» اي سباحة.

«بنات الأرض» روى نبات بتقديم النّون[١] فتكون إضافة العوم إليه مجازاً، وبتقديم الباء فيكون المراد بها الحشرات والهوامّ الّتي تكون في تلال الرّمال فتكون نسبة العوم إليها استعارة.

«في كثبان الرّمال» أي تلالها. قال الجوهريّ: كلّ ما انصبّ في شيء فقد انكثب فيه، ومنه سمّي الكثيب من الرّمل لأنّه انصبّ في مكان فاجتمع فيه، والجمع الكثبان.[٢]

«ومستقرّ ذوات الأجنحة» أي الطّيور.

«بذرى» بالضّمّ، جمع ذروة أي أعالى.

«شناخيب الجبال» أي رؤوسها.

«وتغريد» من غرّد الطّائر اذا صوّت وغنّى.

«ذوات المنطق» أي طيور تتغنّى، وليس كلّ طير كذلك.

«في دياجير» جمع ديجور أي ظلمة.

الأوكار» جمع الوكر عشّ الطّائر.

---

١. نقل هذه الرواية ابن ميثم فى شرحه ج ٢ ص ٣٨٣.

٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٢٠٩/ مادة كثب.

«وما أوعبتـه» هكذا في المصـريّة، والصواب «وما أوعته» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخوئي، والخطّيـة)[1] وقالوا: وفي نسخة «وما أودعته»[2]، ومعنى «ما أوعته» جعلت له وعاء.

«الأصداف» جمع الصّدف غشاء الدّرّة.

«وحضنت» من حضن الطائر بيضة إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وكذلك المرأة إذا حضنت ولدها.

«عليه أمواج البحار» يفهم من كلامه عليه السّلام أنّ أمواج البحار تربّي أشياء حيّة وغير حيّة.

«وما غشيته» أي حوته.

«سدفة» أي ظلمة.

«ليل» قال النّابغة.

فإنّك كاللّيل الّذي هو مدركي ٭ وإن خلت أن المنتأى عنك واسع[3]

«أوذرّ» من ذرّت الشّمس أي طلعت.

«عليه شارق» أي طالع يقال: لا آتيك ماذر شارق.

«نهار» والمراد بشارق النّهار الشّمس.

«وما اعتقبت» أي تعاقبت.

---

١. كذا في شرح الخوئي ج ٣ ص ١٣١ لكن في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٦٧ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٧ ايضاً «ما اوعبته».

٢. امّا ابن ابي الحديد فاورد في متن الخطبة في ج ٢ ص ١٦٧ «اوعبته» وعند شرح الفقرة في ص ١٦٧ «ما اودعته» ولم يصرّح الى كونه في نسخة اخرى والظاهر غلط الناسخ واما ابن ميثم والخوئي فلم نجد في شرحيهما هذا الرواية اصلاً.

٣. اورده التفتازاني في المطول ص ٢٨٦/ باب الايجاز والاطناب والمساواة.

«عليه أطباق» أي طبقات.

«الدّياجير» أي الظّلم.

«وسبحات النّور» أي أشعّته.

«وأثر كلّ خطوة» أي قدم.

«وحسّ» أي صوت خفي.

«كلّ حركة» من كلّ متحرّك .

«ورجع كلّ كلمة» أي أثرها في الهواء بالتّموّج.

«وتحريك كلّ شفة» بكلام جهر أو خفي.

«ومستقرّ كلّ نسمة» أي كلّ نفس إنساناً أو غيره. قال تعالى: «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين»[1].

«ومثقال كلّ ذرّة» «..وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين»[2].

«وهماهم» جمع همهمة، ترديد الصّوت في الصّدر.

«كل نفس هامّة» بالتّشديد، أي قاصدة لشيء لاتدري تفعله أم لا. قال الشّاعر:

همـمت ولم أفعل وكـدت وليتني * تركت على عثمان تبـكي حلائله[3]

١. هود ـ ٦.

٢. يونس ـ ٦١.

٣. اورده الزمخشرى فى الكشاف ج ٢ ص ٤٥٥.

«وما عليها من ثمر شجرة» هكذا في النّسخ[١]، وقال (ابن أبي الحديد) «وما عليها» أي ما على الأرض فجاء بالضّمير ولم يسبق ذكر صاحبه اعتماداً على فهم المخاطب كما قال تعالى: «كلّ من عليها فان»[٢،٣]. قلت: والأظهر حصول سقط في الكلام أو تقديم وتأخير أو تحريف، ولايبعد أن يكون الأصل «وما ينع من ثمر شجرة» من قوله تعالى: «.. انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه..»[٤] وإلّا فقتضى السيّاق أن يكون «قرارة نطفة» وما بعده عطفاً على «ثمر شجرة» كقوله «ساقط ورقة» ولا معنى له.

«أوساقط ورقه» «.. وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلّا في كتاب مبين»[٥].

«أو قرارة نطفة» «ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين»[٦].

«أو نقاعة دم» الظاهر أنّ المراد بنقاعة دم العلقة بقرينة ذكر النّطفة قبلها والمضغة بعدها، وقال الجوهريّ: دم ناقع أي طريّ، قال الشّاعر قسام بن رواحة:

ومازال من قتلي رزاح بعالج ۞ دم ناقع أو جاسد غير ماصح

قال أبوسعيد: يريد بالنّاقع الطّريّ: وبالجاسد القديم.[٧]

«ومضغة» أي قطعة لحم. قال تعالى: «ثمّ خلقنا النّطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة..»[٨].

«أو ناشئة خلق» والمراد نطفة تصير منشأ مولود، وليس كلّ نطفة كذلك.

---

١. نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٠ وشرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٦٧ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٨.
٢. الرحمن ـــ ٢٦.
٣. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٦٩.
٤. الانعام ـــ ٩٩.
٥. الانعام ـــ ٥٩.
٦. المؤمنون ـــ ١٣.
٧. صحاح اللغة للجوهرى ج ٣ ص ١٢٩٢/ مادة نقع.
٨. المؤمنون ـــ ١٤.

«وسلالة» أي الخلاصة. قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين»[١].

«لم يلحقه» هكذا في المصريّة، والصواب «لم تلحقه» كما في (ابن أبي الحديد، والخطّيّة)[٢].

«في ذلك كلفة» أي مشقّة. قال تعالى: «ولقد خلقنا السّموات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام وما مسّنا من لغوب»[٣].

«ولا اعترضته في حفظ ما ابتدعه» هكذا في المصريّة، والصواب «ما ابتدع» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة).[٤]

«من خلقه عارضة» تمنعه من الحفظ. قال تعالى: «..وسع كرسيّه السّموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العليّ العظيم»[٥].

«ولا اعتورته» أي لا اعترضته.

«في تنفيذ الأمور» وإمضائها.

«وتدبير المخلوقين» هكذا في المصريّة، والصواب «وتدابير المخلوقين» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخوئي، والخطّيّة)[٦].

«ملالة ولا فترة» أي ضعف، وكيف تلحقه كلفة أو تعترضه عارضة أو تعتوره فترة في خلقه وأمره، وهو الّذي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

---

١. المؤمنون ـــ ١٢.
٢. في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٦٧ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٨ ايضاً «لم يلحقه».
٣. ق ـــ ٣٨.
٤. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٦٧ لكن في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٨ ايضاً «ما ابتدعه».
٥. البقرة ـــ ٢٥٥.
٦. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٦٧ وشرح الخوئي ج ٣ ص ١٣١ لكن في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٨ ايضاً «تدبير».

«بل نفذ فيهم علمه» «.. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم..»[١].

«وأحصاهم عدّه» «لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً»[٢].

«ووسعهم عدله» «وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لامبدلّ لكلماته وهو السّميع العليم»[٣].

«وغمرهم» من غمره الماء إذا علاه.

«فضله» «.. ولو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الله ذوفضل على العالمين»[٤].

«مع تقصيرهم عن كنه» أي حقيقة.

«ماهو أهله» «وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون»[٥] هذا، وقال (ابن أبي الحديد) بعد نقل هذا العنوان: لوسمع النّضربن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله عليّ بن إسماعيل بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصّقر من شيبان قلت لهم ٭ كلّا ولكن لعمري منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف ٭ كما علا برسول الله عدنان

إذن كان يفتخر به على عدنان وقحطان بل كان يقرّبه عين أبيه إبراهيم خليل الرّحمن ويقول له إنّه لم يعف ما شيّدت من معالم التّوحيد، بل أخرج الله لك من ظهري ولداً ابتدع من علوم التّوحيد في جاهليّة العرب مالم تبتدعه أنت في جاهليّة النّبط، بل لو سمع هذا انكلام أرسطاطاليس القائل بأنّه تعالى لايعلم الجزئيات لخشع قلبه وقفّ شعره، واضطرب فكره. ألا ترى ما عليه من الرّواء

---

١. البقرة ــ ٢٥٥.
٢. مريم ــ ٩٤.
٣. الانعام ــ ١١٥.
٤. البقرة ــ ٢٥١.
٥. الزمر ــ ٦٧.

والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة، مع ما قد أُشرب من الحلاوة والطّلاوة، واللّطف والسّلاسة، ولاأرى كلاماً يشبه هذا إلّا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نبعة من تلك الشّجرة، وجدول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النّار، وكأنّه عليه السّلام شرح قوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلّا يعلمها ولاحبّة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلّا في كتاب مبين»[١][٢]

قلت: قد أجاد في ما أفاد لكن عرفت ممّا نقلنا من الآيات في شرح الفقرات أنّ كلامه عليه السّلام تفسير لما قاله من الآية ولآيات أُخر.

٥٢. حكمة ـ ٤٧: وقال عليه السّلام ـ وفي نسخة ـ وسئل عن التوحيد والعدل. فقال عليه السّلام:

التَّوْحيدُ اَنْ لا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ اَنْ لا تَتَّهِمَهُ.

وأقول: وقال الصّادق عليه السّلام أمّا التّوحيد فأن لاتجوز على ربّك ما جاز عليك، وأمّا العدل فأن لاتنسب إلي خالقك ما لامك عليه[٣]، وفي الخبر أنّ أبا الصّلت الهروي قال للرّضا عليه السّلام: لأيّ علّة أغرق الله تعالى الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السّلام وفيهم الأطفال ومن لاذنب له؟ فقال: ما كان فيهم الأطفال لأنّ الله تعالى أعقم أصلاب قوم نوح (ع) وأرحام نسائهم أربعين عاماً. فانقطع نسلهم فغرقوا ولاطفل فيهم، وما كان الله تعالى ليهلك بعذابه من لاذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح (ع) فأُغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح (ع) وسائرهم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه.[٤]

---

١. الانعام ـ ٥٩.

٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٦٧. مرّ نقله وتحقيق ما نقل عن ارسطاطاليس في شرح خطبة الرضى.

٣. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٩٦ ح ١.

٤. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٣٩٢ ح ٢ والعيون ج ٢ ص ٧٤ ح ٢ وعلل الشرائع ج ١ ص ٣٠ ح ١.

٥٣. خطبة ـ ٢١٢: ومن خطبة له عليه‌السّلام:

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ.

أقول: قال (ابن أبي‌الحديد): الضّمير في «أنّه» يرجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة ولم يذكره الرّضيّ ـ رحمه‌الله ـ[١]. قلت: إن وجد الخطبة كما ذكر وإلّا فنقول: إنّ الضّمير فيه يرجع إليه تعالى، ولو كان راجعاً إلى القدر كما ذكر لكانت القاعدة أن يقول «عدل عدل فيه، وحكم فصل فيه» ولا يحتاج إلى تكلّفه أنّه نسب العدل إلى القضاء مجازاً، وحينئذٍ فعدل بمعنى عادل، واستعماله كذلك كثير كالخلق بمعنى المخلوق، و «حكم» بفتحتين بمعنى الحاكم، وفي الخبر أنّ يهودياً سأله عليه‌السّلام عمّا ليس لله، وعمّا ليس عندالله وعمّا لايعلمه الله. فقال عليّ (ع): أمّا ما لايعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود عزيربن الله والله لايعلم له ولداً، وأمّا ماليس عندالله فليس عندالله ظلم للعبيد، وأمّا ما ليس لله فليس لله شريك. أشهد ألّا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله[٢]، وورد أنّ أبا حنيفة خرج من عند الصّادق عليه‌السّلام فاستقبله الكاظم عليه‌السّلام وهو يومئذ غلام. فقال له: يا غلام ممّن المعصية. فقال: لايخلو من ثلاث: إمّا أن يكون من الله تعالى ـ وليست منه ـ فلاينبغي للكريم أن يعذّب عبده بما لا يكتسبه، وإمّا أن يكون من الله ومن العبد ـ وليس كذلك ـ فليس ينبغي للشريك القويّ أن يظلم الشريك الضعيف وإمّا أن يكون من العبد ـ وهي منه ـ فإن عاقبه‌الله فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده.[٣]

---

١. شرح ابن ابی‌الحدید ج ٣ ص ٢٣.

٢. اخرجه صاحب صحيفة الرضا (ع) فيه ص ٨٤ ح ١٩٣ والصدوق فی التوحيد ص٣٧٧ ح ٢٣ والعيون ج ١ ص١١٦ ح ٤٠ وج ٢ ص٤٥ ح ١٧٢ بطريقين وابوعلی الطوسی فی اماليه ج ١ ص ٢٨٢/ جزء ١٠ واخرجه ضمن حديث طويل محمدبن علی بن ابراهيم فی عجائب الاحكام ص ١٠١ ح ١٧٠ ورواه الطبرسی فی الاحتجاج ج ١ ص٢٠٧.

٣. اخرجه الصدوق فی التوحيد ص ٩٦ ح ٢ والعيون ج ١ ص ١١٣ ح ٣٧ وامالیه ص ٣٣٤ ح ٤/ مجلس ٦٤ والمرتضی فی الفصول ج ١ ص ٤٣ والكراجكی فی كنز الفوائد ص ١٧١ وابن‌شعبة فی تحف العقول ص ٤١١ ورواه الطبرسی فی الاحتجاج ج ٢ ص٣٨٧.

هذا، وممّا يدخل في موضوع كتابه، ولم ينقله ممّا هو راجع إلىٰ التوحيد ما رواه الكلينيّ عن البرقيّ والعطّار مرفوعاً، والصّدوق في أسنادين عن الصّادق عليه السّلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام استنهض النّاس في حرب معاوية في المرّة الثانية فلمّا حشد النّاس قام خطيباً، فقال:

«الحمدلله الواحد الأحد الصمد، المتفرّد الّذي لامن شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان، قدرة بان بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، ولاحدّ يضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللّغات، وضلّ هناك تصاريف الصّفات، وحار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرّسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون. حجب من الغيوب تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور، فتبارك الله الّذي لايبلغه بعد الهمم، ولاينالهُ غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقت معدود، ولااجل ممدود، ولانعت محدود، سبحان الّذي ليس له أوّل مبتدأ، ولاغاية منتهى، ولاآخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لايبلغون نعته، وحدّ الأشياء كلّها عند خلقه إبانة لها من شبهه، وإبانة له من شبهها، لم يحلل فيها فيقال هو فيها كائن، ولم ينأعنها فيقال هومنها بائن، ولم يخل منها. فيقال له أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، وأحصاها حفظه، لم يعزب عنه خفيّات غيوب الهوى، ولا غوامض مكنون ظلم الدّجى، ولاما في السّموات العلى إلى الأرضين السّفلى.

لكلّ شيء منها حافظ ورقيب، وكلّ شيء منها بشيء محيط، والمحيط بما أحاط منها، الواحد الأحد الصّمد، الّذي لايغيّره صروف الزّمان، ولايتكأده صنع شيء كان إنّما قال لما شاء كن فكان.

ابتدع ما خلق بلامثال سبق، ولاتعب ولانصب، وكلّ صانع شيء، فمن شيء صنع، والله لامن شيء صنع ما خلق، وكلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم، والله لم يجهل ولم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها، لم يكوّنها لتشديد سلطان، ولاخوف من زوال ونقصان، ولااستعانة على ضدّ مناو، ولاندّ مكاثر، ولا شريك مكابر، لكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون.

فسبحان الّذى لايؤده خلق ما ابتدأ، ولاتدبير ما برأ، ولامن عجز ولامن فترة بما خلق، اكتفى علم ما خلق، وخلق ما علم، لابالتفكير في علم حادث أصاب ما خلق، ولا شبهة دخلت عليه في ما لم يخلق، لكن قضاء مبرم، وعلم محكم، وأمر متقن، توحّد بالرّبوبيّة، وخصّ نفسه بالوحدانيّة، واستخلص بالمجد والثناء، وتفرّد بالتوحيد والمجد والثّناء، وتوحّد بالتحميد، وتمجّد بالتّمجيد، وعلا عن اتّخاذ الأبناء، وتطهّر وتقدّس عن ملامسة النّساء، وعزّوجلّ عن مجاورة الشّركاء.

فليس له في ما خلق ضدّ، ولا له في ما ملك ندّ، ولم يشركه في ملكه أحد.
الواحد الأحد الصّمد، المبيد للأبد، والوارث للأمد، الّذي لم يزل ولا يزال.
وحدانيّاً أزليّاً قبل بدء الدّهور، وبعد صروف الأمور، الّذي لا يبيد ولا ينفد، بذلك أصف ربّي، فلا إله إلّا الله من عظيم ما أعظمه، ومن جليل ما أجلّه، ومن عزيز ما أعزّه، وتعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً»[1].

لكن مرّ بعض فقراتها في العناوين المتقدّمة باتّفاق واختلاف.

وما روياه بأسنادهما عن محمّد البرقي، عن أحمد بن النضر وغيره، عن عمرو بن ثابت[2]، عن رجل سمّاه، عن أبي إسحاق السبيعيّ عن الحارث الأعور قال خطب أمير المؤمنين عليه السّلام خطبة بعد العصر فعجب النّاس من حسن صفته، وما ذكره من تعظيم الله تعالى. قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أو ما حفظتها؟ قال: كتبتها. فأملاها علينا من كتابه:

الحمد لله الّذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، لأنّه كلّ يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن، الّذي لم يلد فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحاً ماثلاً، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً.
الّذي ليست في أوّليّته نهاية، ولا لآخريّته حدّ ولا غاية. الّذي لم يسبقه وقت ولم يتقدّمه زمان، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولا يوصف بأين ولا بم ولا مكان.
الّذي بطن من خفيّات الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التّدبير.
الّذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ. ولا ببعض، بل وصفته بفعاله، ودلّت عليه بآياته، لا تستطيع عقول المتفكّرين جحده، لأنّ من كانت السّموات والأرض فطرته، وما فيهنّ وما بينهنّ، وهو الصّانع لهنّ، فلا مدفع لقدرته.
الّذي نأى من الخلق فلا شيء كمثله. الّذى خلق الخلق لعبادته. وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بيّنة هلك من هلك، وبمنّه نجا من نجا، ولله الفضل مبدأ ومعيداً، ثمّ إنّ الله وله الحمد افتتح الحمد لنفسه، وختم أمر الدنيا ومحلّ الآخرة بالحمد

---

١. اخرجه الكليني فى الكافى ج ١ ص ١٣٤ ح ١ والصدوق فى التوحيد ص ٤١ ح ٣.
٢. كذا فى التوحيد لكن فى الكافى احمد بن النضر وغيره عمن ذكره عن عمرو بن ثابت والظاهر ان رواية احمد عن عمرو بغير واسطة كما يشهد عليه النظر فى الطبقات وما اخرجه البرقى فى المحاسن ص ٥٨٣ ح ٧١ والكليني فى الكافى ج ٦ ص ٣٨٥ ح ٢ عن احمد بن النضر عن عمرو بن ابى المقدام (وابو المقدام كنية ثابت ابيه) قال رأيت اباجعفر(ع) وهو يشرب فى قدح من خزف.

لنفسه. فقال: «وقضى بينهم بالحقّ» وقيل: «الحمد لله ربّ العالمين»[١]، الحمد لله اللّابس الكبرياء بلا تجسّد، والمرتدي بالجلال بلا تمثيل، والمستوي على العرش بغير زوال، والمتعالي على الخلق بلا تباعد منهم ولا ملامسة منه لهم، ليس له حدّ يُنتهى إلى حدّه، ولا له مثل فيعرف بمثله، ذلّ من تجبّر غيرُهُ، وَصَغُرَ من تكبّر دونه، وتواضعت الأشياء لعظمته، وانقادت لسلطانه وعزّته، وكلّت عن إدراكه طروف العيون، وقَصُرَتْ دونَ بلوغ صفته أوهامُ الخلائق.

الأوّلِ قبل كلّ شيء ولا قبل له، والآخر بعد كلّ شيء ولا بَعْدَ له. الظّاهر على كلّ شيء بالقهر له، والمشاهِدِ لجميع الأماكن بلا انتقال إليها. لا تَلْمِسُهُ لامِسَةٌ ولا تَحُسُّهُ حاسّة. هو الّذي في السّماء إله، وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم. أتقن ما أراد من خلقه من الأشباح كلّها لا بمثال سبق إليه، ولا لُغُوبٍ دَخَلَ عليه في خلق ما خلق لديه، ابتدأ ما أراد ابتداءَه، وأنشأ ما أراد إنشاءَه، على ما أراد من الثَّقَلَيْنِ الجنّ والإنس، ليعرفوا بذلك ربوبيّته، وتمكّن فيهم طاعتَه.

نحمده بجميع محامده كلّها على جميع نَعمائه كلّها، ونستهديه لمراشد أمورنا، ونعوذ به من سيّئات أعمالنا، ونستغفره للذّنوب الّتي سبقت منّا» ـــ الحديث[٢].

وهي أيضاً كسابقتها في اشتمال العناوين المتقدّمة على بعض فقراتها.

وما رواه الصّدوق مسنداً عن الرضا عليه السّلام عن آبائه عليه السّلام خطب أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس في مسجد الكوفة. فقال:

الحمد لله الّذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما قد كان، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرّها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيّته، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفيّته، ولم يغب عن علمه شيء فيعلم بحيثيّته، مباين لجميع ما أحدث في الصّفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوّات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرّف الحالات، محرّم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ناقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات الفطر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه. ممتنع عن الأوهام أن تكتنه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثّله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم، ورجعت بالصّغر عن السّموّ إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح

---

١. هذا آيتين الاولى الزمر ٦٩ و٧٥ والثانية فاتحة الكتاب ـــ ٢.

٢. اخرجه الكليني فى الكافي ج ١ ص ١٤١ ح ٧ والصدوق فى التوحيد ص ٣١ ح ١.

فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلّت العقول في امواج تيّار إدراكه، وتحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليّته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته. مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء ومتملّك علىٰ الأشياء. فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصّعاب في محلّ تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها. مستشهد بكلّيّة الأجناس على ربوبيّته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه. فلالها محيص عن إدراكه إيّاها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها. كفى باتقان الصّنع لها آية، وبمركب القطع عليها دلالة، وبحدوث الفطر عليها قدمة، وبإحكام الصّنعة لها عبرة. فلا إليه حدّ منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه محجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصّفات المخلوقة علوّاً كبيراً» ــ الحديث[1].

وما رواه أيضاً مسنداً عن الباقر عليه السّلام عن آبائه عليه السّلام قال أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبة خطبها بعد موت النّبيّ صلّى الله عليه وآله بسبعة أيّام وذلك حين فرغ من جمع القرآن فقال:

«الحمدلله الّذي أعجز الأوهام أن تنال إلّا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيّل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الّذي لم يتفاوت في ذاته، ولم يتبعّض بتجزئة العدد في كماله. فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكّن منها لا على الممازجة وعَلِمَها لا بأداة لايكون العلم إلّا بها، وليس بينه وبين معلومه علمٌ غيرُهُ. إن قيل «كان» فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل «لم يزل» فعلى تأويل نفي العدم. فسبحانه وتعالى عن قول من عَبَدَ سِواه، واتّخذ إلهاً غيره علوّاً كبيراً» ــ الحديث.[2]

ورواه الرّوضة والتّحف واصفين له بالخطبة المعروفة بالوسيلة.[3]

وما رواه الرّوضة بعنوان الخطبة الطالوتيّة مسنداً عن ابن التّيهان أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام خطب النّاس بالمدينة، فقال:

الحمدلله الّذي لا إله إلّا هو. كان حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكانه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان علىٰ شيء، ولا ابتدع لكانه مكاناً، ولا

---

١. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٦٩ ح ٢٦ والعيون ج ١ ص ٩٩ ح ١٥.
٢. اخرجه الصدوق فى التوحيد ص ٧٩ ح ٢٧.
٣. اخرجه الكليني في الكافي ج ٨ ص ١٨ ح ٤ وابن شعبه فى تحف العقول ص ٩٢ باختلاف كثير.

قوى بعد ما كوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ولا يشبه شيئاً ولا كان خلوّاً عن الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلوّاً منه بعد ذهابه.

كان إلهاً حيّاً بلا حياة، ومالكاً قبل أن ينشىء شيئاً، ومالكاً بعد إنشائه للكون، وليس يكون لله كيف، ولا أين، ولا حدّ يعرف، ولا شيء يشبهه، ولا يهرم لطول بقائه، ولا يضعف لذعرة، ولا يخاف كما تخاف خليقته من شيء، ولكن سميع بغير سمع، وبصير بغير بصر، وقويّ بغير قوّة من خلقه، لا تدركه حدق النّاظرين، ولا يحيط بسمعه سمع السّامعين. إذا أراد شيئاً كان بلا مشورة، ولا مظاهرة ولا مخابرة، ولا يسأل أحداً عن شيء من خلقه أراده» ــ الحديث.[1]

وما رواه أيضاً مسنداً عن الباقر عليه السّلام. قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

الحمد لله الخافض الرّافع، الضارّ النّافع، الجواد الواسع، الجليل ثناؤه، الصّادقة أسماؤه. المحيط بالغيوب، وما يخطر على القلوب، الّذي جعل الموت بين خلقه عدلاً وأنعم بالحياة عليهم فضلاً، فأحيا وأمات، وقدّر الأقوات، أحكمها بعلمه تقديراً وأتقنها بحكمته تدبيراً، إنّه كان خبيراً بصيراً، هو الدّائم بلا فناء، والباقي إلى غير منتهى. يعلم ما في الأرض وما في السّماء، وما بينهما وما تحت الثّرى» ــ الحديث.[2]

وما رواه مسنداً عن الصّادق عليه السّلام أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خطب يوم الجمعة، فقال:

«الحمد لله أهل الحمد، وَ وليّه ومنتهى الحمد ومحلّه، البدئ البديع، الأجلّ الأعظم، الأعزّ الأكرم، المتوحّد بالكبرياء، والمتفرّد بالآلاء، القاهر بعزّه، والمسلّط بقهره، الممتنع بقوّته، المهيمن بقدرته، والمتعالي فوق كلّ شيء بجبروته، المحمود بامتنانه وبإحسانه، المتفضّل بعطائه، وجزيل فوائده، الموسّع برزقه، المسبغ بنعمه، نحمده على آلائه، وتظاهر نعمائه، حمداً يزن عظمة جلاله، ويملأ قدر آلائه وكبريائه» ــ الحديث.[3]

وما رواه المسعوديّ في إثباته مرسلاً من خطبته عليه السّلام في انتقال نور النّبيّ صلى الله عليه وآله:

«الحمد لله الّذي توحّد بصنع الأشياء، وفطر أجناس البرايا على غير مثال سبقه في

---

١. اخرجه الكليني في الكافي ج ٨ ص ٣١ ح ٥.
٢. اخرجه الكيني في الكافي ج ٨ ص ١٧٠ ح ١٩٣.
٣. اخرجه الكليني في الكافي ج ٨ ص ١٧٣ ح ١٩٤.

إنشائها، ولا إعانة معين على ابتداعها، بل ابتدعها بلطف قدرته، فامتثلت لمشيّته خاضعة مستحدثة لأمره. الواحد الأحد، الدائم بغير حدّ ولا أمد، ولا زوال ولا نفاد، وكذلك لم يزل ولا يزال. لاتغيّره الأزمنة، ولاتحيط به الأمكنة، ولا تبلغ مقامه الألسنة، ولا تأخذه سنة ولا نوم. لم تره العيون فتخبر عنه برؤيته، ولم تهجم عليه العقول فيتوهم كنه صفته، ولم تدر كيف هو إلّا بما أخبر عن نفسه. ليس لقضائه مردّ، ولا لقوله مكذّب.

ابتدع الأشياء بغير تفكير، وخلقها بلا ظهير ولا وزير، فطرها بقدرته، وصيّرها بمشيّته، وصاغ أشباحها، وبرأ أرواحها، واستنبط أجناسها، خلقاً مبروأً مذروأً في أقطار السّموات والأرضين، لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتي عليه، ليرى عباده آيات جلاله وآلاءه. فسبحانه لا إله إلّا هو الواحد القهّار — إلى أن قال —

لقد لطف علمك، وجلّت قدرتك عن التّفسير، إلّا بما دعوت إليه من الإقرار بربوبيّتك، وأشهد أن الأعين لاتدركك، والأوهام لاتلحقك، والعقول لاتصفك، والمكان لايسعك، وكيف يسع المكان من خلقه وكان قبله، أم كيف تدركه الأوهام، وكيف تؤمر الأوهام، ولا نهاية له ولا غاية، وكيف يكون له نهاية وغاية، وهو الّذي ابتدأ الغايات والنّهايات، أم كيف تدركه العقول، ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراكه، وكيف يكون لها سبيل إلى إدراكه، وقد لطف بربوبيّته عن المحاسّة والمجاسّة، وكيف لايلطف عنها من لاينتقل عن حال إلى حال، وقد جعل الإنتقال نقصاً وزوالاً.

فسبحانك ملأت كلّ شيء، وباينت كلّ شيء. فأنت الّذي لايفقدك شيء، وأنت الفعّال لما تشاء، تباركت يامن كلّ مدرك من خلقه، وكلّ محدود من صنعه. أنت الّذي لايستغني عنك المكان والزمان، ولا نعرفك إلّا بانفرادك بالوحدانيّة والقدرة» — الحديث.[1]

وما نقله البحرانيّ في الصّحيفة العلويّة:

«الحمدلله أوّل محمود، وآخر معبود، وأقرب موجود. البدء بلامعلوم لأزليّته ولا آخر لأوّليته، والكائن قبل الكون بلاكيان، والموجود في كلّ مكان بلاعيان، والقريب من كلّ نجوى بغير تدان. علنت عنده الغيوب، وضلّت في عظمته القلوب. فلا الأبصار تدرك عظمته، ولا القلوب على احتجابه تنكر معرفته، يمثّل في القلوب بغير مثال تحدّه الأوهام أو تدركه الأحلام.

ثمّ جعل من نفسه دليلاً على تكبّره عن الضّدّ والنّدّ، والشّكل والمثل. فالوحدانية آية الربوبيّة، والموت الآتي على خلقه، مخبر عن خلقه وقدرته. ثمّ خلقهم من نطفة، ولم يكونوا شيئاً دليل على إعادتهم خلقاً جديداً بعد فنائهم كما خلقهم أوّل مرّة.

---

١. اخرجه المسعودى فى اثبات الوصية ص ١٠٦.

والحمدلله ربّ العالمين، الّذي لم يضرّه بالمعصية المتكبّرون، ولم ينفعه بالطّاعة المتعبّدون، الحليم عن الجبابرة المدّعين، والممهل الزّاعمين له شركاء في ملكوته، الدّائم في سلطانه بغير أمد، والباقي في ملكه بعد انقضاء الأبد، والفرد الواحد الصّمد، والمتكبّر عن الصّاحبة والولد، رافع السّماء بغير عمد، ومجري السّحاب بغير صفد، قاهر الخلق بغير عدد، لكن هوالله الواحد الفرد الأحد، الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والحمدلله الّذي لم يخل من فضله المقيمون على معصيته، ولم يجازه لأصغر نعمه المجتهدون في طاعته. الغنيّ الّذى لايضنّ برزقه على جاحده، ولا ينقص عطاياه أرزاق خلقه، خالق الخلق ومفنيه، ومعيده ومبديه ومعاقبه، عالم ما اكتنه السّرائر، وأخبته الضّمائر، واختلفت به الألسن، وأنسته الأزمن، الحيّ الّذي لايموت، والقيّوم الّذي لاينام، والدّائم الّذى لايزول، والعدل الّذى لايجور، الصّافح عن الكبائر بفضله، والمعذّب من عذّب بعد له، لم يخف الفوت فحلم، وعلم الفقر إليه فرحم، وقال في محكم كتابه: «ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة[١]»، أحمده حمداً أستزيده في نعمته وأستجير به من نقمته، وأتقرّب إليه بالتصديق لنبيّه المصطفى لوحيه، المتحيّز لرسالته، المختصّ بشفاعته» ــ الحديث.[٢]

وفي الجميع فقرات مرّت في العناوين السّابقة.

---

١. فاطر ــ ٤٥.

٢. الصحيفة العلوية الاولى ص ٣٢/ خطبة ٢.

الفصل الثاني

في خلق السّماء والأرض والشّمس والقمر والنّجوم والعرش والكرسيّ

مرّ في الفصل الأوّل قوله عليه السّلام: «وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الأود والإعوجاج، ومنعها من التهافت والإنفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخدّ أوديتها فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قوّاه» مع شرحه.[1]

١ • خطبة ـ ١: بعد ما مرّ في سابقه:

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحانَهُ فَتْقَ الْأَجْواءِ، وَشَقَّ الْأَرْجاءِ وَسَكائِكَ الْهَواءِ. فَأَجْرَىٰ فيها ماءً مُتَلاطِماً تَيارُهُ. مُتَراكِماً زَخارُهُ، حَمَلَهُ عَلىٰ مَتْنِ الرّيحِ الْعاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقاصِفَةِ، فَأَمَرَها بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَها عَلىٰ شَدِّهِ، وَقَرَنَها إِلىٰ حَدِّهِ، الْهَواءُ مِنْ تَحْتِها فَتيقٌ. والْماءُ مِنْ فَوْقِها دَفيقٌ. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحانَهُ ريحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّها، وَأَدامَ مَرَبَّها، وَأَعْصَفَ مَجْراها. وَأَبْعَدَ مَنْشَاها فَأَمَرَها بِتَصْفيقِ الْماءِ الزَّخارِ، وَإِثارَةِ مَوْجِ الْبِحارِ. فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَها بِالْفَضاءِ، تَرُدُّ

١. مرّ في عنوان ٢٥ من الفصل الاول شرح خطبة ١٨٤.

أَوَّلَهُ إِلىٰ آخِرِهِ، وَساجِيَهُ إِلىٰ مائِرِه، حَتّى عَبَّ عُبابُهُ، وَرَمىٰ بِالزَّبَدِ رُكامُهُ، فَرَفَعَهُ فى هَواءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوّى مِنْهُ سَبْعَ سَماواتٍ. جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْياهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُها، وَلا دِسارٍ يَنْظِمُها، ثُمَّ زَيَّنَها بِزِينَةِ الكَواكِبِ، وَضِياءِ الثَّواقِبِ وَ أَجْرىٰ فيها سِراجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً، فى فَلَكٍ دائِرٍ وَسَقْفٍ سائِرٍ، وَرَقيمٍ مائِرٍ.

أقول: مرّ فى أوّل الفصل السّابق الكلام في مستنده.[1]

«ثم أنشأ سبحانه» قالوا: «ثمّ» هنا للتفصيل بعد الإجمال في سابقه.

«فتق» والفتق ضدّ الرّتق.

«الأجواء» جمع الجوّ، وفسّر الجوّ بشيئين ما بين السّماء والأرض، والفضاء الواسع، لكن الصّواب الثّاني حيث انّ كلامه عليه السّلام في الجوّ قبل خلق الأرض والسّماء، وقد قال أبوعمرو في قول طرفة:

يا لك من قبّرة بمعمر ** خلا لك الجوّ فبيضي واصفري[2]

الجوّ ما اتّسع من الأودية.

«وشقّ» مصدر عطف على «فتق».

«الأرجاء» والأرجاء جمع رجى، أي النّاحية. قال تعالى: «والْمَلَكُ علىٰ أرجائها..»[3].

«وسكائك الهواء» في اللّسان: السّكاك والسّكاكة الهواء بين السّماء والأرض، وقيل: الّذي لايلاقي أعنان السّماء، ومنه قولهم: لاأفعل ذلك ولو

---

١. مرّ فى عنوان ١ من الفصل الاول فى شرح خطبة ١.

٢. اورده لسان العرب ج ٥ ص ٦٩/ مادة قبر والشاعر طرفة وقيل كليب بن ربيعة.

٣. الحاقة ـ ١٧.

نزوت في السّكاك، أي في السّماء، وفي حديث الضّبيّة المفقودة قالت: فحملني على خافية من خوافيه، ثمّ دوّم بي في السّكاك.[١] السّكاك والسّكاكة الجوّ، وهو ما بين السّماء والأرض، ومنه حديث عليّ عليه‌السّلام: شقّ الأرجاء وسكائك الهواء، السّكائك: جمع السّكاكة وهي السّكاك كذؤابة وذوائب.[٢] وقال ايضاً: السّكّة الطّريق المستوي، وبه سميّت سكك البريد. قال الشماخ:

حنّت على سكة السّاري فجاوبها ٭ حمامة من حمام ذات أطواق

ثمّ قال: وقال الشماخ: نضربهم إذ اخذوا السكائكا.[٣]

هذا، وبدّل مطالب السّؤول قوله «وسكائك الهواء» بقوله «رتق الهواء»[٤] وكيف كان فقال (ابن أبي‌الحديد): ظاهر كلامه عليه‌السّلام أنّ الفضاء الّذي هو الفراغ الّذي يحصل فيه الأجسام خلقه‌الله تعالىٰ، ولم يكن من قبل، وهذا يقتضي كون الفضاء شيئاً لأنّ المخلوق لايكون عدماً محضاً، وليس ذلك ببعيد فقد ذهب إليه قوم من أهل النّظر، وجعلوه جسماً لطيفاً خارجاً عن مشابهة هذه الأجسام، ومنهم من جعله مجرّداً.[٥]

قلت: والصّواب كونه جسماً لطيفاً يشهد له قول السّجّاد عليه‌السّلام في تسبيح الصّحيفة: «سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء»[٦] ويمكن أن يكون قوله عليه‌السّلام «وسكائك الهواء» إشارة إلى ما اكتشفوه في هذه العصور من أمواج الهواء التي تحمل الأصوات في الرّاديات.

«فأجرى فيها ماء متلاطماً تيّاره»: أي موجه، وفي الصّحاح: يقال قطع عرقا تيّاراً أي سريع الجرية، وقال عدي: كالبحر يقذف بالتّيّار تيّاراً.[٧]

---

١. نقله ايضاً ابن الاثير فى النهاية ج ٢ ص ٣٨٥/ مادة سكك.
٢. لسان العرب ج ١٠ ص ٤٤١/ مادة سكك.
٣. لساده العرب ج ١٠ ص ٤٤١/ ماده سكك.
٤. فى مطالب السؤول ص ٢٨ «رافق الهواء» والظاهرانه تحريف.
٥. شرح ابن ابى‌الحديد ج ١ ص ٢٧.
٦. ملحقات الصحيفة الكاملة السجادية ص ٣١٩/ دعاء ١ وقد مر فى عنوان ٢١ من الفصل الاول.
٧. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٦٠٣/ تير.

«متراكماً» أي متراكباً.

«زخّاره» من زخر الوادي إذا امتدّ جداً وارتفع.

«حمله على متن الريح العاصفة» أي الشّديدة.

«والزّعزع» أي المحرّكة للأشياء.

«القاصفة» أي الكاسرة لها، يقال قصفت الرّيح السّفينة. قال المجلسيّ: وهذه الرّيح غير الهواء المذكور أوّلاً كما سيأتي في قول الصّادق عليه السّلام للزّنديق: الرّيح على الهواء والهواء تمسكه القدرة.[1] فيمكن أن تكون مقدّمة في الخلق عليه و متأخرّة عنه أو مقارنة له.[2]

«فأمرها بردّه وسلّطها على شدّه وقرنها إلى حدّه» قال المجلسيّ: «أي أمر الرّيح أن تحفظ الماء، وتردّه بالمنع عن الجري الّذي سبقت الإشارة إليه بقوله «فأجرى فيها ماء»، فكان قبل الردّ قد خلّي وطبعه ـ أي عن الجري الّذي يقتضيه طبعه ـ وقوّاها على ضبطه كالشّيء المشدود، وجعلها مقرونة إلى انتهائه محيطة به»[3].

قلت: مقتضى كلامه أنّ الله تعالى أجرى الماء أوّلاً في الهواء المجرّد بجعل الهواء حاملاً له، وأنّ الماء كان جارياً حينئذ على مقتضى طبعه من الحركة إلى السّفل. ثمّ حمله على ظهر الرّيح فقسرت جريه وعكسته، مع أنّ ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ جريه أوّلاً في الهواء كان بتوسّط حمله على ظهر الرّيح. فإنّ الظّاهر أنّ قوله عليه السّلام «حمله على متن الرّيح العاصفة» إلخ ـ حال من «ماء» في قوله «فأجرى فيها ماء» ـ إلخ ـ أي أجرى الماء حاملاً له على متن الرّيح، ولو كان

---

١. الظاهر انه اشار الى ما جاء فى البحار ج ٦٠ ص ١٥ ح ١٩ عن احتجاج الطبرسى وهو فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٥٠ لكن ليس بهذه الالفاظ وروى قريباً منه البرسى فى المشارق ص ٤٣ والمجلسى فى البحار ج ٥٧ ص ٢٠١ عن على (ع).

٢ و ٣. بحارالانوار ج ٥٧ ص ١٨٣ قال عقيب كلامه فى حديث الصادق (ع) «ويمكن ان يكون المراد بها ما تحرك منه كما هو المشهور».

المعنى كما ذكر لقال عليه السّلام «ثمّ حمله».

«الهواء من تحتها فتيق» أي منشقّ.

«والماء من فوقها دفيق» قال الجوهريّ: «دفقت الماء أدفقه دفقاً أي صببته فهو ماء دافق أى مدفوق، كما قالوا: «سرّ كاتم» أي مكتوم، لأنّه من قولك، «دفق الماء على مالم يسم فاعله».[١]

قلت: بل الظّاهر أنّ قولهم: «ماء دافق»، ومثله «ماء دفيق» كما هنا بمعنى وثّاب. قال تعالى: «فلينظر الإنسان ممّ خلق؛ خلق من ماء دافق»[٢]. قال المجلسيّ في معنى قوله: «الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق»: أي الهواء الّذي هو محلّ الرّيح مفتوق أي مفتوح منبسط من تحت الرّيح الحاملة للماء، والماء دفيق من فوقها أي مصبوب مندفق، والغرض أنّه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالرّيح الحاملة له كما ضبط الرّيح بالهواء المنبسط، وهو موضع العجب.[٣]

قلت: بل الظّاهر أنّ الغرض أنّ مقتضى الطّبيعة أن يكون الماء تحت والرّيح فوقه، والهواء فوقها، وهو تعالى جعل الرّيح وسطاً والماء فوقها والهواء تحتها، وهو موضع العجب.

«ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها» اعتقم من قولهم رحم معقومة أي مشدودة لا تلد.

«وأدام مربّها» أي اقامتها في محلّها من قولهم مربّ الإبل لمكان لزمته. قال المجلسيّ: الظّاهر أنّ هذه الريح غير ما جعلها الله محلاً للماء، بل هي مخلوقة من الماء كما سيأتي في الرّواية.[٤] قلت: كون هذه الرّيح غير الأولى لايحتاج فيه إلى الإستناد إلى الرّواية الدالّة على خلقها من الماء، بل نفس هذه الفقرة مع ظهورها في عدم خلقها من ذلك الماء كالصّريحة في التّغاير للتّعبير بقوله: «ثمّ أنشأ» ــ إلخ ــ، وقال (ابن أبي الحديد): استدلّ الرّاوندي لتغاير الرّيح الثّانية مع

---

١. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٤٧٥/ مادة دفق.
٢. الطارق ــ ٦.
٣ و ٤. بحارالانوار ج ٥٧ ص ١٨٤.

الأُولى بتعريف الأُولى وتنكير الثّانية، وردّه بأنّه ليس مستفاداً من مجرّدهما بل من كون إحداهما تحت الماء والأُخرى فوقه.[١] قلت: وأيّ مانع من أن يجعل مقداراً من ريح واحدة تحت الماء، ومقداراً فوقه. فالصّواب أن يستند إلى التّعبير بفقرة «ثمّ أنشأ».

«وأعصف» أي أشدّ.

«مجراها» أي جريانها.

«وأبعد منشأها» من منتهاها.

«فأمرها بتصفيق» قال الجوهريّ: الصّفق الضّرب الّذى يسمع له صوت.[٢]

«الماء الزخّار» أي الكثير.

«وإثارة» من: أثار الغبار.

«موج البحار» بجعله فوق وتحت.

«فمخضته» أي حرّكته.

«مخض السّقاء» أي سقاء اللّبن لأخذ زبده.

«وعصفت به» أي بالماء.

«عصفها بالفضاء» أي حرّكت الماء مثل تحريكها للفضاء.

«تردّ أوّله إلى» هكذا في المصريّة، والصواب «على» كما في (ابن أبي الحديد، والخطّيّة).[٣]

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٢٩ والنقل بالمعنى.
٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٥٠٧/ مادة صفق.
٣. فى شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٢٧ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ١٣١ ايضاً «الى آخره».

«آخره وساجيه» أي ساكنه.

«إلى» هكذا في المصريّة، والصواب «على» كما في (ابن أبي الحديد، والخطيّة).[١]

«مائره» أي متحرّكه. قال الأعشى:

كأنّ مشيتها من بيت جارتها * مور السّحابة لاريث ولاعجل[٢]

«حتّى عبّ عبابه» أي ارتفع سيله وموجه أو صوّت.

«ورمى بالزّبد» أي زبد الماء.

«ركامه» أي متراكمه.

«فرفعه في هواء منفتق» أي منشق.

«وجوّ متفهق» أي متّسع.

«فسوّى منه سبع سماوات» وروى الكافيّ عن الباقر عليه السّلام قال: كان كلّ شيء ماء، وكان عرشه على الماء. فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً، ثمّ أمر النار فخمدت، فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السّماوات من ذلك الدّخان، وخلق الأرض من الرّماد[٣]، وروى في خبر آخر عنه عليه السّلام: وخلق الشّيء الّذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كلّ شيء إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الرّيح من الماء، ثمّ سلّط الرّيح على الماء، فشققت الرّيح متن الماء حتّى صار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب

١. في شرح ابن ابي الحديد ج ١ ص ٢٧ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ١٣١ ايضاً «الى مائره».
٢. اورده لسان العرب ج ٥ ص ١٨٦/ مادة مور.
٣. اخرجه الكليني في الكافي في صدر حديث في الكافي موضعين ج ٨ ص ٩٥ ح ٦٨ وص ١٥٣ ح ١٤٢.

ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة، ثمّ طواها فوضعها فوق الماء، ثمّ خلق الله النّار من الماء فشققت النّار متن الماء حتّى ثار من الماء دخان على قدر ماشاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدّخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب[١]، وروى تفسير القمّيّ عن الصّادق عليه السّلام في خبر قال: كان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لايحدّ ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات. فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربت الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته، فقال «إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً»[٢] ثم مكث الرّبّ تبارك وتعالى ماشاء، فلمّا أراد ان يخلق السّماء أمر الرّياح، فضربت البحور حتّى أزبدت بها فخرج من ذلك الموج، والزّبد من وسطه دخان ساطع من غير نار. فخلق منه السّماء، وجعل فيها البروج والنّجوم، ومنازل الشّمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السّماء خضراء على لون الماء الاخضر، وكانت الارض غبراء على لون الماء العذب، وكانتا مرتوقتين ليس لها أبواب ـ الخبر.[٣]

«جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً» عن السّقوط، وفي خبر سؤال الرّجل الشّامي عن الباقر عليه السّلام وسأله عن السّماء الدنيا ممّ هي؟ قال: من موج مكفوف.[٤]

---

١. اخرجه الكليني ضمن حديث فى الكافي ج ٨ ص ٩٤ ح ٦٧.

٢. آل‌عمران ـ ٩٦.

٣. اخرجه على بن ابراهيم فى تفسيره ج ٢ ص ٦٩ وقريب منه ما اخرجه صاحب تفسير العسكرى فيه ص ٦٩ عن النبى (ص) واخرجه الفرات الكوفى فى تفسيره ص ٦٦ عن على (ع) واخرجه العياشى فى تفسيره ج ١ ص ١٨٦ ح ٩١ والكلينى بروايتين فى الكافى ج ٤ ص ١٨٩ ح ٧ وج ٨ ص ٩٤ ح ٦٧ عن الباقر (ع) وعلى بن ابراهيم فى تفسيره ج ١ ص ٣٢١ بلاعزو وروى عن ابن‌عباس وابن‌مسعود وابن‌عمر وغيرهم موقوفاً.

٤. اخرجه ضمن أسئلة رجل من الشام علياً (ع) الصدوق فى علل الشرائع ج ٢ ص ٥٩٣ ح ٤٤ والعيون ج ١ ص ١٨٨ ح ١ واخرج معناه ابن ابى حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن‌عباس عن النبى (ص) وابن ابى حاتم عن ابى الجلد موقوفاً وابن راهويه فى مسنده وابن المنذر وابن ابى حاتم فى والطبرانى فى معجمه الاوسط وابو الشيخ عن الربيع بن انس موقوفاً عنهم الدر المنثور ج ١ ص ٤٤ وقد جاء ذكر «الموج المكفوف» فى اخبار اخرى لم يسع المقام لذكرها.

«وعليا هنّ سقفاً محفوظاً» هكذا في النّهج ولكن في مطالب السّؤول نقله «وسقفاً محفوظاً» بـدون كلمـة «علياهنّ»[١] وعليـه يصير المعنى كون سفـلاهنّ سقفاً محفوظاً ككـونها موجاً مكـفوفاً، وكأنّه أصحّ. فقال تعالى: «وجـعلنا السّماء سقـفاً محفـوظاً وهم عن آياتـها معرضـون»[٢] فجـعل السّفلى سـقفـاً محفوظـاً، وكذلـك قوله عليه السّلام: «وسمكاً مرفوعا» لم يخصّه الله تعالى بـالعليا. فقال: «أأنتم أشـدّ خلقاً أم السّماء بَنٰيها؛ رفع سمـكها فَسَوّٰيها»[٣] وقال عزّوجـلّ: «والسّقف المرفوع»[٤] بل قـوله في ما يـأتي: «ثمّ زيّنها بزينة الكـواكب» أيضاً يشـهد لزيادة كـلمة «علياهنّ» وعليه فلا يحتاج إلى مـا تكلّفه المجلسيّ في شرح الفقرة على نقل النّهج، فقال: يخطر بـالبال وجه آخر وهو أن يـكـون المراد أنّه تعالى جعل الجـهة السّفلى من كلّ من السّموات موّاجة متحرّكة واقعاً أو في النّظر والجهة الـعليا منها سـقفاً محفوظاً تستقرّ عليه الملائكة، ولا يمكن للشّياطين خرقها.[٥]

«بغير عمد يدعمها» أي يكون عماداً لها.

«ولا دسار» أي مسمار.

«ينظـمها» هـكـذا في المصـريّة، والصـواب «ينتظـمها» كما في (ابن أبي الحديد، والخطّيّة).[٦]

«ثمّ زيّنها بزينة الكواكب» ولا ريب أنّ الضّمير في «زيّنها» يرجع إلى السّماء الدنيا لـقوله تـعالى: «إنّا زيّنـا السّماء الدّنيـا بزينة الـكواكب»[٧] وقـوله عزّوجلّ: «ولقد زيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح..»[٨].

---

١. مطالب السؤول ٢٨.
٢. الانبياء ــ ٣٢.
٣. النازعات ــ ٢٧ و ٢٨.
٤. الطور ــ ٥.
٥. بحارالانوار ج ٥٧ ص ١٨٦.
٦. فى شرح ابن ابى الحديد ج ١ ص ٢٧ وشرح ابن ميثم ج ١ ص ١٣١ ايضاً «ينظمها».
٧. الصافات ــ ٦.
٨. الملك ــ ٥.

«وضياء الثّواقب» والأصل في الثّقب ثقب الدّرّ، والمراد ثقبها بضوئها. قال تعالى: «وما أدريك ما الطّارق؛ النّجم الثّاقب»[١] وعن الصّادق عليه السّلام: النّجم الثّاقب زحل ومطلعه في السّماء السّابعة وأنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السّماء الدنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النّجم الثّاقب.[٢]

«وأجرى فيها سراجاً مستطيراً» قال تعالى: «وجعلنا سراجاً وهّاجا»[٣] وقال عزّوجلّ: «والشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم»[٤] وقال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر الآن في تنقّل الشّمس في البروج الإثنى عشر لإقامة دور السّنة وما في ذاك من التّدبير ــ إلى أن قال: ــ انظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أن يكون، فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السّماء فتقف لاتعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات، لأنّ الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع أوّل النّهار من المشرق، فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثمّ لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتّى تنتهى إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النّهار، فلا يبقى موضع من المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة منها والإرب الّتي قدرّت له.[٥]

«وقمراً منيراً» «وجعل القمر فيهنّ نوراً..»[٦].

«في فلك دائر وسقف سائر ورقيم» أي منتقش.

«مائر» أي متحرّك، والظّاهر أنّ «دائر» خبر لكلمة «كلّ» محذوفة لاصفة لفلك، وفي فلك متعلّق به ومثله «سائر» و «مائر» فيكون المعنى كلّ من الكواكب والشّمس والقمر دائر في فلك، وسائر في سقف، ومائر في رقيم.

---

١. الطارق ــ ٢ و ٣.
٢. هذا مقتبس من حديث طويل اخرجه الصدوق فى الخصال ج ٢ ص ٤٨٩ ح ٦٨.
٣. النبأ ــ ١٣.
٤. يس ــ ٣٨.
٥. توحيد المفضل ص ١٣٠.
٦. نوح ــ ١٦.

فيكون مساوقاً لقوله تعالى ــ بعد ذكر الشّمس والقمر ــ: «.. كلّ في فلك يسبحون»[١]. قال الصّادق ــ بعد ذكر مقدار من حكمه تعالى في الشّمس والقمر والنّجوم ــ: مع ما في تردّدها في كبد السّماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر. فإنّها تسير أسرع السّير وأحثّه. أرأيت لو كانت الشّمس والقمر والنّجوم بالقرب منّا حتّى يتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه، ألم تكن تستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالّذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالت واضطرمت في الجوّ ، و كذلك لو أنّ أناساً كانوا في قبّة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً، لحارت أبصارهم حتّى يخرّوا لوجوههم. فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار، وتنكأ فيها بأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها.[٢]

٢ • من خطبة ــ ٨٩: (منها في صفة السّماء):

وَنَظَمَ بِلا تَعْليقٍ، رَهَواتِ فُرَجِها، وَلاحَمَ صُدُوعَ انْفِراجِها، وَوَشَّجَ بَيْنَها وَبَيْنَ أَزْواجِها وَذَلَّلَ لِلْهابِطينَ بِأَمْرِهِ، وَالصّاعِدينَ بِأَعْمالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْراجِها، ناداها بَعْدَ اِذْ هِيَ دُخانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْراجِها، وَفَتَقَ بَعْدَ الْاِرْتِتاقِ صَوامِتَ أَبْوابِها، وَأَقامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّواقِبِ عَلىٰ نِقابِها، وَأَمْسَكَها مِنْ أَنْ تَمُورَ في خُراقِ الْهَواءِ بِأَيْدِهِ، وَأَمَرَها أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَها آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهارِها وَقَمَرَها آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِها، فَأَجْراهُما في مَناقِلِ مَجْراهُما، وَقَدَّرَ سَيْرَهُما في مَدارِجِ دَرَجِهِما لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِهِما، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنينِ وَالْحِسابِ بِمَقاديرِهِما. ثُمَّ عَلَّقَ في جَوِّها فَلَكَها، وَناطَ بِها زينَتَها مِنْ خَفِيّاتِ دَرارِيها، وَمَصابيحِ كَواكِبِها، وَرَمىٰ مُسْتَرِقِ السَّمْعِ بِثَواقِبِ شُهُبِها، وَأَجْراها عَلىٰ اِذْلالِ تَسْخيرِها مِنْ ثَباتِ ثابِتِها وَمَسيرِ سائِرِها، وَهُبُوطِها وَصُعُودِها، وَنُحُوسِها وَسُعُودِها.

١. يس ــ ٤٠.
٢. توحيد المفضل ص ١٣٥.

«ونظم بلا تعليق رهوات فرجها» قال (ابن أبي الحديد) في شرح الفقرة: «يقول عليه السّلام كانت السّماء أوّل ما خلقت غير منتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع وبعضها أخفض، فنظمها سبحانه فجعلها بسيطاً واحداً نظماً اقتضته القدرة الإلهيّة من غير تعليق أي لا كما ينظم الإنسان ثوباً مع ثوب أو عقداً مع عقد بالتّعليق والخياطة» وتبعه (الخوئي) في ذلك.[١]

قلت: فيه أوّلاً أنّه هل كان بناؤه تعالى للسّماء كبناء النّاس لشيء أوّلاً غير منظم لعدم فهمهم الخلل، ثمّ ينظمونه بعد الوقوف على خلله تعالى عن ذلك، وثانياً أنّ المعنى الّذي قال يستلزم استعمال «الرّهوات» في معنيين. قال الصّحاح: الرّهو والرّهوة المكان المرتفع والمنخفض أيضاً يجتمع فيه الماء[٢]، وهو من الأضداد، واستعمال المشترك في معنيين غير جائز، والأظهر أنّ رهوات في كلامه عليه السّلام بمعنى المنفتحات، كقوله تعالى: «واترك البحر رهواً..»[٣] والمراد نظمها أوّلاً ويشهد له إضافتها إلى فرجها.

«ولاحم صدوع انفراجها» أي جعلها ملصقة ابتداء.

«ووشّج» أي خلّط، والأصل فيه الإشتباك، ولهذا يطلق الوشيجة على عرق الشّجر، وعلى ليف يفتل لشدّ الحمل لأنّهما يشتبكان.

«بينها وبين أزواجها» أي قرائنها، كقوله تعالى: «احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم..»[٤] وقال (ابن ميثم): المراد بأزواجها نفوسها الّتي هي الملائكة السّماوية[٥]، وردّه المجلسيّ بنقل المرتضى: الإجماع من المسلمين على أنّ الأفلاك لا شعور لها ولا ارادة، وقال: يمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكّلون بها أو القاطنون فيها أو أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئيّة أو أشباحها في الجسميّة

١. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٧ و شرح الخوئي ج ٣ ص ٩٥.
٢. صحاح اللغة للجوهري ج ٦ ص ٢٣٦٥/ مادة رهو.
٣. الدخان ـ ٢٤.
٤. الصافات ـ ٢٢.
٥. شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٦.

والإمكـان من الأرضيـات[١]، وهـو كما تـرى لا سيّما الأوّل والأخير من وجوهه. فلامعنى للتوشيج بين السّموات والملائكة، وبينها وبين الأرضيات.

«وذلّل للها بطين» أي للملائكة الهابطين.

«بأمره» من السّماء.

«والصّاعدين بأعمال خلقه» من الأرض.

«حزونة» أي خشونة.

«معراجها» أي العروج إليها.

«ناداها» هكذا في المصريّة، والصّواب «ونادها» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة).[٢]

«بعد إذ هي دخان» الأصل في كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين؛ فَقَضيٰهُنَّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سماء أمرها..»[٣] والنّداء في كلامه عليه السّلام كالقول في الآية حالي لا مقالي.

«فالتحمت عرى» جمع عروة، عروة الكوز وغيره.

«أشراجها» جمع الشَّرج، قال الفيروزآباديّ: الشّرج محرّكة العرى ومنفسح الوادى ومجرة السّماء، وفرج المرأة، وانشقاق في القوس.[٤]

قلت: والظّاهر أنّ الأصل في معناه الإنشقاق فهو يجمع معان ذكرها،

١. بحارالانوار ج ٥٧ ص ١٢٨ واما نقله عن المرتضى فعن ملحقات الدرر والغرر له لكن لم يصرح المجلسى الى كونه من الملحقات ونقل ابن طاووس فى فرج المهموم ص ٤١ قول المرتضى ونقده بتفصيل.

٢. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٦ لكن لا يوجد الواو فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٥.

٣. فصلت ـ ١١ و ١٢.

٤. القاموس المحيط ج ١ ص ١٩٥/ مادة شرج.

ولكن ذكر النهاية له معنيين آخرين فقال: وفي حديث الصّوم: فأمرنا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالفطر فأصبح الناس شرجين. يعني نصفين نصف صيام، ونصف مفاطير، وفي حديث مازن: فلا رأيهم رأيي، ولا شرجهم شرجي يقال ليس هو من شرجه أي من طبقته وشكله، ومنه حديث علقمة: وكان نسوة يأتينها مشارجات لها: أي أتراب وأقران.[١]

قلت: ويمكن إرجاعهما إليه أيضاً، وكيف كان فقال (ابن أبي الحديد) «أشراجها جمع شرج وهو عرى العيبة وأشرجت العيبة أي أقفلت أشراجها وتسمّى مجرّة السماء شرجاً تشبيهاً بشرج العيبة».[٢] قلت: لم يقل أحد أنّ الشّرج عرى العيبة بل مطلق العرى ومنشأوهم (ابن أبي الحديد) أنّ الجوهريّ قال: شرج العيبة عراها.[٣] ففسّر شرج العيبة بعرى العيبة لا لمطلق الشّرج. ثمّ على تفسيره ماذا يجعله معنى الكلام فيصير معناه فالتحمت عرى عرى عيبتها وهو بلا معنى، كما أنّ ما ذكره من أنّ مجرّة السّماء سميّت شرجاً تشبيهاً بشرج العيبة لم يذكره أحد، وأيّ شباهة بينهما حتّى تشبّه به.

«**وفتق بعد الإرتتاق صوامت أبوابها**» قال تعالى: «أو لم ير الّذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما..»[٤] لكن الأخبار فسرّت الآية بأنّ السّماء كانت رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت. ففتقتا بالأمطار والنّبات[٥]، وأمّا قوله عليه السّلام «**صوامت أبوابها**» فقال (ابن أبي الحديد) هو وقوله بعد «**على نقابها**»

---

١. النهايه لابن الاثير ج ٢ ص ٤٥٦/ مادة شرج.
٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٤٧.
٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٣٢٤/ مادة شرج.
٤. الانبياء ـ ٣٠.
٥. هذا التفسير نقله الكليني فى الكافي ج ٨ ص ٩٤ ح ٦٧ والاربلي فى كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣٨ والطبرسي فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢٦ عن الباقر (ع) وعلي بن ابراهيم فى تفسيره ج ٢ ص ٦٩ عن الصادق (ع) ونقله الفريابى وعبدبن حميد فى مسنده والحاكم فى المستدرك والبيهق فى الاسماء والصفات وابن المنذر وابونعيم فى حلية الاولياء وبروايتين ابن ابى حاتم عنهم الدرالمنثور ج ٤ ص ٣١٧ وصاحب تنوير المقباس فيه ج ٣ ص ٢٥٩ عن ابن عباس ونقله الطوسى فى التبيان ج ٧ ص ٢١٥ عن الباقر والصادق (ع) وعكرمة وابن زيد.

صريح في أنّ للسّماء أبواباً وهو مطابق لقوله تعالى: «.. لاتفتّح لهم أبواب السّماء..»[١] والقرآن وكلام هذا الإمام المعظّم أولى بالاتّباع من كلام الفلاسفة الّذين أحالوا الخرق على الفلك[٢]، وقال المجلسيّ: وفتق صوامت الأبواب إمّا كناية عن إيجاد الأبواب فيها وخرقها بعد ما كانت رتقاً لاباب فيها أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين ايجادها، وهذه الأبواب هي الّتي منها عروج الملائكة وهبوطها وصعود أعمال العباد وأدعيتهم وأرواحهم كما قال تعالى: «لا تفتّح لهم أبواب السّماء»[٣] والّتي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه تعالى بقوله: **«ففتحنا أبواب السّماء بماء منهمر»**[٤،٥] قلت: لقائل أن يقول: إنّ الآية الأُولى كناية عن عدم المبالاة بهم فبعدها «ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط»[٦] والآية المتقدّمة كما عرفت، وبالجملة كلامه عليه السّلام كالقرآن لاصراحة فيه في ما ادّعيا.

«وأقام رصداً من الشّهب الثّواقب على نقابها» نقاب جمع نقب الطّريق بين الموضعين. قال تعالى: «وإنّا لمسنا السّماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً؛ وإنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسّمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا»[٧] لكن ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ الإرصاد كان من الأوّل، وظاهر الآية حكاية عن الجنّ أنّه كان أخيراً والمراد بعد مولد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وجمع بينهما بكونه أوّلاً خفيفاً وشدّد أخيراً.

«وأمسكها من أن تمور» أي تضطرب. قال تعالى: «يوم تمور السّماء موراً»[٨] والمراد في القيامة.

«في خراق» جمع خرق، أي متّسعات.

---

١ و٣ و٦. الاعراف ــ ٤٠.
٢. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٧ والنقل بالمعنى.
٤. القمر ــ ١١.
٥. بحارالانوار ج ٧ ص ١٢٩.
٧. الجن ــ ٨ و ٩.
٨. الطور ــ ٩.

«الهواء بأيده» أي بقوّته قال تعالى: «والسّماء بنيناها بأيد..»[١] «إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده..»[٢].

«وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره» «..وأوحى في كلّ سماء أمرها..»[٣].

«وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها، وقمرها آية ممحوة من ليلها» «وجعلنا اللّيل والنّهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النّهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم..»[٤].

قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: «فكّر يا مفضّل في طلوع الشّمس وغروبها لإقامة دولتي النّهار واللّيل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّه فلم يكن النّاس يسعون في معائشهم، ويتصرّفون في أمورهم، والدّنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنّؤون بالعيش مع فقدهم لذّة النّور وروحه والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره، والزّيادة في شرحه.

بل تأمّل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للنّاس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والرّاحة لسكون أبدانهم، وجوم حواسّهم، وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطّعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء. ثمّ كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فإنّ كثيراً من النّاس لولا جثوم هذا اللّيل بظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادّخار. ثمّ كانت الأرض تستحمي بدوام الشّمس بضيائها، ويحمي كلّ ما عليها من حيوان ونبات. فقدّرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم. ثمّ يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرّوا، فصار النّور والظّلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

---

١. الذاريات ــ ٤٧.

٢. فاطر ــ ٤١.

٣. فصلت ــ ١٢.

٤. الاسراء ــ ١٢.

ثمّ فكّر بعد هذا في ارتفاع الشّمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السّنة، وما في ذلك من التّدبير والمصلحة. ففي الشّتاء تعود الحرارة في الشّجر والنّبات، فيتولّد فيها موادّ الثّمار، ويستكثف الهواء فينشأ منه السّحاب والمطر، وتشتدّ أبدان الحيوان وتقوى، وفي الرّبيع تتحرّك وتظهر الموادّ المتولّدة في الشّتاء، فيطلع النّبات وتنوّر الأشجار، ويهيج الحيوان للسّفاد، وفي الصّيف يحتدم الهواء فتنضج الثّمار، وتتحلل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض فتهيأ للبناء والأعمال.

وفي الخريف يصفو الهواء، وترتفع الأمراض، وتصحّ الأبدان، ويمتدّ اللّيل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله وطيب الهواء فيه إلى مصالح أُخرى لو تقصّيت لذكرها لطال الكلام.

فكّر الآن في تنقّل الشّمس في البروج الإثنى عشر لإقامة دور السّنة، وما في ذلك من التّدبير، فهو الدّور الّذى تصحّ به الأزمنة الأربعة من السّنة، الشّتاء والرّبيع والصّيف والخريف، وتستوفيها على التّمام، وفي هذا المقدار من دوران الشّمس تدرك الغلاّت والثّمار، وتنتهي إلى غاياتها، ثمّ تعود فيستأنف النّشوءُ والنموّ. ألاترى أنّ السّنة مقدار مسير الشّمس من الحمل إلى الحمل. فبالسّنة وأخواتها يكال الزّمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيّام، وبها يحسب النّاس الأعمار والأوقات الموقّتة للدّيون، والإجارات والمعاملات، وغير ذلك من أُمورهم، وبمسير الشّمس تكمل السّنة، ويقوم حساب الزّمان على الصّحة ــ إلى أن قال:ــ

ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم، بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء. أفلاترى كيف كان يكون للناس هذه الأُمور الجليلة الّتي لم يكن عنهم فيه حيلة، فصارت تجري على مجاريها لاتفتل، ولاتتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه ــ الى أن قال:ــ

فكّر في إنارته (أي القمر) في ظلمة اللّيل والإرب في ذلك. فإنّه مع الحاجة إلى الظّلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على النّبات لم يكن صلاح في أن يكون اللّيل ظلمة داجية لاضياء فيها، فلايمكن فيه شيء من العمل لأنّه ربّما احتاج النّاس إلى العمل باللّيل لضيق الوقت عليهم في بعض الأعمال في النّهار ولشدّة الحرّ وإفراطه فيعمل في ضوءِ القمر أعمالاً شتّى كحرث الأرض، وضرب

اللّبن، وقطع الخشب، وما أشبه ذلك. فجعل ضوء القمر معونة للنّاس على معائشهم إذا احتاجوا إلى ذلك وأنساً للسّائرين وجعل طلوعه في بعض اللّيل دون بعض، ونقص مع ذلك عن نور الشّمس وضيائها لكيلا ينبسط النّاس في العمل إنبساطهم بالنّهار، ويمتنعوا من الهدوءِ والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرّف القمر خاصّة في مهلّه ومحاقه وزيادته ونقصانه، وكسوفه من التّنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرّف له هذا التّصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام في الخطاب إلى الشّمس عند طلوعها: «أيّتها الشّمس البديعة التّصوير، المعجزة التّقدير، الّتي جعلت سراجاً للأبصار، ونفعاً لسكّان الأمصار شروقك حياة، وغروبك وفاة. إن طلعت بأمر عزيز، وإن رجعت إلى مستقرّ حريز أسأل الّذي زيّن بك السّماء، وألبسك الضّياء، وصدع لك أركان المطالع، وحجبك بالشّعاع اللاّمع، فلا يشرف بك شيء إلاّ امتحق، ولا يواجهك بشر إلاّ احترق، أن يهب لنا بك من الصّحّة ودفع العلّة، وردّ العزبة، وكشف الكربة» ـ إلخ.[٢]

وعن السّجّاد عليه السّلام في الخطاب إلى القمر عند مستهلّه: أيّها الخلق المطيع، الدّائب السّريع، المتردّد في منازل التّقدير، المتصرّف في فلك التّدبير، آمنت بمن نوّربك الظّلم، وأوضح بك البهم، وجعلك آية من آيات ملكه، وعلامة من علامات سلطانه، وامتهنك بالزّيادة والنّقصان، والطّلوع والأفول، والإنارة والكسوف في كلّ ذلك أنت له مطيع، وإلى إرادته سريع. سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك، وألطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث، فأسأل الله ربّي وربّك، وخالقي وخالقك، ومقدّري ومقدّرك، ومصوّري ومصوّرك أن يصلّي على محمّد وآله، وأن يجعلك هلال بركة لا تمحقها الأيّام، وطهارة لا تدنّسها الآثام. هلال أمن من الآفات وسلامة من السّيّئات. هلال سعد لا نحس فيه، ويمن لا نكد معه، ويسر لا يمازجه عسر، وخير لا يشوبه شر، هلال أمن وإيمان ونعمة وإحسان وسلامة وإسلام.

---

١. توحيد المفضل ص ١٢٨.

٢. رواه المحدث النورى فى الصحيفة العلوية الثانية ص ٢٠٠ عن ظهر نسخة عتيقة من كتاب لبّ اللباب واشار اليه ابن طاووس في جمال الاسبوع ص ٢٣٠.

اللّهم صلّ على محمّد وآله، واجعلنا من أرضى من طلع عليه، وأزكى من نظر إليه، وأسعد من تعبّد لك فيه، ووفّقنا فيه للتوبة، واعصمنا فيه من الحوبة، واحفظنا من مباشرة معصيتك، وأوزعنا فيه شكر نعمتك، وألبسنا فيه جنن العافية، واتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنّة، إنّك المنّان الحميد» ـ إلخ.[1]

«فأجراهما» هكذا في المصريّة، والصّواب «وأجراهما» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة).[2]

«في مناقل» جمع منقل اسم مكان.

«مجراهما» مجرى مصدر ميميّ.

«وقدّر سيرهما» هكذا في المصريّة، والصّواب «مسيرهما» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّيّة).[3]

«في مدارج درجها» أي حركتها. قال تعالى في الأوّل: «والشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم»[4] وفي الثّاني: «والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعُرجون القديم»[5]، وروى الصّوليّ عن ابن عبّاس في منازل القمر أنّها ثمانية وعشرون ينزل القمر كلّ ليلة منزلاً منها، وهي الشّرطان، والبطين، والثّريا، والدّبران، والهقعة، والهنعة، والذّراع، والنّثرة، والطّرف، والجبهة، والزّبرة، والصّرفة، والعواء، والسّماك ، والغفر، والزّبانا، والأكليل، والقلب، والشّولة، والنّعائم، والبلدة، وسعد الذّابح، وسعد بلع، وسعد السّعود، وسعد

---

١. الصحيفة السجاديّة الكاملة ص ٢٠٩/ دعاء ٤٣ ورواه بفرق يسير القاضى القضاعى فى دستور المعالم ص ١٣٠ وابوعلى الطوسى فى اماليه ج ٢ ص ١٠٩/ جزء ١٧ عن علي (ع).
٢. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٧ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٥ ايضاً «فأجراهما».
٣. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٤٧ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٥ ايضاً «يسرهما».
٤. يس ـ ٣٨.
٥. يس ـ ٣٩.

الأخبية، والفرغ المقدّم والفرغ المؤخرّ، وبطن الحوت.[١]

وفي الصّحاح والنّعائم منزل من منازل القمر وهي ثمانية أنجم كأنّها سرير معوج أربعة صادرة وأربعة واردة.[٢]

«يميّز بين اللّيل والنّهار بها» اختلف في أن أيّهما أسبق. فروى الطبريّ عن ابن‌عبّاس تقدّم اللّيل وعن آخرين العكس[٣]، وروى ابن طاووس في نجومه عن كتاب واحدة بن جمهور القمي أنّ من مسائل ذي الرّياستين للرّضا عليه‌السّلام أنّ النّاس تذاكروا بين يدي المأمون في خلق اللّيل والنّهار فقال بعض خلق الله النهار قبل الليل وقال بعض خلق الله الليل قبل النّهار فرجعوا بالسؤال إلى أبي الحسن الرضا (ع) فقال عليه‌السّلام: إنّ الله عزّوجلّ خلق النّهار قبل اللّيل، وخلق الضّياء قبل الظّلمة. فإن شئتم أوجدتكم ذلك من النّجوم، وإن شئتم من القرآن فقال ذوالرّياستين: أوجدنا من الجهتين جميعاً. فقال عليه‌السّلام: أمّا من النّجوم فقد علمت أنّ طالع العالم السّرطان. ولا يكون ذلك إلّا والشّمس في شرفها في نصف النّهار، وأمّا من القرآن فاستمع قوله تعالى فيه: «لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكل في فلك يسبحون»[٤] ورواه عن دلائل النّعمانيّ أيضاً.[٥]

«وليعلم عدد السّنين» السّني الشّمسيّة، والسّني القمريّة.

«والحساب بمقاديرهما» الأصل فيه قوله تعالى: «هو الّذي جعل الشّمس

---

١. لم اجده فى ادب الكاتب.
أخرجه ايضاً الخطيب فى كتاب النجوم عنه الدر المنثور ج ٥ ص ٢٦٤ عن ابن‌عباس وقال الآلوسى فى روح المعانى ج ٢٣ ص ١٧ــ١٩ روى هذا عن ابن‌عباس وغيره ثم شرحه شرحاً بسيطاً ويستفاد منه انّ الشرطان على زنة عدنان والبطين على سهيل والدبران على سرطان والهقعة والهنعة على ضربة والزبرة على عمدة والزبانا على سكارى.
٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ٢٠٤٤/ مادة نعم.
٣. تاريخ الطبرى ج ١ ص ٤١ و ٤٢.
٤. يس ــ ٤٠.
٥. نقله عن كتاب ابن‌جمهور فى فرج المهموم ص ٩٦ وعن كتاب النعمانى فيه ص ٩٥ ونقله معناه ايضاً الطبرسى فى مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٥ عن العياشى عن الرضا (ع).

ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السّنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون»[١] «وجعلنا اللّيل والنّهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النّهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السّنين والحساب وكلّ شيء فصّلناه تفصيلاً»[٢] «يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للنّاس والحجّ..»[٣].

ومرّ قول الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر الآن في تنقل الشّمس في البروج الإثنى عشر لإقامة دور السّنة ــ إلى أن قال: ــ واستدل بالقمر، ففيه دلالة جليلة تستعملها العامّة في معرفة الشّهور، ولايقوم عليه حساب السّنة، لأنّ دوره لايستوفي الأزمنة الأربعة ونشو الثّمار وتصرّمها، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشّمس وسنيها، وصار الشّهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مرّة بالشتاء، ومرّة بالصّيف.[٤]

«ثمّ علّق في جوّها فلكها» الظّاهر أنّ معناه أنّه تعالى علّق في جوّ السّماء فلك الشّهب والشّمس والقمر. قال تعالى: «.. وكلّ في فلك يسبحون»[٥].

«وناط» أي علق وألصق.

«بها زينتها من خفيات دراريها» أي كواكبها الصّغار الّتي كالدّرّ.

«ومصابيح» من إضافة الصّفة.

«كواكبها» أي كواكب كالسّراج.

«ورمى مسترقي» على وزن مفتعلي لأنّه من سرق.

«السّمع» أي شياطين مسترقين للسّمع.

---

١. يونس ــ ٥.
٢. الاسراء ــ ١٢.
٣. البقرة ــ ١٨٩.
٤. توحيد المفضل ص ١٣٠.
٥. يس ــ ٤٠.

«بثواقب شهبها» «ولقد جعلنا في السّماء بروجاً وزيّناها للنّاظرين؛ وحفظناها من كلّ شيطان رجيم؛ إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهاب مبين»[١].

«وأجراها على إذلال تسخيرها» «وسخرّ لكم الشّمس والقمر دائبين وسخّر لكم اللّيل والنّهار»[٢] «.. والنّجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك ــ إلى ــ لقوم يذكّرون»[٣].

«من ثبات ثابتها ومسير سائرها» كلّ منها لحكمه. قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر في هذه النّجوم الّتي تظهر في بعض السّنة وتحتجب في بعضها كمثل الثّريّا والجوزاء والشّعريين وسهيل، فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها النّاس ويهتدون بها لبعض أُمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثّور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها اذا احتجبت. فصار ظهور كلّ واحد منها واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع النّاس بما يدلّ عليه كلّ واحد منها على حدته، وما جعلت الثّريّا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً إلّا لضرب من المصلحة وكذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لاتغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنّها بمنزلة الأعلام الّتي يهتدي بها النّاس في البرّ والبحر للطرق المجهولة وكذلك إنّها لاتغيب ولا تتوارى، فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا وصار الأمر ان جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة.

وفيها مآرب أُخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزّراعة والغراس، والسّفر في البرّ والبحر، وأشياء ممّا يحدث في الأزمنة من الأمطار والرّياح، والحرّ والبرد، وبها يهتدي السّائرون في ظلمة اللّيل لقطع القفار الموحشة؛ واللّجج الهائلة.[٤]

وقال عليه السّلام ــ ونقله (الخوئى) أيضاً: فكّريا مفضّل في النّجوم

---

١. الحجر ــ ١٦ ــ ١٨.

٢. ابراهيم ــ ٣٣.

٣. النحل ــ ١٢ و ١٣.

٤. توحيد المفضل ص ١٣٤.

واختلاف مسيرها. فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك، ولا تسير إلّا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج، وتفترق في مسيرها. فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين:

أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق كالنّملة الّتي تدور على الرّحى. فالرّحى تدور ذات اليمين، والنّملة تدور ذات الشّمال، والنّملة في ذلك تتحرّك حركتين مختلفتين، إحداهما بنفسها فتتوجّه أمامها، والأُخرى مستكرهة مع الرّحى تجذبها إلى خلفها. فأُسأل الزّاعمين أنّ النّجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد، ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها منتقلة. فإنّ الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير. ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير، وليس بإهمال كما يزعم المعطّلة.

فإن قال قائل: ولم صار بعض النّجوم راتباً، وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدّلالات الّتي يستدلّ بها من تنقل المتنقلة، ومسيرها في كلّ برج من البروج كما يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقّل الشّمس والنّجوم في منازلها، ولو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف، ولا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الرّاتبة، كما يستدلّ على سير السّائر في الأرض بالمنازل الّتي يجتاز عليها أو لو كان تنقّلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها، ولساغ القائل أن يقول: إنّ كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال.[1]

«وهبوطها وصعودها» روى أنّ الصّادق عليه السّلام سئل عن الحرّ والبرد ممّا يكونان فقال عليه السّلام: إنّ المرّيخ كوكب حارّ، وزحل كوكب بارد. فإذا بدأ المرّيخ في الارتفاع انحطّ زحل، وذلك في الرّبيع فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المرّيخ درجة حتّى ينتهي المرّيخ في الهبوط، وينتهي زحل في الإرتفاع فيجلو زحل، وذلك في أوّل الشّتاء، وآخر الخريف، فلذلك يشتدّ البرد. وكلّما ارتفع هذا هبط هذا، وكلّما هبط هذا ارتفع هذا. فإذا كان في الصّيف يوم

---

۱. توحيد المفضل ص ۱۳۲ وشرح الخوئي ج ۳ ص ۱۰۲.

بارد، فالفعل في ذلك للقمر، وإذا كان في الشّتاء يوم حار، فالفعل في ذلك للشّمس.[١]

«ونحوسها وسعودها» قالت أهل التّجوم: زحل النّحس الأكبر، ومرّيخ النّحس الأصغر، والمشتري السّعد الأكبر، وزهرة السّعد الأصغر، وعطارد مع السّعد سعد ومع النّحس نحس، والنّيّران الشّمس والقمر سعدان من التّثليث والتّسديس، ونحسان من المقابلة والتّربيع، والمقارنة والرّأس سعد، والذنّب والكبد نحسان.[٢]

وقال الجوهريّ: سعود النّجوم عشرة: أربعة منها في برج الجدي، والدّلو ينزلها القمر، وهي سعد الذّابح، وسعد بلع، وسعد الأخبية، وسعد السّعود، وهو كوكب منفرد نيّر، وأمّا السّتّة الّتي ليست من المنازل، فسعد ناشرة، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد مطر، وكلّ سعد من هذه السّتّة كوكبان بين كلّ كوكبين في رأى العين قدر ذراع، وهي متناسقة، وأمّا سعد الأخبية فثلاثة أنجم كأنّها أثافيّ، ورابع تحت واحد منهنّ، وسعد بلع من منازل القمر كوكبان متقاربان زعموا أنّه طلع لما قال تعالى للأرض: «ابلعي ماءك»[٣] يعني سمّي بلع لذلك.[٤]

وفي كنايات الجرجانيّ: والعرب تكتني عن الحشرات بجنود سعد ويريدون سعد الأخبية لأنّه إذا طلع انتشرت الهوام وخرج منها ما كان مختبئاً ويقال لذلك سمّي سعد الأخبية، قال الشّاعر:

قد جاء سعد مؤذنا بشرّه * مؤذنة جنوده بجرّه[٥]

هذا، ومن أمثالهم «أسعد أم سعيد»[٦] والأصل فيه أنّ سعداً وسعيداً إبنا ضبّة خرجا، فرجع سعد، وفقد سعيد، فصار سعيد ممّا يتشأم به.

١. اخرجه الكلينى فى الكافى ج ٨ ص ٣٠٦ ح ٤٧٤ والنقل بتصرف فى اللفظ.
٢. كذا نقل ابن‌ميثم فى شرحه ج ٢ ص ٣٥١.
٣. اشارة الى قوله تعالى «وقيل يا ارض ابلعى ماءك» الآية هود ــ ٤٤.
٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٤٨٥/ مادة سعد.
٥. نقله عن الكنايات للجرجانى ابن ابى‌الحديد فى شرحه ج ٤ ص ٥١٥ والنقل بتصرف فى اللفظ.
٦. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ١ ص ٣٢٩ والزمخشرى فى المستقصى ج ١ ص ١٦٨ قال الميدانى ←

ومنها، قولهم: «بكلّ واد بنوسعد»[١] والأصل فيه أنّ الأضبط بن قريع السّعديّ من سعد بن زيد مناة بن تميم رأى جفوة من قومه. فتحوّل في قبائل أُخرى، فرآى أيضاً منهم الجفوة، فرجع، وقال: بكل واد بنوسعد.

هذا، وفي وزراء هلال بن محسن الصّابي قال أبوالعبّاس بن الفرات: إنّ منجّماً أخبره أنّه لم ينزل زحل في برج السّنبلة إلّا حدثت حادثة، وقد جرت العادة بذلك على مضيّ الأوقات، ومن ذلك أنّه نزل هذا البرج سنة ثمان للهجرة، فكان في تلك السّنة فتح خيبر ومكّة، ونزل في سنة ٣٨ فكانت حرب صفّين بين عليّ عليه السّلام ومعاوية، ونزل في سنة ٦٨ فكان فيها حرب المختار وعبدالملك وقضيّة عبدالله بن الزّبير ونزل فيه سنة ٩٨ فمات سليمان بن عبدالملك، وانتقل الأمر إلى عمربن عبدالعزيز ونزل في سنة ١٢٨ فظهر أبومسلم وجرت قضية مروان بن محمّد، ونزل في سنة ١٥٨ فمات المنصور، ونزل في سنة ١٨٨ فأوقع الرّشيد بالبرامكة، ونزل في سنة ٢١٨ فتوفّي المأمون، ونزل في سنة ٢٤٨ فتوفّي المنتصر وقتل المتوكّل، ونزل في سنة ٢٧٨ فتوفّي الموفّق، وحدث من الأُمور ما حدث.[٢]

هذا ويقال: أسعده الله فهو مسعود، ولايقال: مسعد على خلاف أصله.

٣ • من خطبة ــ ٨٩: أيضاً:

ومنها فى صفة الأرض ودحوها على الماء كَبَسَ الْأَرْضَ عَلىٰ مَوْرِ أَمْواجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحارٍ زاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَواذِيُّ أَمْواجِها وَتَصْطَفِقُ مُتَقاذِفاتُ

يضرب فى العناية بزى الرحم وفى الاستخبار ايضاً عن الامرين الخير والشر ايها وقع وقال زمخشرى يضرب فى النجح والخيبة والخير والشر.

١. اورده الميدانى فى مجمع الامثال ج ١ ص ١٠٥.

٢. كذا فى الوزراء للصابي ص ٢٤٨ امّا لمتفاق الطبرى والمسعودى فأن فتح خيبر كان فى سنة ٧ وفتح مكة سنة ٨ وحرب صفين سنة ٣٦ وحرب المختار سنة ٦٦ وحرب عبدالملك وابن الزبير سنة ٧٢ وموت سليمان سنة ٩٩ وموقعة الزاب بين اصحاب ابى مسلم ومروان سنة ١٣٢ وموت المنصور سنة ١٥٨ وايقاع الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧ وموت المأمون سنة ٢١٨ وموت المنتصرسنة ٢٤٨ وقتل المتوكل سنة ٢٤٧ وموت الموفق سنة ٢٧٨ ثم ان الحوادث المذكورة ليس اكثرها مهم ففي التاريخ حوادث كثيرة اعظم منها وهذه الاقوال من خرافات المنجمين.

أثْباجِها، وَتَرْغُو زَبَداً كَالفُحُولِ عِنْدَ هِياجِها. فَخَضَعَ جِماحُ الْماءِ الْمُتَلاطِمِ لِثِقْلِ حَمْلِها، وَسَكَنَ هَيْجُ اِرْتمائِهِ اِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِها، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً اِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَواهِلِها فَاَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخابِ اَمْواجِهِ ساجِياً مَقْهُوراً، وَفى حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقاداً اَسيراً، وَسَكَنَتِ الاَرْضُ مَدْحُوَّةً فى لُجَّةِ تَيّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلائِهِ، وَشُمُوخِ اَنْفِهِ، وَسُمُوِّ غُلَوائِهِ، وَكَعَمَتْهُ عَلىٰ كِظَّةِ جَرْيَتِهِ. فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقاتِهِ، وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفانِ وَثَباتِهِ، فَلَمّا سَكَنَ هِياجُ الْماءِ مِنْ تَحْتِ أكْنافِها، وَحَمْلِ شَواهِقِ الْجِبالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلىٰ اَكْتافِها فَجَّرَ يَنابيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرانينِ اُنُوفِها، وَفَرَّقَها فى سُهُوبِ بِيدِها وَاَخاديدِها، وَعَدَّلَ حَرَكاتِها بِالرّاسِياتِ مِنْ جَلاميدِها، وَذَواتِ الشَّناخيبِ الشُّمِّ مِنْ صَياخيدِها، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدانِ لِرُسُوبِ الْجِبالِ فى قِطَعِ أديمِها، وَتَغَلْغُلِها مُتَسَرِّبَةً فى جَوْباتِ خَياشيمِها، وَرُكُوبِها اَعْناقَ سُهُولِ الاَرَضينَ وَجَراثيمِها، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَها، وَاَعَدَّ الْهَواءَ مُتَنَسَّماً لِساكِنِها، وَاَخْرَجَ اِلَيْها اَهْلَها عَلىٰ تَمامِ مَرافِقِها. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الاَرْضِ الَّتى تَقْصُرُ مِياهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوابيها، وَلا تَجِدُ جَداوِلُ الاَنْهارِ ذَريعَةً اِلىٰ بُلُوغِها حَتّى اَنْشَاَ لَها ناشِئَةَ سَحابٍ تُحْيى مَواتَها، وَتَسْتَخْرِجُ نَباتَها. اَلَّفَ غَمامَها بَعْدَ اِفْتِراقِ لُمَعِهِ، وَتَبايُنِ قَزَعِهِ حَتّى اِذا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فيهِ، وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فى كُفَفِهِ، وَلَمْ يَنَمْ وَميضُهُ فى كَنَهْوَرِ رَبابِهِ، وَمُتَراكِمِ سَحابِهِ، اَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدارِكاً قَدْ اَسَفَّ هَيْدَبُهُ تَمْريهِ الْجُنُوبُ دِرَرَ اَهاضيبِهِ، وَدُفَعَ شَآبيبِهِ. فَلَمّا اَلْقَتِ السَّحابُ بَرْكَ بَوانيها وَبَعاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْها. اَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوامِدِ الاَرْضِ النَّباتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبالِ الاَعْشابَ. فَهِىَ تَبْهَجُ بِزينَةِ رِياضِها، وَتَزْدَهى بِما اُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ اَزاهيرِها، وَحِلْيَةِ ما سُمِطَتْ بِهِ مِنْ ناضِرِ اَنْوارِها، وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلاغاً

لِلأَنامِ، وَرِزْقاً لِلأَنعامِ، وَخَرَقَ الْعِجاجَ فى آفاقِها، وَأَقامَ الْمَنارَ لِلسّالِكينَ عَلىٰ جَوادِّ طُرُقِها.

أقول: رواه أئمّة غريب اللّغة كما يفهم من تفسير النّهاية لبعض فقراتها كقوله عليه السّلام: تلتطم أواذيّ أمواجها[1]، وغيره كما يأتى.

«كبس» أي أهجم.

«الأرض على مور» أي مضطرب، من إضافة الصّفة.

«أمواج مستفحلة» قيل: أي هائجة هيجان الفحول، وقيل: أي صائلة.

«ولجج» جمع لجّة. قال الجوهريّ: لجّة الماء بالضمّ معظمه.[2]

«بحار زاخرة» أي الممتدة المرتفعة.

«تلتطم أواذيّ» جمع آذيّ أي شدائد، وتفسير الجوهريّ، والفيروزآباديّ للاذيّ بالموج غلط،[3] وإنّما يأتي صفة الموج كما فسّره النّهاية،[4] وإضافته من باب إضافة الصّفة.

«أمواجها» أي أمواج تلك البحار.

«وتصطفق» من «صفقت العود فاصطفق» إذا حرّكت أوتاره. قال:

ويوم كظلّ الرّمح قصّر طوله ❊ دم الزّقّ عنّا واصطفاق المزاهر[5]

«متقاذفات» أي قذف هذا بذاك، وقذف ذاك بهذا.

---

١ و ٤. النهاية لابن الاثيرج ١ ص ٣٤/ مادة أذى.

٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٣٣٨/ مادة لجج.

٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ٦ ص ٢٢٦٦/ مادة أذى.

٥. ورده لسان العرب ج ١٠ ص ٢٠٥/ مادة صفق والشاعر ابن الطثرية.

«أثباجها» جمع ثبج أي أوساطها. في الأساس: التقم لقماً مثل أثباج القطا وهي أوساطها. قال ذوالرّمّة: بجرع كأثباج القطا المتابع،[1] ويمكن أن يكون استعارة من الثّبج بمعنى ما بين الكاهل إلى الظّهر كقول الراعي:

إذا الرّمل قدّم أثباجه * أبان لراكبها المخصر[2]

والأوّل أظهر، وفي خبر أمّ حرام: قوم يركبون ثبج هذا البحر[3]، أي وسطه ومعظمه.

«وترغو» من رغا البعير إذا صوّت.

«زبداً» تمييز.

«كالفحول» أي كالإبل الفحول.

«عند هياجها» أي هيجانها للسّفاد.

«فخضع» استعارة لسكونه.

«جماح» استعارة أيضاً من جمع الفرس براكبه إذا غلبه.

«الماء المتلاطم» من البحار الزّاخرة.

«لثقل حملها» بالأرض.

«وسكن هيج» أي هيجان.

«ارتمائه» أي تراميه.

«اذ وطئته بكلكلها» أي صدرها، والمراد كلها، فالوطي بالكلكل لا يمكن

---

١ و ٢. اساس البلاغة ص ٤٣/ مادة ثبج.

٣. هذا اللفظ اخرجه مسلم فى صحيحه ج ٣ ص ١٥١٨ ح ١٩١٢ والترمذى فى سننه ج ٤ ص ١٧٨ ح ١٦٤٥ والنسائى فى سننه ج ٦ ص ٤٠ ومالك فى الموطأ ص ٤٧٩ وروى حديث ام حرام بالفاظ اخرى ايضاً.

إلّا بالكلّ.

«وذلّ مستخذياً» أي مسترخياً ومنقاداً.

«إذ تمعّكت عليه» أي تمرّغت، وتدلّكت عليه.

«بكواهلها» الكاهل مقدّم ظهر البعير الّذي يكون عليه المحمل، وهو أيضاً كناية عن الكلّ، فالتّمعك بالكواهل يستلزمه.

«فأصبح بعد اصطخاب» من «اصطخاب الطيّر» أي اختلاط أصواتها.

«أمواجه ساجياً» أي ساكناً ليّناً.

«مقهوراً وفي حكمة» بفتحتين ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه.

«الذّلّ منقاداً أسيراً» كفرس ملجم لصاحبه، ومن صار أسيراً لك.

«وسكنت الأرض مدحوّة» أي مبسوطة.

«في لجّة تيّاره» أي موجه.

«وردّت من نخوة بأوه» أي كبره.

«واعتلائه» أي تعاليه.

«وشموخ» أي ارتفاع.

«أنفه وسموّ» أي علوّ.

«غلوائه» أي غلّوه، وتجاوزه عن حده.

«وكعمته» أي شدّت فاه.

«على كظّة» أي امتلاء.

«جريته» أي جريانه.

«فهمد» أي سكن.

«بعد نزقاته» من نزق الفرس أي نزا.

«ولبد» أي أقام ولصق.

«بعد زيفان» أي تبختر. قال (ابن أبي الحديد): ويروى «زفيان» أي شدة.[1]

«وثباته» الوثبات جمع الوثبة.

«فلمّا سكن هياج» هكذا في المصريّة، والصواب «هيج» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة).[2]

«الماء من تحت أكنافها» أي جوانبها.

«وحمل شواهق» أي مرتفعات.

«الجبال» والأصل الجبال الشواهق.

«الشمّخ» هكذا في المصريّة، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطيّة).[3]

«البذّخ» أي العوالي.

«على أكتافها فجرّ» جواب «لمّا».

«ينابيع العيون» يفهم من إضافته عليه السّلام الينابيع إلى العيون كون الينبوع غير العين، وأنّ الينبوع أصل العين، ومحل خروج الماء، والعين ماؤه

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٤.
٢. كذا فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٤ لكن فى شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٥ ايضاً «هياج».
٣. يوجد فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٤ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٥ لفظ «الشمخ».

المجتمع لا كما توهّم من اتّحادهما.

«من عرانين أنوفها» قال الجوهريّ: عرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين، وهو أوّل الأنف حيث يكون فيه الشمم.[1]

«وفرّقها» أي فرّق الينابيع.

«في سهوب» أي واسعات.

«بيدها» البيد جمع البيداء أي الأرض البرّ.

«وأخاديدها» أخاديد جمع أُخدود، أي شقّ في الأرض مستطيل.

«وعدّل حركاتها» ظاهر كلامه عليه السّلام أنّ للأرض حركات متعدّدة.

وفي الهيئة والإسلام: وحكماء عصرنا يذكرون لكرة الأرض خمس حركات مختلفة وهي المشهورة، وحكى «فيلكس ورنه» عنهم القول بإحدى عشرة حركة، وقد انتخبت من كتبهم حركات ثمان:

الأُولى: الحركة المحورية على منطقة الإستواء، وهي في حيّزها، وموضعها، ولذلك تسمى بالحركة الوضعية، والإستوائية، ويتمّ دورها في ٢٣ ساعة و٥٨ دقيقة و٤٩ ثانية ويحصل منها اللّيل والنّهار، وتتولّد من تركّب هذه الحركة مع جزء من الحركة السّنوية الحركة اليومية كما تقدّم. فيتمّ الدّور في ٢٤ ساعة.

الثّانية: الحركة السّنوية حول مركز الشّمس على منطقة البروج في دائرة بيضيّة ويتمّ دورها في ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٨ دقائق و٣٨ ثانية، وبها تحصل الأشهر الفرسيّة والرّومية والنّجوميّة ونحوها، وتتولّد الحركة الميليّة من هذه الحركة بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج ٢٣ درجة ونصف تقريباً، وهذه الحركة غير مستقلّة، وبها نرى للشّمس في كلّ سنة كرّاً من الشّمال إلى نقطة الجنوب، ثمّ رجوعها منها إلى نقطة الشّمال، ولو عدّت هذه الحركة والحركة اليوميّة مستقلّتين بلغت الحركات عشراً.

---

١. صحاح اللغة للجوهرى ج ٦ ص ٢١٦٣/ مادة عرن.

الثّالثة: الحركة الإقباليّة: أي إقبال دائرة البروج إلى دائرة الإستواء في كلّ ٦٧٠ عاماً درجة واحدة، وهذه الحركة محصورة في زاوية ثلاث درجات، ولا تكمل دورة مستديرة. فلا نرتقب زماناً تنطبق فيه إحدى الدّائرتين على الأُخرى كما كان القدماء يتوقّعون ذلك، وبه فسّر بعضهم قيامة الدّنيا.

الرّابعة: حركة نقطتي الأوج والحضيض حول المحيط من دائرة البروج في كلّ ٢٠٩٣١ سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشتري والزهرة مع الأرض، وبذلك تتغيّر أزمنة الفصول. في سنة ٦٤٨ كانت نقطة الحضيض على نقطة الإنقلاب الصّيفيّ. فكانت أيّام الصّيف مساوية لأيّام الرّبيع، وبهذه الحركة تقرب الأرض من الشّمس في نقطة الحضيض ثلاثمأة ألف فرسخ بالنّسبة إلى أوجها. فتزداد قوّة جاذبيّة الشّمس في الأرض قدر الخمس ممّا كان لها قبل إذ، ومن آثار اشتداد هذه القوّة سرعة تحرّك الأرض في فلكها كلّ يوم إحدىٰ وستّين دقيقة مع أنّها تتحرّك في أوجها كلّ يوم سبعاً وخمسين دقيقة من فلكها.

ومن آثارها أيضاً ارتفاع السّائلات المستنبطة على وجه الأرض كمياه البحار المحيطة وتراكمها نحو أقرب نقاط الأرض إلى الشّمس عليهذا فنحن الآن نرى المياه متراكمة في النّواحي الجنوبيّة من عرض أربعين درجة بحيث توجد ثمة بقاع تلمع بصفاح متّسعة كالأقطار الشّمالية، لكن الأمر ينعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة حيث تنتقل نقطة الحضيض إلى شمالنا فتتجه المياه نحو الشّمال طالبة أقرب النّقاط إلى الشّمس فتحسر الأقطار الجنوبيّة قناع الغمر عن أوجهها وتبدي محاسنها وما أودع الله فيها لنوع البشر، ويصبح فيها العمران والعلم والتّمدّن الأواخر، وتدعونا نحوها مبشّرات، ويمسي في شمالنا الغرق والخراب والعطالة وتزجرنا بالخروج منذرات فتعرف الأُمم عند ذلك أثمان المراكب البحريّة والهوائيّة، ويومئذ ينجو المخفّون.

الخامسة: حركة تقديم الإعتدالين الرّبيعيّ والخريفيّ، وبها ترى الثّوابت متحرّكة على موازاة دائرة البروج في ٢٦٠٠٠ سنة شمسيّة مرّة، وكان القدماء يظنّون أنّ الثّوابت بأسرها مركوزة في ثخن فلك يدور دورة في تلك المدّة.

السّادسة: الحركة الرّقصية أو الإرتعاش القمريّ، وهي الّتي تعرض على محوري الأرض. فتميل بذلك إلى دائرة البروج في كلّ ٢٩ سنة مرّة اكتشفها

الفلكيّ «برادله» سنة ١٨٤٤م، ومنشأها تأثير الجاذبيتين من الشّمس والقمر في أرضنا مع تسطيحها القطبيّ وتفرطحها الإستوائيّ، وينتقل محور الأرض بهذه الحركة في دورة عقدتي القمر بمقدار ١٨ درجة وكسر إلى الجنوب والشّمال.

السّابعة: الإرتعاش الشّمسيّ. قال في حدائق: النّجوم ما معناه أنّ الأرض يرتعش محورها ـ أي يرتعش محورها من طرف قطبيها ـ بجاذبيّة الشّمس، وتتمّ في سنة شمسيّة وغايتها دقيقة من الفلك.

الثّامنة: الحركة التّبعيّة، وهي سير الأرض كباقي السّيّارات بتبعيّة الشّمس في الفضاء المهول حول مركز مجهول، والأرجح أنّ الحركات أكثر ممّا وصلوا إليه ـ إلخ.[1]

نقلناه بطوله لاشتماله على وجود حركات للأرض، وإن كانت تفاصيل ما قاله غيرمعلومة، ونكله إلى أهل فنّه.

«بالرّاسيات» أي الثّابتات صفة «الجبال» مقدّرة.

«من جلاميدها» أي صخورها العظيمة.

«وذوات» أي بصاحبات.

«الشّناخيب» أي الرّؤوس. قال الجوهريّ: الشنخوبة والشنخوب واحد شناخيب الجبل وهي رؤوسه.[2]

«الشّمّ» أي الطّوال.

«من صياخيدها» أي شدادها.

«فسكنت من الميدان» أي من الإضطراب وحركة غير معتدلة.

«لرسوب» هكذا في المصريّة، والصّواب «برسوب» كما في (ابن أبي الحديد

---

١. الهيئة والاسلام ج ١ ص ٨٣ والنقل بتصرف يسير.
٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ١٥٢/ مادة شنخب.

وابن ميثم، والخطّية)[١] من «رسب الشيء في الماء» أي سفل فيه.

«الجبال في قطع» بالكسر فالفتح جمع قطعة، وقال (ابن أبي الحديد): ويروى بالكسر فالسكون أي طنفسة الرّجل، وهو استعارة كأنّه جعل الأرض ناقة وجعل لها قطعاً.[٢]

قلت: إنّما كان يناسب ما قاله لو كان عليه السّلام قال: «بركوب الجبال» لا «برسوب الجبال» فالصّواب الأوّل مع أنّ قرينتها «جوبات» أيضاً جمع.

«أديمها» هكذا في النّسخ[٣]، والظّاهر كونه مصحّف «أياديها» أي متونها، وأمّا «أديمها» فهو ما ظهر منها، ولا مناسبة له مع أنّ قرينته «خياشيمها» أيضاً جمع.

«وتغلغلها» قال الجوهريّ: الغلغلة سرعة السّير، وتغلغل الماء في الشّجر إذا تخللها[٤]، والظّاهر أنّ المراد هنا الثّاني بأن يكون المعنى تخلّلت الجبال في الأرض تخلّل الماء في الشّجر.

«متسرّبة» أي بلا مانع للجبال من التّخلل. قال الجوهريّ: السّارب الذاّهب على وجهه في الأرض، وقولهم إذهب فلا أنده سربك أي لا أردّ إبلك تذهب حيث شاءت، وكانوا يقولون في الجاهليّة للمرأة: إذهبي فلا انده سربك فتطلّق.[٥]

«في جوبات» الجوبات جمع الجوبة أي الحفرة المستديرة الواسعة.

«خياشيمها» أي أنوفها.

---

١. فى شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٤ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٥ ايضاً «لرسوب».
٢. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٦ والنقل بالمعنى.
٣. كذا فى نهج البلاغة ج ١ ص ١٧٤ وشرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٤ وشرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٥.
٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٥ ص ١٧٨٣/ مادة غلغل.
٥. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ١٤٦/ ماده سرب.

«وركوبها» أي ركوب الجبال.

«أعناق سهول الأرضين» أي مسطّحاتها.

«وجرائيمها» وهي ضدّ سهولها، وفي النّهاية: الجراثيم أماكن مرتفعة عن الارض مجتمعة من تراب أوطين.[1]

«وفسّح» أي وسّع.

«بين الجوّ وبينها» أي وبين الأرض.

«وأعدّ الهواء متنسّماً» أي سبب تنفس.

«لساكنها» من البشر وغيره.

قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: أنبّهك يا مفضّل على الرّيح، وما فيها ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الّذي يكاد أن يأتي على النّفوس، ويمرّض الأصحّاء، وينهك المرضى، ويفسد الثّمار، ويعفّن البقول، ويعقّب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلات. ففي هذا بيان أنّ هبوب الرّيح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق، وأنبّئك عن الهواء بخلّة أُخرى. فإنّ الصّوت أثر يؤثّره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع، والنّاس يتكلّمون في حوائجهم، ومعاملاتهم، طول نهارهم وبعض ليلهم. فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه. فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والإستبدال به إلى أكثر ممّا يحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأنّ ما يلفظ من الكلام أكثر ممّا يكتب، فجعل الخلاّق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثم يمحى فيعود جديداً نقياً ويحمل ما حمل ابداً بلا انقطاع، وحسبك بهذا النّسيم المسمّى هواء عبرة وما فيه من المصالح فإنّه حياة هذه الأبدان، والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدّى

١. النهاية لابن الاثير ج ١ ص ٢٩٤/ مادة جرثم.

البعد البعيد، وهو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع.

ألا ترى كيف تأتيك الرّائحة من حيث تهبّ الرّيح. فكذلك الصّوت، وهو القابل لهذا الحرّ والبرد اللّذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، ومنه هذه الرّيح الهابّة. فالرّيح تروّح عن الأجسام وتزجى السّحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتّى يستكثف فيمطر وتفضّه حتّى يستخفّ. فيتفشى وتلقح الشّجر، وتسيّر السّفن، وترخي الأطعمة، وتبرّد الماء، وتشبّ النّار، وتجفّف الأشياء النّديّة، وبالجملة إنّما تحيي كلّما في الارض، فلو لا الرّيح لذوى النّبات ولمات الحيوان، وحمت الأشياء وفسدت.[1]

«وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها» وكمال مصالحها. قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: يا مفضّل أوّل العبر والدّلالة على الباري جلّ قدسه تهيئة هذا العالم، وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه. فإنّك إذا تأمّلت العالم بفكرك، وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدّفيه جميع ما يحتاج إليه عباده. فالسّماء مرفوعة كالسّقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنّجوم مضيئة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذّخائر، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ.

والإنسان كالمملّك ذلك البيت، والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النّبات مهيّاة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. في هذا دلالة واضحة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة، ونظام وملائمة وأنّ الخالق له واحد، وهو الّذي ألّفه ونظمه بعضاً إلى بعض.[2]

«ثمّ لم يدع» أي لم يترك.

«جرز» بتقديم الرّاء على الزّاء، أرض انقطع عنها النّبات، وفيه لغات بضمّتين، وفتحتين، وضمّ فسكون، وفتح فسكون.

«الأرض الّتي تقصر مياه العيون عن روابيها» أي عواليها.

---

١. توحيد المفضل ص ١٤٠.

٢. توحيد المفضل ص ٤٧.

«ولا تجد جداول» قال الجوهريّ: جدول النّهر الصّغير.[١]

«الأنهار» والمراد الكبيرة.

«ذريعة» أي وسيلة.

«إلى بلوغها» أي بلوغ تلك الرّوابي كرؤوس الجبال والآكام، أو بلوغ تلك الأرض الجرز كأراض ليست فيها أنهار ولا عيون.

«حتّى أنشأها ناشئة سحاب تحيي مواتها، وتستخرج نباتها» بالأمطار النازلة من السّحاب. قال الصّادق للمفضّل «تأمّل نزول المطر على الأرض، والتدبير في ذلك فإنّه جعل ينحدر عليها من علوّ ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرّفة منها، ويقلّ ما يزرع في الأرض. ألا ترى أنّ الّذي يزرع سيحاً أقلّ من ذلك.

فالأمطار هي الّتي تطبق الأرض، وربّما تزرع هذه البراري الواسعة، وسفوح الجبال وذراها. فتغل الغلّة الكثيرة، وبها يسقط عن النّاس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التّشاجر والتّظالم حتّى يستأثر بالماء ذو العزّة والقوّة، ويحرمه الضّعفاء.

ثمّ إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ ليغور في قعر الأرض، فيرويها، ولو كان يسكبه إنسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها. ثمّ كان يحطم الزّرع القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولاً رقيقاً، فينبت الحبّ المزروع، ويحيى الأرض والزّرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى، فإنّه يليّن الأبدان، ويجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على الشّجر والزّرع من الدّاء المسمّى باليرقان إلى أشباه هذا من المنافع»[٢].

«ألّف غمامها» أي سحابها.

---

١. صحاح اللغة للجوهري ج ٤ ص ١٦٥٤/ ماده جدل.

٢. توحيد المفضل ص ١٤٩.

. «بعد افتراق لمعه» بالضّمّ فالفتح جمع لمعة بالضّمّ فالسّكون، أي قطعاته، سميّت القطعة من الغمام لمعة للمعانها كما سميّت القطعة من النّبات إذا يبست لمعة للمعانها، وكما سميّت قطعة من الجسد لم يصبها الماء في الوضوء والغسل لمعة للمعانها.

«وتباين» أي انفصال.

«قزعه» بالضمّ فالفتح أيضاً جمع «قزعة» بالضّمّ فالسّكون، أي قطعه الرّقيقة الّتي تعد وسريعاً، والأصل في القزعة السّرعة في العدو.

«حتّى إذا تمخّضت» الأصل في المخاض قرب الولادة. قال:

تمخّضت المنون له بيوم ٥ أنى ولكلّ حاملة تمام[1]

«لجّة» قالوا: لجّة الماء معظمه.

«المزن» أي السّحابة البيضاء.

«فيه» الضّمير فيه راجع إلى الغمام كما في «لمعه» و «قزعه»، وقال (ابن أبي الحديد): الهاء في فيه يرجع الى المزن[2]، وهو كما ترى.

«والتمع برقه في كففه» بالكسر فالفتح جمع كفّة بالفتح، أي في أطرافه، وسمّي الطّرف كفّه لأنّ الشيء إذ انتهى إلى الطّرف كفّ عن الزّيادة كما أنّ الرّزق الكفاف يكفّ صاحبه عن النّاس.

«ولم ينم وميضه» قال الجوهري: ومض البرق وميضاً لمع لمعاً خفيفاً، ولم يعترض في نواحي الغيم، فإن اعترض فهو الخفو، فإن استطال في وسط السّماء وشقّ الغيم من غير أن يعترض يميناً وشمالاً فهو العقيقة.[3]

---

١. اورده اساس البلاغة ص ٤٢٢ / سادة مخض ولسان العرب ج ٧ ص ٢٣٠/ ماده مخض.

٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٥٦.

٣. صحاح اللغة للجوهرى ج ٣ ص ١١١٣/ مادة ومض.

«في كنهور» قال الجوهريّ في كهر: والكنهور العظيم من السّحاب[١] وجعله القاموس خماسياً كسفرجل.[٢]

«ربابه» قال الجوهريّ: رباب سحاب أبيض واحدته بهاء،[٣] ومراده أنّه اسم جنس كتمر وتمرة، وتوّهم (ابن أبي الحديد)[٤] أنّ مراده كونه جمعاً، وقال الجوهريّ أيضا: ويقال: إنّ رباب السّحاب الّذي تراه كأنّه دون السّحاب قد يكون أبيض وقد يكون أسود.[٥]

«ومتراكم سحابه» الّذي بعضه فوق بعض.

«أرسله سحّاً» أي صابّاً.

«متداركاً» أي ملحقاً آخره بأوّله.

«قد أسف» أي دنا من الأرض. قال عبيد في سحاب قرب من الأرض كثيراً:

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه ٭ يكاد يدفعه من قام بالراح[٦]

«هيدبه» قال الجوهريّ: هيدب السّحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنّه خيوط.[٧]

«تمريه» قال الجوهريّ: الرّيح تمري السّحاب وتمتريه أي تستدرّه.[٨]

«الجنوب درر» أي صبّ.

---

١. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٨١١/ مادة كهر.
٢. القاموس المحيط ج ٢ ص ١٢٩/ مادة كنهور.
٣ و ٥. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ١٣٣/ مادة ربب.
٤. شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٥٦.
٦. اورده لسان العرب ج ٩ ص ١٥٤/ مادة سفف وقال انه لأوس بن حجر أوعبيدبن الأبرص.
٧. صحاح اللغة للجوهرى ج ١ ص ٢٣٧/ مادة هدب.
٨. صحاح اللغة للجوهرى ج ٦ ص ٢٤٩١/ مادة مرى.

«أهاضيبه» أي مطراته، والمراد مطرة بعد مطرة.

«ودفع شآبيبه» جمع شؤبوب، أي دفعة بعد دفعة. قال الشاعر:

كأنّ ثناياها بنات سحابه ٭ سقاهنّ شؤبوب من الغيث باكر

وبنات سحابة البرد.

«فلمّا ألقت السّحاب برك» قال الجوهريّ: البرك الصّدر.[١]

«بوانيها» قال الجزريّ في «بون»: البواني في الأصل أضلاع الصّدر، وقيل: الأكتاف والقوائم الواحدة بانية، ومن حقّ هذه الكلمة أن تجيء في باب الباء والنون والياء وإنّما ذكرناها هيهنا حملاً على ظاهرها. فإنّها لم ترد حيث وردت إلّا مجموعة، ومنه حديث عليّ عليه السّلام «ألقت السّماء برك بوانيها»[٢] وممّا نقلنا يظهر لك ما في قول (ابن أبي الحديد) أنّ بوانيها تثنية بوان على فعال بكسر الفاء وهو عمود الخيمة والجمع بون بالضمّ. قال الشّاعر:

أصبر من ذي ضاغط عركرك ٭ ألق بواني زوره للبرك

قال: ومن روى بوانيها (أي بلفظ الجمع) أراد لواصقها من قولك: «قوس بانية» إذا التصقت بالوتر، والرّواية الأولى أصحّ ـ إلخ[٣] ـ، مع أنّه ليس للسّحاب عمودان حتّى يكون ما قاله صحيحاً، والشّعر الّذي استشهد به دالّ على ضدّ مراده، و«البواني» فيه أيضاً جمع «بانية» ومراد الشّاعر «بذي ضاغط عركرك» الجمل القويّ، فالمعنى أنّه أصبر من جمل قوي ألق بواني زوره أي أضلاع صدره للمبرك.

«وبعاع» في النّهاية: البعاع شدّة المطر، ومنهم من يرويها بالثّاء المثلّثة من ثعّ يثعّ إذا تقيأ أي قذفها في البطحاء، ومنه حديث على عليه السّلام «ألقت السّحاب بعاع ما استقلّت به من الحمل».[٤]

---

١. صحاح اللغة للجوهرى ج ٤ ص ١٥٧٤/ ماده برك.
٢. النهاية لابن الاثيرج ١ ص ١٦٤/ مادة بون.
٣. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ١٥٦.
٤. النهاية لابن الاثيرج ١ ص ١٤٠/ مادة بعع.

«ما استقلّت به» أي ارتفعت به.

«من العبء» أي الحمل. قال الشّاعر:
الحامل العبء الثّقيل عن الجاني بغيريد ولا شكر.[١]

«المحمول عليها» أي على السّحاب.

«أخرج» جواب لمّا وفاعله هو تعالى.

«به» أي بعبئها.

«من هوامد الأرض» أي أراض لانبات فيها.

«النّبات» والأصل فيه قوله عليه السّلام من «فلما القت إلى النبات» قوله تعالى: «وهو الّذي يرسل الرّياح بُشْراً بين يَدَيْ رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سُقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماءِ فأخرجنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكّرون»[٢].

«ومن زعر الجبال» من إضافة الصّفة، أي جبال قليلة النّبات.

«الأعشاب» أي أخرج منها الأعشاب، والأعشاب جمع العشب الكلأ والرّطب.

«فهي تبهج بزينة رياضها» كمرأة تبهج بزينة حليها، وألبستها المتلوّنة.

«وتزدهي» أي تتكبّر.

«بما ألبسته من ريط» قيل: ريطة كلّ ثوب رقيق ليّن.

«أزاهيرها» أزاهير جمع زهرة بالفتح، وزهرة النّبت نوره.

---

١. اورده لسان العرب ج ١ ص ١١٧/ مادة عبأ والشاعر زهير.
٢. الاعراف ــ ٥٧.

«وحلية» عطف على «ما» في قوله «بما» لا على قوله «ربط» كما هو المتبادر في بادي النّظر كما لا يخفى على من تدبّر.

«ما سمطت» قال الجوهريّ: السّمط الخيط مادام فيه الخرز، وإلّا فهو سلك. قال طرفة: مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد.[1]

«به من ناضر» أي رونق.

«أنوارها» أنوار جمع نور بالفتح، أي أزهارها. قال تعالى: «..وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج»[2] قال ابن عمران المخزوميّ: أتيت مع أبي والياً كان على المدينة من قريش، وعنده أعرابي يقال له ابن مطير واذا مطرجود. فقال له الوالي: صفه فقال دعني أُشرف وأنظر فأشرف ونظر ثمّ قال:

كثرت، لكثرة، ودقة أطباؤه * فإذا تحلّب فاضت الأطباء
وله رباب هيدب لرفيفه * قبل التبعّق ديمة وطفاء
وكأنّ بارقه حريق تلتقي * ريح عليه وعرفج وإلاء
وكأنّ ريقه ولمّا يحتفل * ودق السّماء عجاجة طخياء
مستضحك بلوامع، مستعبر * بمدامع لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرّة * ضحك يؤلّف بينه وبكاء
حيران متّبع صباه يقوده * وجنوبه كنف له ورهاء
ثقلت كلاه فبهّرت اصلابه * وتبعّجت عن مائه الأحشاء
غدق تبعّج بالأباطح مزّقت * تلك السّيول وما لها أشلاء
غرّ محجّلة دوالج ضمّنت * حمل اللّقاح وكلّها عذراء
سحم فهنّ إذا عبسن فواحم * سود وهنّ إذا ضحكن وضاء
لو كان من لجج السّواحل ماؤه * لم يبق في لجج السّواحل ماء[3]

١. صحاح اللغة للجوهرى ج ٣ ص ١١٣٤/ ماده سمط.
٢. الحج ـ ٥.
٣. نقله ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ٤ ص ٤٨.

«وجعل ذلك بلاغاً للأنام ورزقاً للأنعام» قال تعالى: «وفاكهة وأبّاً؛ متاعاً لكم ولأنعامكم..»[١].

«وخرق العجاج» هكذا في المصريّة، والصّواب «الفجاج» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم، والخطّية)[٢]، و«الفجاج» جمع «الفج» الطّريق الواسع بين الجبلين.

«في آفاقها» أي أطرافها. قال تعالى: «.. وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلّهم يهتدون»[٣]، وقال الصّادق عليه السّلام: فلولا امتداد هذه الأرض كيف كانت تتسع لمساكن النّاس، ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم، والعقاقير العظيمة، والمعادن الجسيم غناؤها.[٤]

«وأقام المنار» للنّاس بنجوم السّماء. قال تعالى: «وعلامات وبالنّجم هم يهتدون».[٥]

«للسالكين على جوادّ» بالتّشديد جمع الجادّة.

«طرقها» أي طرق الأرض.

٤. خطبة ـ ٢٠٩: ومن خطبة له (ع):

وَكانَ مِنْ اِقْتِدارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَديعِ لطائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ ماءِ الْبَحْرِ الزّاخِرِ الْمُتَراكِمِ الْمُتَقاصِفِ يَبَساً جامِداً. ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْباقاً. فَفَتَقَها سَبْعَ سَماواتٍ بَعْدَ ارْتِتاقِها. فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقامَتْ عَلىٰ

١. عبس ـ ٣١ و ٣٢.
٢. كذا في شرح ابن ابي الحديد ج ٢ ص ١٥٤ لكن في شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٦٦ ايضاً «العجاب».
٣. الانبياء ـ ٣١.
٤. توحيد المفضل ص ١٤٢.
٥. النحل ـ ١٦.

حَدِّهِ، وَأَرْسىٰ أَرْضاً يَحْمِلُها الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجَرُ وَالْقَمْقامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الجاري مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ جَلامِيدَها، وَنُشُوزَ مُتُونِها، وَأَطْوادِها. فَأَرْسَلَها في مَراسيها، وَأَلْزَمَها قَرارَتَها، فَمَضَتْ رُؤُوسُها فِي الْهَواءِ وَرَسَتْ أُصُولُها فِي الْماءِ. فَأَنْهَدَ جِبالَها عَنْ سُهُولِها، وَأَساخَ قَواعِدَها في مُتُونِ أَقْطارِها، وَمَواضِعِ أَنْصابِها فَأَشْهَقَ قِلالَها، وَأَطالَ أَنْشازَها، وَجَعَلَها لِلأَرْضِ عِماداً، وَأَرَّزَها فيها أَوْتاداً، فَسَكَنَتْ عَلىٰ حَرَكَتِها مِنْ أَنْ تَميدَ بِأَهْلِها. أَوْ تَسيخَ بِحِمْلِها، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَواضِعِها: فَسُبْحانَ مَنْ أَمْسَكَها بَعْدَ مَوَجانِ مِياهِها، وَأَجْمَدَها بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنافِها. فَجَعَلَها لِخَلْقِهِ مِهاداً، وَبَسَطَها لَهُمْ فِراشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ. راكِدٍ لا يَجْري، وَقائِمٍ لا يَسْري. تُكَرْكِرُهُ الرِّياحُ الْعَواصِفُ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمامُ الذَّوارِفُ (إِنَّ في ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ).

أقول: رواها أيضاً أئمة غريب اللّغة كما يفهم من تفسير النّهاية لبعض فقراتها.[١]

«وكان من اقتدار جبروته» إضافة الاقتدار إلى جبروته تعالى مع أنّ الأصل إضافته إليه تعالى، كما في نسبة الإكرام إلى مثوى يوسف عليه السّلام في قوله تعالى: «.. أكرمي مثواه..»[٢] مع أنّ الأصل النّسبة إليه عليه السّلام للدّلالة على المبالغة.

«وبديع» عطف على «اقتدار» والبديع ما لامثال له قبله.

«لطائف صنعته» وكيف لاوقد خلق الأرض والسّموات السّبع من ماء كما خلق كلّ شيء من ماء.

---

١. النهاية لابن الاثيرج ١ ص ٢١٢/ مادة ثعجر.
٢. يوسف ــ ٢١.

«أن جعل من ماء البحر الزّاخر» أي المرتفع الممتدّ.

«المتراكم» أي الّذي بعضه فوق بعض.

«المتقاصف» أي المتدافع.

«يبساً جامداً» قال (ابن أبي الحديد): اليبس بالتّحريك المكان يكون رطباً، ثمّ ييبس، ومنه قوله تعالى: «..فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً..»[١] واليبس بالسّكون اليابس خلقة «حطب يبس» هكذا يقوله أهل اللّغة، وفيه كلام لأنّ الحطب ليس يابساً خلقة بل كان رطباً من قبل، فالأصوب أن يقال: لاتكون هذه اللفظة محرّكة إلّا في المكان.[٢]

قلت: في ما قاله أوّلاً أنّ اليبس بالتحريك ليس مختصاً بالمكان، فيأتي وصف المرأة والشّاة أيضاً، قال الرّاجز: إلى عجوز شنة الوجه يبس.[٣] فقوله «فالأصوب» خلاف الصّواب.

و ثانياً أنّ التّفصيل الّذي ذكره لم يقله جميع أهل اللّغة كما هو مفهوم كلامه وإنّما قاله الجوهريّ[٤]، وأمّا الفيروزآباديّ فعكس، فقال: يابِسٌ ويَبِسٌ، وَيَبيسٌ ويَبْسٌ كان رطباً فجفّ كاتّبس، وما أصله اليبوسة، ولم يعهد رطباً فَيَبَسٌ بالتّحريك، وأمّا طريق موسى في البحرفإنّه لم يعهد قطّ طريقاً لا رطباً ولا يابساً إنّما أظهره الله لهم حينئذ مخلوقاً على ذلك، وتسكّن الباء أيضاً ذهاباً إلى أنّه وإن لم يكن طريقاً فإنّه موضع كان فيه ماء فيبس.[٥]

وثالثاً أنّ مناقشته بعدم كون الحطب يابساً خلقة في غير محلّه يقال «حطب يبس» قال ثعلب كأنّه خلقة[٦] قال علقمة:

تخشخش أبدان الحديد عليهم ٭ كما خشخشت يبس الحصاد جنوب[٧]

---

١. طه ــ ٧٧.
٢. شرح ابن ابي الحديد ج ٣ ص ١٨.
٣. اورده لسان العرب ج ٦ ص ٢٦١/ مادة يبس.
٤. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٩٩٠/ مادة يبس.
٥. القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٦١/ مادة يبس.
٦ و ٧. قول ثعلب و البيت نقلها لسان العرب ج ٦ ص ٢٦١/ مادة يبس.

ورابعاً أنّ الآية «فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً» لا كما نقله.[١]

«ثمّ فطر» أي خلق اختراعاً، وعن ابن‌عبّاس كنت لا أدري ما فاطر السّموات والأرض حتّى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر. فقال: أحدهما: أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها حفرها.[٢]

«منه أطباقاً» أي سموات أطباقاً. قال تعالى: «ألم تروا كيف خلق‌الله سبع سموات طباقاً»[٣] «الّذي خلق سبع سموات طباقاً..»[٤].

«ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها» «أولم ير الّذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما..»[٥].

«فاستمسكت بأمره» «..وأوحى في كلّ سماء أمرها..»[٦].

«وقامت على حدّه» الضّمير راجع إليه تعالى، أي قامت السّموات على تحديده تعالى لها.

«وأرسى أرضاً» هكذا في المصريّة، وليست الجملة في (ابن أبي‌الحديد وابن ميثم، والخوئي، والخطيّة)[٧] رأساً. فيعلم عدم وجودها في النّهج، وإن كان المعنى بدونها مختلاً، لأنّه يصير الضّمير في قوله بعد «يحملها الأخضر» راجعاً إلى السّموات السّبع، وليس كذلك، ولذا تكلّف (الخوئي) في أنّ الضّمير في «يحملها» راجع إلى «الأرض» المستفادة من اليبس[٨]، وهو كما ترى. فالظّاهر أنّ

١. لم يظهر لى فرق بين ما نقل الشارح وما نقل ابن ابى‌الحديد ولا رسم المصحف.

٢. مرّ تخريج الحديث فى عنوان ١ من الفصل الاول.

٣. نوح ــ ١٥.

٤. الملك ــ ٣.

٥. الانبياء ــ ٣٠.

٦. فصلت ــ ١٢.

٧. كذا فى شرح الخوئى ج ٧ ص ٣٢٧ وتوجد الجملة فى شرح ابن ابى‌الحديد ج ٣ ص ١٨ وشرح ابن ميثم ج ٤ ص ٢٤.

٨. شرح الخوئى ج ٧ ص ٣٢٨.

المصريّة نقلت الجملة من نسخة خلطت حاشية بالمتن.

«يحملها الأخضر» فسّر (ابن أبي الحديد) الأخضر بالبحر، ويسمّى أيضاً خضارة معرفة غير مصروف.[١]

قلت: لم يقل أحد بإطلاق الأخضر مجرّداً على البحر بل مع الوصف بالمثعنجر، لأنّه بمعنى السّائل نعم خضارة مجرّدة تطلق عليه. ثمّ سوق كلامه أنّ الأخضر غير منصرف، وليس كذلك بل خضارة غير منصرف.

قال الجوهريّ: «خضارة» بالضّمّ البحر معرفة لاتجرى، تقول: هذا خضارة طاهياً[٢] ولو كان عبّر وخضارة معرفة غيرمصروف لسلم.

«المثعنجر» قال الفيروزآباديّ: «المثعنجر»: السّائل من ماء أودمع، وبفتح الجيم وسط البحر، وليس في البحر ماء يشبهه[٣]، وقال الجزريّ في حديث عليّ عليه السّلام: يحملها الأخضر المثعنجر، هو أكثر موضع في البحر ماء والميم والنون زائدتان ومنه حديث ابن عبّاس «فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ عليه السّلام كالقرارة في المثعنجر»[٤]، القرارة الغدير الصغير.[٥]

قال (ابن أبي الحديد): تصغير المثعنجر مثيعج ومثيعيج[٦]:

قلت: أخذه من الصّحاح لكنّه غلط منه لأنّ المثعنجر رباعيّ مزيد فيه أصله «ثعجر» لاثلاثى مزيد فيه أصله «ثعج»، قال في القاموس: قول الجوهريّ، والصغانيّ تصغير «المثعنجر» «مثيعج» و «مثيعيج»[٧] غلط، والصّواب «ثعيجر» كما تقول في «محرنجم»: «حريجم».[٨]

---

١. شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ١٩.
٢. صحاح اللغة للجوهرى ج ٢ ص ٦٤٧/ مادة خضر.
٣. القاموس المحيط ج ١ ص ٣٨٢/ مادة ثعجر.
٤. اخرجه الحكيم الترمذى فى شرح الفتح المبين عنه ينابيع المودة ص ٧٠ بفرق يسير وروى معناه المفيد وابوعلى الطوسى والنقاش والحموينى والاربلى مرّ تخريجه فى شرحه خطبة الرضى.
٥. النهاية لابن الاثيرج ١ ص ٢١٢/ مادة ثعجر.
٦. شرح ابن ابى الحديد ج ٣ ص ٢٠.
٧. كذا ذكر الجوهرى تصغيره فى صحاح اللغة ج ٢ ص ٦٠٥/ مادة ثعجر لكن لم يذكر الصغانى فى التكملة ج ٢ ص ٤٣٦/ مادة ثعجر تصغيراً له.
٨. القاموس المحيط ج ١ ص ٣٨٢/ مادة ثعجر.

«والقمقام» يأتي لمعان أحدها البحر، وهو المراد هنا.

«المسخّر» من الله تعالى.

«قد ذلّ لأمره» والمراد أمره التّكوينيّ.

«وأذعن» أي خضع.

«لهيبته ووقف الجاري منه» بعد حمله للأرض.

«لخشيته» الطّبيعيّة.

«وجبل» أي خلق.

«جلاميدها» أي صخورها الشّديدة.

«ونشوز» أي ارتفاع.

«متونها» أي ما صلب منها.

«وأطوادها» أي جبالها.

«فأرسلها في مراسيها» أي في مواقفها.[1]

«ورست» أي ثبتت، وفي نسخة «ورسبت»[2].من «رسب في الماء» إذا هبط فيه.

«أصولها» أي عروقها.

«في الماء» لكون الأرض على الماء.

«فانهد» أي انهض.

١. لم يتعرّض الشارح بشرح الفقرتين: «وألزمها قرارتها فمضت رؤوسها في الهواء».
٢. لم نجد أحداً من الشراح نقل هذه الرواية.

«**جبالها عن سهولها**» سهل الأرض خلاف حزنها.

«**وأساخ**» أي أغاص، من «ساخت قدمه في الأرض» إذا غاصت فيها.

«**قواعدها**» وأساسها.

«**في متون أقطارها**» أي جوانبها.

«**ومواضع أنصابها**» أي في مواضع نصبت فيها.

«**فاشهق**» أي أعلى.

«**قلالها**» قلال جمع قلّة، أعلى الجبل.

«**وأطال**» أي جعل طويلاً.

«**أنشازها**» أي ارتفاعاتها.

«**وجعلها للأرض عماداً**» أي عموداً.

«**وأرّزها**» أي أثبتها من أرزت الشّجرة ثبتت.

«**فيها أوتاداً**» قال تعالى: «والجبال أوتاداً»[1].

«**فسكنت على حركتها**» أي مع حركتها فإن «**على**» في مثل الموضع بمعنى «**مع**» كقوله تعالى: «الحمدلله الّذي وهب لي على الكبر إسْمٰعيلَ وَإسْحٰقَ..»[2] وقوله تعالى: «ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً»[3] وكقول الشّاعر:

وإنّي على ليلى لزار وأنّني ٭ على ذاك في ما بيننا مستديمها[4]

١. النبأ ــ ٧.
٢. ابراهيم ــ ٣٩.
٣. الانسان ــ ٨.
٤. اورده السيوطي في شواهد المغني ج ١ ص ٦١ والشاعر متردّد بين قيس بن الملوح وغيره.

وقوله: على جوده ما جاد بالمال حاتم.[1]

«من أن تميد» أي تضطرب.

«بأهلها» كوقت يحصل الزلزال.

«أو تسيخ» أي تغوص.

«بحملها» كبناء لم يستحكم أساسه.

«أو تزول عن مواضعها» الّتي عيّنها الله تعالى لها. قال في الهيئة والإسلام: يظهر من قوله عليه السّلام «أو تزول عن مواضعها» تحرّك الأرض في مدار مخصوص. فإنّ الأرض عند المتأخّرين لها مواضع لاتحصى لكنّها جميعاً في مدار معيّن بازاء البروج الإثنى عشر. فيتمّ على هذا تفسير قوله عليه السّلام «على حركتها» بحركة الأرض السّنويّة، وأنّ الجبال وعروقها هي الحافظة لهيئة أجزاء الأرض المانعة من تفرّقها واضطرابها وزوالها عن مواضعها المخصوصة في فلكها المخصوص. وأمّا على القول بالسّكون كما عليه المتقدّمون فلا يتمّ هذا الكلام الكامل إذ الجسم لايكون ذا مواضع إلّا بتحرّكه الإنتقالي، والسّاكن لايكون إلّا ذا موضع واحد.

ثمّ استدلّ صاحب الكتاب لحركة الأرض بآيات منها «الّذي جعل لكم الأرض مهداً..»[2].

قال: والمهد يتحرّك سريعاً بلاميلان، ومنها «هو الّذي جعل لكم الأرض ذلولا..»[3]، قال فإنّ الذلّول إبل تمتاز بنعومة الحركة وسرعة السّير، ومنها «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السّحاب صُنْعَ الله الّذي أتقن كلّ شيء..»[4] قال: فلو كان المراد القيامة كما قالوا لما كان لقوله: «.. صُنْعَ الله

---

١. اورده لسان العرب ج ١٢ ص ١١٥/ مادة حتم والشاعر الفرزدق وصدره «على حالة لو أنّ فى القوم حاتماً».

٢. طه ـ ٥٣.

٣. الملك ـ ١٥.

٤. النمل ـ ٨٨.

الّذي أتقن كلّ شيء..» مناسبة، ومنها «والأرض بعد ذلك دَحيٰها»[١]، قال: بناء على أنّ المراد بالدّحو الدّفع والدّحرجة كما يفهم من اللّغة، ومن موارد استعماله دون البسط كما هو المشهور ثمّ تعرّض للإستدلال على مدّعاه بكون المراد من الدّحو في الآية الدّفع والدّحرجة دون البسط الّذي قال غيره.[٢]

قلت: الظّاهر أنّ المشهور فسّروه بالّلازم فإنّ دحرجة الملفوف تستلزم بسطه، وممّا يمكن أن يستدلّ به على ما قال، وإن لم يتفطّن له قول الحميريّ في تشبيه رمي أميرالمؤمنين عليه السّلام للصّخرة العظيمة الّتي كانت على عين في طريق صفين بكرة رماها قوي.

فكأنّها كرة بكفّ حزوّر * عبل الذّراع دحابها في ملعب[٣]

كما أنّه فاته الإستدلال بكلامه عليه السّلام في خطبة ٧٠ «اللّهمّ داحي المدحوّات»[٤] فإنّه مثل قوله تعالى: «والأرض بعد ذلك دحاها»[٥] واستدلّ بخبر الاحتجاج عن الصّادق عليه السّلام أنّ الأشياء تدلّ على حدوثها من دوران الفلك بما فيه، وهي سبعة أفلاك، وتحرّك الأرض ومن عليها[٦]، واستدلّ بآيات وأخبار أُخر ليس لها وضوح دلالة كقوله تعالى: «..فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»[٧] فقال في معناه: «ائتيا» أي انتقلا وتحركا من حيز كما «طوعاً» لنظام هذه الشّمس أو «كرهاً» عنها وطوعاً لنظام آخر، واتّباعاً لجاذبية عالم آخر «قالتا» بلسان الحال «أتينا طائعين» لهذا النّظام خاضعين لنواميس هذه الجاذبيّة الّتي سنّها الله تعالى في هذا العالم[٨] وهو كما ترى.

«فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها» «إنّ الله يمسك السّموات

---

١ و ٥. النازعات ــ ٣٠.

٢. الهيئة والاسلام ج ١ ص ٨٢ والنقل بتصرف يسير.

٣. هذا بيت من القصيده البائية نقله المفيد فى الارشاد ص ١٧٨ وغيره.

٤. نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٠

٦. رواه الطبرسى فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٣٨ ضمن حديث طويل.

٧. فصلت ــ ١١.

٨. الهيئة والاسلام ج ١ ص ٧١ و ٧٤.

والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها من أحد من بعده..»[١].

«وأجدها بعد رطوبة أكنافها» أي جوانبها.

«فجعلها لخلقه مهاداً» «ألم نجعل الأرض مهاداً»[٢].

«وبسطها لهم فراشاً» «الّذي جعل لكم الأرض فراشاً والسّماء بناء..»[٣].

«فوق بحر لجّي» بالضّمّ، أي بحر مشتمل على اللّجّات.

«راكد» أي ساكن.

«لايجرى» كما يجرى اليمّ.

«وقائم» في مكانه.

«لا يسري» إلى موضع آخر.

«تكركره» اي تردّده.

«الرّياح العواصف» أي الشّدائد.

«وتمخضه» من «مخضت اللّبن» إذا حرّكت سقاءه لأخذ زبده.

«الغمام» أي السّحاب.

«الذّوارف» من «ذرفت عينه» إذا سال منها الدّمع، شبّه عليه السّلام صبّ الغمام للقطر بنساء يسكبن دموعهنّ. قال (ابن أبي الحديد) ليس قوله عليه السّلام «وتمخضه الغمام الذوارف» صريحاً فى أنّ السّحب تنزل فى البحر فتغترف منه كما قد يعتقد في المشهور العاميّ نحو قول الشّاعر:

---

١. فاطر ـ ٤١.
٢. النبأ ـ ٦.
٣. البقرة ـ ٢٢.

كالبحر يمطره السّحاب وما لها ◦ فضل عليه لأنّه من مائه

بل يجوز أن تكون الغمام الذوارف تمخضه وتحرّكه بما ترسل عليه من الأمطار السّائلة منها.[١]

قلت: أصل كلامه عليه السّلام في وصف البحر الّذي يحمل الأرض لقوله عليه السّلام أوّلاً «يحملها الأخضر المثعنجر» وقوله أخيراً «فوق بحر لجّي» لا البحر الظّاهر في الأرض، وحينئذ فالظّاهر وقوع تصحيف هنا أيضاً كما مرّ عند قوله: «ويحملها الأخضر المثعنجر» وأنّ الأصل «ولا تكركره الرّياح العواصف، ولا تمخضه الغمام الذوارف» عطفاً على قوله عليه السّلام «لايسري» بمعنى أنّه بحر غير هذه البحار البارزة، ولولا ما قلنا لكان تنافراً أيضاً بين الجملتين، وبين قوله عليه السّلام: «راكد لايجري وقائم لايسري».

«إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى» إقتباس من القرآن آية ٢٦ من والنّازعات.[٢]

٥. خطبة ١٦٩: ومن خطبة له عليه السّلام لما عزم على لقاء القوم بصفّين:

اَللّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ. الَّذى جَعَلْتَهُ مَغيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ، لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ، وَرَبَّ هٰذِهِ الأَرْضِ الَّتى جَعَلْتَها قَراراً لِلأَنامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوامِّ، وَالأَنعامِ، وَما لا يُحْصىٰ مِمّا يُرىٰ وَمِمّا لا يُرىٰ، وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِى الَّتى جَعَلْتَها لِلأَرْضِ اَوْتاداً وَلِلْخَلْقِ اِعْتِماداً، اِنْ اَظْهَرْتَنا عَلى عَدُوِّنا، فَجَنِّبْنا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ، وَاِنْ اَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فَارْزُقْنا الشَّهادَةَ، وَجَنِّبْنا الْفِتْنَةَ. اَيْنَ الْمانِعُ لِلذِّمارِ، وَالْغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقائِقِ مِنْ اَهْلِ الْحِفاظِ. الْعارُ وَراءَكُمْ. وَالْجَنَّةُ اَمامَكُمْ.

---

١. شرح ابن ابي الحديد ج ٣ ص ١٩.

٢. لفظ الفقرة عين لفظ الآية.

أقول: رواه ابن طاووس في مهجة عن كتاب دعاء الحسين بن سعيد الأهوازيّ باسناده عن يعقوب بن شعيب عن الصّادق عليه السّلام قال: كان من دعاء أمير المؤمنين يوم صفّين: «اللّهم ربّ هذا السّقف المرفوع ــ إلى أن قال: ــ فجنّبنا الكبر وسدّدنا للرّشد ــ إلى أن قال: ــ واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة»[١] ورواه الطّبريّ في تاريخه عن زيد بن وهب، وزاد بعد قوله عليه السّلام: «وممّا لايرى» قوله: «من خلقك العظيم وربّ الفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع النّاس، وربّ السّحاب المسخّر بين السّماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم»[٢]، ورواه نصر بن مزاحم في صفّينه.[٣]

«اللهمّ ربّ السّقف المرفوع» هو لفظ القرآن في التّعبير عن السّماء قال تعالى: «والسّقف المرفوع».[٤]

«والجوّ المكفوف» المراد بالجوّ المكفوف السّماء كالسّقف المرفوع ومرّ قوله عليه السّلام في العنوان الأوّل من الفصل: «جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً» وفي صفّين نصر: «اللهمّ ربّ هذا السّقف المحفوظ المكفوف الّذي جعلته» ــ إلخ.[٥] قال الشّهرستانيّ في الهيئة: يعني عليه السّلام بالجوّ المكفوف الممنوع من الهطلان مع سيلان مادّته الأثيرية.[٦]

«الّذى جعلته مغيضاً للّيل والنّهار» قال (ابن أبي الحديد): وجه المشاركة أنّ المغيض أو الغيضة يتولّد منها الشجر وكذلك اللّيل والنّهار يتولّدان من جريان الفلك كنبت الشّجر من المغيضة والأجمة.[٧]

قلت: المغيض يستعمل في الخفاء لا الظّهور. قال تعالى: «..وما تغيض

١. مهج الدعوات ص ١٠٢.
٢. تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٠/ سنة ٣٧.
٣ و ٥. وقعة صفين ص ٢٣٢ ولفظة «المكفوف» فى بعض النسخ.
٤. الطور ــ ٥.
٦. الهيئة والاسلام ج ١ ص ٥١.
٧. شرح ابن ابى الحديد ج ٢ ص ٤٧٢.

الأرحام وما تزداد..»[١] ويقال: غاض الكرام وفاض اللّئام (ابن أبي الحديد) عكس، وقال الشّهرستانيّ: المغيض موضع يمصّ الماء ويبلعه فكأنّه عليه السّلام استعار لفظ اللّيل والنّهار لمعنى النّور والظّلام، وشبّه انعدام ضوء النّهار لمعنى النّور والظّلام، وشبّه انعدام ضوء النّهار في الجوّ ليلاً، وكذا انمحاء ظلام اللّيل فيه نهاراً بمصّ الجوّ وابتلاعه للظّلام والضّياء، ويظهر من هذا التّعبير ما استكشفه المتأخّرون بآلة سبكترسكوب وغيرها أنّ الجوّ أو الهواء يشرب ويمصّ من النّور ما يقتضيه طبعه، ويمجّ الباقي، إلينا، وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم لكن باب مدينة العلم أعني عليّاً عليه السّلام، قد علّمه النّبيّ صلّى الله عليه وآله حسب الآثار الصّحيحة ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب، وربّما كان هذا وأشباهه من فروع هذه الأبواب الّتي يستشكف الحكيم منها ألف باب، وايم الله سبحانه إنّ المتأمّل في كلمات عليّ عليه السّلام بعد اطّلاعه على فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة، ويصدّق عند إذٍ من قال «إنّ كلام عليّ عليه السّلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين»[٢].

«ومجرى للشّمس والقمر» قال تعالى: «والشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم: والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعُرجون القديم»[٣].

«ومختلفاً للنّجوم السّيّارة» في طلوعها وغروبها. قال الصّادق عليه السّلام للمفضّل: فكّر يا مفضّل في النّجوم واختلاف مسيرها. فبعضها لاتفارق مراكزها من الفلك، ولاتسير إلّا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج، وتفترق في مسيرها. فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنّملة الّتي تدور على الرّحى.[٤]

هذا، وفي أصل زيد النّرسي ــ وزيد مختلف فيه ــ عن الصّادق عليه السّلام في خبر: وربّ هود بن أسية عافني من كلّ عقرب وحية. قلت: وما

---

١. الرعد ــ ٨.

٢. الهيئة والاسلام ج ١ ص ٥١ والنقل بتصرف يسير.

٣. يس ــ ٣٨ و ٣٩.

٤. توحيد المفضل ص ١٣٢.

هودبن أسية؟ قال: كوكبة في السّماء خفية تحت الوسطى من الثّلاث الكواكب الّتي في بنات النّعش المتفرّقات ذلك أمان ممّا قلت.[١]

«وجعلت سكّانه سبطاً» أي طائفة.

«من ملائكتك» كما أنّ الأرض مسكن بنيآدم.

«لايسأمون» أي لايملّون.

«من عبادتك» وإن أداموا لا مثل البشر.

«وربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قراراً للأنام» «.. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين»[٢] «أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً..»[٣] «الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً والسّماء بناء..»[٤].

«ومدرجاً» أي مسلكاً.

«للهوامّ» أي الحشرات، يقال خلّ درج الضبّ، أي طريقة لئلّا يسلك بين قدميك، فتنتفخ، وفسّرت الهامّة في حديث الاستعاذة من كلّ سامّة وهامّة[٥] بحشرة ذات سمّ لاتقتل كالعقرب في قبال السّامّة حشرة ذات سمّ تقتل، والمراد هنا المطلق لجعلها في مقابل الأنعام.

«والأنعام» أي مطلق الحيوان، لا خصوص المال الرّاعية حيث جعل مقابلاً للهوامّ.

«وما لايحصى» من خلقك.

---

١. اصل زيد النرسى ص ٥٧ والنقل بتقطيع.

٢. البقرة ــ ٣٦.

٣. النمل ــ ٦١.

٤. غافر ــ ٦٤.

٥. اخرجه ابويعلى والبزار فى مسنديها عنها المطالب العالية ج ٢ ص ٣٤٨ ح ٢٤٤٣ بلفظ والصدوق فى معانى الاخبار ص ١٧٣ ح ١ بلفظ آخر وذكر الهامّة فى احاديث الاستعاذة كثير.

«ممّا يرى وممّا لايرى» وما لا يرى قسمان، قسم منها لغيبوبته عنّا مثل ما في العلويّات، وقسم منها لصغر جسمها حتّى لاترى بالعين، وفي القسم الثّاني اخترعت أدوات ترى بها.

«وربّ الجبال الرّواسيّ» أي الثّوابت.

«الّتي جعلتها للأرض أوتاداً» لئلّا تضطرب.

«وللخلق» الإنسان وأقسام الحيوان.

«اعتماداً» حتّى يمكّنهم السّكنى فيها.

«إن أظهرتنا على عدوّنا» فبيده مفتاح الظّفر والهزيمة.

«فجنّبنا البغي» كما هو شأن أكثر الفاتحين.

«وسدّدنا» أي وفّقنا.

«للحقّ» وترك الباطل.

«وإنّ أظهرتهم علينا» «.. تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء..» [1]

«فارزقنا الشّهادة» في الحرب دون الأسر بيد العدوّ.

«وجنّبنا الفتنة» أي الإمتحان الّذي يوجب الضّلال.

«أين المانع للذمار» أي ما يلزمك حفظه ممّا وراءك ويتعلّق بك.

«والغائر» أي الغيور.

«عند نزول الحقائق» أي نزول أمور يحقّ على الرجل أن يحميها، ويدفع عنها

---

١. آل عمران ــ ٢٦.

كعرضه وحرمه، قالوا: كان ربيعة بن مكدم ــ من بني فراس بن غنم ــ حامي الظّعن بعد موته، وذلك أنّه عرض له فارسان من بني سليم ومعه ظعائن من أهله يَحْمِيهُنَّ وحده. فطاعَنَهُما فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه. فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه، وهو ثابت فى سرجه لم يزل. فسارت الظّعائن حتّى بلغن بيوت الحيّ، وبنو سليم قائمون بإزائه لايقدمون عليه، ويظنّونه حيّاً حتّى قال قائل منهم: إنّي لاأراه إلّا ميّتاً، ولو كان حيّاً لتحرّك فرموا فرسه بسهم، فوثب من تحته. فوقع وهو ميّت وفاتهم الظّعائن.[١]

«من أهل الحفاظ» بالكسر، أي الّذين يحافظون على ما يجب عليهم رعايته.

«العار وراءَكم» إن أجحمتم عن عدوّكم بالفرار. بعث عبيدالله بن زياد إلى أبي بلال الخارجيّ، وقد كان خرج إلى آسك موضع بين أرّجان ورامهرمز، وهو في أربعين ومعبدبن أسلم الكلابي في ألفين. فانهزم وما ردّه شيء حتّى ورد البصرة فكان النّاس يصيحون به: يا معبداً وراك أبوبلال، حتّى شكاهم إلى ابن زياد.[٢]

ولمّا انهزم خالدبن الوليد بالنّاس يوم مؤتة بعد قتل جعفر وصاحبيه زيدبن حارثة وعبدالله بن رواحة، ودنا من دخول المدينة جعل النّاس يحثّون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرّار، وكان فيهم سلمة بن هشام بن المغيرة، فكان لايحضر الصلوة مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت أُمّ سلمة لامرأته: لم لايحضر؟ قالت: ما يستطيع كلّما خرج صاح النّاس أفررتم في سبيل الله؟ فقعد في البيت وما يخرج[٣]، ومن المضحك أنّ إخواننا سموا خالداً سيف الله بتلك الهزيمة.[٤]

---

١. نقله ابن ابى الحديد فى شرحه ج ١ ص ١١٣ وروى قريباً منه المسعودى فى مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٨.

٢. نقل القصة بطولها ابن ابى الحديد فى شرحه ج ١ ص ٤٤٨.

٣. نقله ابن هشام فى السيرة ج ٤ ص ١٧ والطبرى فى التاريخ ج ٢ ص ٣٢٣/ سنة ٨.

٤. المدّعى ان النبى (ص) قال فى شأنه «سيف من سيوف الله» نقله عن اكثرمن ثلاثين طريقاً المتقى فى منتخب كنزالعمال ج ٤ ص ٩٤ و٩٥ وج ٥ ص ١٧٤ ــ ١٧٦.

«والجنّة أمامكم» إن أقدمتم عليه حتّى ترزقوا الشهادة، وروى الكافيّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: للجنّة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه، فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم. والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم.[١]

٦ ● خطبة ــ ١٥٨:

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَىٰ مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً، وَفِكْرُهُ حَائِراً.

«فمن فرّغ قلبه» عن الشّواغل.

«وأعمل فكره» باطالته.

«ليعلم كيف أقمت عرشك» روى توحيد الصّدوق بإسناده عن الصّادق عليه السّلام قال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن صفة على حدة فقوله «ربّ العرش العظيم» يقول: الملك العظيم، وقوله «الرّحمن على العرش استوى» يقول: على الملك احتوى، وهذا ملك الكيفوفيّة في الأشياء. ثمّ العرش في الوصل متفرّد من الكرسيّ، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان. لأنّ الكرسيّ هو الباب الظّاهر من الغيب الّذى منه مطلع البدء، ومنه الأشياء كلّها.

والعرش هو الباب الباطن الّذى يوجد فيه علم الكيف والكون، والقدر والحدّ، والأين والمشيئة، وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحركات والترك، وعلم

---

١. اخرجه فى صدر حديث الكلينى فى الكافى ج ٥ ص ٢ ح ٢ والصدوق فى ثواب الاعمال ص ٢٢٥ ح ٢ واماليه ص ٤٦٢ ح ٨/ مجلس ٨٥ والطوسى فى التهذيب ج ٦ ص ١٣٣ ح ٨.

العود والبدء.

فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي. فن ذلك قال: «ربّ العرش العظيم»[١]، أي صفته أعظم من صفة الكرسي ــ الخبر.[٢]

وروى روضة الفتال مرسلاً أنّه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البرّ والبحر، وهذا تأويل قوله تعالى: «وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه..»[٣] وإنّ بين القائمة من قوائم العرش، و القائمة الثّانية خفقان الطّير المسرع مسير ألف عام، والعرش يكسي كلّ يوم سبعين ألف لون من النّور، لايستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة.

وإنّ لله تعالى ملكاً يقال له: «حزقائيل»، له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام. فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أُخرى فكان له ستّةٌ وثلاثونَ ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمأة عام. ثمّ أوحى الله إليه: أيّها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش. ثمّ ضاعف الله له في الجناح والقوّة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام ولم ينل أيضاً. فأوحى الله إليه: أيّها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق العرش. فقال الملك سبحان ربّي الأعلى فانزل الله عزّوجلّ: «سبح اسم ربّك الأعلى»[٤]، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم.[٥]

«وذرأت» أي كثّرت ونشرت.

١. التوبة ــ ١٢٩ والنمل ــ ٢٦.
٢. اخرجه الصدوق في التوحيد ص ٣٢١ ح ١.
٣. الحجر ــ ٢١.
٤. الاعلى ــ ١.
٥. رواه الفتّال في روضة الواعظين ج ١ ص ٤٧ وما روى عن النبي (ص) «اجعلوها في سجودكم» قد جاء في الاخبار كثيراً.

«خلقك» «وهو الّذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون»[١] «.. جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير»[٢].

«وكيف علقت في الهواء سماواتك» «الله الّذي رفع السّموات بغير عمد ترونها..»[٣] «خلق السّموات بغير عمد ترونها..»[٤].

«وكيف مددت على مور الماء» أي اضطرابه وذهابه ومجيئه.

«أرضك» فاستقرت.

«رجع طرفه» أي عينه وبصره. قال تعالى: «.. لا يرتدّ إليهم طرفهم..»[٥].

«حسيراً» أي كليلاً ومنقطعاً، والأصل فيه قوله تعالى: «.. ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير»[٦].

«وعقله مبهوراً» أي مغلوباً.

«وسمعه والهاً» أي متحيّراً.

«وفكره حائراً» غير واصل إلى مقصد.

إلى هنا تمّ الجزء الأوّل حسب تجزئتنا، ويليه الجزء الثّاني أوّله الفصل الثّالث في خلق الملائكة.

---

١. المؤمنون ــ ٧٩.
٢. الشورى ــ ١١.
٣. الرعد ــ ٢.
٤. لقمان ــ ١٠.
٥. ابراهيم ــ ٤٣.
٦. الملك ــ ٤.

مـراجع تحقيـق

بج الصّباغة ـ المجلّد الاوّل فقط

١. المصحف الشّريف
٢. اثبات الوصيّة ــ للمسعودى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف
٣. الإحتجاج ــ لأبى منصور الطّبرسى ــ تحقيق محمّد باقر الموسوى الخرسان ــ بيروت
٤. احياء علوم الدّين ــ لأبى حامد الغزّالى ــ مكتبة عبدالوكيل الدّروبى ــ دمشق
٥. احياء الميّت ــ لجلال الدّين السّيوطى ــ مكتبة الوفا ــ بيروت.
٦. اخبار العلماء باخبار الحكماء ــ للقفطى ــ مطبعة السّعادة ــ القاهرة.
٧. الإختصاص ــ للشّيخ المفيد ــ تحقيق على اكبر الغفّارى ــ طهران.
٨. اختيار معرفة للرّجال ــ الأصل لأبى عمرو الكشى والإختيار للشّيخ الطّوسى ــ تحقيق حسن المصطفوى ــ مشهد.
٩. ادب الكاتب ــ للصّولى ــ المطبعة السّلفيّة ــ مصر.
١٠. الأذكياء ــ لابن الجوزى ــ المكتب التّجارى للطّباعة و التّوزيع و النّشر ــ بيروت.
١١. الإرشاد ــ للشّيخ المفيد ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٢. إرشاد الطّالبين ــ للفاضل المقداد ــ تحقيق السّيد مهدى الرّجائى ــ قم.
١٣. إرشاد القلوب ــ للدّيلمى ــ النّجف.
١٤. اساس البلاغة ــ للزّمخشرى ــ تحقيق عبدالرّحيم محمود ــ القاهرة.
١٥. اسباب النّزول ــ للواحدى ــ القاهرة.
١٦. الإستبصار ــ للشّيخ الطّوسى ــ دارالكتب الإسلاميّة ــ طهران.

١٧. الإستيعاب ـ لابن عبدالبرّ ـ بهامش الإصابة ـ مطبعة السّعادة ـ القاهرة.
١٨. اسد الغابة ـ لابن الأثير الجزرى ـ طهران.
١٩. اصل جعفربن محمد الحضرمى ـ فى ضمن الأصول السّتة عشر ـ باهتمام حسن المصطفوى ـ طهران.
٢٠. اصل زيد الزراد الحضرمى ـ فى ضمن الأصول السّتة عشر ـ باهتمام حسن المصطفوى ـ طهران.
٢١. اصل زيد النّرسى الحضرمى ـ فى ضمن الأصول السّتة عشر ـ باهتمام حسن المصطفوى ـ طهران.
٢٢. اصل عاصم بن حميد الحضرمى ـ فى ضمن الأصول السّتة عشر ـ باهتمام حسن المصطفوى ـ طهران.
٢٣. اصل علابن رزين ـ مختصره ـ فى ضمن الاصول السّتة عشر ـ باهتمام حسن المصطفوى ـ طهران.
٢٤. الإعتقادات ـ للشّيخ الصّدوق ـ الطّبعة الحجريّة ـ ايران.
٢٥. اعراب ثلاثين سورة ـ لإبن خالويه ـ حيدرآباد ـ الدّكن.
٢٦. الأغانى ـ لأبى الفرج الإصبهانى ـ تحقيق عبدالكريم الغرباوى وعبدالعزيز مطر ـ داراحياءِ التّراث العربى ـ بيروت.
٢٧. الإفصاح عن معانى الصّحاح ـ للوزير ابن هبيرة ـ المكتبة الحلبيّة ـ حلب.
٢٨. الإقتصاد ـ للشّيخ الطّوسى ـ مكتبة جامع چهلستون ـ طهران.
٢٩. الأقيانوس فى شرح القاموس ـ للشّيخ كمال عاصم ـ باللّغة التّركيّة ـ إستانبول.
٣٠. ألقاب الرّسول وعترته ـ لبعض القدما ـ فى ضمن المجموعة النّفيسة ـ قم.
٣١. أمالى الشّيخ الصّدوق ـ مؤسسة الأعلمى ـ بيروت.
٣٢. أمالى الشّيخ المفيد ـ تحقيق الحسين استاد ولى وعلى اكبر الغفّارى ـ طهران.
٣٣. أمالى الشّريف المرتضى المسمّى بالغرر والدّرر ـ تحقيق محمّد بدرالدّين ـ القاهرة.
٣٤. أمالى الشّيخ ابى جعفر الطّوسى ـ مطبعة النّعمان ـ النّجف ـ طبع بضميمة أمالى ولده.
٣٥. أمالى ابى على ابن الشّيخ الطّوسى ـ مطبعة النّعمان ـ النّجف.
٣٦. الإمامة والسّياسة وهو كتاب تاريخ الخلفاء ـ لابن قتيبة ـ مكتبة مصطفى البابى الحلبى واولاده ـ مصر.
٣٧. امثال وحكم ـ لعلى اكبر دهخدا ـ باللّغة الفارسية ـ طهران.
٣٨. أمل الآمل ـ للشّيخ الحرّ العاملى ـ تحقيق السّيد احمد الحسينى ـ المكتبة الحيدريّة ـ النّجف.
٣٩. انساب الأشراف ـ للبلاذرى ـ المجلّد الأوّل تحقيق الدّكتور محمد حميدالله ـ دارالمعارف ـ مصر.
٤٠. اوائل المقالات ـ للشيخ المفيد ـ تحقيق الفاضل الجرندابى ـ تبريز.
٤١. الإيضاح ـ للفضل بن شاذان ـ مؤسّسة الأعلمى ـ بيروت.
٤٢. بحارالانوار ـ للعلاّمة المجلسى ـ دارالكتب الاسلامية ـ طهران.
٤٣. البرهان فى تفسير القرآن ـ للسّيد هاشم البحرانى ـ طهران.
٤٤. بشارة المصطفى ـ لمحمّد بن ابى القاسم الطّبرى ـ المكتبة الحيدريّة ـ النّجف.
٤٥. بصائر الدّرجات ـ لمحمّد بن الحسن الصّفّار ـ النّجف.

٤٦. البلد الأمين ــ لابراهيم الكفعمي ــ الطبعة الحجرية ــ طهران.
٤٧. بلوغ المرام ــ للحافظ ابن حجر العسقلاني ــ القاهرة.
٤٨. البيان والتبيين ــ للجاحظ ــ تحقيق حسن السّندوبي ــ دارالكفر ــ بيروت.
٤٩. تاج العروس في شرح القاموس ــ للسّيد مرتضى الزبيدي ــ تحقيق عبدالسّتار احمد فراج ــ الكويت.
٥٠. تاريخ الأمم والملوك ــ لمحمّد بن جرير الطّبري ــ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.
٥١. تاريخ بغداد ــ للخطيب البغدادي ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة.
٥٢. تأويل مختلف الحديث ــ لابن قتيبة ــ تحقيق محمّد زهري النّجار ــ دارالجيل ــ بيروت.
٥٣. التّبيان في تفسير القرآن ــ للشّيخ الطّوسي ــ مؤسسة الأعلمي ــ بيروت.
٥٤. تحف العقول ــ للحسن بن شعبة الحرّاني ــ تحقيق علي اكبر الغفّاري ــ طهران.
٥٥. تذكرة الخواصّ ــ لسبط بن الجوزي ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٥٦. تصحيح الإعتقاد ــ للشّيخ المفيد ــ بضميمة اوائل المقالات ــ تحقيق الفاضل الجرندابي ــ تبريز.
٥٧. تفسير العسكري ــ المنسوب إلى الامام الحسن العسكري ــ الطبعة الحجريّة ــ ايران.
٥٨. تفسير النّعماني ــ المنسوب إلى النعماني وابن قولويه وبعضاً إلى السّيد المرتضى ــ طبع في ضمن بحارالأنوار المجلّد (٩٣) صفحات (١ ــ ٩٧).
٥٩. تفسير الفرات ــ للفرات بن إبراهيم الكوفي ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٦٠. تفسير العيّاشي ــ لمحمد بن مسعود العيّاشي ــ المكتبة العلميّة الإسلاميّة ــ طهران.
٦١. تفسير القمي ــ لعليّ بن ابراهيم القمي ــ تحقيق السّيد الموسوي الجزائري ــ النّجف.
٦٢. التفضيل ــ لمحمّد بن عليّ الكراجكي ــ مؤسّسه البعثة ــ طهران.
٦٣. التّكملة ــ للصّغاني ــ مكتبة دارالكتب ــ القاهرة.
٦٤. تلخيص البيان ــ للشّريف الرّضي ــ تحقيق محمّد عبدالغني حسن ــ القاهرة.
٦٥. التّمحيص ــ لمحمّد بن همّام الإسكافي ــ تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي «عج» ــ قم.
٦٦. تنبيه الخواطر وهو كتاب المجموعة ــ لورام بن أبي فراس ــ النّجف.
٦٧. تنزيه الأنبياء ــ للشّريف المرتضى ــ النّجف.
٦٨. تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
٦٩. التّوحيد ــ رواية المفضّل بن عمرو ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٧٠. التّوحيد ــ للشّيخ الصّدوق ــ تحقيق السّيد هاشم الطّهراني ــ طهران.
٧١. تهذيب الأحكام ــ للشّيخ الطّوسي ــ دارالكتب الإسلامية ــ طهران.
٧٢. التّيسير في القرآت السّبع ــ لابن عمروالدّاني ــ تحقيق اوتو برتزل ــ استانبول وليبزك.
٧٣. ثواب الأعمال ــ للشّيخ الصّدوق ــ تحقيق علي اكبر الغفّاري ــ طهران.
٧٤. جامع الأصول ــ لابن الأثير الجزري ــ تحقيق محمّد حامد الفقي ــ مصر.
٧٥. جامع الرّواة ــ للأردبيلي ــ دارالأضواء ــ بيروت.
٧٦. الجامع الصّغير ــ لجلال الدّين السّيوطي ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
٧٧. جمال الأسبوع ــ لرضيّ الدّين ابن طاووس ــ الطبعة الحجريّة ــ ايران.
٧٨. الجمع بين رأيي الحكيمين ــ لابن نصر الفارابي ــ تحقيق البير نصري نادر ــ بيروت.

٧٩. **الجمل** ــ للشّيخ المفيد ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٨٠. **جمهرة اللّغة** ــ لابن دريد ــ حيدرآباد ــ الدّكن.
٨١. **الجواهر السّنيّة** ــ للشّيخ الحرّ العاملي ــ النّجف.
٨٢. **حاشية سنن النّسائي** ــ للسّندي ــ ذيل سنن النّسائي ــ مكتبة مصطفى محمّد ــ مصر.
٨٣. **حقائق التأويل** ــ للشّريف الرّضي ــ تحقيق آل كاشف الغطاء ــ دار المهاجر ــ بيروت.
٨٤. **حلية الاولياء** ــ للحافظ ابن نعيم الاصبهاني ــ دار الكتب العربي ــ بيروت.
٨٥. **الحيوان** ــ للجاحظ ــ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ مصر.
٨٦. **خصائص اميرالمؤمنين (ع)** ــ للحافظ النّسائي ــ تحقيق محمّد هادي الأميني ــ النّجف.
٨٧. **خصائص اميرالمؤمنين (ع)** ــ للشّريف الرّضي ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٨٨. **الخصال** ــ للشّيخ الصّدوق ــ تحقيق على اكبر الغفّاري ــ طهران.
٨٩. **الخلاصة في الرّجال** ــ للعلامة الحلّي ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٩٠. **الدّرجات الرّفيعة** ــ للسّيد عليخان ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٩١. **الدّرّ المنثور** ــ لجلال الدّين السّيوطي ــ نشر محمد أمين دمج ــ بيروت.
٩٢. **درر الأحاديث النّبويّة بالأسانيد اليحيويّة** ــ للقاضي ابن حمزه الصّعدي ــ مؤسّسة الأعلمي ــ بيروت.
٩٣. **دستور معالم الحكم** ــ القاضي القضاعي ــ المكتبة الأزهريّة ــ القاهرة.
٩٤. **دعائم الإسلام** ــ للقاضي النّعمان المغربي ــ تحقيق آصف فيضي ــ دار المعارف ــ القاهرة.
٩٥. **دلائل الإعجاز** ــ للشّيخ عبدالقاهر الجرجاني ــ تحقيق محمّد رشيد رضا ــ دار المعرفة ــ بيروت.
٩٦. **دلائل الإمامة** ــ لمحمّد بن جرير بن رستم الطّبري ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٩٧. **ديوان امرئ القيس** ــ دار المعارف ــ القاهرة.
٩٨. **ديوان الفرزدق** ــ دار الباز ــ مكّة المكرّمة.
٩٩. **ديوان الشّريف المرتضى** ــ مكتبة عيسى البابي الحلبي و شركاه ــ مصر.
١٠٠. **الذّريعة** ــ للشّريف المرتضى ــ تحقيق ابو القاسم گرجي ــ مطبعة جامعة طهران.
١٠١. **الذّريعة** ــ لآقا بزرك الطّهراني ــ دار الأضواء ــ بيروت.
١٠٢. **روح المعاني** ــ للشّيخ محمود الآلوسي ــ دار احياء التّراث العربي ــ بيروت.
١٠٣. **روضات الجنّات للسّيد الخوانساري** ــ مكتبة اسماعيليان ــ قم.
١٠٤. **روضة الواعظين** ــ للفتّال النّسابوري ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٠٥. **زوائد على نهج البلاغة** ــ لابن أبي الحديد ــ بضميمة شرح نهج البلاغة ــ دار احياء التّراث العربي ــ بيروت.
١٠٦. **الزّهد** ــ للحسين بن سعيد الأهوازي ــ تحقيق غلامرضا عرفانيان ــ قم.
١٠٧. **سعد السّعود** ــ لرضيّ الدّين ابن طاووس ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٠٨. **السّقيفة وهو أصل سليم بن قيس الهلالي** ــ مؤسّسة الأعلمي ــ بيروت.
١٠٩. **السّقيفة وفدك** ــ لأبي بكر الجوهري و رواية ابن أبي الحديد ــ تحقيق محمّد هادي الأميني ــ طهران.
١١٠. **سنن الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السّجستاني** ــ تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد ــ مصر.
١١١. **سنن الحافظ محمد بن عيسى التّرمذي** ــ تحقيق احمد محمّد شاكر ــ دار احياء التّراث العربي بيروت.

١١٢. سنن الحافظ احمد بن شعيب النسائى ــ مكتبة مصطفى محمّد ــ مصر.
١١٣. سنن الحافظ ابن ماجة القزوينى ــ تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقى ــ دار احياء التراث العربى ــ بيروت.
١١٤. سنن الحافظ عبدالله بن بهرام الدّارمى ــ دارالفكر ــ القاهرة.
١١٥. سنن محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفى المعروف بالأشعثيات وبعضاً بالجعفريّات ــ مطبوع بالطّبعة الحجريّة بضميمة قرب الأسناد ــ قم.
١١٦. السّيرة النّبويّة ــ لابن هشام ــ تحقيق طه عبدالرّؤوف سعد ــ دارالجيل ــ بيروت.
١١٧. الشّافى فى تلخيص الوافى ــ للفيض الكاشانى ــ الطبعة الحجريّة ــ ايران.
١١٨. شرح الأخبار ــ للقاضى النّعمان المغربى ــ تحقيق السّيد محمّد الحسينى ــ قم.
١١٩. شرح الشّافية ــ لرضىّ الدّين الإستراباذى ــ تحقيق محمّد محى الدّين عبدالحميد وغيره ــ القاهرة.
١٢٠. شرح قطر النّدى ــ لابن هشام الأنصارى ــ تحقيق محمّد محى الدّين عبدالحميد ــ القاهرة.
١٢١. شرح نهج البلاغة ــ لقطب الدّين الرّاوندى ــ تحقيق السّيد عبداللّطيف الكوهكمرى ــ قم.
١٢٢. شرح نهج البلاغة ــ لقطب الدّين الكيذرى ــ تحقيق عزيزالله العطاردى ــ حيدرآباد الدّكن.
١٢٣. شرح نهج البلاغة ــ لابن أبى الحديد ــ فى أربع مجلّدات ــ داراحياء التّراث العربى ــ بيروت.
١٢٤. شرح نهج البلاغة ــ لابن ميثم البحرانى ــ مؤسّسة النّصر ــ طهران.
١٢٥. شرح نهج البلاغة للسّيّد حبيب الله الخوئى ــ الطبعة الحجريّة ــ ايران.
١٢٦. الشّعر والشّعراء ــ لابن قتيبة ــ تحقيق مصطفى أفندى السّقّا ــ مكتبة مصطفى محمّد ــ مصر.
١٢٧. شواهد التّنزيل ــ للحاكم الحسكانى ــ مؤسّسة الأعلمى ــ بيروت.
١٢٨. شواهد المغنى ــ لجلال الدّين السّيوطى ــ تحقيق الشنقيطى ــ لجنة التّراث العربى ــ القاهرة.
١٢٩. صحاح اللّغة ــ للجوهرى ــ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ــ دارالكتاب العربى ــ مصر.
١٣٠. صحيح الحافظ محمد بن اسماعيل البخارى ــ فى أربع مجلّدات ــ دارالمعرفة ــ بيروت.
١٣١. صحيح الحافظ مسلم بن الحجّاج النّيسابورى ــ تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقى ــ بيروت.
١٣٢. الصّحيفة العلويّة الأولى ــ للسّماهيجى البحرانى ــ مع ترجمة السّيد هاشم الرّسولى ــ طهران.
١٣٣. الصّحيفة السّجّاديّة ــ المنسوب إلى الإمام علىّ بن الحسين (ع) ــ دارالكتب الإسلاميّة ــ طهران.
١٣٤. الصّناعتين ــ لأبى هلال العسكرى ــ مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه ــ مصر.
١٣٥. الطّرائف ــ لرضىّ الدّين ابن طاووس ــ مطبعة خيّام ــ قم.
١٣٦. عجائب احكام أميرالمؤمنين (ع) ــ لمحمّد بن على بن إبراهيم القمى ــ النّجف.
١٣٧. عرائس المجالس وهو كتاب قصص الأنبياء ــ للثّعلبى ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
١٣٨. العقد الفريد ــ لابن عبد ربّه ــ مطبعة الإستقامة ــ القاهرة.
١٣٩. علل الشّرائع ــ للشّيخ الصّدوق ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٤٠. العمدة ــ ليحيى بن الحسن بن البطريق ــ الطّبعه الحجريّة ــ ايران.
١٤١. عمدة الطّالب ــ للسّيّد جمال الدّين الحسنى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٤٢. العهدان العتيق والجديد ــ دارالكتاب المقدّس ــ القاهرة.
١٤٣. عيون الأخبار ــ لابن قتيبة ــ دارالكتب المصريّة ــ القاهرة.
١٤٤. عيون اخبار الرّضا (ع) ــ للشّيخ الصّدوق ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.

١٤٥. عين العبرة فى غبن العترة ــ لرضىّ الدّين بن طاووس ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٤٦. الغارات ــ لإبراهيم الثّقفى ــ تحقيق السّيد جلال الدّين المحدّث الأرموى ــ طهران.
١٤٧. الغيبة ــ للشّيخ الطّوسى ــ طهران.
١٤٨. فرج المهموم فى تاريخ علماء النّجوم ــ لرضىّ الدّين بن طاووس ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٤٩. الفصول المختارة ــ للشّريف المرتضى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٥٠. الفضائل ــ المنسوب إلى شاذان بن جبرئيل القمى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٥١. فقه اللّغة وسرّ العربيّة ــ لأبى منصور الثّعالبى ــ القاهرة.
١٥٢. فقيه من لا يحضره الفقيه ــ للشّيخ الصّدوق ــ دارالكتب الإسلاميّة ــ طهران.
١٥٣. فهارس شرح ابن أبى الحديد ــ لأسدالله اسماعيليان ــ مكتبة اسماعيليان ــ قم.
١٥٤. الفهرست ــ لابن النّديم ــ دارالمعرفة ــ بيروت.
١٥٥. الفهرست للشّيخ الطّوسى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٥٦. الفهرست للشّيخ احمد النّجاشى ــ الطبعة الحجريّة ــ قم.
١٥٧. الفهرست للشّيخ منتجب الدّين ــ تحقيق السّيّد عبدالعزيز الطّباطبائى ــ قم.
١٥٨. الفواتح ــ الميبدى ــ مخطوط.
١٥٩. القاموس المحيط ــ للفيروزآبادى ــ بيروت.
١٦٠. قرب الأسناد ــ للحميرى ــ الطّبعة الحجريّة ــ قم.
١٦١. الكاف الشّاف ــ لابن حجر العسقلانى ــ ذيل الكشّاف ــ دارالكتاب العربى ــ بيروت.
١٦٢. الكافى ــ لمحمّدبن يعقوب الكلينى ــ دارالكتب الإسلاميّة ــ طهران.
١٦٣. الكامل فى التّاريخ ــ لابن الأثير الجزرى ــ تحقيق تورنبرج ــ مطبعة بريل ــ ايران.
١٦٤. الكتاب ــ لسيبويه ــ الطّبعة الاميريّة ــ بولاق.
١٦٥. الكاشف ــ للزّمخشرى ــ دارالكتاب العربى ــ بيروت.
١٦٦. كشف الغمّة فى معرفة الأئمّة ــ للأربلى ــ دارالكتب الإسلامى ــ بيروت.
١٦٧. كشف المحجّة ــ لرضىّ الدّين بن طاووس ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٦٨. كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد ــ للعلّامة الحلّى ــ قم.
١٦٩. كفاية الطّالب ــ للحافظ الكنجى ــ طبعة النّجف.
١٧٠. كمال الدّين وتمام النّعمة ــ للشّيخ الصّدوق ــ تحقيق على اكبر الغفّارى ــ طهران.
١٧١. كنزالفوائد ــ لمحمّدبن على الكراجكى ــ الطّبعة الحجريّة ــ ايران.
١٧٢. كنوز الحقائق لعبد الرؤوف المناوى ــ بهامش الجامع الصّغير ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
١٧٣. لسان العرب ــ لابن منظور الأفريقى ــ دار صادر ــ بيروت.
١٧٤. المجازات النّبويّة للشّريف الرّضىّ ــ تحقيق طه محمد الزّينى ــ القاهرة.
١٧٥. مجمع الأمثال ــ للميدانى ــ تحقيق محمّد محى الدّين عبدالحميد ــ القاهرة.
١٧٦. مجمع البحرين لفخرالدّين الطّريحى ــ النّجف.
١٧٧. مجمع البيان فى تفسير القرآن ــ للفضل بن الحسن الطّبرسى ــ دار احياء التّراث العربى ــ بيروت.
١٧٨. مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد ــ الحافظ نورالدّين الهيثمى ــ دارالكتاب ــ بيروت.

١٧٩. المحاسن ــ لأحمد بن محمد بن خالد البرق ــ تحقيق السّيد جلال الدّين المحدّث الأموى ــ طهران.
١٨٠. مختصر بصائر الدّرجات ــ للحسن بن سليمان الحلّى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٨١. المختلف ــ للعلاّمة الحلّى ــ الطّبعة الحجريّة ــ ايران.
١٨٢. مروج الذّهب ــ للمسعودى ــ مع فهارس يوسف أسعد داغر ــ بيروت.
١٨٣. مستدرك الوسائل ــ للمحدّث النّورى ــ الطّبعة الحجريّة ــ طهران.
١٨٤. المسترشد ــ لابن رستم الطّبرى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
١٨٥. المستقصى فى امثال العرب ــ للزّمخشرى ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
١٨٦. مسند زيد بن علىّ بن الحسين (ع) ــ دارمكتبة الحياة ــ بيروت.
١٨٧. مسند علىّ بن موسى الرّضا (ع) وهو كتاب صحيفة الرّضا (ع) ــ تحقيق مهدى نجف ــ المشهد.
١٨٨. مسند أحمد بن حنبل ــ دار صادر ــ بيروت.
١٨٩. مشارق أنوار اليقين ــ للحافظ رجب البرسى ــ طهران.
١٩٠. مشكاة الأنوار ــ لأبى الفضل الطّبرسى ــ النّجف.
١٩١. المصباح ــ لإبراهيم الكفعمى ــ مؤسّسة الأعلمى ــ بيروت.
١٩٢. مصباح الشّريعة ــ المنسوب إلى الإمام جعفر الصّادق (ع) ــ مؤسّسة الأعلمى ــ بيروت.
١٩٣. مصباح المتهجّد ــ للشيخ الطّوسى ــ الطّبعة الحجريّة ــ ايران.
١٩٤. المصباح المنير ــ للفيّومى ــ تحقيق محمّد محى الدّين عبدالحميد ــ القاهرة.
١٩٥. مطالب السّؤول فى مناقب آل الرّسول ــ لابن طلحة الشّافعى ــ بضميمة تذكرة الخواصّ ــ ايران.
١٩٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثّمانية ــ لابن حجر العسقلانى ــ تحقيق حبيب الرّحمن الأعظمى ــ الكويت.
١٩٧. المطوّل ــ لسعدالدّين التفتازانى ــ القاهرة.
١٩٨. المعارف ــ لابن قتيبة ــ تحقيق الدّكتور ثروت عكّاشة ــ دارالمعارف ــ مصر.
١٩٩. معالم العلماء ــ لابن شهر آشوب السّروى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٢٠٠. معانى الأخبار ــ للشّيخ الصّدوق ــ تحقيق على اكبر الغفّارى ــ طهران.
٢٠١. معجم الأدباء ــ لياقوت الحموى ــ مكتبة عيسى البابى الحلبى و شركاه ــ مصر.
٢٠٢. معجم البلدان ــ لياقوت الحموى ــ دار احياء التّراث العربى ــ بيروت.
٢٠٣. المعلّقات السّبع مع شرح الزّوزنى ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
٢٠٤. المغازى ــ للواقدى ــ تحقيق الدّكتور مارسدن جونس ــ لندن.
٢٠٥. المغرب ــ للخوارزمى ــ حيدرآباد ــ الدّكن.
٢٠٦. المفردات ــ للرّاغب الإصبهانى ــ تحقيق نديم مرعشلى ــ القاهرة.
٢٠٧. المفصح فى الإمامة ــ للشّيخ الطّوسى ــ فى ضمن الرّسائل العشر ــ قم.
٢٠٨. مقاتل الطّالبين ــ لأبى الفرج الإصبهانى ــ المكتبة الحيدريّة ــ النّجف.
٢٠٩. مقتل الحسين (ع) ــ المنسوب إلى أبى مخنف ــ مؤسّسة الوفا ــ بيروت.
٢١٠. المقنع ــ للشّيخ الصّدوق ــ الطّبعة الحجريّة ــ من ضمن الجوامع الفقهيّة ــ ايران.
٢١١. المقنعة ــ للشّيخ المفيد ــ الطّبعة الحجريّة ــ ايران.

٢١٢. مكارم الأخلاق ــ للحسن بن الفضل الطبرسي ــ مؤسّسة الأعلمي ــ بيروت.
٢١٣. ملحقات الصّحيفة السّجاديّة ــ الطبعة الحجريّة بخط عبدالجواد بن عبدالحميد ــ اصبهان.
٢١٤. الملل والنحل ــ للشّهرستانى ــ تحقيق محمّد بدران ــ القاهرة.
٢١٥. المناقب ــ للخوارزمي ــ المكتبة الحيدريّة ــ النجف.
٢١٦. مناقب آل أبي طالب ــ لابن شهر آشوب السّروى ــ قم.
٢١٧. مناقب على بن أبي طالب ــ لابن المغازلى ــ تحقيق محمّد باقر البهبودى ــ طهران.
٢١٨. منتخب كنزالعمّال ــ للمتقىّ الهندى ــ بهامش مسند أحمد ــ دار صادر ــ بيروت.
٢١٩. المنتخب من ذيل المذيل ــ لمحمّد بن جرير الطبرى ــ بضميمة تاريخ الطبرى ــ بيروت.
٢٢٠. المنتخب من مسند ابن أخي تبوك . ــ بضميمة مناقب ابن المغازلى ــ تحقيق محمّد باقر البهبودى ــ طهران.
٢٢١. المنقذ من الضّلال ــ لأبي حامد الغزّالى ــ دارالعلم للجميع ــ القاهرة.
٢٢٢. منهاج الكرامة ــ للعلامّة الحلّى ــ الطبعة الحجريّة ــ ايران.
٢٢٣. مؤتمر علماء بغداد ــ لمقاتل بن عطيّة البكرى ــ قم.
٢٢٤. الموطأ ــ لمالك بن أنس ــ الطبعة الحجريّة ــ كراجى.
٢٢٥. مهج الدّعوات ــ لرضيّ الدّين بن طاووس ــ الطبعة الحجريّة ــ ايران.
٢٢٦. المهدى ــ للسّيد صدرالدّين الصّدر ــ دارالزّهراء ــ بيروت.
٢٢٧. ميزان الإعتدال ــ للحافظ الذّهبي ــ مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه ــ مصر.
٢٢٨. النّاصريّات ــ للشّريف المرتضى ــ الطبعة الحجريّة ــ ضمن الجوامع الفقهيّة ــ ايران.
٢٢٩. النّشر فى القراآت العشر ــ للحافظ ابن الجزرى ــ تحقيق على محمّد الضّباع ــ القاهرة.
٢٣٠. النّهاية فى غريب الحديث ــ لابن الأثير الجزرى ــ تحقيق طاهر أحمد الزّاوى ــ القاهرة.
٢٣١. نهج البلاغة ــ للشّريف الرّضى ــ مع شرح الشّيخ محمّد عبده ــ دارالمعرفة ــ بيروت.
٢٣٢. نهج السّعادة ــ لمحمّد باقر المحمودى ــ مطبعة الآداب ــ النّجف.
٢٣٣. الهداية ــ للشّيخ الصدّوق ــ الطبعة الحجريّة ــ ضمن الجوامع الفقهيّة ــ ايران.
٢٣٤. الهيئة والإسلام ــ للسّيّد هبةالله الشّهرستانى ــ مطبعة الاداب ــ بغداد.
٢٣٥. الوزراء وتحفة الأمراء ــ للصّابى ــ مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه ــ مصر.
٢٣٦. الوزراء والكتاب ــ للجهشيارى ــ مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ــ مصر.
٢٣٧. وسائل الشّيعة ــ للشّيخ الحرّ العاملى ــ دارالكتب الإسلاميّة ــ طهران.
٢٣٨. وفيات الأعيان ــ لابن خلكان ــ تحقيق الدّكتور إحسان عبّاس ــ دار صادر ــ بيروت.
٢٣٩. وقعة صفّين ــ لنصر بن مزاحم المنقرى ــ تحقيق عبدالسّلام محمّد هارون ــ القاهرة.
٢٤٠. يتيمة الدّهر ــ لأبي منصور الثّعالبي ــ دارالكتب العلميّة ــ بيروت.
٢٤١. ينابيع المودّة ــ لسليمان بن إبراهيم القندوزى ــ الكاظميّة.
٢٤٢. Greek-English lexicon - by H. G. Liddell & R. Scott 5th edition - Oxford.